

مدى عولمة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وتطور الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب



عيد العرش

عيد الوفاء والولاء والتلاحم المتواصل، على طريق العمل المسؤول
والإبداع الحضاري وتحقيق المزيد من الانتصارات

عدد خاص بالذكرى الرابعة والعشرين
لاعتلاء جلالة الملك الحسن الثاني عرش أسلافه المقدسين

العدد 246
جمادى الأولى 1405هـ - مارس 1985
الثمن: 40 درهم

ترجمة العربية لمذكرات جلالة الملك الحسن الثاني

الحسن الثاني ملك المغرب



التحدي

صدرت عن المطبعة الملكية بالرباط الطبعة العربية لكتاب التحدي بقلم جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله
وتضم هذه الطبعة وثائق نادرة لأول مرة.

تهنئة

يخفق الشعب المغربي قاطبة، من
البوغاز إلى الكؤيرة، بالذكرى الرابعة والعشرين
لاعلاء أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني
عرش أسلافه المقدسين، وبهذه المناسبة
الخالدة يشرف وزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية، أن تتقدم إلى الأعتاب الشريفة
مهنية ومباركة وداعية الله عز وجل أن
يكلاً بحفظه وعنايته، سيدنا المنصور بالله،
وتمده بعونه، ويشد أزره ويحقق به وعلى يديه
لشعبه المؤمن المزيد من المكاسب والإنجازات،
ولأمته الإسلامية السؤدد والمجد، بتحرير
القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك
وكل شبر ما زال يرنح تحت نير الاستعمار
والاحتلال من تراب الأمة الإسلامية والعربية
ويحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم، ويُقتر
عين جلالة بولي عهده صاحب السمو الملكي
الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه المحبوب
صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد
وأخواتهما الأميرات الجليلات وكافة أفراد
أسرته الشريفة. إنّه سميع بحيب.

دعوة الحق

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
ولبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها
جلالة المغفور له
محمد الخامس
قدس الله روحه

سنة
1376 هـ - 1957 م

التخزين:

الهاتف: 601.85

الإدارة: 636.93

و: 627.03

التوزيع: 627.04

608.10



في المملكة المغربية: 55 درهماً
الاشتراكات: في البلاد العربية: 67 درهماً
في العالم: 77 درهماً

الحساب البريدي: رقم 55-485. الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

● المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر
عن رأي كاتبها ولا تلزم المجلة أو الوزارة
التي تصدرها ●



عِيدُ الْبَيْعَةِ وَالْوَلَاءِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ

إفتاحية

□ يستقبل المغرب شهر مارس من كل سنة، ويستقبل معه ذكرى وطنية عزيزة، تتشوق لها القلوب، وتبتهج لها النفوس، وتعتبرها اعلی الذكريات واعزها، واثن المناسبات واحبها لدى كل فرد من افراد هذا الشعب المغربي، وفي عواطفه ومشاعره الصادقة، انها ذكرى عيد العرش المجيد الذي يخلد هذه السنة الذكرى الرابعة والعشرين لتربع مولانا امير المؤمنين وحامي حمى الوطن والدين جلالة الحسن الثاني على عرش اسلافه المنعمين.

ولاغرو في ذلك، فهي ذكرى متأصلة في نفس كل مغربي وروحه، منقوشة في قلبه وفكره منذ سنوات عديدة، تمتد جذور الاحتفال بها الى عهد جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه. حين قرر الشعب من اقصاه الى اقصاه، ووطد العزم على الاحتفال بتلك المناسبة الخالدة، مهما كلفه ذلك من ثمن ليغيظ الاستعمار ويتحداه ويبرهن له عن مدى التلاحم القائم على الاواصر المتينة التي لا تنفصم عراها، والتي تجمع بين رمز سيادة البلاد وشعبه الوفي، وعمما يكتنه لعاهله من مودة متناهية، ومحبة متفانية تجعله على اتم استعداد واهبة للتضحية في سبيل ملكه ووطنه بكل ما يملك من غال ونفيس، مما جعل عيد العرش في المغرب عيد التعبير بحق وصدق عن تجديد البيعة والولاء، واستمرار الاخلاص والوفاء لملك البلاد وضامن وحدتها واستقرارها.

ان استقبال المغرب لهذه الذكرى الغالية واحتفائه بها منذ انشائها من الرعيل الاول الذي كان يناهض ويناضل الاستعمار وبجانب جلالة المغفور له محمد الخامس، وولي عهده آنذاك لم يكن مجرد مظهر خارجي يقوم على اظهار معالم الفرح والزينة، وانما كان يهدف ويرمز من وراء ذلك الى التعبير عن مغزى عميق ومعنى

للكوثر عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

بعيد، هو إبراز تلك العلاقة الروحية القوية، والآصرة الدينية المتينة التي تجعل من عاهل المغرب وعرشه ملكا يجمع بين السلطة الدينية والدينية التي تركز على الولاء والبيعة الشرعية، وتجعل من ملك البلاد اميرا للمؤمنين وحاميا لحمى الوطن والدين، تجب طاعته على كل من ينضوي تحت لوائه من المسلمين، امتثالا لقول رب العالمين، «يأياها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم»، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم، «من اطاعني فقد اطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن اطاع أميرى فقد اطاعني، ومن عصى أميرى فقد عصاني».

وهذا الأساس الديني، والاعتبار الإسلامي في العلاقة والرابطة بين الراعي الأمين ورعيته المخلصة جعل الشعب المغربي يزداد تعلقا وحبا للعرش العلوي المجيد على تعاقب الأزمان والأجيال، ويتسابق أفرادها وهيئاته ويتنافسون في اظهار معالم الزينة والسرور، والابتهاج والخبور بهذا العيد الوطني السعيد.

وكيف لا، وقد شاء الله ان يتولى صاحب هذه الذكرى الحبيبة عرش البلاد، ويمسك بزمام مقاليد امورها في اوج شبابه ونضجه بعد ان التحق والده بالرفيق الاعلى راضيا مرضيا، وترك امانة المسؤولية الكبرى لقيادة البلاد وصيانة وحدتها في عهدة خلقه ووارث سره جلاله الحسن الثاني اعزه الله، الذي هيأته الاقدار الالهية لحمل تلك الامانة العظمى.

وكان جلالته قد تربى في احضان والده المنعم، وتكون في مدرسته الدينية والوطنية، وتشبع بروحه وافكاره النيرة، وآرائه الصائبة وتوجيهاته السديدة، وعاش الى جانبه نضال واحداث ما قبل الاستقلال، ووضع أسس المغرب الحديث بعد انتهاء عهد الحجر والاستعمار، فكونت تلك المدرسة من جلالته رجل دولة وامة واقتصاد وسياسة، وقانون وتجربة، وحنكة وعبقورية فذة، اهله لان يكون ولي عهد

والده، ووزير صدق له، وخير مساعد ومعين له في الشدة والرخاء، والسراء والضراء، وفي القضايا الوطنية الكبرى داخل البلاد وخارجه.

كما اهلته لان يكون احسن خلف لخير سلف، وان يقود سفينة البلاد، ويدير دفعة سياستها الداخلية والخارجية بايمان وحكمة، وذكاء ومهارة، ورشد وفطنة، وتأن وبصيرة وحصافة في الرأي وشجاعة في المبادرة، خصائص ذاتية ومواهب الالهية جعلت أمير المؤمنين يواصل مسيرة الكفاح والجهاد الاكبر، مسيرة التماء والاصلاح، والنهوض بالمتجمع في مختلف الميادين.

انها مسيرة 24 سنة منذ جلوس صاحب الذكرى على عرش اسلافه المقدسين، شهد فيها المعرب من النهوض والتقدم في كل ميدان ما شهد به الواقع، وسجله التاريخ وكتبه في عالم الخلود من الايامي البيضاء لجلالته على وطنه وشعبه جعلت عهده يتميز بمزايا ومعالم لم تتوفر لغيره من العهود.

واذا كانت معالم هذا العهد الفاخر عديدة متنوعة، واعظم من ان توفىها حقها كلمة او تستوعبها مقالة، فان مما يمكن الاشارة والاملاح اليه من تلك المعالم البارزة، والخواص الهادفة : ارساء قواعد الشورى والديمقراطية القائمة على الملكية الدستورية وتحقيق النهوض بمختلف القطاعات الاجتماعية والاقتصادية، وانشاء سدود عظيمة اصبحت مصدر خير ويمن وبركة، والتوجه الى الجانب الروحي للامة بتجديد البعث الاسلامي، وتشيد المساجد والمراكز الدينية، وانشاء المجلس العلمي الاعلى للمجالس العلمية واحياء الكراسي العلمية في كل من جامع القرويين وابن يوسف، مما اعاد لهدن الجامعين دورهما العلمي ومجدهما التاريخي، وتوحيج مسيرة التماء والنضال بتلك المعجزة التي سارت بها الركبان، وكانت حدث القرن العشرين بمنتهى الاعتزاز والافتخار، إنها معجزة المسيرة القرآنية الخضراء التي كانت فتحة مينا على يد جلالته

لاسترجاع صحرائنا المغربية واستكمال وحدتنا الترابية، التي منحها من اهتمامه البالغ وفكره الناقب، وعنايته الفائقة وراحته ووقته الثمين ما جعلها آمنة مطمئنة، ووفر لها من وسائل الرقي والحضارة، ما تتوفر عليه بقية اقاليم المملكة العتيدة.

انه العهد الحسني الزاهر، الحافل بجلائل الاحداث والاعمال وعظيم المنشآت والمنجزات في مختلف القطاعات والمجالات، والتي يقع انطلاقها وانجازها وتدشينها في مثل هذه المناسبات، مما يرفع من شأن هذا البلد ويعلي من مكانته، ويزيد من رصيد سمعته وتقدمه، ونهضته وازدهاره بين مختلف الدول والبلاد. وما رئاسة جلالة للجنة القدس، ومؤتمرات القمة العربية والاسلامية الهادفة الى تحقيق مزيد من التعاون والتضامن بين قادة وشعوب المسلمين، الا مظهر من مظاهر تلك السمعة الطيبة والثقة الكبيرة والمكانة الرفيعة التي يحظى بها عاهلنا المفدى من العالم العربي والاسلامي والدولي، ويحظى بها بلده الكريم، ويجعل جلالة محط الانظار والآمال ومحل التقدير والاجلال، والاعجاب والاكبار.

فتحية مباركة لمولانا امير المؤمنين، وهنيئا لجلالته بهذا العيد الوطني السعيد، وحفظه الله واطال عمره، وخلد في الصالحات ذكره، وأقر عينه بسمو ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد وصنوه الامير مولاي رشيد وكافة اسرته الشريفة واعاد امتثال هذه الذكرى على جلالته، وهو ينعم برداء الصحة وحلل العافية، وعلى الشعب بالتقدم واليمن والازدهار انه سميع مجيب.

وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

فِي الذِّكْرِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ لِعِيدِ الْعَرْشِ

لما توفي السلطان مولاي يوسف واعلى ولده سيدي محمد عرش المغرب سنة 1927 انزعجنا كثيرا، نحن الشباب الذين تجمع بيننا رابطة الوطنية العنوية المتحررة من كل القيود والانتهاكات، فقد كان فينا الطلبة المنتمون الى التعليم الاسلامي الاصيل والطلبة المنحرفون في المدارس العصرية التي انشأتها حكومة الحماية، وغير الطلبة من تجار صغار وحرثيين، وبعض الموظفين والمعلمين ومن اليهم، ولم يكن انزعاجنا للحدثين الطبيعيين اللذين لا بد منهما طال الزمن ام قصر، فان من نواميس الحياة ان يموت الناس ملوكا وسوقة، ويخلفهم من يخلفهم في ولاياتهم واعمالهم ولكن باعث الانزعاج كان هو استمرار الحماية وتوالي الملوك على العرش، وهي قائمة من غير تقليص لظلمها ولا جعل حد لسيطرتها، فاذا كان تنازل السلطان مولاي حفيظ عن العرش يعد بمثابة احتجاج على هذه الحماية واستنكار لتصرفاتها، فان بقاءها طوال عهد مولاي يوسف، وتطلعها للبقاء في العهد الجديد، عهد سيدي محمد يكسبها صفة الرعية ويعطيها قوة الاستمرار .

لاسيما وقد قضى على الثورة الريفية التي كانت سندا للحركة الوطنية ورفضاً للحماية الاجنبية لا مجال فيه لتأويل او تفسير . ومع ان الثورات الاخرى التي كانت قائمة في اقاليم عديدة من المملكة وخاصة بالاطلس، لم تقض على الامل في هزيمة العسكرية الفرنسية والتخلص من الحماية بشكل متوقع او باخر، الا ان الاحتمال السيء، وهو القضاء على هذه الثورات واتحادها كما وقع في الثورة الريفية، لم يكن مما يغيب عن اذهاننا، فلذلك كان على الحركة

استمرارية الدولة ماذا تعني

لفضيلة الاستاذ عبد الله كنون
رئيس رابطة علماء المغرب
ورئيس المجلس العلمي الاقليمي بطنجمة

الوطنية ان تتخذ الموقف الذي توحى به الظروف الجديدة وتأخذ الامر بمجد اكثر مما سبق .

وفي غمار هذه الاحداث قامت الحركة بتنظيم عملها وشدت على تمتين الاواصر التي تربط بين افرادها في مختلف الاقاليم، وانشئت كتلة العمل الوطني وصدرت مطبوعات الحركة ومنشورات بالداخل والخارج وباللغتين العربية والفرنسية، وكانت التصرفات الطائشة لضباط الحماية مما يعين على مواجهة الوضع وتجنيد القوى الخيرة في البلاد ضده، ولعل افطع ما ارتكبه هؤلاء الضباط من اخطاء هو السياسة البربرية المعروفة التي كانت تهدف الى التفرقة بين عناصر السكان والتسور على كرامة الدين باحلال القوانين العرفية محل الشريعة الاسلامية وحل العروة الوثيقة التي تربط الراعي بالرعية والتوصل من ثم الى استتباع معظم السكان وادماجهم اخيرا في الاسرة الفرنسية .

وقد كان لهذه السياسة رد فعل قوي بين المواطنين جميعا على اختلاف طبقاتهم ووقع الاعتراض عليها في المساجد والتجمعات الوطنية، وردد صداها العالم الاسلامي بأسره، وأتاحت الفرصة لاستعلان الحركة الوطنية واشغالها على المكشوف وتأليف الحزب الوطني ورواج الصحف والمنشورات الوطنية واستقطاب الرأي العام المغربي حول القادة الوطنيين، وكان اعظم دعم بلغته الحركة هو تأييد العاهل الكرم لها في السر والعلن، ونزوله بثقله الى الميدان مطالبا ومحتجا ومتصلا بالشخصيات السياسية في فرنسا وغيرها ومفاوضات بشأن تغيير عقد الحماية ومضربا عن توقيع الظواهر التي تعدها الاقامة العامة الفرنسية اي المراسيم والقوانين المختلفة التي يتوقف عليها سير الحكومة، الامر الذي سعد التوتير القائم بين القصر والاقامة الى حد لم يعد محتمل، ووقعت الازمة وانطلقت المقاومة في المدن والقرى واصبح المغرب الذي كان المستعمر يعده جنة عدن له، جحيما لا يطاق، وخضع العدو للمفاهمة ورجع العاهل الذي ءاثر المنفى على التضحية بكرامة شعبه وعزة وطنه، يحمل في يده وثيقة الحرية والاستقلال، وهو يقرأ قول الله عز وجل (الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن، إن ربنا لغفور شكور) .

لقد أدى محمد الخامس قدس الله روحه واجبه على الوجه الاكمل، وشرف العرش المغربي بما جعله مفخرة للعرش في العالم، وحين تلقى الامانة ولي عهده جلالة الملك المعظم الحسن الثاني قام على قدم وساق في بناء الاستقلال الذي جاء به والده وتوطيد اركان الحرية التي هي روح الاستقلال لا يتحقق وجوده الا بها.. فلم يقر

له قرار حتى جلت الجيوش الاجنبية عن المغرب سواء منها الفرنسية والاسبانية والامريكية وطهر التراب الوطني من الدخلاء الذين كانوا يقاسمونه السيادة على ارض الاباء والاجداد، وأنشأ حكومة عصرية معززة بالمؤسسات الديمقراطية وأهمها البرلمان الذي يخطط لسياسة البلاد ونظام الحكم على اساس الشورى واختيارات الشعب .

ولا ننظر في المشروعات التنموية والتطويرية في ميادين التعليم والاقتصاد والتصنيع والاستثمار لخيرات البلاد، فهي امر سارت بذكره الركبان ولا يزور المغرب احد من الاصدقاء أو الاشقاء الا ويقر ان ينهر بالاشواط التي قطعها في مجال التقدم والتحضّر ومجاربة العصر في معطياته ومنجزاته .

ولكن ما لا يجوز اغفاله وعدم التحدث عنه هو اهتمامه باسترجاع الاراضي المعتصبة من بلادنا وحرصه على استكمال وحدة ترابنا الوطني، بكل وسيلة، وان كان يفضل الطرق السليمة كما فعل أولا في استرجاع الصحراء الغربية بالمسيرة الحضرية الشهيرة، حتى اذا قام مرتزقة الجزائر بأحداث الشعب المعروفة، تصدى لهم بالقوة الرادعة والاستراتيجية الحكيمة التي أبطلت كل كيد دبروه أو دبر لهم من خصوم المغرب الذين يستحوذون على الصحراء الشرقية التي لبثت الى ما قبل انتهاء عهد الحماية بقليل تابعة للوطن الاب، فحوها الاستعمار الفرنسي الغشوم الى الجزائر التي كان يحلم بأنها ستبقى أرضا فرنسية الى الابد، وسوف تعود الى أصلها بحول الله اليوم أو غدا، كما ستعود الجيوب الاستعمارية الاخرى التابعة لاسبانيا بهمة الحسن الثاني وتديبه وسياسته الحكيمة، وذلك من ثمار استمرارية الدولة وتوظيف جهودها في رأب الصدع ولم الشتات والدفاع عن حقيقة البلاد واحراز الكيان، مما لا يتأتى عن غير طريق الاستمرارية والدوام، وفي الحديث : كان أحب الاعمال الى النبي صلى الله عليه وسلم أدومه وان قل .

هذه كلمة تقدمها بين يدي التحية لجلالة الملك والتهاني الصادقة التي نرفعها لسدته العالية بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لجلوسه على العرش سائلين الله عز وجل أن يبقيه ويديم حياته حتى الذكرى الفضية والذهبية وما شاء الله بعدها في صحة وعافية، لصالح المغرب وفائدة المواطنين، ففي كل عام من عمره المديد إن شاء الله تتحقق منشآت ومشاريع وتزدهر الحياة بالمغرب وتفوق ما كانت عليه قبل، وذلك سر من أسرار استمرار الدولة يعلمه حق العلم كل من ينطوي صدره على حب هذا الوطن وتمنى الخير له .

عبد الله كَنُون

جدولة الحسن الثاني أمير المؤمنين

لقب " أمير المؤمنين " واستعماله عند ملوك المغرب

● لفضية الاستاذ الشيخ المكي الناصري ● رئيس المجلس العالبي الاقليمي للعدوتين

الرئيسي الذي قام به في خدمة الاسلام، وزعامته السياسية التي سجلها التاريخ ردحا طويلا من الزمن في هذا الجناح الغربي من العالم الاسلامي، ما يجعله جديرا بالحرص على الاحتفاظ بلقب «امير المؤمنين» لرؤسائه الميامين، ولا سيما منذ ان عادت مقاليد الحكم في المغرب — كما بدأت — الى ايدي الاشراف من آل البيت النبوي الظاهر

استعمال هذا اللقب على عهد الملوك العلويين

وهكذا استمر ملوك الدولة العلوية الشريفة، من آل علي الشريف محفظين بهذا اللقب المنيف، ابا عن جد، معترين به، عاملين على ابرازه، لا فرق في ذلك بين مخاطباتهم اليومية، ووثائقهم الرسمية، وعلاقاتهم الدولية، من غير ان ينازعهم فيه منازع، لا من الاقارب، ولا من الاجانب ولا يوجد بين بقية رؤساء المسلمين في هذا العصر من يدعى هذا اللقب او يدعي له.

واذا كان الملوك العلويون قد احتفظوا لانفسهم بهذا اللقب فانهم لم يكتفوا بحمله على انه مجرد «لقب تشريف» وانما حملوه وتعاملوا معه على انه «لقب تكليف» قبل ان يكون لقب تشريف، فقد كرسوا كافة جهودهم للوفاء بالتزاماته. والقيام بمسؤولياته، واول تلك الالتزامات التي وفوا بها : الحفاظ على معالم الدين، والدفاع عن حرمت المسلمين، وحفظ الطابع الاصيل لهذا البلد الامين، واول تلك المسؤوليات التي تحملوا عبأها : حماية حمى المغرب من هجمات الاعداء وتحريم ثغوره من ايدي الغزاة الدخلاء، فقد كانت نشأة الدولة العلوية الشريفة، ومبايعتها من طرف الشعب المغربي الابي، مزامنة لفترة المد الاستعماري في العالم الاسلامي شرقا وغربا، وهي فترة الهجمة الأوروبية الطاغية على اطراف العالم، وكانت تلك الفترة بالذات من اشد الفترات خطرا على المغرب المسلم، ومصير

«امير المؤمنين» لقب اسلامي جليل له اهمية كبرى ومغزى عميق، اول من لقب به من خلفاء الاسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد ما كان الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطلق عليه، «خليفة رسول الله» واستمر لقب «امير المؤمنين» سمة مميزة للخلفاء في العصور الاسلامية، وقد استعمل قادة المغرب في فترات استقلاله عن خلافة المشرق لقب «امير المسلمين» حينما، ولقب «امير المؤمنين» في اغلب الاحيان، ولم يقع اي اعتراض على استعمالهم لهذا اللقب، لان المغرب منذ تلقى رسالة الاسلام الخالدة تولى نشرها في العالمين، وقام في عصوره الذهبية خلال عدة قرون، بنصرة اخوانه المسلمين، وللدفاع عنهم في رقعة واسعة من العالم تمتد عبر عدة اقطار في القارتين الأوروبية والأفريقية، وكان المغرب في عهده الزاهرة اسطول قوي يبحر عباب البحر الابيض المتوسط ويفرض احترام المسلمين ومهابتهم، كما كان له جيش قوي مشيع بروح الجهاد في سبيل الله، والتضحية بالنفس والنفس من اجل عزة الاسلام وعزة المسلمين.

ورغما عما اصاب المد الاسلامي المغربي من جزر وانحسار فقد بقي ملوك المغرب محفظين بلقب «امير المؤمنين» لا يغيرون به بيديلا، نظرا لان المغرب هو الحصن الاسلامي الاول «لدار الاسلام» الذي وضعته الاقدار في خط المواجهة، مع العالم المسيحي وجها لوجه طيلة قرون عديدة، الامر الذي جعل اسم «المغرب» كلما جرى على السنة المسلمين وغيرهم — مرادفا لمعنى «الاسلام المجاهد الصامد» الواقف بالمرصاد لرد الهجمات الصليبية والغزوات الاستعمارية.

يضاف الى ذلك ان تمسك المغرب باستقلاله، منذ نشأت دولته المستقلة في عهد ادريس الاول لم يكن يسمح له بالانطواء تحت جناح اية سلطة خارجية كيفما كانت صبغتها، بما في ذلك الخلافة العثمانية التي امتد نفوذها الى المغربين الادني والاوسط، بل كان يرى في عراقلة تاريخه، وعصاميته دوله، واهمية الدور

اللقب، والوفاء بالتزاماته، والقيام بمسؤولياته على اوسع نطاق، وقد اعده لذلك المنصب السامي — منذ نعومة اظفاره — فقيد العروبة والاسلام، «اب المغرب الحديث» جلالة والده المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، بتربيته على يده تربية اسلامية مثالية، وتلقينه اصول العلم الشريف على يد نخبة من كبار العلماء بمملكته، مثل الشيخ المحدث المشارك سيدي محمد المدني بن الحسيني، والسادة الفقهاء الاجلاء عبد الرحمان الشفشاوني، والطايع ابن الحاج، وعبد الرحمان بن عبد النبي، وعبد الواحد العلوي، وامثالهم ممن هم في طبقتهم، وكانت دروسهم يمتزج فيها التلقين بالسؤال والمناقشة والمذاكرة والمخاطبة، وفيها من كل فن طرف (1) ثم واصل تثقيف نفسه بنفسه في مجال الدراسات الدينية والعربية عن طريق المطالعة والبحث، الى جانب دراساته الجامعية القانونية بعصامية والمعية، وذكاء وعبقورية.

وفي الفترة الاخيرة من حياة والده المهام ارتأت الاحزاب الوطنية بالمغرب من المناسب ان تلمس من جلالة والده تنصيبه «وليا للعهد» بصفة نهائية، رسمية وشعبية، وذلك بعد النجاح الباهر الذي ناله في المهام الكبرى التي وكلها اليه جلالة والده حاضرا وغائبا، فما كان من والده الا ان وافق على ذلك الملمس، وكتب اليه بصفته «وليا للعهد» وصية جامعة اعلنها الى الشعب في يوم مشهود، عند تنصيبه لذلك المنصب الرفيع، ومما جاء في تلك الوصية قوله : (اياك يابني ان تحيد عن صراط الاسلام القويم، او تتبع غير سبيل المؤمنين، فانه لا عدة في الشدائد كالايमान، ولا حلية في الخافل كالتقوى، واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وتقرب منه بالاعمال الصالحة ذراعا يتقرب منك توفيقه باعا، واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به اذا اذهلمت الدياجي واشتكت عليك السبل، وليكن لك في رسول الله وصالحى الخلفاء اسوة حسنة — اولئك الذين هدى الله فيهداهم اقتده) ولم ينتقل والده الى رحمة الله حتى كانت جميع المؤهلات لاعتلائه العرش، وحمله لقب «امير المؤمنين» بصفته «ملكا مؤمنا» جديرا بثقة شعبه ومحبه متوافرة عنده، بشكل بارز يقربه للجميع.

الرباط : محمد المكي الناصري

(1) فقرات مقتبسة من خطاب العرش بتاريخ 3 مارس 1974

(2) اقرأ خطاب جلالة امامنا العلماء وعمدنا الكليات بقصره في مراكش يوم الجمعة 14 ربيع الاول 1400 موافق فاتح فبراير 1980

المغاربة المسلمين، اذ من الناحية الداخلية كانت اخطار التجرية الاندلسية البغيضة التي سبق ان قام بها ملوك الطوائف بالاندلس قد استشرى داؤها، واستفحل شرها بسهول المغرب وجباله، مما هدد وحدة المغرب الدينية والوطنية بالغ التهديد، ومن الناحية الخارجية كانت الهجمات الصليبية والغارات الاستعمارية قد تمكنت من احتلال اهم الثغور والموانئ المغربية، لا فرق بين ثغور الشمال المطل على البحر الابيض المتوسط، وثغور الغرب والجنوب المطل على اخطاط الاطلسي، مما هدد سيادة المغرب القومية بالزوال، ووحدته الترابية بالتر والانفصال، فما كان «من امراء المؤمنين» العلويين الاشراف — منذ بداية عهدهم — الا ان اعلنوا النفي العام والتعبئة العامة بين المغاربة اجمعين، وقادوا حملات المجاهدين، الحملة تلو الحملة، ضد الغزاة المغيرين، وما منهم احد الا وقد سجل له التاريخ باحرف من نور، عمله على استرداد ثغر او عدة ثغور، ولما غيرت اوربا طريقتها في السيطرة على العالم واستبدلت بالغزو المباشر والعدوان المكشوف سياسة التدخل في الشؤون الداخلية، والتوغل عن طريق الامتيازات الاجنبية، ثم بسط الحماية الدولية، تصدى لها امراء المؤمنين من آل على الاشراف بالمقاومة السياسية في الداخل والمقاومة الدبلوماسية في الخارج، مع تشجيع المقاومة الشعبية، السرية والعننية، مما جعل الحق المغربي ينتصر ويعود، والسلطة الشرعية تتحرر من كل القيود، وهكذا كان الملوك العلويون «يستصوبون الاقدام، كلما دعت المصلحة العامة الى الجرأة والشجاعة، ويستحسنون الاناة والتريص بالظرف المناسب والفرصة المواتية، متى اهابت الرؤية بالثريت والامهال» (1)

اعتزاز الحسن الثاني بهذا اللقب

والان وقد اتضح المغزى الديني والسياسي والوطني لاحتفاظ «الدولة العلوية الشريفة، بلقب «امير المؤمنين» ضمن تقاليدنا الاسلامية الراسخة، وتبين ما قامت به من التزامات، وما تحملته من مسؤوليات، احتراماً ووفاء لذلك اللقب، نرى من المناسب ان نقدم بعض الامثلة والشواهد على استمرار نفس المغزى ونفس المفهوم، اقتباسا من سيرة الجالس على عرش المغرب، في هذه الحقبة الحاسمة من التاريخ «امير المؤمنين» الحسن الثاني (الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن) ايده الله ونصره، فهذا الملك المغربي المسلم قد سار على قدم اسلافه الكرام في الاعتزاز بهذا

العرش

للدكتور محمد الكتاني
عميد كلية الآداب بتطوان

والإستمرار

- 1 -

ينص دستور المغرب في بابه الأول على تحديد طبيعة النظام المغربي، وعلى المبادئ العامة التي يتركز عليها هذا النظام. كما ينص في بابه الثاني على أن الملك هو أمير المؤمنين، والممثل الاسمي للامة، ورمز وحدتها وضامن دوام الدولة واستمرارها.

ومفهوم (رمز الدولة) او مفهوم (ضامن الدولة واستمرارها) اللذان يمثلهما شخص الملك كما ينص على ذلك الدستور ليسا مجرد عبارة في ديباجة للدستور، وانما ينبغي ان يعتبرا حقيقة من حقائق التاريخ المغربي وذلك لان التنصيب على كونه العرش او الملك هما دعامة الوحدة الوطنية وضامن الاستمرارية التاريخية بمثابة استخلاص من تحليل تاريخي مدعوم بالوقائع والشهادات، ولا سيما بالنسبة للتاريخ الوطني الحديث اي ان هذه المفاهيم التي استند اليها الدستور مفاهيم صنعها تاريخ المغرب او صنعت

تاريخ المغرب على حد سواء.

لذلك لا نظن ان غير المغاربة المعاصرين الذين عاشوا هذا التاريخ يستطيعون ادراك هذه المفاهيم بعمقها الحقيقي، لانها من جملة الاحداث التي تدخل في التركيب النفسي لكل مغربي عاش حقبة ما قبل الاستقلال، او يعايش حقبة ما بعد الاستقلال.

فيكفي المواطن المغربي اليوم ان يستحضر تاريخ الحقبة الاولى ان كان للجيل الماضي او ان يستحضر تاريخ الحقبة الحاضرة ان كان من ابناء الجيل الحاضر.

يذكر ابناء الجيل الماضي تاريخ الحقبة الاولى فاذا التاريخ المغربي يستعرض احداثه النابضة بالشهامة والنضال والفداء في سبيل عزة الوطن وسيادة الامة واستقلالها، وانه لم يكن بد من ان يكون لهذا النضال قائد وولاء للقيادة، ومن ان يكون هذا القائد والولاء له يتشخصان رمزا حيا نابضا في كل قلب. فكان العرش المغربي هو هذا الرمز الذي يشخص القيادة المهمة

واننا لنرى عجبا، حين نغفل عن هذه الحقيقة فكل البلاد الاسلامية والعربية تلتفت الى ماضيها فلا تجد فيها دولة واحدة لها نظام مستقر من اعماق الماضي، وما يزال حتى اليوم يمارس وجوده بهذه المصادقية المتجددة عبر العصور والاحقاب.

ويكفي ان يلاحظ الباحث انه برغم ما عرفه هذا القرن العشرين من تغيير وتطوير في تواريخ امم وشعوبه، طوى من ماضيها ما طوى من صفحات ونشر اخرى، لم يستطع ان يغير من ظواهر التاريخ المغربي الاصلية شيئا يستحق الذكر. ونقصد النظام الاساسي للدولة. وهو النظام القائم على البيعة الاسلامية والاستمرارية الحضارية الاصلية.

وكما يقول احد المفكرين المغاربة، وهو يلاحظ هذه الظاهرة «اذا وضعنا امام انظارنا الظروف الاستثنائية التي قامت فيها الدولة العلوية الشريفة، وما واجهته في الداخل والخارج خلال هذه الفترة الطويلة من مشاكل متوالية لا نهاية لها ولا حصر، فقد تسملت مقاليد المغرب والشعب المغربي بجناس اخطر الاطوار التي عرفها في تاريخ حياته، اوروبا الطاغية المتطلعة الى السيطرة على العالم تجتاز اشد المراحل تعنتا وعدوانا ونهما وحبا في التوسيع على حساب الغير، ثم نجد بالرغم من ذلك كله ان الدولة العلوية الشريفة استطاعت بقيادتها الرشيدة وزعامتها الوحيدة للعناصر الصالحة في هذا الوطن ان تخرج ظافرة منتصرة على عدد لا يحصى من الفتن الداخلية، واستطاعت ان تحرر المغرب من رق الاستعمار وان تحفظ للشعب المغربي كيانه السياسي والقومي كاملا غير منقوص، فاستعاد في ظلها وحدته الوطنية التي اصيحت في مأمن من التمزق والتصدع، واستعاد وحدته الترابية سليمة من الغصب والنهب والاستيلاء والاستعلاء».

ونحن احرياء ان نرجع الى التاريخ مرة اخرى، سواء منه التاريخ القريب او البعيد. فقد كان تاريخ المغرب دائما مسيرة من الجهاد ضد الصليبية، ومسيرة من العمل على الوحدة الوطنية، ومسيرة من اجل دعم الاصالة الاسلامية. وكان من وراء هذه المسيرات كلها قيادات كتبالتاريخ آثارا، وحفظ مناقبها، هي التي كان لها اثرها في جعل العرش المغربي رمزا للقيادة والسعي التلخص في سبيل الوحدة والاصالة والاستقلال فكان في نفس الوقت رمزا للاستمرارية السياسية والحضارية. لذلك عندما يحتفل الشعب المغربي اليوم بعيد العرش —

والازادة الشعبية المصممة والولاء الذي يترجم معاني الوطنية والتصميم والتضحية.

ويذكر ابناء الجيل الحاضر الحقبة الثانية، فاذا التاريخ المغربي يستعرض احداثه النابضة بنفس الوتيرة والايقاع والالتحام في سبيل استكمال الوحدة وتحقيق التنمية، وانجاز النهضة الشاملة، وانه لم يكن بد لهذه المسيرة الملحمية من قائد ومنهج للقيادة وولاء يغذيها بالمقومات الانسانية الضرورية لكل انجاز تاريخي.

ومن ان يكون لهذه القيادة رمز نابض بالقيم التي ينشدها المغاربة من غيرة وسيادة وتقدم وأصالة، وكان العرش المغربي مرة اخرى هو هذا الرمز وكان الملك المغربي مرة اخرى هو قائد هذه المسيرة.

واستمر التاريخ المغربي بنفس الوتيرة التحاما بين العرش والشعب. فهل كان العرش المغربي في الحقبة الاولى رمز وممارسة قائد لمسيرة التحرير من قبيل الصدفة التاريخية لا اقل ولا اكثر، ام كان ذلك واقعا موضوعيا مشروطا بمعطيات متجددة في طبيعة الامة المغربية ؟ ؟

وهل كان العرش المغربي في الحقبة الثانية رمزا وممارسة قائدا للمسيرة الثانية مسيرة التنمية والوحدة من قبيل الصدفة ايضا ام كان واقعا موضوعيا هو الاخر ؟

- 2 -

ان ما يميز بين العرضي والموضوعي في تاريخ الشعوب هو تحليل التاريخ الوطني لتلك الشعوب، ففي هذا التاريخ تكمن لا محالة حقائق الاختيارات الحضارية التي تباناها تلك الشعوب، وتسير في ضوئها. نحن نلاحظ، ان المغرب — من خلال تحليل تاريخه — قد اختار منذ ثلاثة عشر قرنا ان يسلم قيادته لسلطة شرعية مركزية مؤمنة ملتزمة بخدمة الصالح العام، طالما ظلت هذه السلطة ودية لالتزامها شاعرة بمسؤولياتها، وبرعاية مصالح الامة التي بايعتها.

والتاريخ الحديث هو سليل التاريخ القديم. والشخصية المغربية هي الشخصية، ولا عبرة بما يتغير من الازياء والمظاهر، فالاختيار المغربي هو حاضر في جميع المراحل التاريخية بنفس الروح والنزعة.

لكن المغرب منى بالاستعمار والاحتلال، فازداد تثبتا بقياداته وعرشه باعتبار هذا العرش الاداة الشرعية الوحيدة لتجنب الفوضى والاحتلال الداخلي، ذلك انه في عصور الاضطرابات يلجأ الشعب الى غريزته الوطنية التي تلهمه التضامن مع القيادة والالتفاف حول رمزها، فبذلك تنتعش القيادة نفسها، وتجد في الولاء الذي يحيط بها القوة المتجددة لحوض النضال، او استشعار المسؤولية.

- 3 -

في مثل هذا المناخ من ثلاثينيات هذا القرن استدرت النفوس عقب لقاء السلاح من يد المقاومين للاحتلال، نحو العرش المغربي، ونحو التربع عليه محمد الخامس، حيث بدأ للجميع ممن كانوا على مستوى رفيع من الوعي الوطني ان العمل السياسي هو الاسلوب الناجع لحوض معركة التحرير على اساس العودة بالنضال الى القاعدة الشعبية العريضة. وهكذا بدا من الضروري خلق وعي وطني حديث ورؤية نضالية جديدة. فكانت الحركة الوطنية التي رسمت فلسفة هذا النضال وحددت اهدافه.

وفي اطار هذا التحرك الوطني الشامل نحو استرجاع المغرب لحرية واستقلاله وجد العرش المغربي دوره الطبيعي لقيادة المغرب نحو اهدافه. وهو دور متسق مع تاريخ الدولة العلوية، اذا ما نظرنا الى سياسة ملوك هذه الدولة في مجال استرجاع الوحدة الترابية وتطهير الثغور المغربية من اختلال القراصنة الغزاة.

فالمولي الرشيد كان المؤسس الحقيقي للدولة العلوية على اساس انقاذ المغرب من التجزئة، ومن الفوضى الشاملة التي كان يتخبط فيها بعد سقوط السعديين.

وجاء المولى اسماعيل لينهض بدور طبيعي في تحرير الشواطئ المغربية، واستكمال الوحدة والسيادة الوطنية في عصر كان المد والاستعماري الغربي على اشده في بسط الهيمنة على بلاد المشرق والمغرب، ومطاردة طلائع هذا الاستعمار، وكذلك سار سلاطين الدولة تباعا، وعلى رأسهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

ولما بدأت المؤامرات ضد الصحراء المغربية من جانب الاسبان والانجليز وقف السلطان المولى الحسن الاول الموقف الذي كان يحتمه الظرف التاريخي، فاخذ يشد الرحال الى الجنوب مرة بعد اخرى لتفقد احوال الرعية، واشعار من يعنيه الامر بان الحضور المغربي وسيادة الدولة على ترابها امر مفروغ منه بالنسبة

كتقليد متبع من تقاليدده - فهو لا يحتفل بشخص الحاكم كما يتصور ذلك كل اجنبي عن هذا التاريخ، فيحسب هذا الاحتفال في عداد المواسم الظرفية، والمناسبات العابرة، وانما يحتفل المغاربة بعيد الاستمرارية وعيد التآجج للشعلة الحضارية والدينية المقاومة لكل عوامل الانطفاء ونشر الظلام والدخول في المتاهات..

لنرجع الى التاريخ - كما قلنا - ولنجتزئ بالقرب منه حرصا على الاجاز والالماح فقط، ونكتفي بالانطلاق من تاريخ اواخر القرن الماضي، حيث نجد السلطان المولى الحسن الاول (1290 - 1311 هـ - 1873 - 1894 م) يمثل بسياسة بداية الدخول بالمغرب في عهد «التحديث» وبرغم اخفاق مشروعه التاريخي، بسبب الاحباط الذي كرسه الدول الاحبية الطامعة في المغرب يومئذ، وضعف الاقتصاد الوطني، وعدم ارتقاء الكثيرين الى الافق السياسية الذي كان يخلق فيه، فانه برغم كل هذه المعوقات انجز منجزات عظيمة وشرع في اخرى كان لها نتائجها ومتوالياتها اللاحقة. وبذلك كان العرش العلوي هو واضع مخطط مشروع «التحديث» والتجديد على اسس عقلانية منذ اواخر القرن الماضي. فالمولى الحسن الاول هو اول من بعث البعثات الطلابية الى الخارج للاستفادة من العلم والتكنولوجيا الحديثة. وهو اول من استعار من اساليب الغربيين التنظيمية والعسكرية ما اطر به الجيش المغربي وجهزه، حسب الامكانيات المتاحة، واول من حاول اصلاح الجهاز الاداري المغربي، وخاض الصراع في سبيل دعم السيادة الوطنية والتجديد ضد اطماع الدول الاجنبية من ناحية، وضد قوى الجمود الفكري من ناحية ثانية، وضد الظروف الشحيحة بالعبء والانحاج.

ولم يكن في العالم الاسلامي يومئذ غير دولتين اسلاميتين يحسب لهما الغرب الأوروبي حسابهما، وهما الدولة العثمانية في المشرق والدولة المغربية في المغرب. ولذلك ركز الغرب سياسته التطويقية والاستعمارية ضد هاتين الدولتين. فانقلبت الاولى الى (دولة حديثة) بعد ان تخلت عن ممتلكاتها وتقاليدها واصالتها طبقا للشروط التي ارادها الغرب نفسه.

وبقيت الثانية تتحدى وتغالب القوى الاحباطية والاستعمارية من غير ان تقلب الى اي صورة اخرى تختلف بها عن اصلها واستمراريتها.

الريف» وهذا فان المعركة المستمرة التي خاضها المغاربة طلبا لاستقلالهم اخذت مظاهر اكثر تنوعا وتكيفت وفق ما في ايدينا من وسائل واسلحة...» ثم يقول جلالتة في هذه الكلمات الجامعة :

«وإذا كان الشعب المغربي لم يتفوق على نحو من الرتبة المادية، فان الفضل في ذلك يعود الى وفائه واخلاصه كما يعود الى غناه المترسخ في الاعماق والنابع من طبيعته الروحية والاخلاقية، وكلها مميزات من واجب الملوك العلويين ان يكونوا حراسها والمحافظة عليها. وملوكنا الذين لم يتخلوا ابدا عن اداء الواجب المقدس يرجع اليهم الفضل في ابقاء الشعلة الاسلامية منيرة وضياء رغم ان الشعلة اخذت تذبل في اماكن اخرى...».

«وإذا كان التوفيق قد حالفنا حتى تغلبنا على المعضلات التي اعترضت سبيلنا فان مرد هذا التوفيق الى ان شعبنا اهتدى الى طريق المحافظة على الايمان برجل كان رمز الايمان باتم معانيه. ذلك الرجل هو ابي...».

وبهذا التحليل نفهم كيف انه لم يكن هناك فرق في عمق الحقيقة بين وجود عرش المغرب ووجود الامة ذاتها. ما دام هذا العرش هو رمز للوحدة والسيادة والاستمرارية التاريخية في نطاق الاختيار الاسلامي.

ومنذ الاربعمينات من هذا القرن، اي منذ ان وضعت الحرب العالمية اوزارها، والى تحقيق الاستقلال سنة 1956 عمل العرش المغربي في شخص جلالة محمد الخامس على خوض ذلك الجهاد السياسي السافر الصريح ضد الاستعمار، ويكفي للتدليل على ضراوة هذا الجهاد ما انتهى اليه الامر فيه من نفي جلالتة واسرته الى مدغشقر، كما يكفي للتدليل على صدق جهاد محمد الخامس انه اثر النفي والتشريد على عرش وهمي يكون فيه لعبة في يد الاجنبي، فالعرش المغربي كما مثلت ذلك سياسة محمد الخامس وقيادته ارادة امة وليس مكسبا تاريخيا وشخصيا يكرس صاحبه للمحافظة عليه كل اسلوب ممكن. وهو لذلك لم يكن كروسيا داخل القصر، وانما كان ايمانا في قلب كل مغربي. وقد ظل محمد الخامس ملكا للمغرب حتى وهو في مدغشقر على بعد آلاف الكيلومترات من بلاده.

- 5 -

أما الاضافة الجديدة التي حققها جلالة الحسن الثاني الى التحام العرش الاستمرار التاريخي للمغرب، والى تأكيد هذه

للصحراء. غير ان المؤامرات كانت أكبر الوسائل المتاحة لاحتباطها فقد دخلت فرنسا الى الصحراء من ارض الجزائر، وبسطة نفوذها على اقاليم تابعة للمغرب يومئذ بحكم البيعة وانتداب الموظفين والممثلين للسلطان.

والخلاصة ان العرش المغربي في عهد الدولة العلوية حتى وقوع المغرب تحت الحماية كان اكثر من رمز لتسام الحكم السائد، بل كان يمثل ارادة امتنا في التحرر والسيادة والوحدة كما يمثل قيادة شعبنا نحو هذه الاهداف. بل كان احيانا طليعة الجهاد والنضال في سبيل الحفاظ على السيادة والمنعة، ورغم التحديات التي واجهها المغرب في عصر لم يكن فيه لغير الدول الصناعية الكبرى ذات الاساطيل البحرية والجيوش المدججة الكلمة الفصل في تقرير مصير الشعوب المستضيفة ويحفظ المغرب باستقلاله وسط هذه الزعازع والاحداث حتى آخر لحظة. بعد ان طوق الاستعمار العالم الاسلامي كله مشرقا ومغربا.

- 4 -

ونعود الى الدور الطليعي الذي نهض به جلالة المغفور له محمد الخامس في مقاومة الاستعمار الفرنسي والاسباني، لنجزيء فقط - ما دام الامر غنيا عن التذكير به التفصيل - بتلخيص المشروع التحريري الشامل الذي كان بالنسبة لهذا الملك المجاهد الهاجس الذي لم يفارق وجدانه وسلوكه، انه هاجس النهوض بامته الى مصاف الدول المتحررة التي تستعيد مكانتها الحضارية، وتوازن بين تنمية حياتها المادية وبين رصيدها الروحي والفكري، لقد كان اسلوب الوحيد الممكن لانجاز هذا المشروع هو التحرر السياسي والاعخذ باساليب العصر في استتار العلوم والتكنولوجيا والثقافة. وكان خوض المعركة يعني النضال في واجهتين : الواجهة السياسية، والواجهة الاجتماعية. وكان من الحكمة ان يبدأ بالتنوير ونشر التعليم، والعمل بالحكمة على الملازمة تدريجيا بين النهضة والتحرر، ولذلك قال جلالة الحسن الثاني بحق، في كتابه «التحدي» «ان العرش العلوي قد حال دون تحقيق هدف ضم بلادنا وهو الهدف الذي تطلعت اليه اسبانيا وفرنسا. وعندما تجد اية امة نفسها مرتبطة بأمتين اقوى منها وتجد نفسها معزولة، وعمليا غير مسلحة يكون عليها تجنب اللجوء الى القوة لتلا تسقط ضحية استعباد جديد اكبر. فالضحية يجيل من الشباب ودفعهم الى الموت لا يعني تحريرهم، ولا يجوز التطويع بشعب في معركة تستهدف اقتحام السماء» ان النير الذي كان قد فرض علينا غدا أثقل وأرهق بعد حرب

بالقياس الى ما عرفه العالم كله من احداث وازمات وحسب، ولكن بالقياس الى ما عرفه العرش المغربي من اختيار ايضا. وما لا تزال بلادنا تعرفه من خلال تألب خصوم وحدتنا الترابية ضدنا وما تخوضه من مغامرات طائشة ضد صحرائنا المسترجعة، تكلف المغرب التضحيات تلو التضحيات.

ولكن القيادة الحكيمة لجلالة الملك، والتقاليد الرفيعة التي ظل العرش وفيها لها، حققت برغم ذلك من المكاسب الوطنية ما يصغر الى جنبه كل خطب من الخطوب.

يقول جلالة الملك في احدي خطبه : (خطاب 1975/10/23) يخاطب شعبه : «وهكذا ترون ان روابطنا واسس تعاملنا ليست تلك الاسس المصطنعة التي خلقها التاريخ صدفة، بل هي قبل كل شيء ترابط وتعامل مبني على اعز ما في انفسنا واقدس ما في ارواحنا...».

ومن اجل ذلك ايضا ظل العرش المغربي فوق الاحزاب والهيئات السياسية، وفوق السلط الثلاث نفسها ليظل بذلك ممثلا للامة بكل فئاتها، وقريبا من كل طبقاتها وعناصرها وافرادها، بنفس المسافة — لا فرق بين يمين ويسار، واغنياء وفقراء، ومحافظين ومتحررين.

ونعتقد ان تحقيق ذلك ليس بالامر الهين في عالم مبهور الانفاس وراء الشعارات منقاد بطبيعته للديماغوجيات، بل نرى اكثر من ذلك ان العرش المغربي اكتسب من اختيار المغرب اختباره التاريخي قدرة جديدة على التحدي والاستمرار، وذلك حين التزم بان يعطي لنفسه البعد الدستوري الذي نقله من نظام تليد الى النظام جديد. وجعله اداة سياسية وغاية في نفس الوقت.

انه سواء كان التاريخ هو الذي يصنع الرجال ام كان الرجال هم الذين يصنعون التاريخ — علما بان ارادة الله هي من وراء الجميع — فان العرش المغربي في التاريخ الحديث قد صنع المغرب الجديد، بالتقدير الذي يمكن القول معه بان المغرب الحديث قد مكن العرش من هذا الانجاز العظيم. وبذلك يتأكد باستمرار ان العرش المغربي كان من وراء الاستمرار التاريخي، وان الاستمرار التاريخي للمغرب كان يؤكد مصافية اختيار الشعب المغربي في نفس الوقت.

تطوان محمد الكتاني

الحقيقة من خلال الممارسة فهو العمل الكبير الذي انجزه منذ كان الى جانب والده خلال المرحلة الاولى من معركة التحرير، والى تحقيق الاستقلال سنة 1956. ثم ما قام به منذ توليه مقاليد الامة، وحتى اليوم من اعمال لا يمكن حصرها ولا تعدادها. وكلها دليل على تأكيد الحقيقة التاريخية التي انطلقنا من اثباتها، وهي ان العرش المغربي كان ارادة امة قبل ان يكون عنوان نظام سياسي.

ان اي نظام سياسي يمكن ان يحتمل واقعين مختلفين شديدي الاختلاف. وهما ان يكون هذا النظام مفروضا على الشعب، وان يكون هذا النظام من اختيار الشعب ومن صنعه.

وإذا جاز لنا ان نعتبر الازمات السياسية والاجتماعية التي تمتحن بها الشعوب في فترات من تاريخها هي في نفس امتحان وتمحيص لقوة الانظمة او هشاشتها، بحيث تتمكن تلك الشعوب من الإبقاء عليها او الاجهاز عليها، فان الازمات التي عاشها المغرب هذا القرن ابتداء من فرض الحماية والى الاستقلال، ثم ما بعد الاستقلال، لم تزد النظام المغربي الا ترسيخا وصبودا في وجه الاعاصير والتقلبات التي عصفت بكثير من الانظمة التي كانت مستوردة او مصطنعة.

ان مرحلة ما بعد الاستقلال كانت اثقل في ميزان الجهاد المرير، واكثر داعية للتضحية والتغلب على المؤامرات والمغامرات، وبالتالي كانت مرحلة الاختيار الحقيقي لجوهر امة خرجت من مرحلة الاستعمار بميراث ثقيل من المتناقضات السياسية والاجتماعية. لقد كانت مرحلة دقيقة وحامسة ومغرية بكل مغامرة ممكنة في وجه الذين اعتادوا استغلال التناقض لحسابهم الشخصي. بل كانت المرحلة الدقيقة التي يستعجل فيها الخرمون والكادحون والذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل الاستقلال بقطف الثار قبل اوانها.

بل كان الوقت مناسباً لتحقيق كل ذلك في غياب اي هياكل ديمقراطية او دستورية للبلاد. ويمكن لنا ان نعرف بان المغرب قد تجاوز بالفعل كثيرا من اخطار بفضل قيادة جلالة الحسن الثاني، وايمانه والتفاف الامة حوله. ويكفي ان يقف المرء على مظاهر تلك اخطار في المرحلة التي نتحدث عنها في كتاب التحدي، ولاسيما في فصله (روح الدستور).

لقد مضى ربع قرن حتى الآن على استقلال المغرب، وعلى تربع جلالة الحسن الثاني على عرش المغرب، وعرفت هذه المرحلة احداثا جساما لا بالقياس الى ما عرفه الشعب المغربي فقط ولا

جَلَالَةُ الْحَسَنِ الثَّانِي رَفْرَفُ الْأَصَالَةِ وَالتَّجَدُّدِ

لِلأَسْتَاذِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
رئيس مركز تيسيق التعريب بالعالم العربي

بالروح الدولية التي اذكت السلطان المهتم فسبق احيانا بأرائه النيرة - كما يقول كاي - ما عرفته اوربا في العصر الحاضر مبرهنا عن ادراكه العميق لمقومات القانون الدولي ومساهما باسم المغرب في دعم التشريعات التي تعتبر اساسا للعلاقات الدولية في القرن العشرين .

وكان محمد الثالث في غمرة عهد مظلم داعية سلفيا استمد من الكتاب والسنة تلك الاشرافة للاماعة التي تطبع الروح الاسلامية ببساطتها ونصاعتها وصفاتها فكان جلاله الملك الحسن الثاني حامل ذلك المشعل الوضاء في عصر تعقدت فيه المناقصات خاصة في المجال الخلفي والروحي وقد امسى جلاله الملك الحسن الثاني الموثل الامين والملمع الرصين لليار من المسلمين اذا حزبه امر او حمي لهم وطيس .

لقد انعكست على جلاله الملك الحسن الثاني شمائل جده محمد الرابع الذي دعم الاصلاح الزراعي ومنجزات الري وجدد الجهاز العسكري والعتاد الحربي وركز التصنيع ولو لم تستعر الحروب مع اسبانيا وفرنسا آنذاك لانبثق عن عهد محمد الرابع ازدهار كان من شأنه ان يغير اتجاه المغرب الحضاري ومكانته الدولية حيث جعل من رعاياه شعبا عادل في ظهير رسمي بين مسلميه ويهوده على قدم المساواة كما دافع الاجانب بضمان التعاون بين البلدان الاسلامية وتعيين سفراء ضمن الجامعة الاسلامية وقد اشار في هذا النهج جلاله الحسن الاول الذي عرف كيف يوفق بين هذا المسار الحضاري وبين ضمان توازن المغرب وصحرائه في الحقل الخارجي بمداقعة الدول بعضها لبعض رغم انبثاق مشاكل لم يكن للمغرب سابق عهد بها .

وقد احتدت هذه المشاكل وازدادت تعقدا واستعصاء بعد ان تبلورت اطماع الدول الاستعمارية في بداية هذا القرن فورت جلاله محمد الخامس تركة مثقلة عرف بلباقته وبعد نظره وصفاء طويته كيف يحل اوعارها بدعم موصول من وارث سره جلاله الحسن الثاني حفظه الله وقد بدأ الصراع عنيفا مجهدا يوم نادى

لقد تجددت مبادرات ملوك الدولة العلوية الاماجد باكملها في شخص جلاله الحسن الثاني .

نعم اعاد جلالته تاريخ اجداده الامائل وركز المعطيات الايجابية للمسار العلوي في حضارة المغرب المعاصر بالرغم عن استعصاء مقتضيات الفترة العصبية التي نعيشها اليوم وقد جمع جلالته في شخصه الكريم كل المميزات التي تجعل منه القائد الفذ والزعيم الذي لا يارى والبطل المهتم الذي عرف كيف يوفق بين اللوازم الوطنية والدواعي العربية الاسلامية ومتطلبات التعايش الانساني على الصعيد العالمي .

لقد جدد جلاله الحسن الثاني شخص المولى الرشيد في توطيده دعائم الدولة بعد ان وحد الاقاليم التي فرقت بينها امارات جهوية جعلت من المغرب صورة لمصر ملوك الطوائف بالاندلس وحرر جيوبا سطا عليها المغير الاجنبي وركز مظاهر العمران والأمن والرخاء فعرف المغرب في شخص اول ملك علوي زعيما اعاد للمغرب مجده التالد واقام نواة المجد الطريف .

لقد جدد جلاله الحسن الثاني شخص المولى اسماعيل الذي رَكَز وجود المغرب في الصحراء تلبية لاستصراخ اهل الصحراء واقام في طول البلاد وعرضها زهاء مائة حصن محمرا قسما ثانيا من الجيوب ضم الى جانب طنجة كلا من العرائش واصيلا مع امعان رائع في التخطيطات المعمارية والمنشآت الحضارية .

وجدد جلاله الحسن الثاني شخص الملك الهمام سيدي محمد بن عبد الله الذي واصل تركيز الوحدة وتحرير الجيوب المحتلة واقامة ديوان الجيش وتعزيز المرافق الاجتماعية والاقتصادية وعقد الاوفاق الدولية ومعاهدات الحلف والصدقة مع اوربا وامريكا بالاضافة الى دعم الرابطة الاسلامية مع تنمية مواد الدولة وبتشيط الحركة الاقتصادية والمبادلات مع الخارج حيث فكر لأول مرة في استثمار استراتيجية مرفاء المحيط الاطلسي وكان جلاله الحسن الثاني صورة لجمه الهمام محمد الثالث الذي عرف كيف يبني سياسته الخارجية رغم مناقضات العصر فطور الاقتصاد ونمى الموارد ورصص المبادلات الخارجية بمجموعة من الاتفاقيات والمعاهدات اثناء المؤرخ الفرنسي (جاك كاي) «

محمد الخامس في انتفاضة قيادية لشعبه المشيخ بعرضه نادي
بوجوب الاعتناق من اسر الاستعمار ونبره ورسم الخطط المهمة
لضمان هذا الاعتناق فتحمل ما لم يسبق ان تحمله امير ولا ملك
قبله مستعدبا النفي والتشريد ومضحيا بحياته وعرضه فوجد من
ورائه شعبا وفيما انبرى في اندفاعه ثورية بواصل شق الطريق الذي
رسمه له قائده الهمام في واد من الدماء مطوحا برؤوس الفتنة
وبيادق الاستعمار فعاد امير المؤمنين متوجا بالنصر يحمل الى
شعبه وثيقة الاستقلال.

وفي نفس المسار الحضاري توجه جلالة المرحوم محمد الخامس
منذ بداية عهد الاستقلال في المغرب باقامة نظام ملكي
دستوري رصين انعكس في (دستور) عرض على استفتاء الشعب
وتشكيل حكومة تبلور فيها تعدد الاحزاب وتعزز هذا الجهاز
داخليا باحداث ودوايب ودوائر اقتصادية واجتماعية وثقافية،
والشروع في دعم الاصلاح الزراعي ببناء السدود وخارجيا
بتعيين سفراء على الصعيد العالمي والمشاركة في المنظمات الدولية
وتخطيط سياسة المغرب الخارجية والسعي لاستكمال وحدة البلاد
بفضل جيش عتيد يأمره صاحب السمو الملكي ولي العهد المولى
الحسن فكانت طفرة رائعة.

وكان جلالة الحسن الثاني ابرز ثمرة لكفاح جلالة محمد
الخامس رعاها منذ الطفولة فاحسن رعايتها فقد ولد جلالته في
9 يوليوز 1/1929 صفر 1348.

وبعد ان انهى جلالته دراسته في القانون عام 1952
واكتمل نضجه الفكري بفضل سهر والده جلالة المرحوم محمد
الخامس الذي دربه على قواعد الملك وآداب الحكم في خصم
صراعه ضد الاستعمار فاصبح الامير الفتى مؤهلا لخلافة والده
باجماع الامة المغربية التي التسمت هيأتها الوطنية من جلالة محمد
الخامس تنصيبه وليا للعهد فم ذلك في حفل رسمي بالمشور
الملكى بالرباط يوم 9 يوليوز 1957 تسلم جلالة الامير العالم
ظهير توليه ووسام الاستقلال فابتجعت الامة بذلك.

لقب حفظه الله (أمير الاطلس) حيث اصبح الساعد
الأيمن لوالده منذ ان تخصص في القانون والشريعة فكان مثالا
للعمل الدائب وقد وقف بجانب زعيم الامة وقائدها الأكبر محمد
الخامس في مختلف المناسبات وخاصة يوم تبلور اتجاه العرش المتد
الرصين نحو الاستقلال في خطاب طنجة يوم 15 اكتوبر
1950 (1370هـ) وقبله عام 1945 عندما حضر والده

المهرجان العسكري بالعاصمة الفرنسية بصفته رئيس دولة
اسهمت في الحرب برجالها وعتادها فيهن الحسن الثاني عن
عبقريته الفذة ورزاقته خلال الاحداث الهادفة لاستتار الانتصار
المشترك والاستفادة مما اصبح الفكر الدولي يضمنه للشعوب
تعجيلا لما اعطى للمغرب من وعود في مؤتمر (انفا) عام
1943 .

وقد قام جلالة الحسن الثاني في سادس رمضان
1368/2 يوليوز 1949 بزيارة لتونس وهو ولي للعهد ونشرت
جريدة الاذاعة التونسية (عدد 778 - السنة 16) مقالا ابرزت
فيه مدى تقدير تونس للأخير الشاب والاحتجاج على الحصار
المضروب من فرنسا على سمحه للبحلولة دون اتصاله باشقائه في
المغرب العربي .

واستمر الكفاح الصامت في تؤدة واصطبار طوال ثلاثة
اعوام .

وقد حدث حكمة جلالة الملك وولي عهده الى تلبية
دعوة (فانسان اوربول) رئيس الجمهورية الفرنسية عام 1950
لزيارة باريز لاسيما بعد ان شعرت فرنسا بضرورة تلطيف الجو
فكانت صرامة الرجلين مغلقة باللباقة والمرونة واللين مستهدفة في
غير التواء ضمان سيادة البلاد وتحقيق اماني الشعب في
الاستقلال دون تقييد بالانخراط في انواع الرباطات والوحدات
الفرنسية .

وكان ولي العهد الهمام الخبير القانوني والموجه في
الاحداث التي جرت بباريس مع القادة الفرنسيين فعرض الملك
مطالب المغرب في مذكرة اجابت عنها فرنسا يوم 30 اكتوبر
1950 بعد مداوات موصولة لاقتراح اصلاحات جزئية ضمن
معاهدة الحماية وعقبت المذكرة الاولى مذكرة ثانية اقترح فيها
حل مؤقت تعدل بمقتضاه الحماية في شكل استقلال محدود
فشعر المستعمر بالخطر واعلن بعض القواد مدفوعين عن
المعمرين معارضتهم للمذكرة ولفقت عرائض لم يعأ بها جلالة
الملك وولي عهده رغم تهديدات الجنرال جوان الذي عوضته
فرنسا في اوائل اكتوبر 1951 بالجنرال كيوم الذي ما لبث ان
كشف عن بنوته الروحية للمقيم جوان وكان لولي العهد دور
كبير مع الحركات الوطنية في التديد على منبر جامعة الدول
العربية بالاضطهادات الفرنسية الطائشة والعمل على تسجيل
قضية المغرب في جدول اعمال هيئة الامم المتحدة فجدد العرش

العاشرة لاستقلال المغرب لوزير اسباني مثل حكومته بقاس ان المغرب يطالب باسترجاع الاراضي المعتصبة في الصحراء وديا فاذا لم ترد اسبانيا ان ترد الى المغرب حقه فيطالب بذلك امام هيئة الامم المتحدة .

وقد كانت هذه الانطلاقة الاولى للتهديد بتدويل القضية رسميا .

ولما انتقل محمد الخامس الى جوار ربه في عاشر رمضان 1381هـ/26 يراير عام 1961 اجتمعت الامة على تولية الامير مولاي الحسن ملكا للمغرب فنهض باعباء مسؤوليته مستهدفا استكمال ما بدأه والده الكرم لتقوية مركز المغرب الدولي واحلاله المقام الامثل الجدير بمجاهده بين الامم والشعوب وما كان ذلك ليتم على اكمل وجه الا بالانكباب على تجديد صرح الدولة وتنمية موافقتها ودعم مقوماتها بكفاءة نادرة وعزيمة وثابة .

وواصل حفظه الله الجهاد الاكبر لتخليص المغرب من التبعية الفكرية للاستعمار ومن المرض والفقر والجهل دون ان يغفل الرسالة الكبرى التي حمله اياها والده المرحوم قدس الله روحه وهي تحرير الاجزاء المعتصبة من البلاد فكان في مساعيه السامية مثالا للتؤدة والرشد .

وقد القى جلالته خطابات ونظم استجابات لشرح ابعاد قضية الصحراء مبرزا حق تقرير المصير ومؤكدا معارضة جلالته لكل ما من شأنه ان يؤيدي الى « فتنة الصحراء » او فصل الاجزاء المعتصبة عن الوطن الوالد باستقلال مزيف ولذلك قرر حفظه الله رفع المشكل الى محكمة لاهاي وتزويد الفكر الدولي بملف ضخم يضم مات المستندات تشهد بمغربية الصحراء مؤملا ان يحل المشكل بالوسائل السلمية والا اضطر المغرب لحمل السلاح لانتزاع حقه المشروع واسترجاع اراضه المغصوبة، وقد خطط جلالته معالم سياسته الحكيمة وابعادها في كتابه «التحدي» الذي رسم فيه صورا ناصعة عن سلسلة الاحداث التي طبعته المغرب في طفرة الواعية .

وأصل جلالته الحسن الثاني بعد وفاة والده المقدس عام 1961 دعم كيان الدولة بوضع دستور جديد انطلاقا من واقع التجربة ومتطلبات اوضاع المغرب الخاصة في منطق جعل من المغرب دولة عصرية بين الامم النامية والامم المتقدمة بفضل الاطر التقنية التي ملأت تدريجيا المجالات التي كان يشغلها

مطالب المغرب بالغاء الحماية واعلان الاستقلال وكان جواب المذكرة الفرنسية يوم 17 شتبر 1952 خاليا من اي عنصر جديد يمكن الارتكاز عليه لتجديد العلاقات واقام التجار الامريكويون بالمغرب دعوى لادانة سياسة التقنين الفرنسية المناهية لعقد الجزيرة امام محكمة لاهاي (15 يوليوز 1952) وسجلت القضية في المحفل الدولي ووقفت فرنسا في قفص الاتهام فادعى وزير عام خارجيتها ان القضية داخلية ولكن اصداء تصريحات جلالة الملك وخطاب العرش في العيد الفضي يوم 18 نونبر 1952 احطت المزاعم الاستعمارية وكان ولي العهد في غضون ذلك كله يرتب ويخطط ويربط الصلات ويحس النبض هنا وهناك ويرسم مع والده الهمام الوجهات المختلفة لمواجهة كل الاحتمالات وكان يوم اغتيال فرحت حشاد الزعيم النقابي التونسي بداية سلسلة المظاهرات الاحتجاجية بالمغرب التي جرت فرنسا الى القيام بحركة ابادية قتلت فيها الابرياء وسجنت الرعماء واوقفت الصحف الوطنية واقدمت على خلع رمز الامة والمؤمن على سيادتها عن العرش وقادته الى المنفى مع ولي عهده وباقي الامراء والاسرة المالكة فانطلقت الشرارة الاولى لثورة عارمة استفحل فيها الفداء وانبرى الشعب بكامله يطالب في مظاهرات صاخبة وحملات دائية برجوع جلالة الملك وولي عهده الذي ظل طوال المنفى امين سر والده وعضده الايمن وخبيره المختك الى ان عاد الملك الظاهر الى الرباط يوم 16 يونيه 1955 حاملا وثيقة الاستقلال في خضم من الافراح كللت ثورة الملك والشعب .

واستعاد المغرب استقلاله بفضل تلاحم العرش والشعب ووضعت الترتيبات الاولى لانس الادارة الاستقلالية فكان ولي العهد الهمام المخطط والمدير والخبير الذي اشرف على تنظيم الجيش المغربي الذي جعل منه قوة وطيدة في طليعة قوات العالم الثالث وتولى ولي العهد نفسه رئاسة اركان حربها العامة في حياة والده الذي كان قائدها الاعلى .

واى صاحب الجلالة المرحوم محمد الخامس الا ان يلقي باعباء السلطة التنفيذية لوارث سره وولي عهده فعينه رئيسا للحكومة .

وقد استمرت المشاورات والمفاوضات مع اسبانيا عشر سنوات في موضوع الصحراء منذ 1376 هـ/1056 واكد جلالته الحسن الثاني عام 1386 هـ/1956 م بمناسبة الذكرى

لاستغلالها كما ألغت سياسة السيطرة على المواد الغذائية ونظمت تعاونيات للفلاحين وهذا هو ما سماه (لينين) ب (السياسة الاقتصادية الجديدة) التي عدلت الأوضاع بنوع من النسوية مع الرأسمالية.

وقد اقترح صاحب الجلالة الحسن الثاني مشروع دستور استدعى الشعب المغربي لبدء رأيه يوم 17 يناير 1972 فوافق عليه وتم اقرار مشروعية الاستفتاء من طرف الغرفة الدستورية يوم 9 مارس 1972.

وهذا الدستور يحتوي كما كان الشأن بالنسبة لدستوري 1962 و 1970 على المبادئ الأساسية التي تقرر على الاخص ما يلي:

- 1) ان المغرب ملكية دستورية ديمقراطية واجتماعية
- 2) ان السيادة للامة تمارسها مباشرة بالاستفتاء وبصفة غير مباشرة بواسطة المؤسسات الدستورية.
- 3) ان القانون اسمي تعبير عن ارادة الامة.
- 4) ان جميع المغاربة سواء امام القانون.
- 5) ان الاسلام دين الدولة
- 6) ان شعار الملكية هو الله والوطن والملك

وقد نص الدستور على المساواة بين الرجل والمرأة في التمتع بالحقوق السياسية وعلى الحريات التي يتمتع بها المواطن كما نص ان (الملك امير المؤمنين والممثل الاسمي للامة ورمز وحدتها وضامن دوام الدولة واستمرارها وحامي الدين والساھر على احترام الدستور وله صيانة حقوق وحريات المواطنين والمواطنات والجماعات والهيآت وهو الضامن لاستقلال البلاد وعوزة المملكة في دائرة حدودها الحق.

كما نصر على ان شخص الملك مقدس لا تنتهك حرمة وله حق حل مجلس النواب كما له ان يخاطب المجلس والامة دون ان يكون مضمون خطابه موضوع اي نقاش وهو القائد الاعلى للقوات المسلحة الملكية ويرأس الملك المجلس الاعلى للانعاش الوطني والتخطيط والمجلس الاعلى للقضاء.

تلك صورة مقتضبة عن شمولية الانجازات التي حققها جلالته الحسن الثاني ضمن صياغة التاريخ واصالة الامجاد وعراقة الفكر الاسلامي الذي عرف جلالته كيف يضمن توازن عطاءاته موقفا بين الروح المثالية والتوثية والخلق الانساني المبدع ومادية الحضارة التكنولوجية العارمة.

الاجانب فأصبحت هذه المعربة في مختلف الميادين الحضارية ابعاد بدأت تهيء الساحة لتعريب شامل ضمانا لوحدتنا العربية والاسلامية كما وطد المغرب لنفسه صيتا وصينا فرض نفسه في المحافل الأثمية التي قدرت المملكة عمق بادراتها وفعالية تخطيطاتها التي شملت التحضير العمراني وتحقيق اللاهركزية وتوفير السدود وتوزيع الأراضي الزراعية ورسانة التأميمات وشمولية التقيبات المعدنية والبتروولية وتطوير موارد الفسفاط وتشبيد المركبات الصناعية وتعميم التعليم ورفع مستوى حياة السكان وخاصة العامل فاصبح للنظام الملكي طابع دستوري اقتبس من الاسلام ما يسد الثغرات الاشتراكية في اطار العدالة الاجتماعية ولعل هذا الجانب يشكل في العصر الحديث اختيارات لها وزنها في تقييم مدى مواكبة الشعوب لمقتضيات القرن العشرين ولكن المغرب عرف كيف يتسق بين اصالته الاسلامية وبين هذه المتطلبات العارمة ولنضرب لذلك مثلا حيا يعطينا صورة مكبرة عن منطقية وفعالية هذه اليادرات فقد اصبح المغرب ينهج في العهد الحسنني نوعا من الاشتراكية لا تفقر الغني ولكنها ترفع مستوى الفقير بشتى الوسائل منها اربعة عوامل اساسية هي :

1) تأميم المصانع الكبرى وكذلك بعض الهيآت الاقتصادية كمكتب التسويق والتصدير ومكتب الشاي والسكر .

2) توزيع الاراضي على الفلاحين وتكوين تعاونيات للفلاحين وغيرهم في نطاق استفادة جماعية من ادوات الانتاج مع دعم الاصلاح الزراعي باقامة السدود .

3) نهج سياسة التقيب الشامل على المناجم وحقول النفط ولو بمنح امتيازات للأجانب مع توظيف رؤوس الأموال الأجنبية وتضيق البلاد .

4) اشارك العمال في ارباح بعض المصانع الحكومية كعامل السكر انتظارا لتنفيذ المبدأ على المصانع الحكومية الأخرى ثم على المصانع الخاصة .

وهذه الاشتراكية لا تختلف كثيرا عما اضطر الزعيم الروسي «لينين» لنهجه عام 1921م 1340 هـ قبل وفاته بستين عندما سمحت حكومته للأفراد بالتجارة واعادت المخازن والمعامل الصغيرة والى اصحابها ومنحت امتيازات الرأسماليين الاجانب لا للتقيب عن المناجم وحقول النفط كخبراء فحسب بل

المُقَدِّساتُ الإسلاميَّة

لفضيلة الأستاذ الحاج أحمد ابن شقرون
عميد كلية الشريعة ورئيس المجلس العلمي الاقليمي بفاس

للمغرب، التي بنيت على المقدسات الاسلامية. ووحدة المذهب، ولغة الضاد، والوحدة الترابية» فمن تأمل، مليا، في هذه الفقرات الذهبية، وهذه الفرائد الملكية، وتدوَّق ما انطوت عليه كل جملة من هذه الجمل، وكل كلمة من هذه الكلمات، علم «ان العبقرية لا يؤتاها كل انسان، وانما هي مكرومة من عند الملك الديان، يهبها لمن احصافاهم لخدمة الدين والاوطان، وصيانة المقدسات من الضلالة والبهتان، مما لم يرد في السنة ولا في القرآن، وسر العبقرية ينبثق من صفاء العقيدة الاسلامية، ومن النور الحمدي، الذي شاع على الاكوان، من صدر من لا ينطق عن الهوى، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي آتاه الله الحكمة، وفصل الخطاب، وورثه عنه سليله، وحفيده، الذي صان الحمى. وحصن الاسلام، بما غذى من روح، وما اطفأ من اوام، وما ازاح من خيلات واوهام. وهكذا، نرى هذه المقولة الجامعة المانعة، كما يقول المناطقة، تفصح للعالم عموما وللمغاربة خصوصا، وللبرلمانيين بصفة اخص، عما تحتوي عليه مدرسة الحسن الثاني، من سمو في العقيدة وسمو في السلوك وتعلق بالله، رب العالمين، مما يعتبر مسيرة في الاحب، فمدرسة محمد الخامس رضوان الله عليه، التي كانت مدرسة سيد الوجود، سيدنا

في الجلسة الافتتاحية، التي انعقدت بمجلس النواب، يوم الجمعة 16 محرم الحرام عام 1405 الموافق 12 اكتوبر 1984، تفضل امير المؤمنين، وحامي حمى الوطن، والدين، جلالة الحسن الثاني، نصره الله، فثر على الحاضرين، خطابا بليغا، ضمنه دوره الغالية، وافكاره السديدة، ومرامية المثلى — بما عهد في جلالته، من حصافة رأي، وبعد نظر ونصح للامة ونوابها، الذين انيطت بهم، مهام الدفاع، عن الكرامة وتحصين السيادة، ومناصرة الحق، فكانت تلك الدرر ورقة عملهم، التي سيصدرون عنها، فيما يقزمون القيام به، من خطوات مباركة، ان شاء الله، حتى يستمر المغرب، متدرجا، من حسن الى احسن، بقيادة عاهله مبدع المسيرة الخضراء، وبحقق وحدته الترابية، وحامل راية المصادقية، والقابض على زمام المشروعية، في جمع المجالات، والوثبات، الى الغد المشرق، والمهدف باسم، في ظل صيانة المقدسات الاسلامية، التي تبلور، في وحدة المذهب، ولغة الضاد، والوحدة الترابية حيث قال جلالة حفظه الله، «ان مدرسة الحسن الثاني، هي مدرسة محمد الخامس رحمه الله، ومدرسة محمد الخامس هي مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم، مؤكدا : ان لا تسامح في عناصر المدرسة الحقيقية

محمد، حبيب الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم الذي قال
الله في حقه:

«وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا».

هي مدرسة بنيت على الدعوة الإسلامية، وقامت على
التوحيد وتطهير القلوب، من ظلمة الشرك بالله، وارتقت بالفكر
من ترهات الجهالة الجهلاء، والظلال العمياء، الى مدارج
الكمال، وسلكت به الحجج الطرق المؤدية الى السيادة الحقيقية،
عن طريق الجهاد، لاعلاء كلمة الله.

«يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت، وقد امروا ان يكفروا
به»

«ادفع بالنبي هي احسن، فاذا الذي بينك وبينه عداوة،
كانه ولي حميم»

وعليه، فبدأ وحدة المذهب، ووحدة اللغة، ووحدة
الصف، هو المسار الرصين، الذي يفتح بالحكمة، ويفضي في
الحاضر، كما افضى في الماضي، الى الهدف المرغبي، والامل المنشود
بما يرسله من اشعاع وهاج، ونور وضاء، يرينا الحق حقاً فنقتفيه،
والباطل باطلاً فنحماها، وبذلك، نكون قد نهجنا على هدى،
وبصيرة، منهج سليل المصطفى، امير المؤمنين، وحامي حبي الملة،
والدين، جلالة الحسن الثاني، الذي تآثر في مسيرته الحضر،
خطى جلالة سيدي محمد الخامس طيب الله ثراه، وجعل جنة
الفردوس ماواه، فانه جعل المدرسة المحمدية مبتغاه، وهجيره،
فكان نعم الملك الرائد، لهذه الامة المحمدية، التي تعض على
دينها، ولغتها، واصالتها، بالنواجذ ومن هنا نادى جلالة الملك من
منصة البرلمان، بان لا تسامح في المقدسات الاسلامية، لانها
عصب الامة، وروحها، وشعاف قلبها، وضمان استمرارها،
مرفوعة الرأس، موفورة الكرامة، ثابتة الخطى، رافعة راية الاء
والاجداد، في حاضر زاهر، الي مستقبل بسام.

وفي هذه السيل احى جلالة الملك المجالس العلمية،
وعززها، بانشاء مجالس علمية اخرى، عبر المملكة، وصلت الان
الى اربعة عشر مجلساً، كما امر — حفظه الله — برد الاعتبار
للجامعات الاسلامية، والمعاهد العليا، للدراسات الاسلامية،
ومن ذلك دار الحديث الحسنية ورفع صوته الكريم، باللغة
العربية، في كل المواقف، والمؤتمرات، ودافع دفاعاً منطقياً، عن
القضية الفلسطينية، بما لا يقبل الرد. ولا الجحود. وافضى بأرائه
السديدة، في عدد عديد من القضايا الاسلامية، وما استمرار
رئاسته للجنة القدس، الا دليل عملي، وبرهان قاطع وحجة
دامغة، على ما يتمتع به جلالتة من المعية لامعة، وعبقورية عابقة،
ولما كان الناس على دين ملوكهم، بنى المغاربة مدرستهم، التي
هي مدرسة الحسن الثاني، على وحدة المذهب المالكي، المبني
على سد الذرائع، وعلى عمل اهل المدينة، وكل نظري دخل حيز

التطبيق العلمي، كان اقوى من غيره، واقدر على حمل اعباء
السنين، وتخطى المعقوقات، (يوشك ان يضرب الناس اكباد
الابل، في طلب العلم، فلا يجدون اعلم من عالم المدينة). قال
سفيان، انه الامام مالك، الذي طال عمره حتى لم يبق بالمدينة
المنورة من يدانيه، فاحرى من يمائله. وكان يقول من قبل هو ابن
المسيب ثم رجع عن ذلك. قالوا : «ان مالكا رضي الله عنه
جمع لدراجات الاجتهاد، في علوم الشريعة، من كتب السنة،
ومسائل الاتفاق، والاختلاف مالا ينكره موافق، ولا يخالف، الا
من شذ، فكان اول من الف فاجاد، ورتب الكتب والابواب،
وضم الاشكال الى الاشكال، واول من تكلم في الغريب من
الحديث، وشرح في الموطأ كثيراً منه، قال الاصمعي اخبرني
مالك ان الاستجمار هو الاستطابة، ولم اسمعه الا من مالك،
وقال الشافعي : مالك استاذي، وعنه اخذت العلم، وما
احد امن، على من مالك، وجعلت مالكا حجة بيني وبين الله،
واذا ذكر العلماء، فمالك النجم الثاقب، ولم يبلغ احد مبلغ
مالك، في العلم، لحفظه، واتقانه، وصيانتته».

وهذا قل من كثر، مما ينبغي، ان يذكر به امامنا مالك، رحمه
الله. نكتفي به لننتقل الى الحديث باقتضاب عن اللغة
العربية : لغة الضاد. التي جاء بها كتاب الله العزيز، واشاد
بها في قوله :

«نزل به الروح الامين، على قلبك، لتكون من المنذرين، بلسان
عربي مبين».

ومن هنا، نرى ان اللسان العربي، والاسلام، متلازمان تلازم
الظل للعود، ومن هنا، نرى ان المحافظة على اللغة العربية، هي في
الحقيقة، محافظة على عظمة العقيدة، ونور الايمان، لان الظروف
لا يسان الا بظرفه، ومن هنا، وقف حماة الضاد، وفي ظليعتهم
رائد البلاد، ليردوا عن اللغة العربية عاديات الزمان، وتطول
الذين يرمونها بالرجعية (مع ان الرجوع الى الحق خير من التماذي
على الباطل) وهو بفضل الله تعالى القائل : «انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون» سيقى برجا شامخاً، وطوداً سامقاً،
وحصناً حصيناً، ووزراً مكيناً.

وتكتفي بهذا القدر لننتقل للحديث عن موضوع الوحدة
التراية فنقول : لقد اجمعت عليه الامة، لانها تعتبر ذلك، جزءاً
لا يتجزأ من مقدساتها، التي تفديها، بالنفس، والنفس، وما
ضاع حق وراه طالب — هذه دعائم المقدسات، التي تقوم عليها
المدرسة الحسنية، التي شيدها — حفظه الله، تصحيحاً
للمفاهيم، وتقوية للمدارك، قبل ان يختلط الخابل بالنايل، والله
ولي التوفيق والسلام.

خواطرحول النهضة التعليمية العالمية الحسنية في مغرب التحديات

للدكتور محمد جلال

عميد كلية الحقوق
بوجدة

العربي والاسلامي والافريقي. وتبعاً لذلك فان هذه النهضة اكبر من ان تحيط بها كلها وبمختلف ابعادها كل المؤشرات الاحصائية ومعطياتها المتعلقة بتطور أعداد المؤسسات التعليمية والتكوينية واعداد المؤطرين والمتعلمين على مختلف أنواعهم وتخصصاتهم ومستوياتهم ومواقعهم الجغرافية والاجتماعية الى غير ذلك من جوانبها الثقافية والفكرية والنوعية. نعم انها تفوق كل ذلك وتتعداه لتبرز جليلة واضحة في نوعية الحياة المادية والمعنوية التي اصبح مجتمعنا ولله الحمد ينعم بها. وللتأكد من هذه الحقائق

إن إنجازات المسيرة الحسنية في ميدان نشر العلم والمعرفة كثيرة ومتنوعة، ولا يمكن الاحاطة بها في مقالة او كتاب، فمعالمها تتعدى بناء الجامعات والمعاهد، والثانويات، والمدارس، في جميع ارجاء المملكة وما يتبعها من مطاعم، وداخليات، واحياء جامعية، وتجهيزات ومراكز لتكوين المعلمين والاساتذة في مختلف الاسلاك والتخصصات. كما ان الاشعاع العلمي هذه النهضة قد تجاوز حدود المملكة وآفاقها وراح يضيء بنوره الذي هو من نور الله سبحانه وتعالى حياة اقوام اخرى خارج عالمنا

كلها يكفي ان يعود المرء الى استقراء واقع مجتمعنا المعنوي والمادي، فهو كفيل بابرار العديد من معالم هذه النهضة وبطريقة حية، تعني بلا شك وفي كثير من الحالات، عن التدليل بالاحصائيات والارقام. فهو الواقع الذي يثبت تقلص الامة في المجتمع المغربي ويؤكد وجود اعداد هائلة من المتعلمين من الرجال والنساء ومن البنين والبنات والفتيات والفتيان سواء في الأوساط الحضرية او القروية، وهو يشهد ايضا بوجود مؤسسات التعليم والتكوين المختلفة في جميع ربوع المملكة. ويؤكد ان نشر التعليم كان الموضوع الذي يحظى بالاسبقية في الاختيارات السياسية للدولة، وأن هذه الاخيرة تخصص له كل سنة اعتمادات مهمة في ميزانيتها السنوية. وهي أي الدولة قد أوجدت للتعليم وللمجالات الاخرى ذات الصلة في التكوين وينشر المعرفة والثقافة أربعة وزارات تعمل جاهدة كلها في سبيل نشر العلم والمعرفة والثقافة وهذه الوزارات هي :

— وزارة التعليم

— وزارة التخطيط وتكوين الاطر

— وزارة الاعلام

— وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

ويمكن اضافة عمل وزارة الشبيبة والرياضة ايضا باعتبار ماله من صلة بالميدان الذي نتحدث عنه. الى جانب هذا كله هناك اعداد اخرى كثيرة من الهيآت والجمعيات التي تعمل لصالح التعليم ومن اجل نشره وتوسيعه فنفيد وتستفيد بما تحقق من الانتصارات على درب النهضة الحسنية المباركة في ميدان المعرفة بصفة عامة. واذا كان شكر النعمة من اسباب الإلقاء عليها والزيادة فيها كما يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم : «واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد...» (آية السابعة من سورة ابراهيم)، وإذا كان ذلك كذلك، فإن مباركة الجهود المبذولة في الميدان الذي نحن بصددته وتقديرها حق قدرها، يدخل ضمن شكر النعمة خاصة وان هذه النهضة ومنجزاتها قد انطلقت من لا شيء باعتبار ان البلاد خرجت من عهد الحماية الى عهد الاستقلال وهي تعاني من الامة ومن قلة المتعلمين المكونين والقادرين على تسيير دوليب الدولة وخدمة مصالح الامة، بل ان الامة غداة الاستقلال كانت متفشية بين المواطنين بنسبة تفوق تسعين في المائة هذا فضلا عن امية المعرفة والثقافة التي كانت منتشرة بنسبة كبيرة ايضا. وبالطبع فان سياسة الاستعمار التعليمية كان يهملها أن تنفسي الامة في البلاد وأن ينشر الجهل والتخلف في الشعب

المغربي حتى يسهل ترويضه ويتأق استغلاله ماديا ومعنويا، ولذا لم تكلف نفسها عناء العمل على تعميم التعليم وإتاحة فرصة امام جميع المغاربة، بل رأت أن يبقى حكرًا على الأوربيين بالدرجة الاولى ثم على فئة محدودة من سكان البلاد الاصليين، الذين يمكن استعمالهم ككتبة في بعض الاعمال الادارية وغيرها، التي لا يرغب المستعمرون في تعاطيها والتي لا تعطي اجورا ورواتب عالية. وهذا نجد سلطات الحماية لم تهتم ببناء المدارس الابتدائية والثانوية ولم توفر المعاهد العليا ولا الجامعات المكونة للاطر الوطنية القيادية والتقنية الضرورية لانجاز الخدمات الادارية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة، الامر الذي جعل البلاد تظل تعاني من خصائص كبير في ميدان الاطر، وتضطر للإلقاء على من تواجد منهم من الحسيات الاجنبية واستقدام آخرين والاعتماد عليهم في تخطيط وتوجه وتنفيذ مهام وطنية سامية وخطيرة وذلك مقابل مرتبات عالية تؤدي كلها أو في معظمها بالعملة الصعبة مما يساهم في احداث خلل بموارد البلاد المالية والنقدية ويؤثر سلبا على تنميتها ومستقبلها .

وبالجملة فإن الخلفات التي ورثها المغرب من عهد الحماية وانطلق تحت تأثيرها السلمي يبنى نهضته الحديثة، كانت تشكل تركة ثقيلة جدا، ولا يمكن لنا هنا تعقب كل مظاهرها وجوانبها. فكيف واجه مشاكله المختلفة في ظل ظروفها ؟ سؤال كبير وجدير بالدراسة والاهتمام ولكننا على مستوى هذا البحث القصير سوف نركز على جانب واحد نعتبره حجر الزاوية في النهضة المغربية الحديثة التي خططها وقادها رائدها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، ألا وهو نشر العلم والمعرفة وتحقيق نهضتها في البلاد، فكيف تم انجاز مشاريع هذه القضية ذات الانعكاسات الخطيرة في حياة الامة؟ وهل تم فعلا انجاز كل ما ينبغي انجازه في ميدانها ؟ أم ما زال هناك الكثير مما ينبغي عمله في مضمارها ؟ اسئلة كثيرة تفرص نفسها وجديرة بالبحث والدراسة ولكننا نعتبر أنها تتعلق بالجزئيات ما دما قد قررنا في البداية بأن النهضة تحققت فعلا ولله الحمد غير انه يجدر بنا ان نلتفت لامر كان له أثره البالغ بالنسبة لتحقيق ما أُنجز من مشاريع وأعمال في ميدان نشر التعليم وبناء نهضة البلاد العلمية الا وهو ايمان الامة واجماعها على اهمية العلم للتطور والتنمية. فلقد ادرك المغرب وهو البلد الغني بترائه واصالته أنه لا يمكن ان يستعيد مجده التليد ولن يتأق له تجديد حضارته وبناء نهضته على نحو عصري متين الا اذا استعان بالعلم وينشر المعرفة على صعيد الامة بأسرها .

على هوية الامة المغربية الاسلامية وعلى اصالتها في مواجهة كل التحديات التي كانت مفروضة في عهد الحماية ولكنها وحدها في الظروف التي عاشت في ظلها قبل الاستقلال لم تكن بقادرة على الوفاء بكل حاجيات الامة في العلم والمعرفة وغيرها .

ومع ادراك كل ابعاد المشكل التعليمي الموروث عن عهد الاستعمار والافتناع بضرورة الاحذ بأسباب العلم وسيلة للنهوض بالامة المغربية كان لابد من وضع سياسة رشيدة تكفل نشر العلم في ربوع الوطن وتعمل على توحيد وتعميره ومغربته وضبط مناهجه حتى يكون أداة لخدمة الامة المغربية في دينها وديناها وفي لغتها وثقافتها وحضارتها، وتلك هي اهم العناصر الاساسية التي يتحتم على نظم التعليم أيا كان واضعها وضعها أن ترعاها، بعد هذا كله كانت معالم الطريق واضحة فجاء تنفيذ مختلف المشاريع التعليمية والثقافية التي تم إنجازها في طول البلاد وعرضها والتي تقوم ماثلة للعيان شاهدة على نهضة البلاد العلمية والفكرية التي لا داعي لاستعراض كل معالمها هنا فهي كثيرة ومتعددة ومتنوعة، ولكن اذا كنا نبارك ونعجب بمجزاتها فان علينا كذلك انصافا للحق واقارارا بالحقيقة أن نقول ونحن بصدد رصد خارطة التعليم وتحقيق النهضة العلمية في البلاد بعد انقضاء ما يقرب من ثلاثين عاما على استقلالها، بعد التقدير والاعجاب بكل ما تحققت، فإن علينا ان نقر بان المسيرة لم تصل بعد الى جميع غاياتها في الامة مع الاسف الشديد ما زالت متفشية بين السكان الكبار منهم والصغار بل ونسبة عالية أيضا وذلك لعدم التغلب على الجموع الغفيرة التي تصل الى سن المتدرب من جهة وعدم تعليم الكبار الذين فاتتهم فرص التعليم في الماضي. ومن جهة اخرى ووما فإنه من شك في ان الامة عندما تكون منتشرة في مجتمع ما فهي تحول بينه وبين الظفر بطموحاته. فالتاريخ يؤكد ان الامة المتعلمة هي الامة القوية الناهضة وان الامة الجاهلة هي الامة المتخلفة الضعيفة. ولسنا في حاجة الى تأكيد هذه الحقيقة — فواقع الدول في عالم اليوم يبرز أمامنا ذلك، فالدول الراقية هي الدول التي انعدمت فيها الامة تماما وانتشر فيها العلم وتطور فيها التعليم بانواعه ونظمه واساليبه وتقنياته .

كما ان تعريب تعليمنا ما زال هدفا وغير محقق بعد، خاصة التعريب الشامل الذي ينطلق من تعريب لغة التعليم في جميع المستويات والتخصصات لينتهي بتعريب ثقافة الامة وفكرها وحضارتها وحياتها الادارية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها. وذلك سعيا لوضع الحد للتبعية الثقافية والعلمية والتكنولوجية

ولما كان هذا حقا هو ادراك المغرب وعلى رأسه بطل الاستقلال جلالة الملك المغفور له محمد الخامس، قدس الله روحه، ومعه ولي عهده آنذاك، ووارث سره من بعده، جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، فقد ابتدأ العمل بنشر التعليم والمعرفة في البلاد، قصد تغيير خارطتها السوداء المورثة، عن عهد الحماية والسهر على تعميمه وتعميره وتوحيده وتطوير مناهجه واساليبه. وهذه كانت احدى المهام الاساسية بل أخطرهما على الاطلاق، التي برزت على الساحة الوطنية غداة استرجاع الاستقلال وانهاء عهد الحماية البغيض وذلك لكونها من نوع المهام التي لا تقبل التأخير بل تتفاقم بسببه، فانطلق العمل التربوي والتعليمي في جميع ربوع البلاد رغم توفر الشروط الضرورية لذلك، حيث لم يكن هناك لا مدارس ولا معلمين ولا أساتذة ولا مشرفين اداريين، فالتعليم الموروث عن عهد الحماية والذي كان يعتبر بديلا عن نظام التعليم الوطني السائد قبل الاستعمار لم يكن لا منتشرًا بكثرة ولا مكتملا لهذا التعليم الوطني الاصيل ذي الطابع الديني المخالف لطبيعة التعليم العصري الدنيوي العمومي والخصوصي الذي كان له ايضا طابعا تبشيريًا، وبالطبع فان كلا النوعين الاخيرين من التعليم لا يعكسان قيم البلاد وفكرها بقدر ما يعبران عن فكر وحضارة من يمولونه ويقومون به بهدف غزو البلاد وضربها في مقوماتها الروحية والفكرية وجعلها في النهاية امتدادا لحضارة الغرب وجزءا لا يتجزأ منه، بعيدا عن هويتها واصالتها وحضارتها، وليس في وضع الراصد لحالة التعليم غداة الاستقلال ان يسقط من رصيده اللغة التي يتم التعليم بها وازدواجيتها بل وثلاثيتها باعتبار ان اللغة الفرنسية كانت وما تزال وكأنها لغة البلاد السائدة والرائدة، بكثرة وفي مواجهتها تقلصت لغة البلاد الاصلية التي عبرت على مدى تاريخ المغرب الممتد قرونا طويلة عن كيانه ووجوده وحضارته العريقة، كما كانت اللغة الاسبانية بدورها سائدة في عدة مناطق من البلاد، وادراكا لما يكتسبه توحيد البلاد في لغة واحدة، هي لغتها الاصلية تكفل لها التعبير عن الوجدان وعن المشاعر المشتركة التي هي قوام وحدة الامة وسند مناعتها وقوتها من أهمية فائقة كان ينبغي العمل على تحقيق ذلك التوحيد إذ أن الإبقاء على التعددية في لغة التعليم والتثقيف والتربية من شأنه أن يكرس الانقسام في مشاعر الامة والتعدد في انماط تفكيرها وتعبيرها عن حياتها الفردية والجماعية والوطنية والقومية .

وفيما يرجع للتعليم الجامعي لم يكن في البلاد سوى جامعة القرويين العريقة التي كان لها الفضل الكبير في الحفاظ

التي نعاني منها. فاللغة الوطنية قادرة على استيعاب كل تقدم وكل تطور مادي ومعنوي تحققة الامة .

فلغة الضاد كان لها تاريخها وشأنها العظيم ليس في بلادنا فحسب، بل في كثير من البلاد التي سيدنا وما زلنا نسيده حتى الان لغاتها لكن شريطة ان يقسح لها مجال الاستعمال والتداول في الحياة العملية والفكرية للامة، وألا يكتفي بتقديمها على غيرها تشريعيا ونظريا فقط، بل عمليا أيضا .

ففي أوروبا القرن الثاني عشر والثالث عشر كان الطبيب لا يعد طبيبا الا اذا كان يكتب وصفة الدواء بالعربية، اشارة الى قراءته لكتاب ابن سينا في الطب. وهذا يعني ان اللغة العربية كانت لغة علم يخشى بأسها وبأس أمتها، وكان يدرسها المتخصصون وصفوة الناس من الأوربيين وغيرهم محاكاة للامة العربية القوية آنذاك... والضعيف بحرس دوما على محاكاة القوي في لغته باعتبار ان اللغة هي الصورة الأولى لفعل ذلك كما يقول ابن خلدون. هكذا فقد أن لنا ان نستشعر القوة في نفوسنا ونثق في كياننا ولا نفرط في عنصر من عناصر هويتنا. ففي هذا العصر نجد كل الامم تحرص اشد ما يكون الحرص على استعمال لغتها الوطنية في التدريس والتعليم عندها وذلك على جميع المستويات وفي كل التخصصات.

وعندما نلح على التعجيل باستكمال تعريب حياتنا الفكرية والادارية والاقتصادية وغيرها، فاننا لانقول بالكف عن تعلم اللغات الاجنبية، فهذا غير ممكن. بل ان ما يعتبره جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بحق ان الامي في الوقت الحاضر هو من لايعرف سوى لغته الوطنية.

وهكذا ينبغي بل يجب الاستمرار في تعلم وتعلم اللغات الاجنبية الحية، ولكن فقط لتكون وسيلة لنقل المعارف لدى القوم الذين يتحدثون بها وليس لتسيدها في اوطاننا اذ ثمة فارق كبير بين ان تكون اللغة وسيلة لنقل معارف اقوام آخرين وبين ان تكون سائدة على السنة المواطنين بما يشبه الغزو والتحطيم وفقدان الهوية. فكل البلاد المتحضرة تحرص على دراسة اللغات الحية وغير الحية ولكن لالتوظيفها بديلا عن لغة البلاد، وانما لدراسة معطيات الفكر في بلاد هذه اللغة او تلك. ففرنسا مثلا تعلم اللغة الانجليزية، ولكن لاتسمح لمؤسساتها واجهزة اعلامها ومعاهدها التعليمية بتسيده اللغة الانجليزية وتفضيلها في بعض الميادين والحالات. ونفس الامر نجده في امريكا التي تعلم اللغة الفرنسية ولكن هذه اللغة لا تتجاوز حدود نشرها للاستفادة بها والتعرف منها على معطيات الفكر الفرنسي. ونفس الشيء يقال

عن روسيا واسانيا والبرتغال والسويد وغيرها من البلاد. بل ان بلدا كاسرائيل تصر على احياء لغتها التي لاحياة لها ولا يتكلم بها الاعدد قليل من السكان ولم تنهض بها حضارة قط ولم تخلف على مدى التاريخ اثرا يذكر، ولكنها في سبيل دعم هويتها والدفاع عن شخصيتها تمتطي ركب احياء لغتها الميتة، في الوقت الذي يشكك البعض منا بلغتنا التي صاحبتنا على مدى التاريخ وقامت بها العلوم والفنون وشيدت بها حضارة خالدة على جبين التاريخ.

كما ان نظامنا التعليمي مازال يعاني من الانقسام ومازالت التعددية فيه سمة لا يخطئها الناظر فيه. ولقد آن الاوان لان نتمسك بهويتنا واصالتنا لنحمي انفسنا من التشتت والتفرق. فمناهج تعليمنا وبرامجها مازالت في حاجة ماسة الى جهد لتصنيفها وتنقيتها مما يمكن ان يؤدي الى التفرقة بين افراد وطننا، ويساهم في خلق انواع مختلفة من الغايات والطموحات العقائدية التي قد لاتخدم نهضتنا ومسيرتنا نحو المستقبل الافضل بمقدار ما تضرها. واذا كان الدستور يضمن المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات فان هذه المساواة لم تتحقق بعد في التعليم باعتبار ان هناك من ليست له القدرة على التعليم لاسباب كثيرة تقع خارج طوقه وارادته. وهذا مما ينال من نظامنا التعليمي وما يجعله عاجزا على خلق وتطوير شخصية مغربية منسجمة. فالذين يحصلون على نوع من التعليم والتكوين لايتساوون مع الذين لم يتلقوا اي نوع من التعليم. كما ان المكونين في نظامنا التعليمي الحالي يشكلون اصنافا ومستويات غير منسجمة بسبب تعدد انظمتهم ان لم نقل تشتته.

والمعلمون في نظام تعليمي غير موحد وغير مؤصلا لا تكون لهم فائدة كبيرة وموفورة ولا يكون لهم عائد كافي، ولذلك يمكن بسهولة كبيرة تعويضهم واستبدالهم بغيرهم ممن لا يتمتعون بصلة مباشرة الى الوطن، طالما كانت الذات المغربية غير متأصلة في تكوينهم وتعليمهم. ومن هنا فإن الهدف من التعليم ومن تعميمه يتعدى حدود اعطاء المواطن المقدرة على القراءة والكتابة باللغة الوطنية او غيرها من اللغات الى تكوينه وتزويده بعناصر حية من المعرفة والثقافة تجعله فاعلا مؤثرا وحاملا لكل الخصائص المغربية ومعبرا عن الذات الوطنية والقومية في ابعادها المختلفة. وهكذا فان كل ما حققناه في هذا السبيل ليس بالامر الهين، ولكنه كذلك ليس بالقدر الكافي. اذ لابد من رأب هذه الخدوش التي ما زالت ماثلة في نظامنا التعليمي ولا بد من القضاء على نقط الضعف فيه، ليس فقط بتطويره كليا بل بتحسينه نوعيا وجعله اداة الاخذ بيد الامة يتيح لها فرصة

نفسه باعتبار ان ذلك هو السبيل للابداع والتطور الحقيقيين. فطلب العلم للعلم من شأنه ان يتيح للفكر المغربي خاصة والفكر الانساني عامة فرصة ابتداء المعارف الجديدة، وطرق الميادين غير المسوفة التي يمكن ان يكون فيها الخير كل الخير للامة مستقبلا. ولذا لا ينبغي القول بأن هذا النوع او ذاك من المعارف شاق ومكلف ولا يؤدي ثماره، فطالما استفادت الانسانية من طرق الميادين المجهولة وجنت منها اطيب الثمرات. هذا من جهة ومن جهة اخرى فان على نظامنا التعليمي ان يسعى ويعمل على تحقيق اهداف تربوية وترسيخ قيم اخلاقية مثل اذ لا معنى لتعليم لا يحقق غايات تربوية سامية.

ثالثا : التعليم لانشاء العلم المشترك : لقد كفانا ان يكون دورنا الانساني في مجال العلم هو فقط المتابعة والاستهلاك ونريد ان نتجه بالعلم وجهة جديدة وهي ان نشارك في ميادينه المختلفة ولتطوير ما هو قائم وابداع ما هو غير كائن، انه لما يعز علينا بل ويحز في نفوسنا ان تكون جميع المنجزات العلمية في عصرنا الحديث من ابداعات غيرنا ومن قرائح سوانا، بحيث اصبح دورنا منحصرا في مجرد استهلاك ما انجزه غيرنا، ان الاخذ بسياسة العلم المشترك هي التي تدفع بعلمائنا الى اقتحام ميادين جديدة ورائدة في البحث العلمي قد سبق اليها غيرنا وطور فيها علوما ومعارف وتقنيات توشك ان تقلب الدنيا رأسا على عقب بل غيرت الكثير من معطيات الكون كله، فهاهو علم الجينات او الموروثات يوشك ان يتطور ليغير وجه الحياة على الأرض، وهذه حرب النجوم والكواكب، وهذه ثورات وطفرات علمية تحدث في شتى مجالات الحياة البشرية والحيوانية والنباتية وغيرها، ولذا فان علينا ان نهض بتعليمنا وعلمنا ليصل بنا في مرحلة لاحقة الى مستوى المشاركة في هذه الميادين كلها، فكفانا نظرا ومتابعة واستهلاك، وحن الوقت لان تطور التعليم والبحث العلمي في بلادنا وندفعه نحو آفاق بعيدة وغايات جديدة تمكننا من اكتساب القوة والمنعة وتؤدي بنا الى النهوض بوطننا العزيز تحت القيادة الرشيدة لرائد نهضتها ومحرر صحرائنا وضامن وحدتنا جلالة الملك الحسن الثاني اعزه الله واقر عينه بسمو ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد وصنوه السعيد المولى الرشيد وسائر افراد الاسرة الملكية الكريمة انه سميع مجيب. والسلام.

المشاركة في الابداع والخلق على الصعيد العالمي. علينا اذا ان ندفع تعليمنا وبحثنا العلمي خطوات واسعة الى الامام اذا اردنا لانفسنا الرقي والتقدم اذ ليس للعلم حدود يقف عندها او امام يستقر لديها، وهذا يعني انه ما وصلنا اليه ليس الا بداية فما زال امام الامة الكثير لانجازه في هذا النطاق وما زالت الجهود الحسنية الرائدة تسير على قدم وساق لبلوغ الغاية في مجال التعليم وما زلنا ننتظر الكثير والكثير لاستهاض مكانتنا بين الامم.

على اننا لا نريد الانتهاء من هذه المقابلة قبل ان نورد الملاحظات التالية والتي لعلها تمثل نوعا من الاهداف المرجحة لضمان انتظام مسيرة العلم في بلادنا نحو الغاية المنشودة:

اولا : ضرورة الاخذ بالعلم التطبيقي : — ذلك ان نظامنا التعليمي في هياكله المختلفة اما يسير على تلقين المعارف والمعلومات بحيث تمتليء الاذهان بالوانها ولكن دون ان نشهد لها اثرا في حياتنا اليومية والعلمية. وهذا عيب كبير يجب ادراكه مثلما ادركه على افضل ما يكون الادراك اسلافنا وعلمائنا الاولون. فهاهو ذا ابن عبد ربه الاندلسي في مؤلفه : «العقد الفريد» يقول وفي منظومته كتاب الياقوتة في العلم والادب يقول : «ان العلم علمان، علم حمل وعلم استعمال، فما حمل منه ضرر وما استعمل منه نفع». ويفصل القول في هذا المعنى الامام الاصمعي حيث يتبع مسيرة العلم وغاياته فيقول : «اول العلم الصمت وقاينه الاستماع، وثالثه الحفظ، ورابعه العمل ، وخامسه نشره واذاعته».

فاذا كان الاقدمون قد ادركوا هذا المعنى اخذوا للعلم فاحرى بنا ان نتقدم على دربه مرحلة تتجاوز الاستماع والحفظ والتلقين لنصل به الى العمل، ونترفع بمعطياته ونظرياته الى مستوى التطبيق في حياتنا اليومية، نطور به واقعا الاجتماعي ونجعل به حياتنا فاعلة. ولقد استعاذ رسولنا الكريم من العلم الذي لا يفيد في حديثه الشريف « اللهم اني استعذ بك من قلب لا يخشع وعلم لا ينفع ودعاء لا يستجاب» بل ان العلم بالدين لا يخلق المتدين على نحو ما اراده الله، سبحانه وتعالى كما أن العلم بسائر الفروع الاخرى من المعرفة لا يفيد غير توظيفه.

ثانيا : التعليم للعلم والتربية للتربية : اذا كان على التعليم ان يثمر العلم الذي ينهض للوفاء بمتطلبات المجتمع في فترة زمنية حالية او آتية حيث يجب عليه ان يطرح الحلول الناجعة لجميع المشاكل والقضايا المطروحة على صعيد الامة فان عليه كذلك ان لا يتوقف عند هذه الغاية، بل عليه ان يطور العلم للعلم

الدكتور محمد جلال
عميد كلية الحقوق بوجدة

يخضعوا لدخيل رغم كثرة الوافدين من الفاتحين ، فلما جاء الفتح الاسلامي قاوم المغاربة الفاتحين ولم يخضعوا الا بعد حين حتى اذا فتح الله قلوبهم للاسلام وادركوا حقيقته تحولوا الى جنوده المدافعين عنه ففتحوا البلاد ونشروا هذا الدين واصبح المغرب مركز الاشعاع الاسلامي بعد ذلك ولا يزال ولن يزال بحول الله.

ان هذه الارض الطيبة التي تحتل جزءا مهما في غرب العالم الاسلامي والتي سماها المسلمون باسم المغرب ذلك الاسم الذي جاء في القرآن المجيد في قوله تعالى (حتى اذ بلغ مغرب الشمس) وهذا الشعب الكريم الذي سكنه منذ القدم عرفه التاريخ وعرف اصلته وصفاء سيرته وظهرتها لانه شعب متشعب بالخير وحريص على خدمة الحضارة والمدينة في ظل وحدته واستقلاله ولذلك لما كان الفتح الاسلامي وعاش فترة من الزمن في ظل حكم الحكام ولم يطمئن الى حالته تاقت نفسه الى الاستقلال والى بناء دولته وتأسيس عرشه ولكن اتى له بهذا العرش وهو متشبث ليس له زعامة ولا بين تجتمع عليه فئات الشعب كلها.

العرش المغربي

لفضيلة الأستاذ محمد حدّ وأمزيان

عميد كلية أصول الدين بتطوان ورئيس المجلس العلمي الاقليمي بتطوان

اذا اراد الله امرا هيا له اسبابه فقد كان اهل البيت العلوي في المشرق مضطهدين من طرف ابناء عمومتهم العباسيين الى اقصى حد من الاضطهاد ، ويشاء الله ان ينجو مولاي ادريس هاربا الى المغرب كما هرب غيره من العلويين الى اطراف البلاد الاسلامية فوجد فيه المغاربة ضالته المنشودة وتمسكوا به تمسك الغريق بجبل النجاة، فبايعوه عن ايمان واختيار سنة 171 هـ ، وبذلك تأسس العرش المغربي وتكونت دولة المغرب مستقلة عن الخلافة الاسلامية في المشرق تلك الخلافة التي كانت قد اتسعت وكثرت مشاكلها الداخلية والخارجية ومالت اطراف اخرى منها الى الاستقلال وفي مقدمتها الاندلس الذي استقل سنة 138 قبل المغرب.

ومولاي ادريس هرب الى المغرب واسس دولته فيه على اساس المذهب الشيعي الذي يرى ان الخلافة حق لابناء علي وفاطمة ولكن التشيع لم يكن مقبولا عند المغاربة كما لم يقبلوا اي حزب من الاحزاب الاخرى مثل الخوارج وهذا ما برهن على اصالة هذا الشعب واستقامة فكره فهو لا يمكن ان يجتمع على

عرش البيعة والاصالة والاستمرارية

يتربع جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وامد في ايامه السعيدة على عرش اصيل عربي في النجد والقدم، انه عرش يحتل قلوب الامة المغربية ويلتف حوله شعب حر ابي عرف بعزة النفس والتشبث بالاستقلال والحرية منذ اقدم العصور، سواء قبل الاسلام او بعده. فقبل الاسلام عاش المغاربة في وطنهم احرار لم

ضلال ولا يمكن لاي نزعة ضالة ان تتجح في السيطرة على قلبه المتمسك بالكتاب والسنة والجماعة.

اسس مولاي ادريس اول عائلة ملكية في المغرب المسلم وتربعت على عرشه المكين مدة 133 سنة ثم تحولت السياسة وسقطت العائلة الادريسية وقامت عائلة ثانية وهكذا تعاقبت على عرش المغرب 6 عائلات كبرى وهي الادارسة والمرابطون والموحدون والمرينيون والسعديون والعلويون ادام الله عهدهم وسدد للعاهل الكريم مولاي الحسن الثاني خطاه آمني، وبجانب هذه العائلات الكبرى برزت في تاريخ المغرب عائلات صغيرة حاولت التربع على العرش ولكن في ظروف قاسية لم يتم لها الامر كما يراد، وهذه العائلات هي عائلة آل موسى بن ابي العافية، وعائلة مغراوة وبني يفرن ثم عائلة الوطاسيين والعرض الذي ظهر فيه هذه العائلات كان من اقصى العصور في المغرب حيث كاد المغرب يفقد استقلاله بسبب كثرة المطامع الاجنبية فيه ولكن الله سبحانه كلما ساء الظروف فيض للمغرب من رجاله من ينقذه وياخذ بيده نحو شاطئ السلامة.

نرجع الى تصفح التاريخ وتجريد حوادث الاطوار التي مر فيها المغرب والتي كانت سبب قيام الدول وتبدل العائلات على العرش المغربي لئرى مدى صدق قولنا ان العرش المغربي وحدة ثابتة ومؤسسة خالدة وما المترعون عليه في كل زمان الا عائلات مغربية حلت محل من قبلها لتستأنف السير وتواصل التاريخ فلم يكن في المغرب دول مختلفة ذات مذاهب متباينة وانما كان المغرب ولا يزال له دولة واحدة قائمة على الكتاب والسنة والجماعة فهذه هي الدول الحاكمة الثابتة الخالدة اما العائلات فلم تكن الا خادمة لهذه المبادئ وحارسة هذه الخطة التي قررها الشعب من اول يوم دخل فيه الاسلام. فكم رأينا في التاريخ من محاولة للسيطرة على البلاد ولكن لم يكن النجاح يتم الا أولئك الرجال الذين برهنوا على صدق الايمان بعقيدة الشعب واخلاصهم في خدمة الدين والوطن.

في القرن الرابع الهجري كان المغرب يعيش في ظروف حالكة من جراء سوء الاحوال الداخلية وتلاشي السلطة الشرعية وتكالب المطامع الاجنبية فقي الشرق كانت تمتد جحافل الفاطميين للسيطرة على المغرب وجعله ولاية تابعة لهم على يد موسى بن ابي العافية وفي الشمال امتدت اطماع الامويين على يد مغراوة في محاولة فاشلة للسيطرة على المغرب ولكن المغرب قاوم وتثبت بالحياة واستقلال عرشه ودولته حتى اذا ما انتصف القرن الخامس كانت عائلة مغربية قادمة من الجنوب الغربي

للبلاد تتقدم لتؤسس دولة سنية سلفية اصيلة هي دولة المرابطين التي قامت على الجهاد لمحاربة التخلف والانحراف والفساد الذي نفضى في الشعب وخاصة في الصحراء والسهل الغربي حيث انتشرت بدعة البرغواطيين وقوى سلطتها حتى جاء المرابطون بقيادة عبد الله بن ياسين وصحبه فازالوا من المغرب تلك البدع والانحرافات وأرجعوا الشعب الى السنة والجماعة واسسوا عاصمة مراكش التي اصبحت مقر العرش المغربي المتجدد الخالد، وسرعان ما تراجعت تلك القوى الاجنبية الطامعة في المغرب فقد ضعفت الدولة الاموية في الاندلس واتجهت نحو السقوط ودخلت في عصر ملوك الطوائف المعروف. اما الدولة الفاطمية التي كانت في الشرق فقد انتقلت الى مصر وانشغلت بمشاكلها في الشرق ومنافساتها مع الخلافة العباسية على قيادة العالم الاسلامي.

وبذلك اتاحت الفرصة للمرابطين ليقوموا دولتهم ويعيدوا للمغرب استقلاله وامنه وليستأنف السير في طريق مجد والحضارة النظيفة لا في الداخل فقط بل يمد يده الى الاندلس لينقذه من الخطر الخفق الذي كان محققا به وليعطوه نفسا جديدا لاستمرار حضارة العرب بالاندلس قرونا اخرى عديدة.

لقد عاشت دولة المرابطين من الزمن 87 سنة نجحت ملكا واحدا ولكن كان عظيما جدا يعدل عدة ملوك ذلك هو امير المسلمين المصلح الصالح السلفي المجاهد يوسف بن تاشفين، ثم لم تعش الدولة بعده الا اياما من الاحتلال والتعثر فاتجهت نحو السقوط وهي في ريعان الشباب ذلك ان دعوة المهدي بن تومرت كانت لها بالمرصاد فاستغل الظروف السيئة واعلن دعوة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تآثر بها في المشرق كما تآثر بافكار الشيعة فتسمى بالمهدي المنتظر ثم تسليح بسلاح المذهب الاشعري لمحاربة المرابطين السلفيين فاتهمهم بالتحسيم وسمى اصحابه الموحدين.

تلك عائلة ثالثة جاءت الى العرش المغربي كانت العائلة السابقة تنتسب الى قبيلة صنهاجة المغربية الصحراوية اما هذه فهي من قبيلة مصمودة وكنائهما من قبائل المغرب الاقصى المشهورة قبل الاسلام وبعده. وقد احتل الموحدون العاصمة مراكش وتربعوا على عرش المغرب مدة 117 سنة نجحت الدولة من الملوك العظماء عددا كافيا لتأسيس امبراطورية مغربية تاريخية شملت شمال افريقيا كله والاندلس وبذلك استولى العرش المغربي على منافسيه القدماء وضم ممتلكاتهم الى دولته فاصبحت الدولة القوية القائمة على حماية الاسلام وحضارته في هذه الجهة من

امبراطورية، تمتد الى مدينة (تمبكتو) ونعمت البلاد بالغنى والسعادة خليقة بالدولة السعدية كما اوقف السعديون مطامع الصليبية في المغرب فحفظ الضغط على الشواطئ المغربية الى حين. يظهر انه اصبح من العادة السارية في المغرب انه كلما ظهر عظيم وبلغت الدولة المغربية في ايامه غاية المنى ونهاية الطلب واتجهت امورها عقب ذلك الى السقوط والانحيار، بسرعة غريبة وهكذا فبعد احمد المنصور الذهبي مباشرة اختلت امور الدولة وتفرقت العائلة السعدية وانقسمت على فرعين احدهما في مراكش العاصمة الاصلية والاخر في فاس العاصمة الاولى، ولم يقف الامر الى هذا الحد فقد كانت الزوايا تنتشر في المغرب وتقوم بالدعوة الى الاصلاح والجهاد على غط الدعوة التي اتخذها السعديون في اول امرهم ولكن كثرة الزعماء فرق كلمة الامة واصبح مركز القيادة فارغا واطلم الجو وانتشر اليأس والعدو يستشرى في السواحل ويستحوذ على البلاد وفي هذا الجو قبض الله لهذه الامة عائلة اخيرة عائلة شريفة النسب شريفة المباديء والمقاصد هي العائلة العلوية من بيت النبوة وقد تبوأ الزعامة عن جدارة لانها اتجهت الى الاصلاح والجهاد وذلك ما ينتظره الشعب لتستقيم الاحوال وتعود الامور الى طبيعتها.

قدم مولاي رشيد الى المغرب وقضى على اكبر قوة للزوايا المتمثلة في الزاوية الدلانية ثم اتجه الى العاصمة مراكش فدخلها وتم تاسيس الاسرة العلوية الشريفة سنة 1079 هـ هذه الاسرة التي خدمت المغرب ورفعت قدره بين الامم وانجبت من العظماء مولاي اسماعيل ومولاي محمد بن عبد الله ومولاي الحسن الاول ثم شهدت عصرا سقط فيه المغرب تحت الحماية الاجنبية في حديث طويل الى ان جاء الوقت للنهوض من الغفوة والرجوع الى الجادة وامتنح المغرب عرشا وشعبا ولكن العافية للصابرين وهكذا احرز المغرب على استقلاله بفضل جهاد العرش والشعب فحمى الله الاسرة العلوية المجاهدة وحمى الله بطل الاسلام الخالد مولانا محمد الخامس قدس الله روحه ونور صريحه وامن الله في حياة وارث سره جلالة الملك الحسن الثاني العظيم. وبمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لترجع جلالته على عرش اسلافه الكرام هذا العرش الخالد المكين نجدد لجلالته آيات الولاء ومراسيم البيعة سائلين الله تعالى ان يسدد خطاه وينصر اعلامه ويديم عليه نعمة العافية ويقر عينه بسمو ولي عهده الجليل مولاي محمد وبصنوه السعيد مولاي رشيد وسائر الاسرة الشريفة آمين.

محمد حدو امزيان.

العالم الاسلامي الدوام لله وحده لقد ذهبت دولة الموحدين القوية وبقي العرش المغربي يبحث في ابناء شعبه عن من يقوم بمهمة احياء المجد والحفاظ على الوطن والعرش، ولما بلغت الحالة السيئة درجة الخطورة حتى طمح الصليبيون في الانتقاض على بلاد الاندلس التي كانت قائمة على حماية الدولة المغربية لم يطل الانتظار فقد كانت عائلة رابعة في انتظار وعلى اهبة استعداد لاستلام الامر وحماية العرش المغربي من الاندثار، جاءت العائلة المرينية هذه المرة من الصحراء الشرقية ودخلت المغرب واحتلت العرش من سنة 668 الى سنة 876، عاش المغرب في ظل عرش المرينيين في سعة وتقدم وازدهار وانتعشت المعارف والحضارة ونبع رجال الفكر ولعل من ابرز التماذج ظهور ابن الخطيب وابن خلدون في هذا العصر وخدمتهما للعرش المغربي في عهد المرينيين غير ان الدولة كانت قد انهت في الشمال من جرا هزائم المسلمين في الاندلس وضعف الحكم اللامركزي هناك ورغم ذلك فقد كان المرينيون يشعرون بواجبهم نحو الاندلس والدفاع عنه فكانوا في تعبئة دائمة للدفاع عن الاندلس وكم من وقائع وهزائم اخفوها بالصليبيين حتى كسروا شوكتهم وخففوا بذلك الحمل على مسلمي الاندلس ولكن الى متى يبقى المغرب حاملا لهذا العبء وحده، هكذا تكاثرت الخطوب على المرينيين من الاندلس تارة ومن افريقيا تارة اخرى حتى بلغ الكتاب اجله وانحلت الدولة وبعبارة اصح انحلت العائلة المرينية وهي الرابعة وبقي الشعب في فوضى واتجه نحو الانحلال وفساد الاحوال بل ان الادهي من ذلك هو امتداد المطامع الصليبية الى المغرب بعدما صفى امر الاندلس فاحتل البرتغال شواطئه وبلغ المغاربة شفى الهاوية وتمكن اليأس من القلوب وفسدت الاخلاق واصبحت الحالة تتطلب الانتقاذ قبل حصول الكارثة.

في هذا الطرف العصب كانت عائلة السعديين تعيش في اقليم درعة وتلقت من الشعب كل الحاح في القيام بمهمة الدعوة الى انقاذ البلاد واصلاح الاحوال فقاموا بالامر خير قيام وتقبل الشعب دعوتهم للجهاد خصوصا وهم من اهل الصلاح والتقوى والنسب الشريف وهكذا قامت العائلة السعدية بمهمة مكافحة المستعمر البرتغالي ونجحت في تحرير بعض الشواطئ واثناء ذلك كانت العائلة تتبأ مكانة تؤهلها لترجع على العرش المغربي عن حب وثقة من الشعب. وهكذا دخل السعديون مراكش وتربعوا على العرش وحكموا المغرب 113 سنة، انجبا اعظم زعيم للاسلام هو بطل موقعة وادي المخازن احمد المنصور الذهبي الذي اتجه بالدولة المغربية نحو القارة السمراء فون فكون

صمود الملك والشعب

تمهيد :

يحيي الشعب المغربي قاطبة هذه الأيام، من وجدة الى لكوربة، الذكرى الرابعة والعشرين لتربع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وايداه، على عرش اسلافه الميامين. وانها لمناسبة سعيدة تسمح لي بالحديث عن بطولة من البطولات العديدة التي ميزت التاريخ المغربي، عبر عصوره، لان الارض الطاهرة التي انجبت ادريس الثاني ويوسف بن تاشفين ويعقوب المنصور الموحي و احمد المنصور الذهبي السعدي والحسن الاول ومحمد الخامس، انبت كذلك بذرة طيبة تألق نجمها في سماء السياسة والعلم والثقافة، قائدنا الخحك الملك الحسن الثاني نصره الله، الذي ورث الشهامة والشجاعة والتفاني في خدمة شعبه وبلادته عن ملوك علويين امجاد سجل لهم التاريخ استقامتهم الدائمة من اجل الدفاع عن المغرب ومقدساته والذود عن كرامته ومصالحه ومناصرة العرب والمسلمين.

مثال معركة وادي ايسلي

للدكتور مصطفى الشابي

إن معركة ايسلي لم تكن اول معركة خاضها المغرب ضد العدوان الاجنبي ولا آخر موقف من مواقف الشهامة والتعبئة الوطنية الشاملة ضد الشامتين والطامعين والمستفيزين، بل ان تاريخه الاسلامي لم يعرف فترة خالية من المعارك ولم يعرف معارك لم ترتبط بقضية شريفة، بل ان معاركه كلها كانت في اطوار المد الحضاري، من اجل نشر عقيدته الاسلامية، وكانت، في اطوار التقصص، من اجل الدفاع عن تلك العقيدة وحماية بيضتها.

فقد توارث المغاربة، جيلا عن جيل، خلال ثمانية قرون، قضية الجهاد ضد الصليبية في الغرب الاسلامي وخاضوا معارك وحققوا انتصارات خلدها التاريخ اكاليل على هامات ملوكهم العظام حتى ان هذه العظمة نفسها، قد ارتبطت في ضمير الشعب بقضية الجهاد المقدس وذودا عن الدين الخفيف وترسيخا لدعائمه.

ان النظرة الشمولية الى التاريخ، تجعلنا ندرك ما للموقع

في يوم 14 من شهر غشت سنة اربع واربعين وثمانمائة والـف، وقعت في ضاحية مدينة وجدة المناضلة معركة سميت فيما بعد بمعركة ايسلي، لان اطوارها جرت في ضحى يوم قانص، على مقربة من الوادي الذي يحمل هذا الاسم.

وقعت هذه المعركة الحربية بين المغاربة وبين الجيش الفرنسي الذي قضى في ذلك التاريخ اربع عشرة سنة وهو يغزو ارض الجزائر بلا هوادة ولا تعثر مستوليا على مدنها ومعاقليها، الشيء الذي حمل كثيرا من سكانها المتلقين حول بعض رؤساء الجهاد فيها، لا الى اللجوء الى ارض المغرب فحسب، بل الى طلب النجدة والعون من اخوانهم في المغرب منذ السنين الاولى من مواجهة العدو الكافر (1).

(1) الناصري (احمد بن خالد) : كتاب الاستقصا لاختار دول المغرب الاقصى الدار البيضاء، دار الكتاب 1956، (الدولة العلوية، القسم الثالث ص 26 وما بعدها)

بوجهوا اهتمامهم للحدود الشرقية التي كان يكونها عادة الخط الممتد من تلمسان الى الجنوب. فقد ظهرت لديهم مشاعر وطنية جعلتهم يحدرون من الوقوع تحت سيطرة خلفاء بني عثمان بالرغم من كونهم مسلمين. ولعل من اهم مقومات هذا الشعور الوطني عند المغاربة هو تشبثهم بالمذهب المالكي. اما الواقع الثاني الذي حدث في القرن السادس عشر وخلق حتميات جديدة للمغرب، فهو قيام الملكيات الأوروبية العظمى التي صنعت الدول المركزية الجديدة واستفادت من الثورة التجارية وموارد الكشوف الجغرافية لتأسيس جيوش نظامية وبناء اساطيل عظيمة على أهوال المحيط الاطلسي وصارت تقوم بكشوف على سواحل القارة الافريقية، بدءا بالمغرب وصحرانه وبمحاذاة شواطئ افريقيا الغربية الى خليج غينيا.

واذا اردنا ان تبين بعبارة أكثر وضوحا مغزى هذه الوقائع الجديدة بالنسبة للمغرب، فانا نستطيع ان نلخصها في جملة واحدة هي محاولة خنق المغرب من قبل قوات اجنبية. فيعد ان كانت مشاغل المغرب الخارجية تنحصر في الشمال ف بمعركة الجهاد في الاندلس وفي الشرق في محاولات تحقيق المغرب الكبير وبينما كان يعمل في الجنوب على نشر الثقافة العربية الاسلامية في افريقيا الغربية وربط علاقات التبادل المضم مع الدول التي نشأت في حوضي نهر النيجر ونهر السينغال، وجد نفسه محاطا بمخاطر تهدده، من جهة الشرق، متمثلة في التهديد التركي، وفي الشمال، متجسمة في مشاريع الرأسماليين التجار الذين تمازجت في محاولاتهم الاهداف الماركنتيلية والاهداف الدينية.

اما في الجنوب، فان العواقب لم تكن اقل خطورة مما هي عليه في الشرق والشمال، ذلك ان الأوروبيين كانوا يعرفون منذ اقدم العصور ان المغرب يربط علاقات جيدة مع ممالك السودان الغربي وكانت المبادلات التجارية بين صفتي الصحراء تم في ونام وكان الأوروبيين من تجار المدن الإيطالية والفرنسية يقصدون سبتة ومليلية والعرائش وازمور وغيرها من موانئ المغرب للتزود بمواد السودان الغربي، ولا سيما معدن الذهب، وكان لعاب التجار الأوروبيون وباطهم يسيل لهذا المعدن النفيس؛ وكان المغرب محسودا على هذه الوساطة التجارية من جهة، وعلى ذلك الاشعاع الثقافي من جهة اخرى. ولذلك حاول الامبراليون ان يتسربوا الى صحراء المغرب منذئذ، لكي يخنقوا مراكزه الشمالية بالحيولة دونها ودون المتاجرة مع بلاد غينيا وغانا والنيجر، واجتهدوا، وانطلاقا من موانئ انشأوها على شواطئ المحيط الاطلسي، جنوبي بوجدور، ان يحولوا الاتجاه الطبيعي الذي كانت

الجغرافي لبلادنا من اثر في بلورة هذا الدور الذي اهلته له الأرادة الالهية، ذلك انها تقع في مكان استراتيجي ممتاز في حوض البحر الابيض المتوسط، هذا البحر الذي كان مركز الصراع الحضاري طيلة القرون العشرين التي سبقت بزوغ العصور الحديثة في اوربا. وفي ظرفية هذه الالهية، نشطت، منذ القرون الاسلامية الأولى، الطرق الربية المحيطة بهذا الحوض، فكانت الشرايين الحاملة للتجارة والثقافة، وعلى امتدادها، ازدهرت ولمعت مراكز عمرانية وتأسست اخرى، مثل سجلماسة وسبتة وووجدة.

ان التاريخ يذكر لنا ان عوامل معقدة ومتعددة جعلت كفة الضفة الشمالية لحوض البحر الابيض المتوسط ترجح في ميدان الحصار المادية، منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وقد تجلى هذا الرجحان بكيفية صارخة بالنسبة للمغرب، في تعرض شواطئه للغزو منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي، فقد عمل الأوروبيون الاسبان والبرتغال على ترسيخ وجودهم في مدينة سبتة التي كانت مركز الجهاد والثقافة والحصار المغربية الاسلامية واهم الثغور المواجهة للضفة الشمالية. ثم تابعوا مهاجمة بقية المدن سواء على الضفة المتوسط او الضفة المحيط الاطلسي، وقد نجح الأوروبيون فعلا في احتلال عدد من الثغور المغربية، محاولة منهم للتسرب الى الداخل وجعل المغرب المرحلة الاساسية والمنطلق الضروري في مشاريعهم الاستعمارية من جهة والصلبية من جهة اخرى (2).

ولقد كان ترشيح الشرفاء السعديين للحكم تعبيرا من قبل الشعب المغربي على نبد الحمول الذي مكن الغزاة من التسرب الى ثغوره، وكان هؤلاء الشرفاء في مستوى ذلك التأهيل حيث خاضوا معركة حاسمة في وقف وكسر الزحف الايبيري عند وادي اخناز سنة ثمان وسبعين وخمسمائة والف (3).

وقد تزامن، في القرن السادس عشر الميلادي، واقعان دوليان هامان فرصا على المغرب ظروفا جديدة. اما الواقع الأول فهو ظهور الامبراطورية العثمانية كقوة بحرية في البحر المتوسط ومضايقتها للاساطيل الأوروبية في هذا البحر واحتلال العثمانيين لمعظم دول الشرق الاسلامي وللمغربيين الادنى والوسط اي تونس والجزائر. فكان على المغاربة، بحكم هذا الواقع الجديد، ان

(2) 1ش أ. جوليان : المغرب في مواجهة الاستعمار - باريز، طبعة جون الهريك، 1978، ص 18 وما بعدها
(3) ج . ب . مارتان : اربعة قرون من تاريخ المغرب باريس، 1923، ص 21، وما بعدها

تأخذه تلك التجارة نحو الشمال ويقطعوا شرايين الثقافة الإسلامية عبر الصحراء ويقزموا مسيرة المغرب العملاقة ويضيقوا من فرص مبادراته ومن امكانيات الاستمرار في اداء رسالته وتسمية حضارته.

لا نبالغ في شيء اذا ما قلنا بان تاريخ المغرب، خلال القرون الاربعة الاخيرة، هو حلقات جهاد لرفع هذا التحدي الذي خلقة الوجود الأوربي على المحيط الاطلسي والوجود التركي ثم الفرنسي في الجزائر، ومن هنا كانت اهمية وقعة وادي المخازن التي غننا بها.

لكن الشرفاء السعديين لم يستكملوا تحرير كل النفور ولم يستعدوا كل النشاط لمخاور العلاقات مع افريقيا العربية جنوبي الصحراء.

وكان على العلويين ان يرثوا تلك الوضعية الخطيرة. فاذا كانت الدولة السابقة قد حكمت المغرب في عصور الامتداد، فان الدولة العلوية الشريفة قد ورثت مغرب التحديات، تحدي الحصار والخنق والتفريم والاستفزاز. وقد كان ملوكها العظام في مستوى هذا التحدي، فعلى السواحل الشمالية، ضيقوا على الوجود الايبيري في كل مكان من سبتة ومليلية بالرغم من كل المحاولات المتكررة للتوسع، انطلاقا من هذين الثغرين المختلفين ونظموا الجهاد طيلة قرون.

وعلى شواطئ المحيط، حرروا طنجة والعرائش والمهدية والبرجة ودافعوا الهجومات ضد اصيلا وسلا وأنفا وأسفي وبنوا مدينة الصويرة استجابة لضرورة انعاش العلاقات المغربية الافريقية بانفاذ ما امكن انقاذه من نشاط الطرق التجارية الصحراوية (4).

إن القوة المادية الأوروبية ما فتحت تزداد وتبرز في مختلف الميادين الاقتصادية والتقنية والتنظيمية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر؛ وقد حلت امبراطوريات جديدة هي الامبراطورية البريطانية والهولندية والفرنسية محل الامبراطوريتين الاسبانية والبرتغالية، وضعفت قوة الامبراطورية العثمانية وعجز ولائها ولا سيما في تونس والجزائر عن تحقيق اي كيان راسخ للدولة في ولاياتهم كما عجزوا عن تكوين الجهاز الحكومي والاداري اللازم لتعبئة تلك البلاد ضد اي خطر اجنبي.

استفحلت قوة أوروبا في اوائل القرن التاسع عشر وظهر ذلك الاستفحال على الخصوص فيما بدأت تحقيقه من ثورة

(4) ش. أ. جوليان : تاريخ افريقيا المشالية. باريس، مطبعة بايو، 1980، الجزء الثاني، 223، وما بعدها

صناعية وبروز طبقة نشيطة من رجال التجارة والصناعة، وجهوا اهتمام دولهم الى البحث عن مواد لصناعتهم في بلدان احبية والبحث عن مواد غذائية لسكانها المتكاثرين في البلدان الفلاحية في مختلف انحاء العالم. في وقت بدأت تتحسن فيه وسائل المواصلات البحرية والبرية؛ وكان هم هذه الطبقة الرجوازية هو التوصل الى الربح بكل الوسائل وقد حققت فعلا ارباحا طائلة بعزو مناطق عديدة من العالم، بعيدة عن أوروبا، مختلفة عنها ثقافيا وحضاريا، وكانت الطبقة الرجوازية الرائدة في هذا الغزو هي الرجوازية البريطانية؛ وكانت الدولة البريطانية وقوتها الحربية في خدمة مشاريع الطبقة المذكورة، وهي ظاهرة جديدة في العالم. وبدأت نجاحات التجار البريطانيين وصناعهم تثير غيرة بقية رجال الاعمال في بلدان أوروبا، يريدون ان يغزوا البلدان الكثيرة مثلهم ويحتكروا الاسواق ويستفيدوا مثل استفادتهم من الفرق في مستوى العيش والاسعار والتضخم المالي بين أوروبا المتصعة، وبين بقية العالم الذي لم يحقق لا ثورة زراعية ولا تجارية ولا صناعية. وقد دشنت هذه الطبقة نوعا جديدا من التعامل الدولي مبني على المصلحة المادية يسخر الكيد الدبلوماسي وتستعمل فيه لغة المدفع والبندقية عند الاقتضاء.

ولعل الغزو الخاطف الذي قام به نابليون بوناپارت لارض الكنانة، في نهاية القرن الثامن عشر، قد كون سابقة جريئة ناحجة من الناحية الحربية، شجعت الفرنسيين على التفكير، بعد ثلاثين سنة من معامرة الامبراطور، في التسلل لبعض البلدان الاسلامية، في الضفة الجنوبية لحوض البحر المتوسط. وكانت فرنسا عندما انطلقت في هذه المعامرة سنة 1830، تعاني من مشاكل داخلية، تمثل في العواقب الاجتماعية لتصفية الثورة، وفي كثرة السكان وتكاثر العاطلين من المجندين السابقين، وفي الاحتياج الى مزيد من القمح والغذاء، وفي عقدة الحجل عند بورجوازيته المعجبة بالبورجوازية الانجليزية، وعند عسكريها الذين طردوهم الانجليز من مستعمرات عديدة هم في العالم. وكانت، الى جانب ذلك، قد تقدمت في ميدانين بارزين هما ميدان التنظيم الاداري وميدان التنظيم الحربي وتطوير المدفعية، وكيف لا. وقد استطاعت قبل عشرين سنة ان تغزو القارة الأوروبية باكملها على وجه التقريب (5).

في هذه الظروف الدولية ولهذا الاسباب المعقدة، قام

(5) محمد المنوي : مظاهر بقطة المغرب الحديث، الرباط مطبعة الامنية، 1973، الجزء الاول، ص 2 وما بعدها

وقائع تشبها وثائق الخزن ومراسلات سكان الجزائر وزعمائهم مع ملك الدولة المغربي، وهي وثائق ومراسلات صارت اليوم محل دراسات ومواضيع اطروحات جامعية، يشهد تحليلها وترتيب ملاساتها، وضبط سياقها، على مواقف سياسية واخلاقية تشرف بلادنا ومواطنين وقياداتنا، لما بذلوه من تضحيات جسام واظهروا من بطولات هي من شئنتهم المعتادة وخصالهم الحميدة، لقد كان الامر عاديا، في منظور الواجب الديني، كان عاديا ان يرتاع المغاربة لما نزل باخوانهم، وكان عاديا ان يستجد سكان غرب الجزائر وتلمسان بملك المغرب وان يطلبوا عنه العون والاعانة، بعد ان اتهار الكيان الحاكم في الجزائر في يوم واحد، كل هذا من اخلاقنا وفضيلتنا والذي ليس منها هو التنكر للاخوة وقطع الارحام وتزييف التاريخ وتبني الخطط الاستعمارية في استنزاف قواتنا وتشيتت جمعنا.

لقد عرف المغرب اطوارا حرجة في تاريخه، اتجهت فيها الانظار الى منطقة من المناطق في جنوبه او شماله او غربه او شرقه، ولقد اتجهت انظار المغاربة في فترة ما بين 1830 و 1844 الى مدينة وجدة وجهات بني يزناسن وفكيك، فعلى هذه المناطق يتوقف القيام بالواجب الديني، في انجاد الاخوان والواجب الوطني؛ فقد شارك في الغلات الخنزيرة لمدافعة الغزو واحتضنت القواعد الخلفية في صفوفهم وآوت اللاجئين منهم عندما بلغ الصراع اشده بينهم وبين الغزاة الفرنسيين، ولقد ادى المغاربة عموما وابناء المناطق الشرقية على الخصوص، ثمن هذه المؤازرة وهذه المواقف الاخلاقية الشريفة، وكانت اهم حلقات هذه التضحية في معركة وادي ايسلي (7).

فقد وجه الفرنسيون معظم قوات الاحتلال الى غرب الجزائر، لكي تضرب المغاربة وتستنزفهم بغية ارغامهم على التنكر لآخواتهم وعدم امدادهم بأي عون مادي او معنوي. ومن اجل التوصل الى هذه الغاية، قاموا عدة مرات بضرب مدينة وجدة والتوغل في جهات بني يزناسن، ولما لم يرضخ المغاربة لمطالبهم، استدعوا معركة كبرى. وكانت الدولة المغربية على علم بكامل مخططاتهم وقدرت خطورة الاهداف المتوخاة منها، لذلك بعث السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام بنوابة من الجيش الخنزيري لكي تلتف حولها قبائل المغرب الشرقي على عادة الخزن في استنفار القبائل للحرب.

الفرنسيون، سنة 1830، بمغامرة غزو القطر الجزائري الشقيق، بعد ان اختلفوا نزاعا تافها بينهم وبين الوالي التركي على الجزائر، وقد شرعوا في احتلال عسكري صارخ للعاصمة؛ ولم يكن هناك جهاز دولة قائمة تنف في طريقهم. ولكن كان هناك شعب مسلم اصيل، انشقت منه قيادات جهادية، من أبرزها قيادة الامير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري، ولم يكن حادث غزو الجزائر من طرف الفرنسيين حادثا يهم سكان القطر الجزائري وحدهم، بل كان كارثة اهتز لها العالم الاسلامي وتكد لها على الخصوص لأشقاء في الدين واللغة والتاريخ في المغرب الاقصى تونس، لأن المشاعر والعواطف والمعاملات واواصر الدم والقرنى لم تكن لها حدود بين هذه البلدان، ولا الحكام، مهما تعاقبت ادوار التاريخ وملاساته، لم يكونوا قد تعلموا بعد، من دهاقنة الاستراتيجية العسكرية الأوروبية، ومن صناع الدول الوطنية، كيف يحولون خطوطا وهمية، الى جدران تبنى على انقاض القيم، وتفصل بين الشعوب، وتدوس العواطف، وتقطع الارحام ولا تستجيب الا لنوازع التسلط والاستبداد والشوفينية، ولا تحدم الا اهداف العدو الاستعماري المشترك، ولكي تقرب تصور هذه الكارثة ومدى ارتياح المغاربة لها، يكفي ان نذكر عنصرا واحدا لم يكن له شأن قليل ويمثل في عواقب وجود الاجنبي الكافر بارض الجزائر على طريق حج بيت الله الحرام، اصف الى ذلك واجب الاستجابة لنداء الجهاد ونصرة الاخوة في الملة (6).

وذلك ما تحرك له المغرب ملكا وشعبا في حماس كاسح وكان على عرش المغرب، اذذاك ملك عظيم هو السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، الذي عهد اليه عمه الملك الصالح المولى سليمان، يتحمل امر حكم البلاد، نظرا لما لمس فيه رحمه الله من الصفات القيادية والخلقية؛ وكان المغرب عند اعتلائه العرش سنة 1822، يعاني من ازيمات زراعية متوالية ناجمة عن الجفاف، ولما بدأ شبح الازمة يتوارى وبدأ المولى عبد الرحمن يخطط لتشيط التجارة الخارجية واعادة تنظيم جهاز الخزن، ورأب صدع القبائل المتضررة من الجفاف، في هذا الطرف الدقيق، وقعت الفاجعة الكبرى ببداية احتلال ارض الجزائر.

وبعد اربع عشرة سنة من هذا التاريخ، وجد المغرب نفسه في مواجهة مباشرة مع الغزاة في معركة وادي ايسلي، على ارض بعيدة عن منطقة الوالي التركي بالجزائر، وخلال هذه الربع عشرة سنة، وقعت وقائع كثيفة على طول الجبهة الشرقية للمغرب، وهي

(7) عبد الرحمن بن زيدان - اتحاف اعلام الناس بحمال اخبار حاضرة مكاس، الرباط المطبعة الوطنية، 1933، ص 50 وما بعدها.

(6) نفس المصدر، ص 8 وما بعدها

الهدف، بل على العكس من ذلك، كانت هذه المعركة بمثابة
مصل مضاد استنفرت طاقات الجسم ليقاوم المرض الداهم سبعين
سنة اخرى.

اذا اردنا ان نتغاضى عن الجزئيات التي يتعرض لها اصحاب
الحوليات من المؤرخين ونذكر باجمال الابعاد العميقة لمعركة ايسلي
والجوانب الهامة التي تعطي لحياتها معنى وطنيا ساميا، فلابد ان
نذكر ما يلي:

(1) لم تكن معركة ايسلي ولا عشرات المعارك التي تلتها
للقضاء على كيان الدولة المغربية، بل ان هذا الكيان لم يقض
عليه حتى في سنة 1912، لان الاستعمار الفرنسي اضطر الى
صيغة الحماية بعد ان عجز عن احتلال المغرب، كما اضطر الى
احترام مؤسسات ومراعاة قيمه واعرافه، الامر الذي ضمن
الاستمرار في تلك المؤسسات والقيم وجعل مسيرة المغرب
مسيرة متميزة.

(2) استفادت الدولة المغربية من تجربة ايسلي، فادخلت
عددا من الاصلاحات على جهازها وعلى شؤون البلاد في
الميادين العسكرية والادارية والمالية والتعليمية.

(3) بالرغم من ان معركة ايسلي وبعدها معركة تطوان قد
خلقت مشاكل للدولة المغربية وأدت الى معاهدات قيدت الى
حد ما حرية تصرفها وكانت بداية مسلسل للتضخم المالي
وارتفاع الاسعار، فان الملوك العلويين الذين تعاقبوا على الحكم،
منذ هذا التاريخ، قد عملوا على استغلال الظروف الدولية
واعتمدوا على التعبئة الداخلية لتأخير الوجود الاستعماري
سبعين سنة اخرى وهي ظاهرة نادرة في تاريخ البلدان التي
تعرضت للغزو الاوروبي.

(4) ان سكان مدينة وجدة وقبائل بني يزناسن قد لعبوا دورا
حاسما في عمل الدولة المغربية لاقبال مخطط الغزو، انطلاقا من
الجزائر.

فالجيش الفرنسي التي ارغمت وفرضت معاهدة الحماية
على المغرب، جاءت من المغرب، عن طريق البحر، ونزلت بالدار
البيضاء ولقيت مقاومة عظيمة من سكانه ومن قبائل الشاوية،
اما سكان النخوم الشرقية، فقد ظلوا يشكلون الدرع الواقي في
المغرب ضد كل تدخل او غزو او استفزاز.

وجدة في : 21 يناير 1985

مصطفى الشابي عميد كلية الآداب:

وجدة

ومن تقدير خطورة الموقف، ان السلطان جعل على رأس هذا
الجيش لتسيير عملياته وتديبر استراتيجياته، ولده البار سيدي
محمد بن عبد الرحمن الذي كان ولي عهده وتولى الملك من
بعده. واذا كانت كتب التاريخ تجمع على ان المغاربة لم يظفروا
في معركة وادي ايسلي بنصر بين على ما تحققت لهم في وادي
المخازن، قبل ذلك التاريخ بقرنين ونصف قرن، فان علة ذلك لم
تكن في تقصيرهم ولا في سوء استعدادهم او قلة حماسهم، بل
ان السبب هو في اختلاف ظروف المعركتين واختلال ميزان القوة
المادية في جميع جوانبها ولا سيما الجانب التنظيمي والتكنولوجي
والحربي، لا بين فرنسا والمغرب فحسب، بل بين مجموع دول
اوربا الغربية من جهة، وبقية بلدان العالم من جهة اخرى.
فعندما واجه المغاربة هجوم البرتغاليين في معركة وادي المخازن،
كانت اوربا قد بدأت تحقق هذا التفوق في ميدان القوة المادية
ومنها قوة السلاح والتنظيم العسكري، ولكن التفاوت كان في
حدود امكن للمغاربة تعويضه بقوة حماسهم وایمانهم بالمقدسات
التي كانوا يدافعون عنها. اما في منتصف القرن التاسع عشر، فان
الأوروبيين كانوا مسلحين بتأثر ثلاث قرون من التقدم في ميدان
العلم والصناعة والنظام، فلا عجب ان يضغطوا على المغاربة في
وادي ايسلي كما ضغطوا على المصريين في معركة رشيد او عديد
من المعارك التي كانت بداية اقتحام بلدان مطمئنة واثقة بنفسها
مستسلمة لتقاليدها وقيمتها.

من المحقق اننا نستطيع ان نجد في تاريخ كل بلد من البلدان
التي غزاها الأوروبيين معركة مماثلة لمعركة وادي ايسلي، يمكن ان
نسبها معركة المواجهة العسكرية الاولى مع اوربا في القرن
التاسع عشر، ويسميا البعض «بالمعركة الكابوس» لانه تشبه
الكابوس الذي يستيقظ عليه النائم. والواقع ان الدولة المغربية لم
تفاجأ بتلك المعركة، لانه خبرت طيلة عشر سنوات على الاقل
تمحركات العدو وعلى حدود البلاد، ولكنها في نفس الوقت لم
تكن تستطيع ان تتجنب وقوعها لأميرين اثنين : اولهما ان
الشرط الاساسي لذلك، في نظر الغزاة هو التخلي عن موازرة
الاخوان بكيفية نهائية؛ ثانيهما ان طغمة من العسكريين
الفرنسيين كانوا مدفوعين برجال الاعمال لكي يقوموا بمغامرة
ضد المغرب، انطلاقا من غرب الجزائر، حتى يضطروا الدولة
المغربية للتفاوض في الموضوع الاساسي، الا وهو فتح مراسي
المغرب على المحيط الاطلسي للتجارة مع اوربا، بل ان الفرنسيين
قصدوا الى غزو المغرب انطلاقا من الجزائر، لكن تحقيق نصر
عسكري عابر، في معركة وادي ايسلي، لم يؤد بهم الى تحقيق هذا

جَلالَتِ الْحَسَنِ الشَّكائِي

للدكتور أدريس العلوي العبدلأوي
عميد كلية الحقوق بمراكش



ومواقف خالدة أعظم من أن تستوعبها الصفحات والسجلات. انها ترمز الى عزة المغرب وأصالته. ووحدته وسيادته التي حافظ عليها عبر القرون والاحيال مصانة مهابة. ترمز الى تضالته المستمت من أجل اعلاء كلمته وحماية مكاسبه. ترمز الى الالتحام الدائم المستمر، والحب الخالص الصادق بين قائد محنتك حكيم صاحب العرش المكين جلاله الحسن الثاني العظيم، وشعب وفي أمين شعب المغرب الطيب العنصر الكريم. هذا الالتحام الصادق والترابط الوثيق بين العرش والشعب الذي يتجلى دائما وأبدا في مختلف المناسبات، وفي شتى مواقف الشرف والبطولات.

وان الدارس لتاريخ بلدنا العظيم في مصادره الاصلية ليجده زاخرا بما تركه الآباء والاجداد من تراث ثقافي، وكثير علمي في مختلف فنون المعرفة والعلوم. شهدت بما كان لهم من باع طويل في هذا الميدان. وعلى مدى سعة اطلاعهم، وتضلعهم، وجهودهم الجبارة، التي بذلوها لبناء هذه الحضارة، وحرصهم على الحفاظ عليها ولعل الدور الذي قامت به جامعة القرويين التي تعد من أقدم الجامعات في العالم، في انجاب خيرة هؤلاء

الملك
العالم
والحاكم
العادل

ما أكثر المناسبات المباركة السعيدة التي تزخر بها بلادنا العزيزة، والتي انعم الله بها علينا في ظل الدولة العلوية الشريفة، الوارفة الظلال، المزهرة بتار العطاءات الخيرة، الكريمة الحاصل. لكن أحلى هذه المناسبات وأسعدها وأجلها وأبهاها، وأخلد ذكرى وأغلاها، وأعزها على النفس، وأحبها للقلب، تبقى وحبها مناسبة عيد العرش المجيد، لانه الرباط المقدس بين الحب والقلب والملك والشعب، رباط راسخ مكين، وعهد وثيق متين، لا ينفصم عراه مدى التاريخ وعلى مر الحقب والعصور. وإذا كانت الذكريات والاعياد الوطنية ترمز الى الملاحم والبطولات وتحقق أسمى الغايات، فإن ذكرى عيد العرش المجيد توحى بالكثير لما لها من معان سامية، ولما تنفرد به من أمجاد

العلماء وصفوتهم، وفي ازدهار الحركة العلمية التي تناولت جميع جوانب المعرفة وفي الحفاظ على هذا التراث الإسلامي العربي الاصيل خير دليل وأوثق شاهد على ما نقول.

وأن تاريخنا المجيد، ليسجل بمداد الفخر والاعتزاز، وبتحية الاكبار والاحلال، الدور الابجائي العظيم الذي قام به ملوكنا الابطال في حماية هذه الحضارة الاصيلة لتبقى مشرقة زاهرة حتى في احلك الظروف، وهكذا نرى انه بالرغم من المضايقات التي تعرضت لها بلادنا بمفكرها وعلمائها ايام الاحتلال الاجنبي، وبالرغم من محاولاته العديدة لطمس معالم هذه الحضارة ومحو شخصيتها فان هذه المحاولات باءت بالفشل، بفضل محرر الامة، وباني اسس نهضتها المغربية جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله وطيب ثراه.

وهكذا، وعملا منه قدس الله روحه على تحقيق رغبات المغرب المستقل، وما تتطلبه الحركة العلمية والثقافية والتعليمية من تطور وتجديد، وتوسيع في الافاق تمثيا مع روح العصر، فقد قام طيب الله ثراه بتأسيس جامعة اخرى حديثة بجانب اختها القديمة جامعة القرويين، هي جامعة محمد الخامس التي عملت منذ نشأتها حتى الان على تأدية رسالتها في تخرج العديد من افواج العلماء والاساتذة الباحثين والمتخصصين.

واستمرارا لهذه المسيرة التاريخية الظاهرة، يحتل عصرنا الذهبي اعلى درجات الرقي، واسمى مراتب الكمال، في التقدم الحضاري والازدهار العلمي والفكري على يد حامل مشعل هذا التقدم جلالة الملك الحسن الثاني العظيم وارث سر والده المعظم، اخافظ الامين، على هذا البلد العزيز الحبيب، فمنذ تقلده حفظه الله هذه الامانة العظمى والمسؤولية الكبرى، وهو يسعى جاد مخلصا ليكمل الرسالة وبلغ الأمانة. وهكذا نرى في عهده الزاهر الباسم قد تحققت اعظم المنجزات في مختلف المجالات من كل ما تتطلبه بلاد راقية ناهضة ففي المجال الثقافي والعلمي على الخصوص، نجد تأسيس العديد من المعاهد ودور العلم، واتشاء الكثير من الجامعات والكليات.

والمملكة المغربية، لا تقل عزمًا و ارادة في التثبيت بعقيدة الاسلام والاحذ بحزم في تطبيق مبادئه السامية، يشهد بذلك تاريخها المجيد ومعالم حضارتها قديما وحديثا، وان المدارس المتعمق للتاريخ المغربي ليجد انه بفضل ما آتاه الله من قيادة حكيمة رشيدة، في سنى ميادين الحضارة والعمران، وما جباه به من نعمة العلم والعلماء الاذاذ المرزين، استطاع ان يحافظ على ثقافة وطنية اصيلة، راسخة الجذور والمقومات، وامكنه بحكم

عالمه من حصانة ذاتية مستمدة من هذه الاصلالة ان يجابه سنى التحديات الفكرية الاجنبية التي واجهته على مر العصور. وان يؤكد ذاتيته في معترك الثقافات والحضارات المختلفة وان يبرز شخصيته على هذا الصعيد، ناصعة الملاحم، غنية بدلالاتها، وما تتم عنه من امعاءات خلافة مبدعة، وهكذا واستمرارا لتأكيد قيمة الشخصية المغربية وتعميق اصالتها. يقف التاريخ المغربي وقفة اكبار واحلال امام عظمة الدولة العلوية الشريفة، التي يحمل اليوم مشعلها الساطع ويمجسم مجدها الرائع، ويحقق املها الواسع، جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله واطال عمره، سليل دوحها العالية، وان من جميل مآثرات هذه الدولة العظيمة، وكرم مفاخرها، ما ذاب عليه حفظه الله ودأب عليه اجداه، من بذل محمود بالثقافة والعلم، وما سار عليه من نهج رشيد في اذكاء شعلة الفكر، واغناء رصيده، وما اولاه حفظه الله من موصول الحذب والرعاية لاهل العلم واعلام المعرفة، شحذا لهممهم على الاسهام في اغناء الثقافة بالجيد المفيد من الاعمال واستدعاء لمواهبهم وقرائحهم كي لا تني عن موصول العطاء في هذا المضمار.

واستمرارا لمسيرة المغرب التاريخية الظاهرة، يحتل عصرنا الذهبي اعلى درجات الرقي واسمى مراتب الكمال في التقدم الحضاري والازدهار العلمي والفكري على يد حامل مشعل هذا التقدم جلالة الملك الحسن الثاني العظيم وارث سر والده المعظم. ومن المعلوم ان جلالته كان وزيرا لوالده الكريم، وشريكا له في جهاده، ولا اريد بالوزير هنا، الاصطلاح السياسي، وانما اريد به المعنى الذي جاء في كتاب الله حكاية عن موسى عليه السلام في قوله في دعائه «واجعل لي وزيرا من أهلي هارون اخي، اشدد به ازري، واشركه في امري، كي نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا، انك كنت بنا بصيرا. قال قد اوتيت سؤللك يا موسى». فقد نشأ جلالة الحسن الثاني نشأة طيبة مباركة، وكان قرة عين لوالده، وكان محل عنايته فاحسن تربيته وتنشئته، وكان يؤهله لحمل اعباء الخلافة بعده، ويتوسم فيه ان يكون خير خلف. ودعاؤه له، وشاؤه عليه في الغيب والشهادة من الانحبار المتواترة التي يستوى في العلم بها الخاصة والعامة، وقد استجاب الله دعائه، وبلغه مناه فادرك جلالة الحسن الثاني من العلوم والاعمال الجليلة، وحسن السياسة والتلطف في حل المشاكل، وصدق العزم، وقوة الارادة، وهو لا يزال في طور الشباب اطلال الله بقاءه وادام عزه وارتقاءه، ما بهر العقول وقرت به عيون الاصدقاء، وشرق به الاعضاء.

اما محبته للعلم والادب فحدث عن البحر ولا حرج، وحسبك انه لا يوجد في العصر الحاضر بين ملوك العرب ورؤسائهم من يدانيه في الفصاحة والبلاغة، فله من الخطب الرنانة ما يشنف الاسماع، ويبلغ الغاية في الابداع.

وعنايته بالدروس والجالس العلمية معروفة في المشارق والمغرب لا يطمع احد من الملوك والرؤساء ان يجاريه في ذلك. والملك الحسن الثاني بتواضعه الجميل تواضع محمد بن نوي خالص وصفاء سريرة هاشمية طيبة، وذكائه اللمعي، واستعداده الفكري ومعرفته الواسعة، يتبوأ مقام العالم المتمكن، والفكر الامين الرصين الذي يربأ ولا يعبأ بسقاسف المعاني ويعدل ولا ينزل عن علياء المعالي، وكفى شاهدا على ذلك دروسه الدينية القيمة المحكمة التي كان لها الصدى الكبير في جميع اغافل والابهاء سواء في الداخل او الخارج والتي جمع فيها حفظه الله بين سمو العلم وجلال العلماء ونزاهة المصلحين الذين اوتوا الحكمة وفصل الخطاب.

وعندما يتناول جلالته بالتفسير الايات القرآنية والاحاديث النبوية والاستشهاد باقوال العلماء واساطين المفسرين فانه حفظه الله يبلغ بذلك الشأو البعيد تعينه على ذلك قرحة سمحة، وحافظة قوية وبصيرة نيرة وذوق سليم وخصوبة الفكر وعذوبة المنطق وحب التجديد والابتكار.

ان المستمع الى الاحاديث الدينية الجامعة لجلالة الملك وخطبه يوقن ان الله قد اكرمنا بالاستماع الى ملك عالم والتلمذة على عالم ملك وتنصور ان ابن رسول الله يشرح حديث رسول الله (ص)، ولا يملك الا أن نقول : «والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» فنكتسب همه ونزداد يقينا بشرف الدعوة الى الله عز وجل والتبليغ عن رسول الله (ص)، ونلمس بايدينا مواطن عزنا واسباب مجدنا، ونصغي الى تشخيص الداء ووصف الدواء من عالم ماهر، ونسترشد في فن الدعوة الى الله الى ما ينبغي ان يكون عليه الداعي، والاسلوب السهل الممتنع، والسجية الطاهرة والقلب النقي يملئ على اللسان الفصيح، والعقل الذكي ينظم القضايا بمقدماتها الصحيحة ونتائجها الصادقة.

ياخذ المعاني من نص الالفاظ، ويفيض في شرح المادة اللغوية ويدع في النطق الصحيح السليم حتى لا تفوته شاذة ولا فاذة مما قد يخفى على كثيرين من اهل الفن فاذا جاء بمعنى جديد نسيه الى نفسه حفظه الله بتواضع جم وادب رفيع، يسأل نفسه ثم يجيب كأنه يطلع على ما يخاطر ببال السامعين من

شبهات فيلاحق الشبهة بالحجاب السديد ثم يخطو الى الناحية الاجابية.

(لا نريد ان ننهي عملنا على محاربة البدعة، اريد ان ننهي عملنا على توطيد السنة بقول جلالة الملك ويزيد قائلا مخاطبا العلماء اناشدكم الله دائما ان تحاربوا السلي بالاجابي، لان السلي ياتي وقت ينضب فيه الانبوب، اما الاجابي فان منبهه دائما معطاء ودائما موجود).

الا فليهدأ بال الحياي — فان الله قد اكرمنا بقائد ملهم ماهر ولتقر عين رسول الله (ص) في برزخه الشريف فان من احفاده ملكا عالما وحاكما عادلا ووراءه شعب يستجيب ويطيع يستمعون القول فيتبعونه احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب.

لقد عرفت بلادنا الكثير من اللقاءات والمؤتمرات التي احتضنتها بشوق وحرارة، ارض هذا البلد المسلم السني الطاهر الامين، وعانقت بلادنا بلهفة لقاء الاخوة القادة الاشقاء بين احضانها، وباركت اعمالهم وجهودهم. هذه الارض التي يحفظ لها التاريخ في سجله المجيد الخالد في اعماق ما يحفظ روح الاخوة الاسلامية المناصلة، والكفاح المجيد والانتصارات في ساحة الجهاد والعمل والبناء، والدور الفعال في نشر الاسلام

ان القضايا التي التفت حول دراستها قادة العرب والسلمين وزعمائهم كعقد ثمين كان صاحب الجلالة تلك الجوهرية العالية الالامعة التي تتوسطه، اذ بفضل حسن تصرفاته في تدليل العقبات، وتقريب وجهات النظر، وبفضل حنكته وحيويته ولباقته التي عرفها الجميع في شخص جلالته في العديد من اللقاءات التي يديرها، والتي طالما تولى رئاستها وبفضل جهوده العظيمة ومساعدته الحميدة للحفاظ على الصنف العربي والاسلامي متراسا موحدا، والعمل على تسهيل المهمات امام اي حل لمشاكل المسلمين ونصرة قضايهم العادلة حيال ما يكتنف حقوقهم الاسلامية من انتهاكات وخروق واستفزازات، وما يتكالب عليهم من اطماع ومؤامرات تحقيقا للمبدأ الاسلامي الخالد الا وهو السلم والسلام والاخوة والتعاطف والكرامة الانسانية.

انه بفضل هذه الحصال الحميدة العالية التي مكنت جلالته من تحمل الامانة بشجاعة واقتدار، وبفضل ما حياه الله به من مزايا خلقية اسلامية يتحل بها روحيا وعمليا، جعلته يحتل في قلوب الجميع تلك المكانة السامية من احنة والاعجاب والتقدير، واستطاعت كلمته القيمة ان تنفذ الى القلوب،

فتتمكن منها لتتقاد اليه راضية مرضية، آمنة مطمئنة، مطيبة
ملبية، وما تجديد الملوك والرؤساء بالاجماع رئاسة جلالته على
رأس لجنة القدس، وانتخابه حفظه الله رئيساً لمؤتمر القمة العربي
ورئيساً لمؤتمر القمة الاسلامي الا اعترافاً بما حققه جلالته من
مكاسب لصالح القدس الشريف وكذا لصالح الحقوق المشروعة
للشعب الفلسطيني البطل بل ولصالح شعوب الامة العربية
والاسلامية جمعاء.

وها هو ميثاق مؤتمر القمة الاسلامي الرابع المنعقد
بالدار البيضاء الذي اكد اليوم كما اكد بالأمس المؤتمر الاول
المنعقد بالرباط دوره الايجابي الفعال وطلع علينا بنتائج ايجابية
موفقة، ومن بينها ميثاق المصالحة والوفاق الذي سيكون اللبنة
الصلبة لاحلال السلام في كافة الاجواء الاسلامية، ان هذه
النتائج الايجابية الموفقة وتلك القرارات الحاسمة التي خرج بها
رغم الظروف الدقيقة والخطيرة التي تمر بها الامة الاسلامية ورغم
التحديات التي تهدد مستقبلها وتسعى جاهدة لبت الخلافات
بين ابناءها وتقريب صفوفهم ووحدتهم.

ان هذا النجاح الموفق المحقق ما هو في الحقيقة الا بفضل
الجهود المبذولة المتواصلة لعاهلنا الكريم، وبفضل مساعيه الدعاية
الى الوفاق والوئام، وتثبيت دعائم السلام، وهذا ما تدل عليه
اعماله العظيمة وخطاه السديدة وخصاله الحميدة وما يشهد به
له القريب والبعيد.

فبمناسبة طلعة هذا اليوم البهي الاغر، الذي اشرق علينا
سلاماً واماناً وغمر قلوبنا فرحاً واطمئناناً.

هذا اليوم الذي يتبه على الايام بهجة وجمالاً، ويفوقها تعظيماً
واجلالاً، انه يوم اغر وعيد اطهر. ذكراه من اجل الذكريات
الوطنية واعز المناسبات القومية، تحمل في ثناياها روائع المعاني
ونواذر الاماني اذ بالعرش نجاهد ونقاتل، ونكافح ونناضل،
وندافع عن الوحدة الترابية وبه نعتز ونفتخر، ونسود ونتصمر،
ونظفر ونتحرر وبه نحقق احلامنا وامانينا، ونسير في ركب
التحرر ظاهرين، ورباط الوحدة مستمسكين منتصرين، ولكل
مظاهر النهضة والعمران باين محققين.

لقد انار قائدنا البلاد بمصايح العلم والمعرفة حين انشأ
المؤسسات العلمية من مدارس وتانويات ومعاهد وكليات
وجامعات يتخرج منها كل عام الافواج تلو الافواج وبذل من
اجلها العالي والنفيس ليجعل منها اطراً للبلاد تركز عليها نهضتها
والعملية.

ان المتبع حياة مغربنا السياسية والاجتماعية والملاحظ

لنهضتنا المباركة وتقدمنا المستمر متيقنا ان حسن قيادة جلالته،
ورجاحة عقله ورباطة جأشه، وقوة صموده وصدق طويته هي
السر كل السر فيما تحققه من معجزات في شتى المناسبات، وما
نتغلب عليه من صعاب ونتخطاه من عقبات، فقد حول الظلام
نوراً، والخوف اماناً واطمئناناً واليأس ثقة واملاً.

انه الملك الملهم الذي تربع على عرش القلوب. كما تربع على
عرش المغرب بالصدق والاخلاص والتضحية، فاستحق ان ينال
رضاء ربه، وحب شعبه، واستحق ان يكون الزعيم الظافر،
والقائد المسلم المنتصر، اذا دعا لبيت دعوته. واذا خاطب عائق
خطايه القلوب والوجدان قبل ان تتلقاه الاذان.

ان عرش جلالته نجم علوى يرف في سماء بلادنا سناً وسناء
وقلوبنا ابداً به خافقات تراه ذخراً ونوراً ورجاء فله منا ما امتد
العمر وطالت السنين اكبر الحب والاخلاص والوفاء، وان
فرحتنا بحلول هذا العيد السعيد لا يمكن ان تعبر عنها كلمات او
صفحات لانها قوية كقوة محبتنا لشخصه الكريم ثابتة كنيوت
عرشه الماجد العظيم، فهو من سلالة الدوحة النبوية الشريفة،
وقطب من اقطاب الدولة العلوية المنيفة فهو شعار حياتنا وعنوان
سعادتنا، بعيدة نخفل، وبوجوده نستظل فهينا له وهينا لنا بهذا
العيد السعيد وبحلول كل ذكرى وعيد.

وشعبنا حتى نضيف في عهده الزاهر اجماداً الى اجماد،
ونعيش في ظله الوافر اعياداً في اعياد. ونكون بعون الله دوماً في
طلعة الشعوب التي لا تعرف سوى المسيرة الى الامام يحب فيه
وطيد، وعزم بهيمته شديد.

تتوالى الليالي وتمر الشهور في موكب الزمن السريع، ليحل
اليوم الجميل المرتقب، وكما نحن في اشتياق اليه، اشرق نوره على
ربوع الوجود ورفرفت راياته البيضاء في افق وطننا العزيز، فعمت
الفرحة والبشرى في كل مكان. وتعاقبت القلوب والابدان،
وانشرح الصدور وتبسمت الشفاة مهتنة مرحبة اهلاً بالعيد
السعيد، عيد العرش المجيد، اقدس عيد في الوطن واغنية خالدة
لا يفتر عن ذكرها لسان الزمن وما اجل ان يشرق علينا هذا
اليوم السعيد المتالق بالبهجة والحبور الساطع بالفرحة والسرور،
الحافل بذكرىات عظيمة متواليات. يقبل علينا بعد انتظار
طويل لمقدمه، وشوق عارم للقاءه، يطل علينا بوجهه الواضح
الباسم، ونفحات محبته العميقة تعانق ارواحنا ووجداننا متمتجة
بنفحات قدسية اعترافاً منا بما من الله به علينا من خير عميم وما
حبانا به من فضل كريم، اذ جعل ولاية امرنا، وقيادة سفينة
حياتنا بيد ريان يقظ امين، ورائد عظيم، ومفكر حكيم.

سبحانه وتعالى محقق لآماله، وجاعل نصره حليفه في حله وترحاله.

ان مجد البلاد في مجد جلالته، وعزها في عزه، ورافهايتها في رفاهيتها وسعادته، فان كان الوطن جسدا فهو روحه، وان كان عمرا فهو شبابه.

هنيئا لمولانا بهذا العيد السعيد، وادام الله هلال كل عيد، تحفظه عناية الله، وتحرسه رعايته ليقتى ذخرا لامته الوفية، يصون مجادها ويرعى نهضتها، ويقود خطواتها في سبيل التطور والازدهار واعانه الله على المضي في مسيرته الموفقة، وابقى شجرته العلوية ورافة الظلال، وسلسلته الذهبية موصولة الحلقات عبر القرون والاحيال، وجعل قررة عينه في نجلة الامير الامجد سيدي محمد وصونه الخيوب مولاي رشيد الارشد، وبكافة الانجال الامراء الكرام دام عزهم وغلانهم اللهم احفظ العرش العلوي الخيد هذا العرش الذي جمع به الله شمل شعب وصال به كيان دولة وحفظ به دين امة، هذا العرش الذي ذكر التاريخ في المغرب فهو الذي سطر روائعه وملاحمه باحرف ذهبية ناصعة، واذا ذكرت الديمقراطية في المغرب فهو الذي ارس دعائمها على اسس متينة ثابتة، واذا ذكرت الوطنية في المغرب فهو الذي حمل لواءها ومشعلها.

اللهم احفظ الآصرة الواصلة بين الملك والشعب، واجعلها اللهم قوية لا تتحل ولا تنفصل، اللهم اجعل أمتنا متمسكة بكتابتك المبين وسنة رسولك ونيك الامين، وثبت الاعمان في قلوبنا وقلوب المسلمين ولا تحرمنا جميعا من فضل الخشية ونعمة التقوى.

اللهم احفظ ديننا الذي هو حصننا الحصين وملاذنا الركين ويمكن في قلوبنا الاستمسك بكتاب الله العزيز وسنة نبيه، فما ضل من استمسك بهما ولا تاه من استار نورهما وسار على هديهما.

(الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون هم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم).
صدق الله العظيم.

الدكتور : ادريس العلوي العبدلاوي
عميد كلية الحقوق بمراكش

كلما حلت ذكرى عيد العرش الخيدة، تدفق في شرايين الامة دم جديد، يوحى بالعزم الصادق، والازادة الصلبة للسباق في مرحلة اخرى من مراحل البناء والتشييد، ويحرك عربة تاريخنا الخيد صوب الازدهار والتطور والنماء.

كلما حلت ذكرى عيد العرش العظيمة، سطع في ربوع الوطن كوكب جديد يضيء النفوس بالامل ويعتث الطمأنينة بسمته، ويوحى بالبشر والسعادة في طلعه، فاستجمع قوانا وكلنا ثقة وعزم وايمان وحزم واستمرار وتحدي لتدليل الصعاب، وتحقيق المستحيل.

كلما حلت ذكرى عيد العرش الخالدة، ذكرى جلوس مولانا امير المؤمنين على عرش اسلافه المنعمين حل معها وعي بمرحلة جديدة من مراحل كفاحنا المستمر تحت قيادة زعيمة شابة متوقفة، قيادة جلاله الحسن الثاني العظيم، رائدنا المظفر، ورمز الفتوة والشباب الدائم والطموح والبناء والعزة لهذا الوطن.

كلما حلت ذكرى عيد العرش الخيدة، توحى بشكلها ومضمونها بلفظها ومفهومها، ان جلاله الحسن الثاني رمز للفتوة والشباب، وان الشباب ليس مرحلة من مراحل العمر تتوالى وتدير كلما قطع الانسان اشواطا بعيدة في حياته وتقدم به ركب الزمان ليصبح عاجزا متقاعدسا ولكن الشباب هو ذلك الطموح الدائم، والعزيمة الصلبة التي لا تلبث والحماس المتقددي النفس والفكر لبلوغ اسمى الغايات وتحقيق ابعده الاهداف والمنجزات.

ان جلاله الحسن الثاني وهو يحيى هذه السنة احتفالات عيد العرش الخيد بالاقاليم المسترجعة ليذكرنا بالحدث التاريخي الاعظم الذي سجله تاريخ امتنا الخيدة بمداد الفخر والاعتزاز، الحدث الذي سيقى مجددا على مدى الارمان حدث المسيرة الحضراء المظفرة مسيرة فتح التي كان لها القرآن سلاحا ونصرا مينا بفضل قيادة رائدنا الرشيدة وخطته السديدة وتديبه الخكم، وايمانه الصادق.

وما اختيار جلاله الحسن الثاني العظيم اقليم العيون ليشهد احتفالات الشعب بذكرى عيد العرش الخيد الا تدعيما للمسيرة الطاقرة ومكرمة اخرى من مكارم جلالته الخالدة الخليفة وسنة حميدة جديدة طلع بها علينا في هذه المناسبة العالية، وما هذه السنن الخميذة التي سنها جلالته، وما هذه الطرق السليمة التي نهجها، وما هذه الاهداف الدينية السامية التي دعى اليها، الا ايماننا من جلالته حفظه الله بان الله سبحانه وتعالى ينصر من ينصره، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم، ولا ريب ان الله



شكوليميم

بين الأمس واليوم.



للدكتور
عبد الهادي
التازي

رئيس
المركز الجامعي
للبحث العلمي

«... إن المغرب حاضر هنا، وقد قرر اليوم تقديم مساهمة كما كان الشأن في الماضي، وسيقوم بذلك في إطار من لياقة وهدوء قيادته السياسية التي لم تكن واثقة فقط من طريقها في معالجة المشاكل وقدرتها على التحليل، بل كانت واثقة أيضا من حقها في الماضي والحاضر..»

من خطاب جلالة الملك الحسن الثاني يوم 23 شعبان 1401 - 26 - 6 - 1981



المغارة وفق الشروط المتفق عليها على نحو ما سمعناه في سبتة وطنجة
وسلا والرباط..

ولم تفتنا هذه المنطقة على عناية الملوك المتقدمين الذين كانوا
يقظون باستمرار لما قد يهددها من اطماع خاصة وانها على مرمى
حجرة من الجزر الخالدات.

وقد حدث بالفعل ان تمت في المنطقة عملية ازال عسكري في
بداية ظهور الدولة الوطاسية وبالذات عام 1499م الا ان هذا
العدوان لم يلبث ان رفع بفضل تدخل المغاربة الذين تمكنوا من رمي
المغربين في البحر...!.

ومنذ ايام العاهل المغربي سيدي محمد عبد الله والاطماع على
اشدها للاستفادة من تلك الجهات كما تدل على ذلك الحركات
والمناعبات والمراسلات التي لا يخلو منها ارشيف من ارشيفات
الدول الأجنبية.

وقد كان على السلطان المنعم المولى الحسن الأول ان يتصدى
بجد لعدد من المحاولات الأوروبية لاكتساب موضع قدم في هذه
المنطقة: إنجلترا — اسبانيا — المانيا — بلجيكا الخ...

وفي اطار مقاومة تلك الاطماع يدخل تحرك السلطان مولاي
الحسن الأول منذ قرن من الزمان — نحو وادي نون وكوليم، لقد كان
ذلك منه تعبيرا عن ارادته وتعلقه بالاقليم الجنوبي للمملكة وبكل
جزء من اجزائه.

ولقد قدر لي ان اتتبع معظم تقارير البعثات الأجنبية المتواجدة
بالمغرب على ذلك العهد وهي تتحدث الى حكوماتها عن
استعدادات السلطان مولاي الحسن للرحلة الى الجنوب المغربي بما
في ذلك تجنيده قطع الاسطول المغربي — على قلنها لنقل الزاد
والعتاد من مرسى البيضاء والجديدة في اتجاه وادي نون وكوليم.. لقد
كانت تلك التقارير تعبر لحكوماتها عن الغيرة المتناهية التي تتملك
المغاربة ازاء اراضيهم، وكانت تصور مدى الصعوبة الكبرى في ان
تحاول دولة ما الاستلاء بالقوة على جزء من اجزاء التراب المغربي...
وفي تلك التقارير — خاصة منها التقارير الانجليزية — ما كان يحذر
من اي اغترار او فهم خاطيء للمواطنين المغاربة في الجنوب...
«انهم اي سكان الجنوب على عكس ما قد يظن — يغارون على
بلادهم وهم لا يقلون تعلقا بجلالة السلطان من باقي المواطنين
الآخرين الذين يوجدون في الشمال او الشرق...».

أقول هذا وامامي عدد من الرسائل التي كان يرفعها الى بلاده
التنصل البريطاني المشهور دريمون هي..

ينبغي ان نعيد الى الذاكرة ان منطقة كوليم كانت تحمل في
تاريخ العهد الوسيط اسماء اخرى غير هذا الاسم، فقد عرفت
باسم «نول لمطة» على ما يتحدث ابن حوقل او لمطة الغربية كما تقول
مصادر أخرى.. وحملت بعد ذلك اسم تاكاوست قبل ان يظهر
اخيرا اسم كوليم الذي ينطق به احيانا كولين.. وهي كما يعلم
الجميع، غير كوليمة التي تقع في إقليم الرشيدية.. ويعتبر لفظ
كوليم تعريبا للكلمة البربرية اكوليم، والتي تؤدي معنى البحيرة او
الضاية اعتبارا للضاية التي كانت هناك تحمل اسم أم الأعشار قبل
ان يزحف عليها العمران، واللفظ كما نرى قريب لكلمة اكلامام او
اكلمان بمعنى البحيرة في اللهجة المصمودية والزنازية.

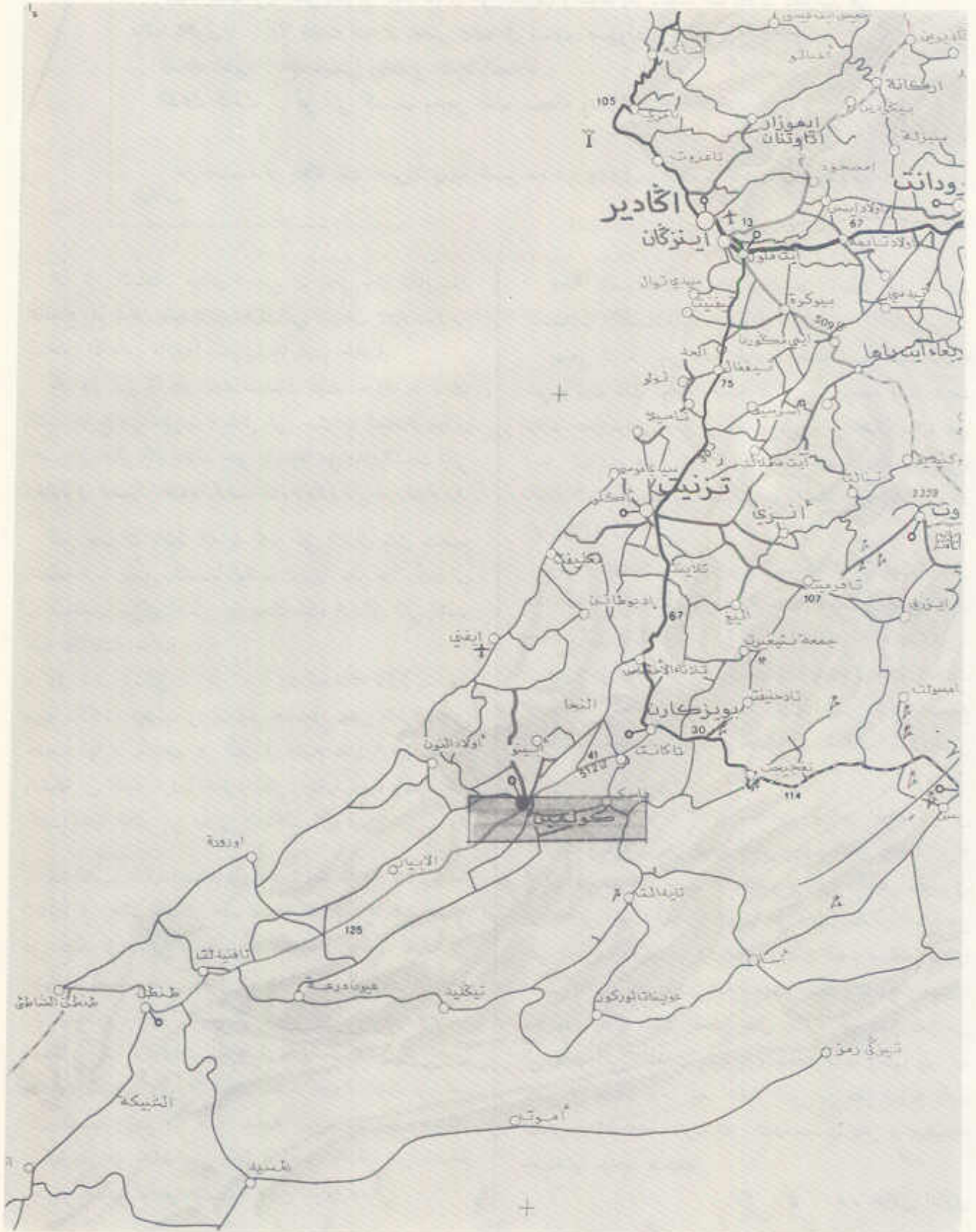
وتقع كوليم في خط الطول 3 — 10 غرب كريتش وخط
العرض 59 — 28

وقد كانت المنطقة بالفعل عاصمة للجنوب المغربي وخاصة في
القرن الرابع عشر والقرن السادس عشر.. ومن ثم عرفت لها
نشاطا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا تحدث عنه كتب التاريخ.

وعن طريقها كانت القوافل تقصد افريقيا السوداء بمحصولاتها
وصناعاتها، وعنها ايضا انسابت بعض المرددات الشعبية كرقصة
(الكدره) وما يصحبها من فنون ما تزال في الحاجة الى دراسة دلالتها
ورمزها.

ومن المعروف ان عاصمة الجنوب هذه سواء عندما كانت تحمل
اسم (نول لمطة) او اسم تاكاوست، او حتى عندما اصبحت
مشهورة باسم كوليم، كانت تغطي اربع نواحي : ناحية وادي
نون وناحية باني الغربية، والساقية الحمراء، ومنطقة وادي الذهب..
ان اسم كوليم انما ظهر بارزا بمناسبة زيارة السلطان مولاي
الحسن الأول للمنطقة... إن كثيرا من الأسماء الحاملة انما برزت في
التاريخ بمناسبة حدث ما من الاحداث سبب ظهورها
وشهرتها : فخذ لك مثلا «وادي الخازن» الذي لم نجد له ذكرا
قبل الوقعة الشهيرة التي صرع فيها ملك البرتغال.. وهكذا يمكن
القول في كوليم..

لقد كان من ابرز الآثار التي عرفتها المنطقة كعاصمة للجنوب
وجود عدد من المنشآت والمؤسسات أذكر من ذلك دور التجارة
التي كانت تحمل أسماء بعض القواد المغاربة دار بيروك مثلا..
كذلك هناك امكنة او فنادق مخصصة للتجار الأجانب «سوق
النصارى» على نحو ما جرى عليه العرف في بعض الثغور المغربية او
المدن القريبة منها مما يسمح للاجانب بممارسة التجارة فيها مع



عندما كنت اول امس بضرخ جدنا مولاي علي الشريف وخلصت به، دعوت الله بثلاث دعوات، هي دائما دعواتي:.. أولا طلبت منه ان يجعلني دائما في مستوى مسؤوليتي، وشعبي، واجدادي.
الدعاء الثاني : أن يلهمني ويعطيني الذرية الصالحة.
الدعاء الثالث : هو أنني كمسلم ومؤمن اطلبه سبحانه وتعالى حسن الخاتمة».

من خطاب مرتجل لجلالة الملك الحسن الثاني يوم الخميس 14 محرم 1386 - 5 مايه 1966 بمناسبة زيارته لاقليم تافيلالت

فعلا كانت تلك الرحلة باعنا على اعطاء نفس جديد للمنشآت الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة...
وينبغي ان لا ننسى بهذه المناسبة الحملة الدبلوماسية المكثفة التي واكبت تلك الرحلة الحسنة الاولى حيث وجدنا الملك المنعم يبعث سفارات الى عدد من الدول الأوروبية وخاصة اسبانيا التي ارسل اليها - فيمن ارسل - بسفيره عبد السلام السويسي، والقائد البغدادي ومولاي احمد البلغيتي والحاج محمد بركاش والقائد الصادق الخ...

وكأحد المهتمين بالتاريخ الدولي للمملكة المغربية كنت اجد في هذه المبادرة الرائدة التي يقوم بها اليوم جلالة الملك الحسن الثاني، إحياء لذكرى تلك الزيارة التي قام بها سلفه نور الله ضريحه.

وإني لعلى يقين من أنه كما جندت منذ قرن اقلام البعثات الدبلوماسية للحديث عن رحلة الملك الحسن الثاني فستقوم البعثات الدبلوماسية اليوم بنفس العمل بالنسبة لخرقة الملك الحسن الثاني !!

ولا شك ان هذه الزيارة متمكن المؤرخين المعاصرين من المقارنات والمقارقات بين جهود الامس وجهود اليوم.. وانه اذا ساع لي ان أعبر عن رأيي حول هذا الموضوع فإنني سأأخص فكرتي في ان كلا من الحد والحفيد كانا يلتقيا على خط واحد هو الدفاع عن حمى الوطن، واذا كان من فرق فهو ان الملك المنعم السلطان مولاي الحسن (الاول) كان يناضل امام واجهة واحدة، وربما أمام واجهتين، بينما نرى جلالة الملك الحسن الثاني يقارع على عدد كثير من الواجهات التي اختلفت مشاربها وتعددت مللها وتحلها ولو انها تلتقي في هدف واحد وهو محاولة النيل من هذا التاريخ الخبيد المتعالي الشايع للامة المغربية التي ظلت مضرب المثل في صمودها وتضحياتها وتوحيد صفوفها.

د . عبد الهادي التازي

لقد قرر السلطان مولاي الحسن ان يجعل خدا لكل تلك الاطماع وهو لذلك يقوم بتلك الحركة التي استرعت انتباه عدد من الباحثين الاجانب فأثروها ببحوثهم وتآليفهم الخاصة.

وان من أبرز ما يثير انتباه المهتمين بتلك الحركة، ما تناقلته كتب التاريخ من عشرات الرسائل التي بعث بها السلطان مولاي الحسن الى سائر ولاية المغرب حتى يذيعوها على ابناء الشعب لكي يجعلهم في الصورة الحقيقية بالنسبة لهذه المبادرة التي قرر القيام بها.

نحن نعلم ان الملوك المغاربة كانوا على اتصال وثيق بشعبهم وخاصة فيما يتصل بالقضايا الوطنية الكبرى، ومن هنا رأينا اي - السلطان مولاي الحسن - يبعث بهذه الرسائل التي كانت اشبه ببلاغات اعلامية..

وفي تلك الرسائل ما حمل تاريخ ميم شعبان 1299 - 16 يونيو 1982، ويطلب لي ان اركز هنا على بعض الفقرات التي جاءت فيها مما يكشف عن السر في القيام بتلك الرحلة الطويلة والشاقة الى كلميم.. انها حقا لم تكن رحلة سياحية ولكنها رحلة حملت معها الكثير من المعاني والدلالات !.

لقد كانت اتفاقية للصلح بين المغرب واسبانيا عام 1276 - 1960 في اعقاب احتلال هذه لتطوان وكان هذا مما حمل اسبانيا على التفكير في الترامي على السواحل المغربية في الجنوب اعتيادا على «شرعية» السطو الذي حصل في بداية العهد الوطاسي !.. وهنا اراد السلطان مولاي الحسن ان يقول للدول الأوروبية وخاصة اسبانيا : إن الاتفاقيات المفروضة بالقوة لا يمكن ان تعيش وبلاخرى فانها لا يمكن ان تكون منطلقا لعدوان جديد «.. لقد كان القصد الأهم من هذه الواجهة المباركة - تقول الرسائل الملكية - هو حماية ديار هؤلاء المسلمين والدفاع عن بلادهم ورفاقهم وامواهم مما طمحت اليه نفوس المؤمنين».

عَمْد جَلالَة - المَلِك الحَسَن الثَّانِي

لأستاذ سعيد أعراب

- 7 فتح الباري على صحيح البخاري - للحافظ ابن حجر (8).
- 8 النوادر لابن أبي زيد القيرواني (9).
- 9 الشرح الكبير على مختصر خليل لابي عبد الله الخرشبي (10).
- 10 التوشيح على مشكلات الصحيح - للسيوطي (11).
- 11 شرح بهرام على مختصر خليل (12).
- 12 شرح شهاب الدين الافندي (13) على شفا عياض .
- 13 المنح المكية، في شرح الهمزية لابن حجر الهيتمي (14).
- 14 كتاب المقدمات لابن رشد (الجد) (15).
- 15 اخرج الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (16).
- 16 شرح اسماء الله الحسنى لابي عبد الله السنوسي (17).
- 17 البيان والتحصيل لابن رشد (الجد) (18)
- 18 الجامع الصغير - لجلال الدين السيوطي (19).
- 19 فتح المتعالي في مدح النعال لابي العباس المقرئ (20).

- (8) كتب على السفر الثامن منه انه من تحيسته - ولم يذكر تاريخ التحيس
- (9) كتب عليه انه من تحيس خديمه محمد الزبير نيابة عنه سنة (1202)
- (10) كتب على ج 5 منه انه حيسه سنة (1198)
- (11) حيسه سنة (1190)
- (12) كتب عليه انه من تحيس المولى علي - نيابة عن والده محمد بن عبد الله سنة (1184)
- (13) حيسه سنة (1190)
- (14) حيسه سنة (1184)
- (15) كتب على الجزء الأول منه انه حيسه سنة (1198 هـ)
- (16) كتب على السفر الأول منه انه حيسه سنة (1202) وجاء على السفر السابع انه من تحيس محمد الزبير نيابة عنه ف بنفس التاريخ.
- (17) حيسه سنة (1184)
- (18) من تحيس المولى علي نيابة عنه - سنة (1184)
- (19) من تحيس خديمه الهاشمي الزبير نيابة عنه وبحضور القاضي عبد السلام بن قريش سنة (1184)
- (20) من تحيس خديمه الزبير نيابة عنه سنة (1184)

عرفت الدولة العلوية بملوكها العلماء، وبتشجيعها للعلم واهله، وحبها على التراث الاسلامي واهيائه ومن مظاهر هذا الاعتناء، ان السلطان المولى اسماعيل اسس ديوان النسخ وهو كوزارة قائمة بذاتها تنسخ كتب العلم التي تصلها سواء من الداخل او الخارج (1).

وكانت الدولة تزود المؤسسات العلمية والدينية بمختلف كتب التراث في شتى انواع المعرفة، وكضمان لها تسجل في الحوالات الحيسية او تذكر صيغة التحيس على الورقة الأولى من الكتاب، او على جزء من اجزائه ان كان ذا اجزاء .

ولنورد على سبيل المثال، ما حيسه هؤلاء الملوك، فقط على الجامع الاعظم بتطوان، من امهات الدواوين في الفقه، والحديث، والتفسير، والسيرة.

فمما حيسه المولى الرشيد :

- 1 الجامع الصحيح للإمام البخاري في اثني عشر جزءا (2).
- 2 فتح الباري على صحيح البخاري (3).
- وجس السلطان المولى محمد بن عبد الله الكتب التالية :
- 3 السنن الكبرى للنسائي (4) - وهو من نوادر هذه الخزانة، ولعله مما جلبه من الشرق .
- 4 الكواكب الدراري على صحيح البخاري - للكرواني (5).
- 5 التاج الاكليل على مختصر خليل - للمواق (6)
- 6 التوضيح على الفاظ ابن الحاجب - للشيخ خليل (7).

(1) انظر مجلة دعوة الحق - مقال عبد الرحمن الفاسي - ص 18 ع 1 ص 166.

- (2) كتب على الجزء الثاني عشر منه انه حيسه سنة (1078م)
- (3) كتب السفر الثامن منه انه تحيسته - ولم يذكر تاريخ التحيس.
- (4) كتب عليه انه حيسه سنة (1184).
- (5) حيسه سنة (1984).
- (6) كتب عليه انه من تحيسته - بواسطة كاتبه الهاشمي الزبير سنة (1184)
- (7) حيسه سنة (1184)

(20) تعليق على ارجوزة سماها الجمان، في علوم البلاغة — كلاهما لجلال الدين السيوطي (21).

(21) فتح الفتاح : شرح ابي علي بن رحال على مختصر خليل — في 18 مجلدا لم يكمله (22).

— وحس المولى يزيد ايام ولأيته :

(22) الجامع الصحيح للبخاري (23).

— كما حبس المولى مسلمة بن محمد بن عبد الله :

(23) مستند الامام احمد — في ثلاثة مجلدات (24)، وهو مما جلبه والده من بلاد المشرق (25).

وهكذا كانت خزائن الجوامع، والمدارس الكبرى — ملاي يكتب التراث في فاس، ومراكش، ومكناس، وتازا، وتطوان وسواها .

وكانت مراكز ثقافية يجد القارئ فيها غذاء، لا الروحي ومبتغاه الفكري، ويتوارد عليها الوراق، والباحث، والمؤلف . ظهور الطباعة بالمغرب .

وما ان ظهرت الطباعة بالمشرق وبدأت تؤتي أكلها، حتى اتجهت انظار السلطان محمد الرابع الى تأسيس دار الطباعة بالمغرب، فانشئت بمدينة مكناس المطبعة الحمديدية — سنة 1282 هـ

وكان اول كتاب اخرجته — بالطبع على الحجر :

(1) الشمال الحمديدية، لابي عيسى الترمذي (27) وفي ذلك مغزى نبيل .

(21) حبه سنة (198:هـ)

(22) جاء في قائمة الكتب المحسنة من طرف السلطان محمد بن عبد الله ولم يذكر تاريخ تحييه

(23) كتب على الربع الثاني منه انه حبه سنة (1206:هـ)

(24) جاء في وثيقة تحييه ما يلي :

(... حس مولانا مسلمة ابن السلطان محمد ابن السلطان مولانا عبد الله، وجعل للام قراءته ثلاثة مثاقيل دراهم تاريخه، من مستفاد مرسي تطوان تدفع له عند انصرام كل شهر ياتي من تاريخه حسا مؤبدا، حرر في اواسط رجب سنة (1206:هـ)

(25) انظر الاستقصا للناصري ج 8 : 66.

(27) جاء في حاشية الطبع الكلمة التالية : الحمد لله، كمل كتاب شمائل المصطفى — محمد الله وتوفيقه — بالطبعة السعيدة بالحضرة المولوية بمدينة مكناسة الزينون — بامر من توج برئاسة الاعصار وتباهت بسياسة البوادي والاصصار، مجدد معلم الدين، وعيسى آثار الائمة المهتدين، مولانا امير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، ابقاه الله لحفظ نظام الاسلام، وايد به شريعة جده — عليه افضل الصلاة وازكى السلام، وعضرو نصرا عزيزا مؤبدا والسلام، في رابع صفر سنة (1282:هـ)

(2) مختصر الدر الثمين، والمورد المعين، في شرح المرشد المعين — لأبي عبد الله محمد بن احمد ميارة سنة 1283 هـ

(3) حلي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم — للشيخ التاودي سنة 1284 .

(4) الشرح الصغير على مختصر خليل — لابي عبد الله الحُرشي — في ستة اجزاء 1284-1988 ثم توقفت هذه المطبعة لاسباب تجهلها ولعل ذلك يرجع الى عدم الاطر التقنية (28).

ومن الذخائر العلمية التي امر بنشرها السلطان المقدس الحسن الاول كتاب (تحاف السادة المثقين بشرح اسرار احياء علوم الدين — للغزالي، تأليف ابي عبد الله محمد المرتضى الزبيدي — في ثلاثة عشر مجلدا ، وكانت هناك محاولة لطبعه من طرف رئيس العلماء بمكة المكرمة الشيخ احمد دحلان وكتب الى السلطان المذكور يطلب منه بعض النسخ الموجودة بالمغرب (29).

وظهرت في ايام السلطان المولى عبد الحفيظ حركة نشيطة في ميدان احياء التراث، فانشأ المطبعة الحفيفية ونشر عدة مؤلفات نذكر منها مايلي :

(1) بداية المجتهد، ونهاية المقتصد، لابن رشد الحفيد فاس 1327 .

(2) كمال المعلم، في شرح صحيح مسلم — تأليف محمد بن خليفة الوشتاني الابني، ومعه :

(3) كتاب مكمل الاكمال لابي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي — 7 اجزاء القاهرة سنة 1327 هـ .

(4) مشرب العام والخاص، من كلمات الاخلاص — تأليف الحسن اليوسي — فاس 1327 .

(5) الضياء اللامع في شرح جمع الجوامع — تأليف احمد بن عبد الرحمان حلولو القيرواني — فاس 1327 .

(6) حاشية على رسالة الوضع للسمرقندي — تأليف المهدي بن سودة — فاس 1327 .

(7) التثيت في ليلة البيت — نظم جلال الدين السيوطي — فاس 1327 .

(8) مفتاح الاقفال ومزيل الاشكال — في تصريف الافعال —

(28) انظر مظاهر بقعة المغرب الحديث محمد الموني 212/211:1

(29) المرجع السابق.

التقيب عبد الرحمان بن زيدان — الرباط سنة 1356 —
1937.

وانشئء معهد الابحاث العليا المغربية بالرباط فاخرج سلسلة
من كتب التراث منها :

— كتاب التشوف الى رجال التصوف — لابي يعقوب النادلي،
بتحقيق المستشرق ادولف فور — الرباط سنة 1958 وهو
الجزء الثاني عشر من السلسلة .

واسس بتطوان معهد مولاي الحسن للابحاث، فنشر مجموعة
من المخطوطات المغربية والاندرلسية منها :

1) رسائل سعديّة — بتحقيق مدير المعهد عبد الله كنون —
تطوان سنة 1945 .

2) كتاب الفلاحة لابن بصال — بتحقيق الاستاذين محمد
عزيمان، وخوسي مارية فياس، تطوان 1955

3) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث بتحقيق عبد الله كنون —
تطوان 1958 .

كما انشئء بالقاهرة بيت المغرب فاخرج الاجزاء الثلاثة الاولى
من كتاب ازهار الرياض، في اخبار عياض لابي العباس المقرئ،
القاهرة سنة 1939-1941) لكنه لم تطل حياته فوقف عن
العمل.

— اما في عهد الحسن الثاني — الذي نسوق اليه هذا
الحديث — فقد ازدهرت حركة التأليف والنشر، واست
مراكز للبحث واهياء التراث، فكان منها :

1) مصلحة احياء التراث الاسلامي — بوزارة الاوقاف والشؤون
الاسلامية، فشكلت الوزارة لجانا للتحقيق، واقترحت مجموعة من
ذخائر المكتبة المغربية فاستوردت من تركيا، وبغداد، ومصر
وسوريا، والسعودية — صورا من نسخها، بالاضافة الى ما
صورته من الخزنة الحسنية، والخزنة العامة، بالرباط، وخزنة
القرويين بفاس، وخزنة ابن يوسف بمراكش، وسواها .

وهذه قائمة بما اصدرته من كتب التراث واعني به ما كان
مخطوطا فنشر (30) ونذكرها مرتبة حسب تواريخ صدورها .

(30) واشير بهذا الى ان الوزارة لم تقتصر فيما نشرته على المخطوطات القديمة
وحسب، وانما نشرت كذلك مؤلفات حديثة لها قيمتها العلمية، واست احيرا
بالوزارة هيئة استشارية يرجع اليها فيما يصلح للنشر من المؤلفات — سواء منها
القديم او الحديث.

- تأليف محمد ابن ابي القاسم السجلماسي — فاس 1328 .
9) الاستيعاب في اسماء الاصحاب — تأليف الحافظ ابي عمر
بن عبد البر — 4 اجزاء — القاهرة 1328 .
10) الاصابة، في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، 4
اجزاء القاهرة 1328 .
11) البحر المحيط تأليف ابي حيان الحياتي — وبهامشه
كتابان —
12) النهر الماد من البحر — لنفس المؤلف .
13) الدر اللقيط، من البحر المحيط — تأليف احمد بن عبد
القادر القيسي، 8 اجزاء — القاهرة 1328 .
14) حاشية على صحيح البخاري — للشيخ التاودي بن
سودة — 4 اجزاء فاس 1328 .
15) هياة الناسك في ان القبض في الصلاة هو مذهب الامام
مالك تأليف محمد المكي بن عزوز — فاس 1328 .
16) مشارق الانوار على صحيح الاثار، تأليف القاضي
عياض — جزآن فاس 1328 .
17) هدي الابرار، على طلعة الانوار — تأليف عبد الله بن
ابراهيم العلوي الشنجيطي — جزآن فاس 1329 .
18) نفحة المسك الدراري لقارئء صحيح البخاري — تأليف
حدود بن الحاج السلمي — فاس 1329 .
19) فتح الفتاح، على نور الاقح — تأليف عبد الله بن ابراهيم
العلوي الشنجيطي، جزآن فاس 1329 .
20) حاشية على صحيح البخاري — تأليف ابي عبد الله محمد
بن زكري
— مع تكميلات وتقييدات للسلطان عبد الحفيظ، ومحمد بن
المدني كنون — 5 اجزاء — فاس 1329 .
21) حاشية على صحيح البخاري — تأليف ابي زيد عبد
الرحمان الفاسي فاس 1329 .
22) نشر البنود على مراقي السعود — تأليف عبد الله بن ابراهيم
السنجيطي — 3 اجزاء — القاهرة 1329

واست على عهد السلطان المغفور له محمد الخامس —
المطبعة المولوية بالرباط، فنشرت مؤلفات علمية قيمة، منها :
— كتاب الفتوحات الالهية، في احاديث خير البرية — تأليف
السلطان محمد بن عبد الله طبع على نسخة ممتازة سنة
1354 — 1945 .
— الدرر الفاخرة، بمآثر الملوك العلوية بفاس الزاهرة — تأليف

- 1) اربعون حديثا في اصطناع المعروف — تأليف ابي محمد المنذري، وشرح ابي زيد التعالي الجزائري — تحقيق محمد بن تاويت الطنجي سنة 1962.
- 2) مختصر العين (القسم الاول) لمؤلفه ابي بكر الزبيدي الاشيلي، تحقيق علال الفاسي، ومحمد بن تاويت الطنجي سنة 1963.
- 3) الاعلام بحدود قواعد الاسلام — تأليف عياض بن موسى اليحصي السبتي، بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي 1964.
- 4) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، الى معرفة اعلام مذهب مالك تأليف القاضي عياض صدر كاملا في ثمانية اجزاء:
- الجزء الاول بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي 1965.
- الاجزاء 2-3-4 بتحقيق عبد القادر الصحراوي 1966-1970 والخامس بتحقيق د محمد بن شريفة (بدون تاريخ)
- والسادس والسابع والثامن بتحقيق كاتب هذه السطور 1980-1983.
- 5) التمهيد، لما في الموطأ من المعاني والاسانيد تأليف ابي عمر بن عبد البر القرطبي.
- صدر منه الى الان ثلاثة عشر جزءا.
- الاول بتحقيق مصطفى احمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري 1967
- والثاني بتحقيق هيئة من العلماء بدون تاريخ.
- الثالث بتحقيق محمد التائب السعيدي 1971.
- والرابع بتحقيق محمد التائب وكاتب هذه السطور 1974.
- والخامس بتحقيق محمد الفلاح وكاتب هذه السطور 1976.
- والسادس بتحقيق محمد الفلاح وكاتب هذه السطور 1977
- السابع بتحقيق عبد الله بن الصديق 1979.
- والثامن بتحقيق محمد الفلاح 1980.
- والتاسع والعاشر — بتحقيق كاتب هذه السطور 1981.
- والحادي عشر بتحقيق مصطفى احمد العلوي 1985.
- والثاني عشر بتحقيق كاتب السطور 1983.
- الثالث عشر بتحقيق محمد الفلاح 1984.

- 6) انحرر الوجيز، في تفسير الكتاب العزيز لابي عبد الله محمد بن عطية الاندلسي — وهو موسوعة اخرى في تفسير كتاب الله العزيز — جمع خلاصة التفسير التي تقدمته مع تحرير واتقان، وسيخرج في عدة اجزاء، صدر منه الى الان تسعة اجزاء — بتحقيق المجلس العلمي بفاس.
- الاول والثاني سنة 1975
- والثالث والرابع 1977
- والخامس والسادس 1979
- والسابع والثامن 1980-1981
- والتاسع 1982
- 7) مناهل الصفا، في مائر موالينا الشرفا — لابي فارس عبد العزيز القشتالي.
- تحقيق د عبد الكريم كرم 1973
- 8) بغية الرائد، بما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد — تأليف القاضي عياض، ومعه شرح نفس الحديث للسيوطي.
- تحقيق الاساتذة صلاح الدين الادلي، محمد اجانف، محمد لشرقاوي 1975.
- 9) التعريف بالقاضي عياض — لولده محمد، تحقيق د محمد بن شريفة بدون تاريخ.
- 10) كتاب الاربعين الطيبة، المستخرجة من سنن ابن ماجة، وشرحها — عبد اللطيف البغدادي — عمل تلميذه محمد بن يوسف البرزالي. تحقيق عبد الله كتون 1979.
- 11) المعيار المغرب والجامع المغرب، في فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب — تأليف ابي العباس احمد بن يحيى الونشريسي بتصحيح ثلة من الاساتذة وباشراف د محمد حججي.
- صدر في ثلاثة عشر مجلدا 1981.
- 12) التعريف في اختلاف الرواة عن نافع — تأليف ابي عمرو عثمان بن سعيد الداني.

(31) يوجد الجزء الخامس عشر قيد التحقيق عند الدكتور محمد بلحوجة تونس

- 21) نشر البنود، على مراقي السعود — تأليف عبد الله بن ابراهيم الشنقيطي جزآن — (بدون تاريخ)
- 22) دليل الرفاق، على شمس الاتفاق تأليف الشيخ ماء العينين، بتحقيق احمد يكن البلمعشي.
صدر الجزء الأول (1982)
- 23) المهذب فيما وقع في القرآن من المغرب تأليف جلال الدين السيوطي.

بتحقيق الدكتور التهامي الراجحي الهاشمي (1983)
هذا، وقد قاتني ان اذكر على رأس هذه القائمة — تلك التحفة الثمينة التي اهداها جلالة الملك الحسن الثاني — الى العالم الاسلامي، لانها تراث (34) المسلمين جميعا، الا وهي المصحف الحسني الذي امرت جلالتهم بطبعه على مقريء نافع الذي هو مقرا المغاربة (35) كافة منذ اربعة عشر قرنا، وقد قدم له بنطقه الكريم : (.. يهدي اليك ايها المسلم الكريم — حيثما كنت من مشارق الارض ومغاربها — هذا المصحف الشريف، راجين من الله — جلت قدرته — ان يجعله بين يديك نورا يهديك الى اقوم السبل — في دنياك، ووضح المسالك — الى آخرتك، وشفاء لنفك، وطهرا لقلبك، وقوة يشد بها عزمك، وتمكن بها ارادتك، ويعلو بفضلها شأنك بين الناس، ومقامك بين الانام، وتحل بها ارفع الدرجات، وتبلغ معها اسنى ما تنوق اليه نفسك من مقاصد وغايات.

وأملنا — ايها المسلم الكريم — ان يثيب الحق — سبحانه وتعالى — عملنا هذا اجزل الثواب، ويلهمك كلما رتلنا هذا الكتاب ترتيلا، وتلوته تديبرا واحتسابا، بالدعاء لنا بالهداية والتوفيق، والتيسر والتسديد — فيما نحن مضطربون به من مهام، ومطوقون به من مسؤوليات عظام، وما نقوم به دفاعا عن حوزة الملة والدين — لصالح شعبنا، واعلاء لكلمة امتنا..)

وقد صدرت الطبعة الاولى منه في حجم كبير بخط مغربي

(34) وتغطي اولئك الذين يعدون عن التراث الاسلامي — اذا تحدثوا عنه — كتاب الله، وستة نبيه، قال عليه الصلاة والسلام : تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسك بهما : كتاب الله، وستة نبيه رواء مالك في الموطأ ص (648).

وفي صحيح البخاري : ما ترك (ص) الا ما بين الدينين (المصحف الشريف) انظر كتاب فضائل القرآن ج 3/150.
(35) انظر مجلة دعوة الحق — مقال (بين يدي مصحف الحسن الثاني) لكتاب هذه السطور من 19 ع 2 — 3 (مزدوج) ص 62.

بتحقيق التهامي الراجحي الهاشمي 1982.

- 13) مشارق الانوار، على صحاح الآثار — تأليف القاضي عياض، بتحقيق احمد يكن البلمعشي.
صدر منه جزآن :
الاول 1982
الثاني 1983

14) اضاءة الراموس، واطافة الناموس، على اضاءة القاموس — لمحمد بن الطيب الشركي بتحقيق عبد السلام الفاسي، والتهامي الراجحي الهاشمي، وهذه موسوعة ثالثة وموضوعها متن اللغة — ستخرج في عدة اجزاء، صدر الجزآن الاول والثاني 1983 .
15) النوازل — لابي الحسن علي بن عيسى (33) العلمي — تحقيق المجلس العلمي بفاس .
صدر الجزء الاول 1983 .

ب) الصندوق المشترك لاهياء التراث — بنفس الوزارة، من منشوراته :
16) ازهار الرياض، في اخبار عياض — تأليف ابي العباس المقرئ — في خمسة اجزاء .

صدرت الاجزاء الثلاثة الاولى عن بيت المغرب بالقاهرة سنة 1939، بتحقيق مصطفى السفا و ابراهيم الاياري وعبد الحفيظ شلي .

ثم اعاد الصندوق طبعاها — مع استدراقات وتصحيحات محمد بن تاويت التطواني — وكتب هذه السطور سنة 1978 .
وصدر الجزء الرابع بتحقيق محمد بن تاويت وكتب هذه السطور 1978 والخامس بتحقيق د. عبد السلام المهراس، وكتب هذه السطور 1979 .

17) معيار الاحتيار، في ذكر المعاهد والديار — مؤلفه لسان الدين ابن الخطيب بتحقيق محمد كمال شبانة 1976 .
18) اوصاف الناس في التواريخ والصلوات — تأليف لسان الدين بن الخطيب بتحقيق محمد كمال شبانة 1977 .

19) ايضا المسالك، الى قواعد الامام مالك — تأليف ابي العباس الونشريسي بتحقيق احمد الخطابي (1980).
20) تاج المرفق، في تحلية علماء المشرق — تأليف خالد بن عيسى البلوي — بتحقيق حسن السامح — جزآن (بدون تاريخ).

(32) تحرف في المطبوع بـ (عيسى بن علي)

(33) هذا الصندوق تموله المملكة المغربية والامارات العربية المتحدة — تحت اشراف وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب.

ممتاز، وطبع بديع، وتجليد فاخر — سنة (1387 — 1968).
ثم اعيد طبعه سنة (1390 — 1975) — وعدد ما طبع
منه 12 000 نسخة، كما طبعت منه نسخ عديدة في احجام
مختلفة، فيها الكبير، والمتوسط والصغير.

(ج) — المطبعة الملكية بالقصر العامر.

ومن منشوراتها — في موضوع احياء التراث (36)

(1) العز والصولة، في معالم نظم الدولة — لعبد الرحمان بن
زيدان — جزآن، صدر الجزء الاول سنة (1961)، والثاني
(1962).

(2) روضة التعريف، بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف.

تأليف محمد الصغير اليفرنى (1962).

(3) روضة النسرين، في دولة بني مرين — لابي الوليد اسماعيل بن
الاحمر (1962).

(4) التحفة السنية للحضرة الحسنية — لابي العباس احمد بن
محمد الكرودوي (1963).

(5) نظم السلوك، في الانبياء والخلفاء والملوك — تأليف ابي
فارس عبد العزيز المازوزي (1963).

(6) عروسة المسائل، فيما لبني وطاس من الفضائل — لابي عبد
الله محمد الكراسي (1963).

(7) روضة الآس، فيما لقيه من اعلام الحضرتين : مراکش
وفاس — تأليف ابي العباس المقرئ (1966).

(8) ايليج قديما وحديثا تأليف المختار السوسي بتحقيق محمد ن
عبد الله الروداني (1966)

(9) جني زهرة الآس، في بناء مدينة فاس — لابي الحسن علي
الجزناني (1967).

(10) نشر ازهار البستان، فيمن اجازني بالجزائر وتطوان — لابي
عبد الله محمد بن زاكور (1967).

(11) اختصار الاحبار، عما كان بسببة من سني الآثار — لأبي
عبد الله محمد بن قاسم الانصاري (1980).

(12) الاعلام، بمن حل مراکش واغمامات من الاعلام — تأليف
العباس بن ابراهيم.

صدر في عشرة اجزاء.

الجزآن : الاول والثاني سنة (1974)

والثالث، والرابع، والخامس (1976)

والسادس، والسابع، والثامن (1977)

والتاسع (1980)

والعاشر (1983)

(13) المقصد الشريف، والمنزغ اللطيف، في التعريف بصلحاء
الريف — تأليف عبد الحق بن اسماعيل البادسي — تحقيق كاتب
هذه السطور (1982).

هـ) مديرية الوثائق الملكية — بالقصر الملكي ايضا، ومما
يتصل باحياء التراث، نشر الوثائق التاريخية، فالوثيقة لا تقل اهمية
عن الكتاب والمخطوط، والمغرب — ولله الحمد — غني في هذا
الباب، فالقصور الملكية، والخزانات، العامة، ملأى باكداس من
الوثائق، وتعد بعشرات الالوف، يرجع تاريخ بعضها، الى ازيد من
سبعة قرون.

والذي يعيننا في هذه العجالة ما تقوم به مديرية الوثائق
الملكية من نشاط متزايد، على رأسها مؤرخ الدولة العالم الباحثة
عبد الوهاب بن منصور، وقد اصدرت المديرية الى الآن ست
مجموعات:

(1) المجموعة الأولى سنة (1976).

وتتضمن (150) وثيقة، يرجع تاريخ الوثيقة الأولى منها الى
عهد حسان بن النعمان الأزدي، من ولاية الدولة الأيوبية على
المغرب في حدود 80 هـ — (699م)

(2) وصدرت المجموعة الثانية في نفس السنة (1976) وتتضمن
كذلك (150) وثيقة، تتضمن الوثيقة الأولى منها — وهي تحمل
رقم (151) رسالة من السلطان المولى عبد الرحمن الى عامله
بتطوان، يؤكد فيها ان وادي تافنا، هو الحد الفاصل بين المملكة
المغربية، والايالة الجزائرية.

(3) وصدرت المجموعة الثالثة سنة (1977) وضمنها مائتي
وثيقة (200) وهي تنتهي بالوثيقة رقم (500) المؤرخة ب
16 جمادى خ (1297) ويتعلق موضوعها — بسقر مريب في
صحراء المغرب، لشخص الماني ومرافق جزائري.

(4) وفي نفس السنة (1977) صدرت المجموعة الرابعة، وتتضمن
مائة وسبعا وعشرين وثيقة (127)، تحمل الوثيقة الأولى
رقم (501)، وهي رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمن الى
نائبه في الشؤون الخارجية محمد بركاش، وتتعلق بمخاطر انشاء
الحماية وقراره ارسال موظف سامي الى طنجة للتفاوض مع
نواب الاجناس على حسم مادة فسادها.

(36) صدرت اكثر هذه المؤلفات تحت اشراف مؤرخ الدولة عبد الوهاب بن
منصور، ولم ينسب اليه تحقيقها — بالرغم من ان طائفة منها قدم لها، وعلق
عليها تعليقات اضافية — لانه نفسه لم يثبت ذلك تحت عنوانها — كما هي
العادة، ولعل ذلك لسر تحمله.

وتنتهي المجموعة بوثيقة رقم (627)، وهي رسالة من السلطان الحسن الأول — الى وزيره في الخارجية محمد بركاش، تتعلق بطغيان يهودي محمي بالجنرال — في مدينة مراكش.

وتتماز هذه المجموعة بالدراسة القيمة التي قدمها مؤرخ الدولة عن قضية نظام الحماية القنصلية بالمغرب — منذ نشأتها الى مؤتمر مدريد، التي استغرقت (115) صفحة وهو كتاب بذاته.

وصدرت المجموعتان (5 — 6) ولكن مع الاسف الشديد — لم تصلاني، ولم يمكثي الوقوف عليهما.

وأملنا ان تنشئ المديرية فروعها في سائر جهات المملكة، او تنشأ اقسام لذلك بالمكتبات العامة، والمؤسسات الثقافية. وعهدي بقسم الوثائق والمحفوظات في المكتبة العامة بتطوان، انه فهرس عشرات الآف من الوثائق، واصدر ثلاث مجموعات. (1) المجموعة الأولى من القسم الأول سنة (1961)، وهي خاصة بمراسلات السلطان الحسن الأول، وتتضمن (413) وثيقة.

(2) وصدرت مجموعة (القسم الثاني) — وتتناول مراسلات وزراء المولى الحسن الأول — سنة (1965) — وتتضمن (308) وثيقة.

(3) ثم صدرت سنة (1970) — مجموعة ثالثة تحت عنوان : فهرس الوثائق التاريخية (سلسلة جديدة)

— عن عصر مولاي الحسن الأول — وتتضمن المجموعة (983) وثيقة ولكنه سرعان ما توقف عن العمل، ولا ندري لماذا ؟

(و) — المركز الجامعي للبحث العلمي — بجامعة محمد الخامس، وقد اصدر الكتب التالية :

(1) — انس الفقير، وعز الحقير — لابي العباس احمد الخطيب المشهور بابن قنفذ — تحقيق محمد الفاسي، وادولف فور (1965)

(2) الأكسير، في فكاك الاسير — لمحمد بن عثمان المكناسي — تحقيق محمد الفاسي (1965)

(3) حوليات المتاني — لاهل القرن الحادي والثاني، تأليف محمد بن الطيب القادري — بتحقيق عبد الهادي التازي (1978)

(ز) معهد مولاي الحسن للابحاث — بتطوان، التابع لجامعة محمد الخامس اصدر هو بدوره — ما يلي :

(4) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب — لابن عذاري المراكشي (الجزء الثالث) بتحقيق امروس هويسي ميراندة، ومشاركة محمد ابن تاويت التطواني، ومحمد بن ابراهيم الكتاني (1960).

(5) مناهل الصفا، في اخبار الملوك الشرفا — لعبد العزيز الفشتالي بتحقيق عبد الله ككون (1964)

(6) ديوان الامير ابي الربيع سليمان بن عبد الله الموحدى — بتحقيق :

محمد بن تاويت الطنجي، ومحمد بن العباس القباج، ومحمد بن تاويت التطواني، وكاتب هذه السطور (1965).

(7) نظم الحجيمان في اختصار أخبار ملوك المغرب والاندلس — لابن القطان — تحقيق د محمود علي مكي (بدون تاريخ).

(8) مستودع العلامة، ومستودع العلامة — لابي الوليد بن الاحمر، تحقيق محمد التركي التونسي، ومحمد بن تاويت التطواني (1965).

(ج) وزارة الشؤون الثقافية، ومن منشوراتها:

(1) أنس الساري والسارب. لابي عبد الله محمد بن احمد القيسي، الشهير بالسراج، تحقيق محمد الفاسي (1968).

(2) — ((الرحلة المغربية)) — لابي عبد الله العبدري الحياحي — تحقيق محمد الفاسي (1968).

(3) امثال العوام في الاندلس — لابي يحيى الزجالي القرطبي (37) — (القسم الثاني) تحقيق وشرح د محمد بن شريفة (1971).

(4) كشف الصلصلة، عن وصف الزلزلة — لجلال الدين السيوطي، تحقيق عبد اللطيف السعداني — سنة (1971).

(5) اختار من شعر شعراء الاندلس — تأليف ابي القاسم الصرفي — تحقيق هلال ناجي (1977).

(ط) وزارة الانباء.

ومما وقفت عليه من منشوراتها في موضع احياء التراث:

(1) الانوار الحسنية، في نسبة من بسجلماسة من الاشراف المحمدية — تأليف احمد بن عبد العزيز العلوي المدغري — بتحقيق عبد الكريم الفيلالي (1966).

(2) الترجمة الكبرى لابي القاسم الزياتي — تحقيق عبد الكريم

(37) وهو منسوخ من كتاب ((ربي الأوام، ومرعى السوام، في نكت الخواص والعوام)) وقد حاز به الامتياز المذكور — الدكتوراه من جامعة القاهرة.

8) مسائل ابن رشد (الجد) دراسة وتحقيق محمد الحبيب التيجكاني (1978).

9) الفوائد الحميلة، على الآيات الجليلة — للحسن الشوشاوي — دراسة وتحقيق ادريس العزوي (1978).

10) الايضاح لما ينهم عن الوري، في قراءة عالم أم القرى — لابي زيد عبد الرحمان بن القاضي — دراسة وتحقيق محمد بالوالي (1981).

ومن بين الاطروحات التي نوقشت في موضوع التراث — بهذه الدار :

11) عمل اليوم والليلة — للامام النسائي — دراسة وتحقيق فاروق حمادة (1978).

12) الناسخ والمنسوخ للقاضي ابي بكر العربي — دراسة وتحقيق عبد الكبير المدغري العلوي — (1978)

13) رسالة القضاء — لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب — دراسة وتحقيق احمد سحنون (1979).

14) قواعد الامام ابي عبد الله المقرئ — دراسة وتحقيق محمد الدردني (1980).

وهو تراث نعتز به، وقد رأى النور بعض هذه الرسائل ونرجو ان تلقى التشجيع الكامل من المسؤولين ببلادنا — والله الموفق.

ومما يدخل في موضوع احياء التراث، جائزة الحسن الثاني معرض المخطوطات والوثائق، وتقوم مديرية الشؤون الثقافية بهذه المعارض كل سنة، وتصور كل مخطوطة، او وثيقة لها اهميتها، وهو عمل جليل، يفتح آفاقا جديدة لاكتشاف تراثنا ولا سيما ما كان منه بيد الافراد والعائلات.

ونعلق الآمال الكبار على اكااديمية المملكة المغربية، التي هي من غرس جلاله الحسن الثاني، وقد بدأت تؤتي اكلها، فاخرجت لنا — اخيرا — السفر الثامن — بقسيمه (1 — 2) من موسوعة:

((الذيل والتكملة)) — لابن عبد الملك المراكشي، بتقديم وتحقيق د محمد بن شريفة.

هذا جانب، هناك جوانب اخرى لم اعرض لها في هذه العجالة — وليس في وسعي ذلك — وهي اعمال الافراد، وربما كانت اضخم من عمل الحكومات، ولكنها — جميعا — جداول تصب في نهر المعرفة الذي تنوق اليه، (وانا لارجو فوق ذلك مظهرا).

تطوران : سعيد أعربا

الفيلاي (1967) — في مجلد ضخم تجاوزت صفحاته (600) ص.

ولا ننسى ما قامت به وتقوم — كليتا الآداب بالرباط وفاس ودار الحديث الحسنية — من نشاط ملحوظ في دراسة وتحقيق

كتب التراث، فمن الرسائل التي ناقشتها كلية الآداب بالرباط: 1) كتاب المن بالامانة — لابن صاحب الصلاة — دراسة وتحقيق عبد الهادي التازي (1963)

2) روضة التعريف بالحب الشريف — للسان الدين بن الخطيب — دراسة وتحقيق محمد الكتاني (1969)

3) الوفي، في نظم القوافي — لابي البقاء الرندي — دراسة وتحقيق محمد الحمار الكونوني (1974).

4) كتاب التعازي والمرثي — لابي العباس المرند — دراسة وتحقيق محمد الدياتي (1974).

ومن اهم الرسائل التي ناقشتها كلية الآداب بفاس:

— ((المنزوع البديع، في تخيص اساليب البديع)) — لابي محمد القاسم السجلناسي — دراسة وتحقيق علال الغازي (1977) (38).

وناقشت دار الحديث الحسنية بالرباط التابعة لجامعة القرويين — الرسالة التالية:

1) كتاب نيل النجاح، على غرة الصباح — دراسة وتحقيق محمد الكبير العلوي (1974).

2) تجويد المقالة، في شرح نظائر الرسالة — دراسة وتحقيق احمد سحنون (1975).

3) قانون التاويل — لابي بكر بن العربي — دراسة وتحقيق مصطفى الصغير (1977).

4) تحقيق المذهب، في ان النبي (ص) كتب، لابي الوليد الباجي دراسة وتحقيق احمد الزبار (1977).

5) تقييد وقف القرآن — لابي عبد الله الهبطي — دراسة وتحقيق الحسين وجاج (1977).

6) ايضاح المسالك، الى قواعد الامام مالك — للونشريسي — دراسة وتحقيق احمد الخطابي (1978).

7) الوضع الجديد، لفن اتخارج والصفات — مع ما اولاه من فني الفواصل والتجويد — دراسة وتحقيق احمد مسكنة (1978)

(38) نال به جائزة المغرب للآداب سنة (1980) وطبعته دار المعارف بالرباط سنة (1980).

المغرب في مَوَاطِنِ الصَّحْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

للدكتور يوسف الكتاني



ان النداءات والصيحات التي ارسلها رواد الاسلام، مثل الافغاني وعبد، والكواكبي وغيرهم منذ مطلع القرن الهجري الماضي، كانت الناقوس الذي هز كيان الامة الاسلامية وايقظها، وحرك مشاعرها، ووجهها من جديد نحو حياة الحرية والعزة والاعتماد على النفس مؤكدا ان خلاصها رهين بامرئ:

التشبث بالاسلام
والالتزام به.

ومنذ ذلك الحين بدأت في العالم الاسلامي صحوة مباركة كانت ايذانا بفجر جديد.

تعريف

اذا ما هي هذه الصحوة ؟ وماهي مراحلها واسبابها ؟ وما هي مظاهرها وآفاقها ؟

الصحوة الاسلامية هي شعور المسلمين بالذنب بتخليهم عن مبادئ دينهم، وبعدهم عن معالمة، وتنكرهم لقيمهم، واعترافهم بتأخرهم وتلمس اسبابه، وآية ذلك هو ان هذا الشعور العارم، حل محل الكلمات التي كنا نكفي بها احوالنا، ونحتر بها اجداننا، وهي احساسهم بان صحوتهم ينبغي ان تكون مستمدة من عطاء الاسلام الذاتي، ومنطلقة من طاقاته الخلاقية، ومنبثقة من حقيقته باعتباره دين الحرية والتفكير والاحتيال.

والصحوة هي الرغبة الملحة والاصرار العظيم، الذي اخذ يمتلك شباب المسلمين وشعوبهم للعودة اليه كما كان نقيًا خالصًا، في

انفسهم وديارهم، حقًا وقوة، ثقافة وحضارة.

وهي رغبتهم في ان يشعروا بينهم وبين الحضارة والتقدم، صلة ورحما، دون مجافاة للدين، ولا تنكر لمبادئه، والسعي الحثيث لتحرير العقول والنفوس، من الجهل والخوف والخرافة، الى الوحدة والتأسي برسول الله (صلعم).

مراحلها واسبابها

ومن هنا نلاحظ أن هذه الصحوة تمر بمرحلتين :

الاولى : وتمثل في تجديد عملية الانتفاء للاسلام، والالتزام باحكامه، والانضباط بشرائعه.

الثانية : وتمثل في اعادة بعث النفوس، وتقوية الايمان، وتجديد الثقة بالنفس، واعادة بناء مكونات المسلم. لقد تعددت اسباب الصحوة التي نذكر منها:

- الرغبة في الاتصال والترابط والوحدة بين المسلمين
- الشعور بضرورة العودة الى الاسلام باعتباره مناط الخلاص.
- فشل النظريات والمذاهب الاجنبية في بلاد المسلمين.

مظاهرها

يمكن للدارس والباحث في حياة المسلمين وتطور مجتمعهم ان يلاحظ مظاهر الصحة الاسلامية، التي تتمثل في احياء وانشاء مؤسسات علمية وثقافية واقتصادية اسلامية، نتيجة رغبتهم في تصحيح مسارهم، ووضوح الرؤية السليمة للاسلام في اعينهم، حيث اخذ المسلم اليوم ينظر الى دينه باهتمام ورغبة، ويعمل للرجوع اليه، باعتباره البديل الوحيد لكل النظم التي سيطرت على حياتهم طويلا، سواء في نظم الحكم والاقتصاد او التشريع.

ان هذا التوجه الصادق نحو العدالة الى الاسلام كمنهج للحياة، واعادة الاعتبار والسيادة للشريعة الاسلامية في بلاد المسلمين ومجتمعاتهم ونظمهم، لا في دولة دون دولة، او فريق دون اخر، بل في سائر الدول الاسلامية، ومن جماهيرها، هو خير ضمان للصحة ومبشر بنجاحها، والتمثل خاصة في التزام الشباب المسلم بدينه، واقباله على الثقافة الاسلامية، والمطالبة بتحكيم الشريعة في امور الحياة وهو ايضا ما دفع بعض القيادات في دول المسلمين، الى الرجوع الى المؤسسات الاسلامية، تحقيقا لمشولية الاسلام كما اكد ذلك القرآن الكريم «قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين» (1).

واستجابة لتعاليمه باعتباره دينا قيما، يلبي حاجة الناس، ويحقق مصالحهم، ولكون التغيرات التي تطرأ على الحياة تجد حلولها وعلاجها في الاحكام الدينية، والاورام الشرعية، لانصافها بالبرونة، لذلك تحاول المجتمعات الاسلامية اليوم، ان تتكيف على حسب اوامر الدين وان تبني نفسها على الحرية والمساواة، والعدل، وتقديس العمل والتفوق، والالتزام بفضائل الدين والحياة والعمل على تكوين اجتماع الاسلامي الاجمالي الذي يفكر بطريقة سلمية (2)

ويمكننا ان نلاحظ بعض مظاهر الصحة الاسلامية التي تمثلت في العودة الى المؤسسات الاسلامية في مختلف انحاء العالم الاسلامي والتي نذكر منها:

(1) الآية 163 - سورة الانعام

(2) انظر حديث الدكتور عمر نصيف الامين العام لرابطة العالم الاسلامي

«جريدة الشرق الأوسط» بتاريخ 5 - 5 - 1984

تأسيس البنوك الاسلامية

وهي مؤسسة اسلامية في مجال الحياة المالية والاقتصادية تؤكد حق الله وحكم الاسلام في المال وطرق تداوله بين الناس من اجل ان يكون مقيدا ورحمة طيبا يعود على المجتمع بما يؤكد علاقة المودة بين بعضهم بعضا ويربط بينهم برباط التعاون الاسلامي القائم على البر والتقوى، وتعتبر هذه البنوك خطوة رائدة وتجربة ناجحة، تبشر بكل خير، باعتبارها اللبنة الاولى لاصلاح اقتصاد العالم الاسلامي، وتخليصه من ويلات الربا والاستغلال. والاحتكار، مما سيعود بالنفع العميم على العالم كله بفضل ما تحققه نظم الاسلام ومبادئه، التي تحرم كل استغلال، مما حقق لهذه المؤسسة انتشارا سريعا، لا في الامة الاسلامية وحدها، بل امتد نشاطها الى جهات كثيرة من انحاء العالم.

احياء نظم الحسبة

وقد كان المغرب كعهده دائما، السباق الى العودة الى نظم الاسلام وحفظه، وحياتها وتجديدها وفي مقدمتها احياء نظام الحسبة، واعادة الاعتبار اليها، واصدار ظهير ملكي ينظم اختصاص المختسين وعملهم ونفوذهم، حيث اصبح المختسب في المغرب احد رجال السلطة في كل عمالة واقليم، باعتبار الحسبة خطة اسلامية عظيمة، تعصم المجتمع من عناصر الانحلال والفساد والزيف، وتعمل على اقامة الشريعة وتطبيقها في سائر المرافق والنواحي، وانتي ادعوا من هذا المنبر الاسلامي الكريم، مختلف دول الاسلام الى تبني هذه الخطة الاسلامية، والعودة اليها لما تحققه للمجتمع من خير ومعروف واستقامة وفضل (3)

المجالس العلمية

وكانت الخطوة الثانية والمظهر الكرم للصحة الاسلامية في المغرب، احياء دور المجالس العلمية استجابة للرغبة الملحة، والاقبال العظيم، الذي تشهده بيوت الله في جميع انحاء العالم الاسلامي، والتمثل في اقبال الشباب المسلم - خاصة - على عمارتها، والكرع من يتابع المعرفة، والتفقه في الدين، بعد ان وضحت رؤيته، وتمزقت امام عينيه حجب الشك والزيف، وباعتبار المسجد في الاسلام الخلية الاولى في الامة الاسلامية، ومصدر الاشعاع العلمي، والتوجيه الديني والقيادي، كما اسسه الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد صدر بالمغرب ظهير يتعلق باحداث المجلس العلمي الاعلى، والمجالس العلمية الاقليمية، مفتتحا بالاسباب الموجبة لها، والتي

(3) راجع الظهير الملكي المؤسس لنظام الحسبة

قصد تطبيق ركن الاسلام واحياء معاملة ، باعتبار فريضة الزكاة مظهر العدالة الاجتماعية، والسلام الاجتماعي، التي حققت الاستقرار والتكافل عند تطبيقها، ونشرت المودة والرحمة بين المسلمين، وحققت لهم الكفاية، وعصمتهم من الحاجة.

ولا ننسى هنا ان نوه بالتقنين العصري الجيد ، الذي بادرت اليه دولة باكستان، باصدارها كتاب الزكاة، والذي تضمن قانونها وادارتها، ومحاسنها، ومراجعتها، اذ من شأن هذه المحاولة الرائعة ان تسهل على مختلف الدول الاسلامية تطبيق هذا الركن الاسلامي (7)

تطبيق الشريعة الاسلامية

ومن مظاهر الصحة بل من اعظمها في نظرنا، ان الامة الاسلامية بجميع طبقاتها وفتاتها، اخذت تنهق الى جعل الشريعة الاسلامية إطارا شاملا لحياتها، بعد مللها واكتشافها لزيغ النظم الاجنبية، التي عاشت عليها حقبة من الزمن مرغمة عليها، وذلك ما حدى بعض الدول الاسلامية ان تسارع الى نبذ القوانين الاجنبية والمناهج الدخيلة، والتخلص منها.

ولقد كانت دولتا السودان وباكستان رائدتي الدول الاسلامية، التي سارعت الى تغيير قوانينها الوضعية، واستبدالها بقوانين مستمدة من الشريعة الاسلامية، وبدأت العمل بها وتطبيقها، مما يشر بالخير، رغم المكائد والمضايقات والامل كبير في ان تعود الدول الاسلامية الى رشدها ، فتعيد النظر في قوانينها القائمة، وتعيد الاعترار الى شرع الله، بالغاء القوانين الوضعية والتخلص منها دون توجس او خوف.

افاقها

ان ديننا ييسر اتباعه بالخير والفوز ان هم آمنوا وعملوا صالحا وتواصوا بالصبر، هو الدين الحق كما أكد ذلك تعالى : «ان الدين عند الله الاسلام» (8).

ولا يمكن ان يطول سيات اهله كما بين ذلك الرسول الكريم في قوله : «بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوفى للغرباء». اننا نعتقد جازمين ان المسلمين في هذا العصر، هم هؤلاء الغرباء الذين كتب الله لهم أن يروا عودة اشراق شمس الاسلام من

(7) انظر كتاب الزكاة الصادر عن الادارة المركزية للزكاة بوزارة المالية الباكستانية سنة 1402 - 1982 - ترجمة جامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية

(8) الآية 19 - سورة آل عمران

تذكر منها : «ان الاسلام اهم مقومات الشخصية الاسلامية، والاساس الذي قامت عليه وحدة الامة، والعامل الذي ضمن لها التماسك والاستقرار، وبانها استمرار للعمل المتواصل في اطار المؤسسات التي تنظم جهود العلماء وعملهم، لارشاد الامة وتعريفها بالاسلام، واقامة اليه على صلاحيته لكل زمان ومكان، وان فيه غنى عما عداه من المذاهب والعقائد... الخ. (4).

ومن مهام هذه المجالس :

- احياء الكراسي العلمية، والقيام بالوعظ والارشاد والتنقيف الشعبي بالمساجد.

- توعية الفئات الشعبية بمقومات الامة الروحية والاحلاقية والتاريخية.

- الانسجام في الالفاء على وحدة البلاد، في العقيدة والمذهب، في اطار التمسك بكتاب الله وسنة رسوله (5).

وقد اوضح جلالة الملك هذه المهام، في خطابه الذي حدد فيه اهداف ومقاصد المجالس العلمية بقوله : «فعلى مجالسنا العلمية ان لا تبقى منحصرة في نواقض الضوء وموجبات الغسل، عليها ان تواجه الغزو الخارجي والمادي، وحتى تعرف بالاسلام وخصاله وفضائله» (6)

وتعتبر هذه المجالس العلمية وسيلة ارجاع الحياة الحقيقية الى مساجد المسلمين واحياء دورها في المجتمع، في التوجيه والاصلاح، والقضاء على النظر السلبية الى مؤسساتنا الدينية ، حتى لا يبقى الدين منفصلا عن روح العصر، وعن حياة المسلمين.

المجمع الفقهي

والذي تم تاسيسه بالمملكة العربية السعودية، كاحد مؤسسات المؤتمر الاسلامي، والذي يسعى لتحقيق وحدة الامة الاسلامية، من خلال توحيد تفكيرها ومنهجها وفقهاها في الحياة، ووضع حلول موحدة لمشاكل المجتمعات الاسلامية، وما يعرض لها من احداث .

مؤسسات الزكاة

ومن بين مظاهر الصحة الاسلامية، نلاحظ احداث مؤسسات للزكاة، وقد اخذت تنتشر في ربوع البلاد الاسلامية،

(4) انظر الظهير الملكي المؤسس للمجالس العلمية رقم 270 1080 بتاريخ 3 جمادى الاخرة 1401 دعوة الحق ع 6 س 22 ذو الحجة 1041 ص 10 وما بعدها.

(5) المصدر السابق نفسه

(6) راجع الخطاب الملكي في الموضوع - مجلة دعوة الحق - العدد 6 السنة 22 بتاريخ ذو الحجة 1041 اكتوبر 1981.

جديد، بعد ان عز الامل، وعم الظلام، وتلك آية الصحوة الإسلامية وعلامتها ومنطلقتها.

لقد شعر بهذه الحقيقة البعداء عن الاسلام قبل اهله، ولا ينبغي ان نقف عند التمني في مواجهة المشكلة الحقيقية، التي تفرض نفسها على كل فرد منا، ويتوقف على حلها احتضار العالم او بعثه من جديد، فالاسلام هو دين كل العصور وليس دين عصر واحد (9) ان هذا هو ما توصل اليه المفكر رجاء جارودي، بعد ان هداه الله الى الحق، واعلن اسلامه بعد ان استقرأ روح عصره، بعين متفتحة كما اكد ذلك نفسه.

وان اعظم آفاق الصحوة هو ترشيدها، بتصحيح مسار المسلمين، والرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله، والاحد بادابه في المودة بين المسلمين، وفي اعتماد المناهج التي تجمعهم حول فكر واحد، وفي البحث عن المشكلات التي يعاني منها المسلمون، توخيا لاجتياز الحلول لها، وذلك بالعودة الى الاجتهاد الذي يعتبر مظهر حيوية الفكر الاسلامي وباب انفتاحه، ومظهر تطوره، لان الاجتهاد مبدأ حركة التعليم الاسلامي كما قرر الامام احمد بن حنبل، وهو الذي يمثل المستقبل، كما اكد ذلك السيد رشيد رضى، ان المسلمين في ميسس الحاجة الى ترشيد صحوتهم اذا هم ارادوا، ان تصل بهم الى النهضة، باعتبار الصحوة ظاهرة لها، ومؤثرة عليها، وذلك بسبب بروز احداث وقضايا لها لم يكن مثيل في الماضي، كما ان ظروف التعايش والعلاقات الدولية اليوم، ومظاهر التقدم التكنولوجي والعلمي، وكل ذلك تطور بشكل اصبح من العسير على اي دولة، ان تعيش منعزلة عن المجتمع الانساني.

كما ان الامة الاسلامية تستطيع ان تؤثر على الحضارة الانسانية وتوجهها، اذا كانت متعلقة عن الحضارات الاخرى التي تراكضت اديولوجياتها مع العصر، وحاولت اضاءة الجنة فينا وليس الانسان (10) ذلك ان الاسلام بنظره ومبادئه، يستطيع ان يحل مشكلات الشرق والغرب على السواء كما استطاع المسلمون الاولون ان يفعلوا ذلك عندما استطاعوا ان يقرأوا القرآن ويفهموه بشكل رائع، مؤمنين بانه خالد، ويستطيع في كل وقت وحين من التاريخ ان يهدي الناس الى الصراط المستقيم.

ان احتكاك الاسلام المستمر مع فلسفات العصر، يمكن ان يبلور لنا في النهاية، فكرا اسلاميا معاصرا، يربط العلم بالايمان،

ويعالج قضايا المجتمع على اختلافها، وعلى المفكرين ان يتجهوا الى الكتاب والسنة، لبناء ما يمكن ان يسمى فلسفة الاسلام، التي تتجه بنظرة شمولية الى الانسان، وعلاقته بالله والكون، فلا نكتفي بانحاذ مواقف بل لابد ان يصبح لنا سلوك اسلامي متميز، يأخذ ويعطي، في حدود معتقداتنا واصالتنا (ii) ولذلك نرى ضمنا لنجاح صحوتنا، وتحققا لاهدافها، ضرورة التخطيط لنشر الاسلام، والتعريف بحقائقه واصوله، وتحبيبه للمسلمين، وتحديد صورته مما علق بها من الشوائب والتصورات المخالفة له، حتى نستعيد التعقل للمسلم الاصيل، في عصرنا الحاضر.

وان مسؤوليات الجامعات في اعادة الناس الى الاسلام، وتطبيقه في السلوك، وابتعاد القدوة الصالحة، ليعد من اكد الواجبات في هذه المرحلة بالذات، ولتحقيق ذلك لابد من وضع البرامج والمناهج الخففة له، بما يجعل الاسلام يتمثل في حياة الامة وضميرها قادة وشعوبا.

واذا ارادت شعوبنا حياة العزة والكرامة، فلتتجه بقوة وعزم واصرار نحو الاسلام، فذلك وحده الاجدى والانفع، لان المستقبل للاسلام وآية ذلك هذا الاقبال المتزايد على دراسة الاسلام، والدخول فيه افواجا من سائر الانحاء والبقارات، حتى اصبح دعاة العلمانية انفسهم يطالبون به، وراينا عشرات المفكرين وكبار العلماء يجهرون باعلان اسلامهم والدخول فيه باعتباره الملاذ الوحيد لهم وللانسانية مما تعانیه.

آية ذلك ان يقف عالم كبير مرموق، في مؤتمر علمي يضم الفين وخمسمائة طبيب، ويشهر اسلامه قائلا: ان الازان لاعلن انتائي للاسلام، وغيري يحمل ما في نفسي ولكنه مكابر (12) لقد كان هذا العالم هو البروفيسور تاناغا رئيس قسم الاحنة في جامعة جان ماي في تايلاند.

ان الحكم الاسلامي آت لا ريب فيه، وعمما قريب ستشرق شمسه على العالمين فلنقبل على صحوتنا ولنحياءها، فذلك قدرنا، ليتحقق لنا وعد الله في قوله: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ولنمكننهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا... الآية (13)

(11) انظر الاستجواب الذي اجره الاهرام مع الدكتور زكي نجيب محمود

حول الفكر الاسلامي بتاريخ 12 - 1 - 1979

(12) راجع محاضرة الشيخ الزنداني حول الاعجاز العلمي للقرآن والسنة

- اخبار العالم الاسلامي ع 874 بتاريخ رجب 1404 ابريل 1984.

(13)، الآية 53 من سورة النور.

(9) من حوار التجديد الذي اجرته جريدة العلم الثقافي مع رجاء جارودي ملحق العلم الثقافي العدد 682 السنة الخامسة عشرة 4 - 2 - 1984

(10) من حوار التجديد المذكور سابقا مع رجاء جارودي

العرش المغربي

أقدام عرش في الإسلام وأثبتته

في العالم

للأستاذ محمد ابن تاويت

الشمال، الا امارات، منزوية منظوية، هي بالقبائلية أشبه منها بالدول.

هذا في الاسلام، أما خارجه، فقد بادت الفرعونية، وتلتها البطالسية، وجثم على الجميع الاحتلال الروماني، الذي عرفت في اخره، امارات، نعمت بالاستقلال السوري، وذلك كما في الحبشة، المسيحية، التي صارت طويلة، في سبيل البقاء، وكافحت لتقف على رجليها، ولكن، سرعان، ما كانت الزعازع تعصف بها، والتمايح تلتمسها، وكان اخر هذه، الاحتلال الايطالي الموسوليني، الذي ماتخلصت منه، وعاد اليها «امبراطورها هيلاسلاسي» حتى كانت المناورات، والدسائس، التي لفظته نهائيا، وزال حلمه الذي كان يحلم به، من الهيمنة النصرانية، على الامة الافريقية. ومازال حتى الان ظل هذا الحلم، يستظل به القوم، وغيرهم خلفهم أو امامهم على السواء. وهو حلم لم يعد ان يكون حلما لذيذا، تعقبه اليقظة، المرة، بعد ان كان حلوا...

قضية تبدو غريبة، أو مبالغ فيها، أو مدعاة لأساس لها في حقيقتها، ولكنها غير تلك ولا هذه، بل هي في واقع التاريخ، مسلم بها، ولا يمكن أن ينازع في صحتها.

ففي افريقيا الكبرى، لم تعرف أمة منها ملكا، بمعناه المتعارف بين الدول. الا مصر، ومن المغرب، الذي جاءت منه الدولة الفاطمية، ورجال منه أقوياء أشداء، فاستقروا بها وما زالت آثارهم باقية للعين، في عاصمتها القاهرة، التي أسسوها.. وبعدهم، كما كان قبلهم، لم تعرف مصر الا امارات، خارجية عنها، لما استقلالها أحيانا قليلة، وتبعيات لغيرها أحيانا كثيرة، الى أن كان العهد الاخير، الذي عاش فيه، لمدة سنوات، الملك فؤاد، ولتلها ابنه الملك فاروق، ولحظات لاتتعدى الاسابيع للطفل الرضيع الذي لم يفارق احضان المربية، وانتهى الأمر بالصورة، التي لم تتسم لنا وتبشر، الا وعبست أثرها وابتسرت. وفيما عدا مصر، فانما هي امارات، مستقلة أحيانا، وتابعة أحيانا اخرى، واقوى هذه وتلك، امارة الحفصيين، التي أنشأها المغرب نفسه، ولم يكتب لها استقرار، يعتد به، بل كانت في تناحر وتشاجر، داخلها وخارجها...

تلا هذا وذاك التبعيات المطلقة، التي شملت الشمال الافريقي كله، بما فيه مصر وغير مصر، ولم يبق بعد هذا

ومهما يكن، فقد انتهى كل شيء، في القارة الافريقية أما في غير القارة الافريقية، فلم تبق الا ممالك حديثة، لم تعمر أقدمها وأعرقها، مائة سنة، فقط، بل دون ذلك، وندعو لها مخلصين بطول العمر، وبالبقاء الهني المستمر، ففي ذلك خير للاسلام عامة، ولها خاصة، فما رأينا خيرا، في غير ذلك، وان طالما نشده الناشدون، وغفل عن ذكر الاسلام الغافلون.

وهكذا نجد ان آسيا قد ودعت ملوكها، ووزعت املاكهم فيما بينها، مسلمين وغير مسلمين منهم.. وهاهي الان، حديثة العهد، بالنشأة الاولى أو الوراثية، ولا تتعدى جميعها، من الكف ثلاثة الاصابع، اختومة، ادم الله حليها.

لم يبق الا اوربا، التي عرفت دول منها ملوكا، محدثي الملك، بعد انسلاخ آخرين، في مقدمتهم فرنسا، وفي اخرهم ايطاليا واليونان.

أما إنجلترا، العجوز الشمطاء، في ملكها، فانها، لم تستمر على حال من هذا الملك، بل وجدنا في القرن السابع عشر، يعصف بملكها، الزعيم «اولفار» الثائر فتودع، الى حين، ملكها الذي فر الى فرنسا لاجئا، ولم يعرض عليه نصره وارجاع الملك، اليه، بشرطه، الا ملك المغرب، المولى اسماعيل...

ونحو هذا ما حصل في الجزيرة اليبيرية، فقد ودعت ملوكها البرتغال، بيسيستان، الصريع في موقعة وادي تخازن ولم يعد لها الملك، الا في فصول من المسرحيات الهزلية، ويتدخل من جيرانها الاسبان.

وهؤلاء الاسبان، نفسهم، الذين، قوض ملكهم «نابليون» واقام عليهم اخاه يوسف، الذي اعترف به ملوك، غير ملوك المغرب، الذين امتصوا جيرانهم، فلم يرد المولى سليمان ان يعترف لهذا بملكه، ولو كان مقابل هذا الاعتراف عودة مليلية وستة وغيرها، الى حظيرة المملكة الشرعية.

ثم ماذا كان؟ كانت عودة الملك الى اسبانيا، التي صارت تجر في حكمها، او تستمر لمن نصرها في محتها، وتكون القاضية على ملكها، اخيرا، الجمهورية، التي طردت الملكة الفونص الثالث عشر، او فر منها بجميعة ذقته.

ومع هذا وذاك، فقد وجدت في الجيوش المغربية، من عمل على طرد الجمهوريين وحلفائهم، واستاتت في تطفير الثائر الزعيم «فرنكو» فقضى على الجمهوريين، ثم مكن حفيد الملك العاشر، من الملك لقمة سائغة، كما تبدو، او غير سائغة، وهذا لايهم. أما المغرب الاقصى، فقد عرف الملك، بمعناه المتعارف بين الدول، او اخر القرن الثاني للهجرة، فكانت الدولة الادريسية

التي لم تتخل عن الملك، حتى في عهد الانقسامات بينها، وعهد التعرضات، لنيارات من أعدائها وأصدقائها وما نشأة دولة بني حمود أوائل القرن الخامس، الا انتفاضة، من تلك الانتفاضات العديدة، التي لم ترد ان تلفظ نفسها الاخير، حائرة مستسلمة وسرعان ما كان هذا القرن يتصف، فتقوم ملكية أقوى ما عرف الاسلام، من ملكيات له، الدولة المرابطية، التي استمرت نحو قرن من الزمان، تسلمت الملك بعدها، دولة الموحدين، التي ظال حكمها أكثر من سابقتها، فتسلم دست المملكة الدولة المرينية ثم الوطاسية واثرها كانت دولة الاشراف، التي عرفت بعد بدولة السعديين، والتي ورث الملك منها دولة الاشراف العلويين، فاستمر الحكم مدة اطول - حتى الان - من اية دولة اسلامية، وغير اسلامية، وتتشد في حقها قول الشاعر:

شجو حساده وغيط عداه

ان يرى مبصر ويسمع واع
ولا عبرة بالقرون الخمسة التي عاشتها الدولة العباسية، فانها بعد اثنين كان فيها يشد:

خليفة في قفص بين وصيف وبيغا

يقول ما قالوا له كما يقول البيغا

لقد صم احد الوزراء الشرقيين، حينما سمع من احد سفرائنا، رحمه الله، ان ملكنا، سليل ملوك، ورثوا الملك عن عشرات الملوك، توارثوه ابنا عن اب، وحفيد عن جد، منذ القرن الحادي عشر، في استمرار الى قرنا هذا الخامس عشر، ولن يزال.. وحتى الاحتلال الاجنبي، لم يكن فيه حلقة مفقودة لهذا الاستمرار، فالقوم واجهوا ملكا قائما، وعملوا مضطرين، ملتزمين بشاته، ودعامة قوائمه، حتى ولو كانوا قد ودعوا الملك في عقر دارهم الى الابد

ذكر لي العلامة، سيدي عبد الحمي الكتاني، ان المقيم «اليوطي» اختار المغرب، اقامة له، لانه كان من المنتمين للملكية، بفرنسا، ولهذا كان يعم بالملكية في المغرب، بعد حرمان بلاده منها.

ذكر لي هذا سنة احدى وخمسين، وانا على مائدته بداره من فاس، وزاد انه كان يصارح «اليوطي» المذكور بما كان عليه المقيم في داخلته، فكان هذا يؤمنه على ذلك، ويعترف به.

فالنتيجة ان العرش المغربي، اقدم عرش في الاسلام، واثبت في العالم على الاطلاق حتى ولو كانت البداية من قيام دولة المرابطين، لكان الاستمرار يستغرق عشرة قرون بلا انقطاع.

محمد بن تاويت

الوحدة التوحيدية

كان الخطاب الملكي السامي بمناسبة افتتاح مجلس النواب، مفتاحا ذهبيا لكثير من الحقائق التاريخية المرتبطة بنفسية الشعوب، هي التي توجهها، وتتحكم في مصيرها، كما كان هذا الخطاب ملهما للباحثين والمفكرين الذين يستعرضون الاحداث التاريخية ويستلهمون منها الحقائق التي تتحكم في المسار التاريخي للامم والشعوب، والفقرة التي نود تحليلها هي:

«المدرسة الحقيقية للمغرب هي اولا : لا تسامح في المقدسات : الدين الاسلامي ووحدة المذهب، ولغة الضاد، والوحدة الترابية، امور لا يمكن مناقشتها ولو ثانية واحدة».

وهي حقا مقدسات اربعة لا تناقض : الاسلام ووحدة المذهب، ولغة الضاد، والوحدة الترابية، وكانت مقدسات لانها كانت وما تزال سببا في المحافظة على ذاتية المغرب واستقلاله، طيلة ثلاث وثلاثين ومائتي سنة، منذ ولاية الادارسة سنة 172

الى 1405 باستثناء اربع واربعين سنة، هي مدة الحماية المفروضة، وتلك ظاهرة فريدة تميز بها المغرب، تحتاج الى تحليل، وتعليل، وتفسير، فم نفسرها؟ وكيف نعللها؟ انها ذاتية منبعثة من روابط فكرية اصيلة، كانت سببا في الروابط العضوية، بين الفئات المغربية، على اختلاف سحناتها، وبقاعها، ولغة مخاطبها.

وكثير من الناس يفسرون الوحدة الثانية الواردة في الخطاب الملكي بوحدة المذهب المالكي، وفي اعتقادي انه تفسير ضيق، فالاولى ان تكون هذه الوحدة شاملة لكل وحدة مذهبية، انتظمت المغاربة، وجمعوا على اعتبارها، وتطبيقها في حياتهم،



تدوستان
عبد الحى العمروي

ويتبين ذلك في التعرف على المعنى اللغوي لكلمة مذهب، فما هو معناها اللغوي؟ وماذا يراد بهذه الصيغة التي تأتي على وزن مفعول؟

تحليل لغوي

واذا عدنا بصيغة مذهب — الى قواعد الصياغة والاشتقاق، واستشرنا كتب القواعد واللغة، متسائلين عن معناها الحقيقي، وعن معناها المجازي، مستفسرين عن دلالة مثل هذه الصيغة التي تأتي على وزن مفعول، اجابنا الراغب في مفرداته بقوله : الذهاب المضي، ويستعمل في الاعيان والمعاني، فمن الاوّل قوله تعالى : «إني ذاهب الى ربي»، ومن الثاني قوله تعالى : «فلما ذهب عن ابراهيم الروع»، وقوله تعالى، «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» هـ. ثم ان صيغة مفعول مترددة بين اسم الزمان، واسم المكان، والحدث، الذي هو المصدر، وترجح

انها هنا اسم مكان، فمذهب في الاصل مفعول من الذهاب، صالح له، ومكانه، ولزمانه، نقل في العرف وجعل اسما للمسائل التي يقوها المجتهد، والتي يستخرجها اتباعه من قواعده ووجه المناسبة بين المنقول عنه والمنقول اليه، ان تلك المسائل تشبه الطريق.

ولذا يعبر به عنها، فيقال طريق مالك وطريقته، كما يقال مذهبه، والطريق محل الذهاب، فعلى هذا يكون منقولا من اسم المكان.

فدلالة المذهب على الطريقة هي دلالة مجازية، وليست حقيقية، وهذه الدلالة المجازية هي التي يراها الزمخشري في اساس البلاغة إذ يقول : ومن اغجاز والكناية فلان يذهب الى قول ابي حنيفة أي يأخذ به.

ماهي الوحدات العشر ؟

فإذا انتهينا الى ان المذهب هو الطريقة والمعتقد، واننا نريد بمذهب مالك طريقته وطريقة اتباعه، الذين اصلوا القواعد، وفرعوا الجزئيات، فلماذا لا نعمم كلمة مذهب، في كل طريقة جمعت المغاربة ؟ لا نجعلها شاملة لكل الوحدات التي وحدت رأي المغاربة، واجمعوا على اعتبارها، والعمل بها وتطبيقها في حياتهم، كما قلنا سابقا.

فما هي إذن تلك الوحدات المذهبية التي جمعت الفكر المغربي، وجعلت المغاربة كأنهم يعيشون تحت سقف واحد، وفي أسرة واحدة ؟ ماهي تلك الوحدات التي تميز بها المغاربة عن غيرهم، وخلقت لهم ذاتية خاصة في التفكير، والتطبيق، والعمل والانتاج ؟

إن الذي يستعرض الجوانب الفكرية التي كان المغاربة يعنون بها، ويؤلفون الكتب فيها، ويدرسها العلماء للطلبة، والعامه، في المساجد، والمدارس، والزوايا، والربط، مجدها منسقة منتظمة ضمن عشر وحدات، هي الاتية:

(1) وحدة المذهب الفقهي، في عباداته ومعاملاته وهو مذهب الامام مالك.

(2) وحدة المذهب العقدي، وهي عقيدة أهل السنة، وطريقة ابي الحسن الاشعري.

(3) وحدة المذهب الصوفي، الذي يعني بتصفية الباطن وتطهيره من الشوائب وهي طريقة الجنيد، مروراً بأبي الحسن الشاذلي المتوفى سنة 656 هـ.

(4) وحدة المذهب في تلاوة القرآن، وهي قراءة نافع من رواية ابي سعيد عثمان، الملقب بورش المتوفى سنة 110 هـ.

(5) وحدة المذهب في تنظيم الوقوف على آي القرآن، وهي الوقوف التي رتبها ابو عبد الله الهبطي المتوفى سنة ثلاثية وتسعمائة بفاس وبها دفن.

(6) وحدة المذهب في رواية صحيح البخاري، وهي رواية ابن سعادة، وهي رواية لم تكن موجودة بالمشرق، ولم يعثر عليها ابن حجر شارح البخاري.

(7) وحدة المذهب في المدرسة النحوية، وهي المدرسة الكوفية.

(8) وحدة المذهب في حكم القضاة وافتاء المفتين، وهي المجموعة في نظم العمل الفاسي.

(9) وحدة المذهب في مسطرة التوثيق، وهي مجموعة من الوثائق التي ألفها كثير من الموثقين.

(10) وحدة المذهب العددي، وهو ما اصطلح على تسميته بالقلم الفاسي، وقد نظمه الشيخ عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1091 هـ.

هذه هي الوحدات العشر التي جمعت الفكر المغربي، ووحدت بين اراء المغاربة على اختلاف بقاعهم والسنتهم، والتزم الجميع بالعمل بها وتطبيقها.

الارتباط بين الوحدات الفكرية والمحافظة

على الذاتية والاستقلالية

وإذا كنا نريد ان نحلل كل وحدة من هذه الوحدات العشر، متبعين اطوارها وتطورها، عارضين خصائصها، مناقشين من يوجه الانتقاد الى بعضها، مستعرضين كتبها، مترجمين لبعض العلماء، الذين تزعموا مدارسها، واثروا في اتجاهها فلا بد لنا قبل ذلك ان نشير الى حقيقة واضحة كما سبق، هي ان هذه ميزة لم تتوفر في اي بلد عربي او اسلامي وهي ميزة حقا، لان هذا الرباط المذهبي جعل المغاربة يحافظون على ذاتيتهم واستقلالهم، واذا قررنا وقلنا ان المغاربة يستظلون بالوحدات العشر، لا يبعون عنها بديلا، فليس معنى ذلك اننا منغلِقون على انفسنا، منطلون على ذاتيتنا، نفر من الجديد، ونحتمي من الغريب، اللهم اذا كان الانغلاق والانطواء تجاه الاستلاب لتقاليدنا ومقدساتنا ومحو ذاتيتنا، وتحويلنا عن الوجهة التي اخترناها لصياغة ذاتنا، فنحن منغلِقون منطلون.

اما المعاملات السياسية والاقتصادية والعلمية مع العالم، فقد كنا وما نزال منفتحين، فاعلين منفعلين، مؤثرين متأثرين.

ونعود الى الوحدات التي نظمنا، لنقرر انه كلما زدنا وحدة فكرية وارتبطنا بها، اضفت حبالا جديدا يربطنا، ويؤلف بينها، فالوحدات الفكرية بين الامة ضمان من التمرق العضوي بينها. ذلك اتنا نقدر ان وحدة مذهبية واحدة بمنزلة الحبل الوارد، الذي يربط بينها، فاذا جمعنا عشر وحدات كنا بمنزلة من يرتبط بعشرة حبال.

فلعل هذه الوحدات العشر التي ترتبط بها، ونتعامل في ظلها، هي التي جعلتنا كالاسرة الواحدة في هذا العالم الكبير.

الوحدة الاولى، وحدة المذهب المالكي

واولى الوحدات واولاها بالتقديم والدراسة هي الوحدة المذهبية في الفقه، التي جمعنا على فقه امام دار الهجرة مالك بن انس.

نبذة موجزة عن حياة صاحب الوحدة الاولى

هو مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر وجد ابيه ابو عامر، كان من اصحاب الرسول وشهد معه المغازي كلها الا بدارا، وجد مالك كان من التابعين، وهو احد الاربعة الذين حملوا عثمان بن عفان، لما قتل ليلا الى قبره، وتولوا غسله ودفنه، وكان من كتاب المصحف العثماني، وكان عمر بن عبد العزيز - كما ذكر مالك في الموطن - يستشير في امور الدولة، اما انس ابوه فهو من التابعين، واسم امه العالية بنت شريك، وله اولاد ثلاثة، يحيى ومحمد وفاطمة، ولد مالك عام ثلاثة وتسعين، وتوفي عام تسعة وسبعين ومائة.

وكان طويلا جسيما عظيم الهامة، شديد البياض الى الصفرة، اعين، اصلع، اشم، عظيم اللحية، يتأق في لباسه ومأكله، ويهم بالطيب، لم يملك في حياته منزلا، وانما كان يسكن بالكراء، في منزل عبد الله بن مسعود، ويكتب على بابه، ما شاء الله، وكان يختار مجلسه للتعليم في موضع الفراش الذي كان الرسول يفترشه في مسجد المدينة اذا اعتكف ويقول: ما جلست هذا المجلس، حتى شهد سبعون شيخا من اهل العلم اتى موضع لذلك، وقد كاد الاجماع يقع على انه هو المقصود بالحديث المشهور الذي رواه رواه الترمذي: «يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل يطلبون العلم، فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة».

وقد امتحن مالك بالضرب حتى اغلعت كتفاه، ولم يكن يستطيع رفع يديه، ولا اصلاح رداءه، وسبب امتحانه فيما يروي - موالاته للعلويين في شخص محمد بن عبد الله الكامل، الذي ثار على المنصور، او رفضه كتمان حديث: ليس على طلاق، ولم يكن هذا الحديث في صالح الحكم العباسي.

الادلة التي بنيت عليها الوحدة الاولى

لقد بني الامام مالك واصحابه المذهب على سبعة عشر دليلا وهي:

- 1) نص القرآن (2) ظاهرة القرآن (3) مفهوم المخالفة (4)
- مفهوم الاولى (5) التبيه على العلة (6) نص السنة (7) ظاهر السنة (8) مفهوم المخالفة في السنة (9) مفهوم الاولى في السنة (10) التبيه على العلة في السنة (11) الاجماع.
- (12) القياس (13) عمل اهل المدينة (14) قول الصحابي (15) الاستحسان (16) الحكم بسد الذرائع (17)
- الاستصحاب. ويزيد بعضهم اصلا آخر هو: مراعاة الخلاف.

أسباب انتشار الوحدة الاولى في المغرب

لقد كتب الباحثون كثيرا من الازاء والبحوث، يعللون بها سبب انتشار المذهب المالكي في المغرب، وسوف نلخص هذه البحوث منسوبة الى اصحابها، لنعود الى مناقشتها.

- رأي ابن خلدون: يرى ابن خلدون في الفصل السابع من الباب السادس ان اختصاص المغرب بالمذهب المالكي راجع لأمرين:

- 1) ان منتهى رحلات المغاربة كانت تتجه الى الحجاز، والمدينة يومئذ دار علم، ولم يكن العراق في طريقهم، فاخذوا العلم عن الفقهاء المالكية إذ المدينة هي معهد الفقه المالكي. (2) أن البداوة كانت غالبية على اهل المغرب ولم يكونوا يعانون حضارة العراق، فكان المغاربة الى اهل الحجاز اميل لمناسبة البداوة. (1)
- رأي الاستاذ السائح (2)

(1) مقدمة ابن خلدون، مطبعة مصطفى الحلبي صفحة 449.

(2) دعوة الحق العدنان السادس والسابع السنة 14.

وناقش هذا الرأي الاستاذ السائح قائلا : ان ابن خلدون تستويه ضرورة التعليلات وبم يقضية البداوة والحضارة، وهي منهجية خلدونية اراد ان يطبقها على انتشار المذهب المالكي في المغرب، فضل الصواب، ثم يرى الكاتب ان مرد هذا الانتشار يرجع الى ستة اسباب :

1) وجود كتلة مسيحية متراحة مجاورة للمغرب في الاندلس، جعلت المغاربة يتأثرون بعامل الضغط النفسي - ويكونون وحدة فكرية تحت ظل المذهب المالكي. 2) مرونة المذهب المالكي اتجاه المذاهب الاخرى، وتسامحه معها، واشتاله على كثير من اصولها. 3) دواعي سياسية لان الولاة والدول المتعاقبة على الحكم بالمغرب كانت في معظمها مالكية المذهب. 4) مقاومة المغرب لنظريات الشيعة والخوارج. فقد بدت الشيعة قوية في المغرب كما ظهرت الفكرة الخارجية، لذا تمسك المغاربة بالمذهب المالكي وجعلوه درعا واقيا من تسرب الشيعة، التي قاطعها المالكية حتى تزكت المغرب الى مصر، 5) شخصية مالك، والتزامه، واخلاصه، ومرونته في الفهم والاستنتاج، جعل النبغاء من طلاب العلم في المغرب ياخذون مذهبه، وينشرونه، وعلى رأسهم ابو ميمونة دارس ابن اسماعيل الجراي المتوفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة هـ.

لان هذا الرجل هو الذي ادخل المذهب المالكي الى المغرب وكان المغاربة قبله على مذهب ابي حنيفة. 6) المذهب المالكي يعتمد الاصول العامة المتفق عليها وهي القرآن والسنة والاجماع والقياس ويتجاوزها الى مرونة في تطوير الفكر الفقهي باعتياده على المصالح المرسله وسد الذرائع، والعرف، وعمل اهل المدينة. رأي الاستاذ الجيادي (3).

لقد استعرض الاستاذ الجيادي الاسباب التي ذكرها الباحثون، وذكر منها سبعة 1) شخصية مالك 2) ملاءمة مذهبه لطبيعة المغاربة 3) مناهضة فقهاء المالكية لفقهاء الاحناف، اذ كان المالكية ياخذون على الاحناف تواطؤهم مع الامراء الاغالبية، الذين ناصروا المذهب الحنفي، وقربوا فقهاءه، واسندوا اليهم الرئاسة والقضاء، فنكروا بالمالكية، وقد تساهل الفقهاء الاحناف في اصدار بعض الراء التي يخالفها المالكية، مسايرة لحياة الترف، كتحلليل النبيذ، وكذا القول بخلق القرآن الذي مال اليه الاغالبية.

وخلق القرآن مسالة امتحن بسببها امام كبير من المالكية، وهو الامام سحنون، فقد امتحن فيها امتحان الامام ابن حنبل في المشرق، اذ طلب الفقهاء الاحناف قتله وتقطيعه ارباعا، يجعل كل ربع بموضع في المدينة، واستقر الامر ان يقتل معنوبا بايقافه عن الاتصال بالناس، ومنعه من مجالس العلم والافتاء والزمامه ان يكثر بداره، وهذا موقف جعل الناس يتفرون من المذهب الحنفي، ويعيلون الى المذهب المالكي.

هذا عن الاحناف، اما بالنسبة الى الشافعية، فقد نقل عن المقدسي قوله ان سائر بلاد المغرب لا يعرفون مذهب الشافعي رحمه الله، انما هو ابو حنيفة ومالك، وكنت اذا كثر بعضهم في مسالة، فذكرت قول الشافعي، فقال : اسكت، من هو الشافعي ؟ انما كان بحران. ابو حنيفة لاهل المشرق، ومالك لاهل المغرب افتركهما وتشغل بالساقية ؟ اما عن ابن حنبل، فلانه اخذ بالخبر الضعيف، وفضله على القياس، حتى ان كثيرا من الفقهاء لم يعدوا احمد بن حنبل من الفقهاء وانما صنفوه في طبقة المحدثين. 4) ومنهم من يرد اسباب انتشار المذهب المالكي الى بعض الملوك الذين حملوا الناس بالقوة على مذهب معين ومن هؤلاء ابن حزم الذي يرى ان المذهبين المالكي والحنفي انشرا بقوة السيف. 5) تشابه البيئة بين المغرب والحجاز 6) رحلة المغاربة للحجاز 7) مناهضة المذهب المالكي لمذهب الخوارج الذي تسرب الى المغرب منذ اوائل القرن الثاني الهجري.

على يد بعض خوارج العراق، وفي الاخير يستبعد الاستاذ الجيادي معظم هذه الاسباب ويقول : والذي غمّل اليه، هو ان المذهب المالكي قدر له ان ينتشر في هذه الربوع، ويقاوم الزمان، كما انتشرت بقية المذاهب الاخرى في غيره، دون ان يرجع ذلك الى اي سبب من الاسباب، اللهم الا ما كان من حمل الملوك الرعايا على الالتزام به والهجرة المتابعة بين المغرب والحجاز.

رأي المرحوم التهامي الوزاني (4).

ويرى المرحوم التهامي الوزاني رأيا جديدا في اسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب لم يصرح به، ولكنه يلوح اليه تلويحا يكاد يكون تصرّحا، في المقال المطول الذي اختار له عنوان : الجيش المغربي عبر الاجيال، ذلك انه يرى ان عبد الله

بالكوفة، والحسن البصري والأوزاعي بالشام والشافعي بمصر،
وأحمد بن حنبل ببغداد، وكذا أبو ثور وأبو جعفر الطبري
وداود الأصبهاني.

وفي موضوع المقارنة بين الأئمة يقول : وأما أبو حنيفة
والشافعي فيسلم لهما حسن الاعتبار، وتدقيق النظر والقياس،
وجودة الفقه، لكن ليس لهما امامة في الحديث، ولا معرفة به،
ولا استقلال بعلمه ولا يدعيانه ولا يدعى لهما، وقد ضعفهما
فيه أهل هذه الصنعة، وأهل الصحيح لم يخرجوا عنهما منه حرفا،
ولا لهما في أكثر المستفادات ذكر، فقد كان الشافعي يقول لابن
مهدي وابن حنبل : انما أعلم بالحديث مني، فما صح عندكما
منه، تعرفاني به لاخذ به، وهذه درجة تقصر عن درجة الاجتهاد
العلية.

رأي الونشريسي (7)

ويرى الامام الونشريسي ان المذهب المالكي انتشر (1) بقوة
السلطان (2) بخلوه من اصحاب المذاهب الضالة كالجهمية
والرافضة والمرجئة والشيعة ويقول بالحرف : فأخذ هشام بن
عبد الرحمن جميع الناس بالزامهم مذهب مالك وصير القضاء
والفتيا عليه، وذلك في عشر السبعين ومائة من الهجرة، في حياة
مالك وقريب من موته، وشيخ المفتين يومئذ صعصعة بن سلام
امام الأوزاعية وراوئهم، فالتزم الناس بهذا المذهب من يومئذ
وحوا بالسيف عن غيره، وما تدين بغيره احد من الناس. الا
من يوبه له، وفي آخر كتاب الحكم الى الفقيه ابني
ابراهيم : وكل من زاع عن مذهب مالك فانه ممن رين على
قلبه، وزين له سوء عمله، فاننا لم نره مذهبا من المذاهب اسلم
منه، فان فيهم الجهمية والرافضة، والخوارج، والمرجئة، والشيعة،
الا مذهب مالك فانا ما سمعنا ان احدا ممن تقلد مذهبه قال
بشيء من هذه البدع، فالاستمساك به نجاة ان شاء الله.

تلك هي جملة من مناقشة هذه الآراء آراء الباحثين، القدامى
والمعاصرين، الذين يحاولون ان يعللوا اسباب انتشار المذهب
المالكي في المغرب، تعمدا ان نستوفي تلخيصها بامانة، وان
تكرر معظمها، ولم نرد ان ندخل في الاعتبار الاسباب الراجعة

الكامل جد الادارة من المدينة المنورة، وانه كان صديقا لمالك
بن أنس، فأخذ عنه الفكر المعتدل، ثم حمل هذا الفكر الى
المغرب احفاده الادارة من بعده، ثم يقول : غير ان
الادارة لم يكن لهم من الوقت ما ينتقلون فيه من مرحلة الوحدة
الدينية الى تمام الوحدة المذهبية. ان المرحوم الوزاني كاد يقول ان
الشرفاء الادارة بحكم صلتهن بمالك حملوا اصول مذهبه الى
المغرب وان لم يفرضوه على الناس.

رأي الاستاذ الخطابي (5)

اما الاستاذ احمد بوطاهر الخطابي، الذي حقق
كتاب : ايضاح المسالك الى قواعد الامام مالك لابي العباس
الونشريسي، فهو يرى انه ليس من اليسر تقصي الاسباب التي
حفزت المغاربة الى التثبث بمذهب مالك، مكتفيا بالاسباب
الآتية، ومن الملاحظ ان جلها مكرر مع الاسباب السابقة (1)
فأول الاسباب عنده نشوء المذهب بالديار المقدسة (2) ورود
الانثر في صاحب المذهب (3) اشادة مختلف الامة به (4) تشابه
البيتين المغربية والحجازية (5) طبيعة المذهب وخصائصه (6) كونه
يعتبر الممثل الاصيل لفقه الفقهاء السبعة (7) توسطه بين
الافراط والتفريط (8) خصوبة مصادره وتفنن اصحابه في وضع
القواعد (9) جمع الكلمة على رأي واحد والاستفادة مما وقع فيه
غيرهم من البلدان الاسلامية، فمزقتهم شر ممزق.

رأي القاضي عياض (6)

ونخل القاضي عياض منحى آخر في الموضوع، فهو صراحة
اسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب، ولكنه عدد - اولا
- الائمة الذين قلدهم الناس واتبع - ثانيا - ذلك بذكر
الآفاق التي انتشرت فيها هذه المذاهب، وعدد - ثالثا -
الاشياء التي يرجع بها المذهب المالكي - وقارن - رابعا -
بين المذاهب الخمسة التي صارت اليها في عهده، وهي المالكية،
والحنفية، والشافعية، والحنبلية، والداودية التي يقال لها ظاهرية.

ويقول عن الموضوع الاول : فكان المقلدون المقتدي
بمذهبهم هم مالك بن أنس بالمدينة، وأبو حنيفة والثوري

(5) إيضاح السالك ص 8.

(6) المذرك ج 1 ص 64 وما بعدها.

(7) المعيار ج 6 ص 357.

انتشاره، والامثلة كثيرة من التاريخ المغربي القديم والمعاصر.

السبب الخامس : تعاطف مالك مع الادارسة، الذين اسسوا ملكا في المغرب، بمعنى ان الادارسة هم الذين اتوا بالمذهب المالكي، وهم الذين نشره، وهذا مناقض لما يذكرونه، من ان المالكية قاوموا الشيعة وطردوهم من المغرب، لم يكن — إذن — بين الشيعة — والادارسة منهم — وبين المالكية عداوة ومدافعة ومزاخمة ؟ اننا نستبعد ان يكون الادارسة من المدرسة المالكية، ونستبعد ان يكون هناك اتصال بين المالكية والشيعة.

الاسباب الاخرى : شخصية مالك، توسط مذهبه واعتداله، طبيعة المذهب، وخصائصه، خصوصية مصدره، اشادة الامة به، جمع الكلمة على رأي واحد، وكلها اسباب غير معقولة، ولا ثابتة، ولو كانت معقولة لكانت سببا في انتشار المذهب المالكي، في جميع الاصقاع لا في خصوص المغرب، لاننا نفترض انها خصائص ينفرد بها المذهب المالكي وتختلف في غيره، بالاضافة الى ان اصحاب المذاهب الاخرى يصفون مذاهبهم بمثل هذه الصفات وربما بأكثر منها :

ثم انه اذا كانت هذه الخصائص موجودة في المذهب المالكي وحده، وكانت من اسباب انتشاره، فلم يخرج من خرسان بعد ما انتشر فيها، وغلب عليه فيها المذهب الحنفي ؟ ولم كان المذهب المالكي بمصر ثم اخرج منها وغلب عليه مذهب الشافعي ولم يخرج من العراق وخلفه المذهب الشافعي ؟ لكل ذلك، ولغيره من الاسباب التي طويناها، فان الباحث لا يكاد يظمن للاسباب التي اوردها الباحثون، بما فيهم ابن خلدون والذين قلده او انتقدوه.

أهمات كتب المالكية

ومن المفيد ان نذكر — ونحن نتحدث عن الوحدة الأولى — ان المطابع الحجرية، انجزت طبع ورقيتين غفلا من التاريخ، والكاتب، واسم المطبعة، عددت فيها جملة من مشاهير كتب

الى المنامات والاحلام، وهي كثيرة جدا، كان العلماء الاقدمون يستأنسون بها، ويضيفونها الى الاسباب المتقدمة، كما غضضنا النظر عن كثير من الآراء التي وردت في بعض المحاضرات، التي القيت في الندوة التي نظمتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بتاريخ 25 — 26 — 27 — 28 — ابريل 1980 في موضوع ندوة الامام مالك ثم طبعت في ثلاثة اجزاء، لانها اسباب لم تأت بجديد تضيفه الى الاسباب السالفة.

ونحن نريد ان نناقش معظم هذه الاسباب او كلها مناقسة تستهدف منها الحق وتروخي الانصاف.

السبب الاول : ملاءمة طبيعة المغرب والاندلس للحجاز، ونحن نتساءل متى كانت هذه الملاءمة ؟ وهل تشبه الطبيعة الاندلسية والمغربية طبيعة الحجاز ؟ وذلك غير صحيح، فنحن نعلم بالبداهة ان بيتها مختلفة، وطبيعتها متباينة، وهو امر معلوم من علم الاجتماع، معلوم بالمشاهدة، فكيف يزعم ذلك ابن خلدون ثم يتبعه الباحثون ؟

السبب الثاني : ذهاب المغاربة الى الحجاز وهو أمر مردود، فان المدينة قبلة لجميع المسلمين، وملتقى لهم من جميع انحاء العالم، ولا يؤمها المغاربة وحدهم حتى يصح ان نقول : إن المغاربة احذوا بالمذهب المالكي لهذا الاعتبار.

السبب الثالث : قضية المرونة، وهي قضية يلوحون بها ، ويذكرون انها من اسباب انتشار المذهب المالكي، والحقيقة ان قضية المرونة تكون من جزئيات المذهب الحنبلي احيانا، واجيانا تكون المرونة واضحة في الفروع الحنفية، احيانا يكون المالكية أكثر مرونة من غيرهم، فالمرونة — إذن — ليست صفة ثابتة في مذهب معين، بل هي منتقلة، مترددة، بين المذاهب الخمسة.

ولولا الاطئاب لثقلنا مرونة كل مذهب بمثال او مثالين، هذا إذا اردنا بالمرونة اليسر والسهولة، فإذا اريد بها معنى آخر احتجج الى تفسيره لمناقشته.

السبب الرابع : قضية حمل الحكام على المذهب المالكي، وهو سبب ايضا غير صحيح، لان حمل الحكام بالقوة على مذهب معين انما ينشره لفترة معينة، لا تستمر وكثيرا ما قاوم بعض الموحدين المذهب المالكي نفسه، فكانت النتيجة زيادة

المالكية حيث سجل الكاتب في الورقتين أكثر من عشرين ومائة كتاب، منسوبة لمؤلفها، ونكتفي بذكر نموذج من الورقتين ابتداء من المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وبعد فالقصد ذكر جملة من مشاهير كتب المالكية رجعهم الله تعالى ورضي عنهم ونفعنا بهم آمين.

المدونة، وتسمى الام واختلطة للامام ابي سعيد سحنون التنوخي القيرواني، التهذيب لابي سعيد خلف بن ابي القاسم الازدي البرادعي تلميذ ابن ابي زيد القيرواني، العتبية المستخرجة من الاسعة المسموعة من الامام مالك واصحابه التي شرحها ابن رشد بالتحصيل والبيان، وهي لابي عبد الله محمد بن احمد العتبي وهو اندلسي قرطبي، الموازية لابي عبد الله محمد بن المواز الواضحة، ومختصها لابن حبيب، الاسدية لاسد بن القرات، النوادر لابن ابي زيد القيرواني صاحب الرسالة، السليمانية لسليمان بن سالم يعرف بابن الكحالة من اصحاب سحنون، المجموعة لابن عبدوس، المختصر لابن عبد الحكيم المسوط ليحيى بن يحيى.

وهكذا تمضي الورقتان حتى يصل عدد الكتب الاهمات الى أكثر من عشرين ومائة كتاب، واهمية هذين الورقتين تأتي من الأوجه الآتية : 1) معرفة أسماء تلك الكتب 2) معرفة مؤلفيها 3) البحث عنها من أجل تحقيقها وطبعها، أحياء لفقهاء المالكي وتعريفها بمصادره الأولى.

المطابع الحجرية الست والوحدة الأولى

وقد أسهمت المطابع الحجرية الست، التي توزعتها أحياء

مدينة فاس، في طبع كتب الوحدة الأولى، تبعاً لمساهمة العلماء المؤلفين في التأليف، ففي الدروب المظلمة من مدينة فاس تحركت ست مطابع حجرية، وكانت أولى تلك المطابع بحجى جزام برقوفة، وثانيتها بدراب حسان بالبلدية، وثالثتها بدراب الحمام بالجوطية، ورابعتها قرب سيدي أحمد الشاوي، وخامستها بحجى البستونية، وسادستها في مكان لم اهتم اليه بعد، فمن تلك الدروب المظلمة في الأربعة اللازمة جدرانها، المتأكلة لبناتها، أسهمت المطابع في حمل الكلمة المشرفة، مغنية الفكر والمعرفة، غير مبالية بالأحداث السياسية والاقتصادية التي كانت ترهق بلدنا قبل فرض الحماية ومع فرص الحماية فرضها، فلم تشغلها هذه الأحداث عن عملها الثقافي، وانجزت مئات الكتب في الوحدات العشر السالفة، وتناقلت هذه الكتب المراكز العلمية المثبثة في الحواضر والوادي، المنتشرة في السهول والجبال، فانسق العمل - ضمن الوحدات - بين المراكز العلمية.

ومن الكتب التي انجزتها المطابع الحجرية في موضوع الوحدة الأولى.

1) حاشية الشيخ الرهوني في ثمانية أجزاء طبع سنة 1293 وهذه الطبقة سبقت المطابع السلوكية بمصر.

2) شرح محمد بن قاسم جسوس على الرسالة طبع في ثلاثة أجزاء سنة 1312

3) حاشية المهدي الوزاني على شرح التاودي لابن عاصم في ثلاثة أجزاء

4) حاشية التسولي على التاودي لمنظومة الزقاق طبع سنة 1314

هذا مثال من مئات الكتب التي انجزتها المطابع الحجرية، في موضوع الوحدة الأولى، اقتصرنا عليها بقصد التمثيل فقط.

وبقى علينا ان نحلل الوحدات التسع الباقية في مقالات تالية ان شاء الله.

التوقيع : عبد الحفي العمروي



سُمعة
المغرب

و

مَكَانة
العَرْش

للأستاذ علي العلوي

وموسوم بالعبارة.

وذلك ما خامرني بالفعل امام كتابة موضوع تاريخ الجلوس على العرش المجد فنالت الموضوعات امام الذاكرة كما تشخص احداث شريط امام العين فاخذت جميعها بمجامعي وكأني في حديقة غناء، وكانها زهرات ذات منظر بهي، ونفح مؤرج عطري، او كاني امام سماء صافية الاديم وكانها نجوم لامعة ينعكس نورها الفضي فيأخذ بالمشاعر، فوفقت برهة حيث الفكر مشدود الى مشاهدتها، فتناولت زهرة من بين تلك الزهرات قرأت من خلال منظورها البهي، ورائحتها الشدية سمعة المغرب الدولية ومكانة العرش العالمية فسرح الفكر في هذا الموضوع يتقصاه منذ أن خفقت الراية الاسلامية على هذه الارض الطيبة،

ان الكاتب كثيرا ما يتعرض لبلبلة فكرية في طريق معالجة موضوعه، ويتارجح بين الحد والحزر لاكتشاف الفكرة ومعالجتها، ويطلق عنان فكره ليتجول في الموضوع واكامه كي يجمع حصيلة من المعطيات تساعده على اقامة صلب الموضوع الا ان الكاتب في موضوع العرش المغربي. وقادته الامجاد، ورواده الافذاذ وخوالد الاعمال التي اقاموها، وروائع المؤسسات التي شيدوها، وغيرتهم على السيادة الوطنية وتضحياتهم المثل في المحافظة على الشخصية المغربية، ومظاهر الحضارة العربية الاسلامية، هذه الموضوعات واضرابها تهال على فكر الكاتب، وتترآم عليه من كل جانب، فلا يدري ما الاحظي منها بالتقديم او الاخرى منها بالتأخير، لان جميعها جدير بالاهمية

وارتفعت كلمة التوحيد في سائر ارجائه حيث حفلت هذه الارض بمشاركة مستمرة في الاحداث، وعاشت مع الاقطار المجاورة والبعيدة تساهم بفعالية وتصنع التاريخ السياسي بقيادة ملوكه الجالسين على العرش، المبايعين بالامارة من طرف الرعية، والموضوعة في ايديهم مقاليد القيادة وحماية الحرية والسيادة، وان العالم المعاصر باجمعه يعلم مساهمة المغرب وآثاره التي لا يحسبها التاريخ داخل حدوده وخارجها ويعلم دوله التي شادت حضارات عبر العهود المختلفة، والعصور المتباينة، واوروبا بصفة خاصة تدرك حيوية هذه الدول وما ابرمه ملوكها معها من معاهدات وما امضوه من اتفاقيات، وسجلات هذه الامم التاريخية مليئة بالوقائع وغنية بالمراجع، تتضمن ما يعتبر في سماء الخوادم والروائع، والدارس لتلك الاتفاقيات يدرك مدى الاهمية التي كانت لملوك المغرب في ربوع المنطقة، وتأمين السابلة في البحار، والسماح لسفنهم بالاتجاه الى الموانئ المغربية في حالة الطوارئ المفجعة، وفي حالة الاستجمام والراحة.

لقد كانت للمغرب كلمته المسموعة مع ملوك اسبانيا والبرتغال وفرنسا وانجلترا وايطاليا واليونان والدول الاسكندنافية، وسفاراته المستمرة من اجل الصلح والاحياء واستشاراته التولية لصالح الاسرى، وحسن معاملتهم والافتداء عن طريق المال او التبادل، كما جعلت السجلات بالمراسلات الغامرة بين سائر الاقطار العالمية، وخاصة في عصر الدولة العلوية مما مكن المغرب من قوله في كل حدث سياسي واعطاء رأيه وموقفه منه مثل ما فعل الملك سيدي محمد عبد الله العلوي حينما ايد استقلال الولايات المتحدة من السيطرة البريطانية وابدى استعدادها لمدها بكل اعانة محتملة.

هذه الاحداث السياسية كانت من صنائع العرش المغربي، ومن يقظة شعبه، ومن موقعه الجغرافي، ووفرة النعم بارضه، وكونه نقطة الالتقاء عبر التاريخ وسر الاحتباب، وما يزال يتمتع بهذه الحساسية الدولية ومن ثم كانت سمعته السياسية في سائر ارجاء العالم بالغة المدى يؤكدها اليوم تاريخنا المعاصر بقيادة العرش المغربي، فبالامس القريب رج العالم الاستعماري لثورة ملك المغرب محمد الخامس وسنده الحسن الثاني وشعبه، وشاهد مجذاف السياسة يسير في اتجاه الحرية والاستقلال فيعم الدول الافريقية، ويرهن على كيان هذا الشعب ومناهجه السياسية ومواقفه التاريخية، ومطامحه في بناء شخصيته المستقلة وارسال اشعاعاته التاريخية على ارضه وعلى من حوله من جيرانه.

واليوم يرهن الحسن الثاني للعالم من جديد على دور المغرب الفعال في الاحداث السياسية العالمية وتضالاته المتتالية مطبوعا بانضج والاعتزان، ومختوما بالنظرة المجردة المفيدة لبني الانسان، ونابضا بالشجاعة للدفاع عن الاوطان، وحفظ حقوقها من كل تبعية وهوان، فسمعة العاهل المغربي الحسن الثاني في كفاءاته ومواهبه الخطابية والارتمالية الموقفة حيث رنت كلماته في محافل العروبة والاسلام فرجت بها المشاعر، واقتنعت بها الافكار، واشرقت لها النسمات وشفقت لها الايدي بحجارة تصديقا لمقاصدها واهدافها، واستمسكا بنهجها ومذهبها، وارتجل كلماته باللغة الفرنسية وسط جموع مصافعها وبنائها والمتسبين اليها فاندهشوا من طلاقته ورائع لفظه وعميق قصده فطاب القول والفعل بالثناء عليه معترفين بفصاحته وبلاغته ومقرين بسداد التحليلات وطرق الحل للمشكلات، والتمسك بمبادئ الديمقراطية ومناهج الحريات، وارتجل في هيئة الامم المتحدة فلم تقصر عبارته ولم تحف سلاسته بل كان بحرا زاخرا في اللفظ والمعنى مستجيبا للتطلعات المرتقبة منه حيث افاد واغنى، فقامت الجموع من كل نخله، اكبارا لآثاره وافكاره، واعجابا بحمس تعبيره وقوة جنانه في ارتجاله.

ومواقفه الدولية همة وافرة، وكلها بالحكمة والعبرة زاخرة وجميعها من حيث التنسيق والتساوي بليغة ساحرة، وبالبادارات والبسق كاشفة سافرة، مما جعل اخافل تؤزره بالتكريم وتلبسه رداء القيادة والرئاسة، وتؤمن كمال الايمان وانتم بمواقفه السياسية، وتجربته المثالية، وطباق قوله لاعماله وركوب الحزم والجد في تنفيذ مقولاته داخل مملكته، والالتزام بذلك خارج بلاده. مما اصبحت معالم الديمقراطية تطبع ارضه وتحلل وطنه، وتخطو خطواتها المتسقة في مناهج محكمة، ومرافي مركزة، وتشاور مشمر لا يكتنفه ابهام ولا يعتمه قمام.

هذه السياسة اكبست المغرب سمعة اتسعت بوسائل الاتصال، فهرع الى المغرب من كل جانب، وفي مقدمتهم القادة والاقطاب مفاوضين منافسين، زائرين ومتفصحين، فوجدوا في شعب المغرب شعب الحسن الثاني سيمة الامتثال، وجمال الاستقبال، وحسن الاستعداد، فتوطدت العلاقات وتكشفت الحقائق فشهدوا عن كتب وقرب.

شعب المسيرة الخضراء التي هزت العالم باجمعه واقلعت جذور الاستعمار من اقاليم الجنوب، وصنعت المعجزات على الرمال وصنعت التراب بدماء الشهداء وتلك سمعة المغرب المدوية في كل الاجزاء فاقت مسيرة الصين وما علم لها المثيل في

سمعة الحسن الثاني صاحب اليد البيضاء الممدودة الى الجميع كانت انظمة ملكية ام جمهورية، اتسمت بالراسمالية والليبرالية، ام اتصفت بالاشتراكية المختلفة لدى مصلحة الشعوب فوق التيارات المتضاربة، والمناهج السياسية المتباينة. سمعة المغرب تجلّت في لقاءات الحسن الثاني مع الملوك والرؤساء على ارض المغرب وفي اقطارهم مع رجال العالم المتقدم ومع قادة العالم الثالث، واتفقت الآراء معه على بناء صروح التعاون، وتمتين روابط الصداقة مما جعل الاخاء يفوق العمل السياسي ويرجي بالقطرين الى وفاق مثالي.

سمعة المغرب برزت في اغافل الدولية بقراراته المركزة على الاعراف الدبلوماسية وبياناته المبينة على القوانين الدولية، وحججه المستفادة من مضامين الاتفاقيات العالمية، واجتهاداتها القضائية، ودساتيرها المتداولة المرعية. وكَم ثم كم من حدث سياسي اكسب المغرب سمعة سامية، سلجت الاقلام في صحيفة الحسن الثاني وخلق آثار حميدة في الأوساط الدولية، لا يستطيع القلم حصرها والاتيان عليها.

نعم ان السمعة المغربية ليست وليدة المهد المعاصر وانما هي خيوط الاشعاع في هذا المجتمع منذ الاحتباب القابرة، ماثلة في كل دفقة من حياته، وفي كل نبضة من قلبه، وكل ومضة في عقله ووجدانه، يغذيها العرش حيناً بعد حين، ويجزيها تمسكا بالعقيدة والايان، ويعيشها كلما هبت عليها سنة من الغفلة والنسيان، ذلك الاشعاع الذي لم يقتصر داخل البلاد بل تجاوزها الى خارج الوطن، غيرة من ابائه، وطلباً من الراغبين في الاستفادة منه، وترحياً بالوافدين عليه من كل الانحاء، لقطف ثمار العلوم والصناعة، ومختلف انواع الحضارات المتميزة، والاستعانة بما يغمره من مناهج سياسية تفتح اكامها، وتزهو معالمها، ويعلو مقامها، وهذا شكل المغرب ونسجه ولن يصده صاد عن طبعه وطبيعته، وسوف يعي ويفشل من يحاول طمس سمعته لانها شمس ساطعة مدى الدوام، ويكفي دليلاً على ذلك ما سبق في غضون التاريخ انها ضياء وهاج تغشى امامها فتائل الفتاتين واختالين بل ان بريق السمعة المغربية لن يزداد الا اتساعاً وشمولاً يهدي الحائرين وينير الطريق امام المتشردين، ويمد يد الاخاء للغاوين والضالين سواء اندمجوا في الركاب او شطوا عن الصواب، وما يوم عودتهم بعيد لان مسيرة المغرب التاريخية، وراء عرشه المجيد، طبعها العناية الالهية منذ اقدم العصور، بالتجلة والظهور، وحسن الخاتمة في جميع المقاصد والاهداف.

غضون التاريخ سمعة المغرب في مبادرته لانشاء المنظمات، وتعزيز الهيئات والجمعيات، دفاعاً عن الكرامة وصيانة للحرية، وانعقاداً من التبعية.

سمعة المغرب في الدفاع عن الاسلام ونصر كيانه ورفعة شأنه بارسال الجيوش الى الجولان، والى سيناء وبذل النفس والنفس في سبيل القدس الشريف وارض فلسطين واستنكار اباداة شعب الافغان واحتلال ارضه بقوة السلاح، سمعة المغرب بالدعوة الى الاسلام والاخاء بين الاقطار الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها، ومد اليامن النظيفة بالطهر واحة لازالة كل خلفيات وخلاف، واحياء شعوبها لاداء رسالتها المقدسة في سائر الارحاء. سمعة المغرب لدعوة العروبة الى التضامن والوفاء، والاتحاد نحو التعاون والبناء، وجمعهم على ارض المغرب في كثير من المناسبات، للوصول الى اتفاق تام، تنحل معه سائر العقد المستعصية، وتنمحي كل الخلافات المزمنة، وقد دوى في سائر انحاء العالم، اتفاقية فاس وصادق عليها الشرق والمغرب واعتبرت محل الاجماع، تقديراً لما تضمنته من اتجاهات بالغة الحكمة والرزانة.

سمعة المغرب في دعوة الشمال الافريقي تحقيقاً للأمال التي اقربها شعوب المغرب العربي وتغنوا بحلمها منذ عهد الاستعمار، وفعلاً ولأول مرة بدأت المسيرة الفعلية الى هذه الامنية بالاتحاد العربي بين المملكة المغربية والجمهورية الليبية الشقيقة، وانه اتحاد قلب كل المعايير، واستنزل ما استعدته الاحلام ولم يخطر حتى في ضيه الأوهام. وانه لمثال نادر تغلبت عليه حكمة الحسن الثاني ومعمم القذافي حيث ازالا كلمة المستحيل من قاموس السياسة امام مصلحة الشعوب، وامام التضامن الاسلامي، والاخاء العربي والافريقي.

سمعة المغرب التي اعترف معها الأوروبيون بعد نظر الحسن الثاني ومواكبته مسيرة التعاون والتضامن فتحلوا عن بحران الهيجان الاستعماري، ونسيان ما انزلقوا فيه من حماة العنصرية، ومزاولة السلطة والانانية، وجنحوا الى التعاون الناجع للشعوب وانباء الانسان بصفة عامة.

سمعة الحسن الثاني الداعي الى تأمين المنطقة وخلع ما تبقى من الاغلال الاستعمارية على اراضي ستة ومليية في الضفة الجنوبية، وعلى جبل طارق بالضفة الشمالية، والاقبال على التعاون في المجالات الحميدة للشعبين المجاورين، في مجال الاقتصاد والثقافة والاجتماع.

وهذا صراطُ ربِّك مُستقيماً.

لأستاذ محمد العربي الزكاري

المنطلق لاد وان يرتكر اختيارهم في الأساس على اسناد هذه المسؤولية العظمى لشخصية تتوفر فيها المؤهلات الشرعية، بالإضافة الى التزام المرشح بتقيد شروط اساسية لفائدة الأمة وصالح الجماعة ومن هنا جاءت «البيعة» في الاسلام عقدا مقدسا بين الحاكم والمحكومين، ورغمنا، عن أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم غير مطالب بيعة تركي اضطلاع بالاشراف على مصالح المؤمنين بحكم نيوته ورسالته الالهية العامة، فقد سن عليه الصلاة والسلام هذا المبدأ منذ فجر الاسلام كأرشاد لما يجب ان تسير عليه الجماعة الاسلامية بعد التحاقه بالرفيق الاعلى، وقد أكده فيما بعد بقوله صلى الله عليه وسلم : «من مات وليس في عنقه بيعة مات موتة جاهلية».

وجدير بنا ان نقارن بين الحكم في المجتمع الاسلامي وبين انظمة مدنية صرفة، وأول نموذج من الحكم المدني يتمثل في اولئك المتسلقين لكراسي القيادة عن طريق التسلط وبواسطة الاغتصاب، وهو نوع ساد كثيرا من مراحل التاريخ البشري، فتحملت المجتمعات سلبياته الكثيرة وإيجابياته القليلة تبعا لاهواء الحاكم وميوله وما يتوفر عليه من رغبة في تصحيح اوضاع فاسدة، او طمعا في السيطرة وتطلعا لاشباع نزوات شخصية جامحة.

وتجد على الساحة نظاما آخر يعتمد على التنافس بين شخصين فاكثرا، ينتهج كل واحد في جملته وسيلة التنقيص من اهمية منافسه وان كان يفوقه ثقافة وكفاءة واحلاصا، وهذا السلوك يؤدي في الغالب الاغلب لاحترام النقاش والمواجهة الكلامية ليصل الصراع الى الاتهام! وفي المقابل يخلع المهاجم على نفسه هالة القداسة

حديثنا عن عيد العرش المغربي يرتبط ارتباطا وثيقا باحداث داخلية لها اثرها في بلورة الكفاح الشعبي سياسيا وحرابيا، ويدفعنا من المواجهة الخارجية الى القاء نظرة على الانظمة المعاصرة، مساهمة منا في توضيح الصورة بالنسبة لانس واعداد حكم يستمد جذوره من شريعة الله، وتسلطا للاضواء على انظمة نابعة عن اعتراف مدنية تخضع في اغلبها للتقلبات السياسية والممارسات الخزية والمتطلبات الظرفية.

وفي هذا السياق نجد كتاب الله تعالى يحدد لنا مهمة الانسان في هذا الكوكب «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة» (1) ومعنى الآية الكريمة ان حكم البشر في الارض يتمثل في الخلافة عن الله، واذا فالخليفة يستمد سلطته ومسئولته من القرآن باعتباره المصدر الاول للتشريع، وحيث يستجبل تطبيق الاحكام من لدن المجتمع ككل، ارشدنا الحق تعالى الى الحل العلمي لهذا الاشكال في قوله سبحانه «ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم» (2).

وولى الامر في مفهومنا الفقهي يخضع لرأي الأمة وللقرار الاجماعي الذي يتخذه «اهل الحل والعقد» باعتبارهم تحية الجماعة الاسلامية المكونة من صفوة العلماء والوجهاء والاعيان وذوي الرأي الحصيف والمتصفين بالاخلاص والنزاهة وعمق الايمان، ومن هذا

(1) سورة البقرة (20)

(2) سورة النساء (59)

والمؤهلة للقيادة والتي يرفضها الاسلام في قول الله تعالى : «فلا تزكوا انفسكم، هو اعلم بمن اتقى» (3).

وكبرهان قاطع وحجة ملموسة على ان هذا النوع من الاختيار لا يقوم — في اغلبيته — على اساس اقتناع الناخبين المجرد، وانما هو نتيجة تأثيرات دعائية واعلامية موجهة، ولعل اهم ما يوحد عليه ان المهزم لا يتورع — في كثير من الحالات — عن مباركة استحقاق خصمه للقيادة، والتحليل المنطقي لمثل هذا الموقف ان كل ما قيل اثناء التساقس على كرسي القيادة لا يثبت الى الحقيقة بصله، وانما املتته مصلحة المرشح او الهيئة التي يمثلها.

وليس عرضنا من هذه المقارنة معارضة الانظمة المدنية او للشهير بها، فلنكل وجهة هو مولياها، وامتنا والله الحمد في منجاة من هذه الممارسات، وانما عرضنا الاول والآخر تعميق الوعي في المجتمع الاسلامي عموما والمغربي بصفة خاصة، بان نظامنا الاسلامي اسمي الانظمة وانفعها للسير بالانسانية في الاتجاه الكفيل بسعادة البشر في الدنيا والاخرة، وان المسلم يجب عليه الاحتذاء ببدى السماء وان لا خير مطلقا في انظمة تخضع في جوهرها لعوامل الدعاية المتقلبة واساليب السياسة المتلوية، وصدق الله العظيم «وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله، ان يتبعون الا الظن، وان هم الا يخرصون» (4).

ونحمد الله الذي هدانا منذ الاشارة الاسلامية علينا للسير في الحط السوي والصراف المستقيم الذي خطه الرسول الكريم واسعفتنا على الدوام بمرده العزيز وسنده الكبير، بحيث لم نحد عن توجيهاته تعالى ولم ننحرف عن تعليماته في اختيار الحكم الصالح، ولا ادل على هذه العناية الربانية من الخنة التي عشناها تحت وطأة الاستعمار وجبروته، فخرج منها شعبنا قوي العزيمة لمواصلة السير، فبين الايمان لمواكبة يقظة المسلمين، حريصا على ان يرم ما تزغزع ويحدد معالم ما تصدع.

فاختيارنا للملكية المستمرة من البيعة اختيار موفق، حيننا كثيرا من الهزات، وحال بيننا وبين الاتيك امام التحديات، فقد جمعت ملكيتنا الشرعية الشمل ووحدت الاهداف وبرمحت الانطلاق وكانت باستمرار في طليعة جولانا السياسية وتحركاتنا الوطنية وملاحمتنا الحربية، وما نحن اليوم اكثر ما نكون التحاما واشد تماسكا للدفاع عن وحدتنا الترابية التي زكها عدالة دولية لا تخضع لا لاعيب السياسة ولا تنجذب لاغرايات الذهب الاسود ! .

ومن حقنا ان نؤكد على ان السر الدفين في النجاح الباهر الذي واكب انتفاضتنا ضد الاستعمار، والمجور الذي ارتكزت عليه انطلاقنا لانتراع الاستقلال، نبع من وحدة الشعب والعرش، الامر الذي اقلق دهاقنة الاستعمار في الماضي فحاولوا بكل ما يتوفرون عليه من امكانيات تحطيم الحلقة الروحية التي جمعت بين محمد الخامس رضوان الله عليه وشعبه المتعلق بعرشه والتنشيث ببيعته. ومن الظريف ان الهستيرية الاستعمارية جاءت حقتة لرفع معنويات الشعب والدفاعه الهادر لرعرعة دعائم الحكم الدخيل، فكلما امنع في جبروته وبطشه وطغيانه ازدادت اواصرنا متانة، ومحبتنا استحكاما، ووشائجنا رسوخا، مما ادى بالمستعمر الى الرضوخ لطلبنا في مباركة عيد العرش اولا، وعودة محمد الخامس الى عرشه ثانيا، والاعتراف باستقلالنا ثالثا.

فهذه المكاسب الباهرة والانتصارات الساحقة لم تكن الا نتيجة طبيعية «للبيعة» الدينية التي اتى شعبنا التكر لها رغم غطرسة الدخيل ووعده ووعيدته واغراياته التي حاول بها تفتيت الاجماع المغربي حول ملكه الشرعي.

ومن هذه الراوية تتجلى حكمة الله في البيعة التي يقول سبحانه في شأنها «ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله، يد الله فوق ايديهم» (5) فهي الرابطة المنيئة التي تربط بين افراد الامة، والاساس القوي الذي يرتكز عليه الاجماع الوطني، والضمانة الكبرى والقلعة الحصينة التي يعتمدها المغرب في مواجهة التحديات، وهي في نهاية المطاف «الرباط» الذي تنطلق منه جحافل الفدائيين والمجاهدين لتأديب من تسول له نفسه التناول على حق من حقوقنا.

فالاتحاد دائما وابدا على الله القوي العزيز الذي يبارك الحكم الشرعي بين عبادده، والاتكال بعد ذلك على تماسك جبهتنا الموحدة والمركز على بلورة هذه الوحدة في مظاهر رائعة كلما اظلتنا ذكرى عيد العرش التي تحل اليوم في ظروف استثنائية يواجهها الشعب بصبر وحزم وتصميم وعزم ويعالجها الملك المطاع، بلباقة السياسي الماهر وعنقرية القائد الشجاع.

فعل بركة الله نواصل السير تظننا بيعة دينية، وتزفر علينا وحدة وطنية، وتحرسنا عناية ربانية «وهذا صراط ربك مستقيما» (6).

محمد العربي الزكاري

(5) سورة الفتح (10)

(6) سورة الانعام (126)

(3) سورة النجم (32)

(4) سورة الانعام (116)

مُوحِّدَاتُ الْعَرَبِ

لِلدُّسْتَاذِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَمْرَانِيِّ

يتميز المغرب بكونه من حصون الإسلام المنبئة وخطا دفاعية صلبا في وجه الاستعمار والصليبية منذ ترسخ الإسلام بارضه ونصبت منابره وارتفعت اعلامه وثبتت اركانها وأمن المغاربة بمبادئه فجاهدوا في سبيله واستشهدوا من اجل عقيدته وشريعته ولم يتوانوا في تحمل اعباء النضال والنزال لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

وقد ظل المغرب طيلة قرون وقرون ارضا للاشعاع الاسلامي والرسوخ العربي والتبوير الفقهي والتضامن الاجتماعي بكل ما في معنى التضامن من اخوة وتعاون وتأزر ضد كل عدو مآكر يستفز المغاربة او يحاول المساس بوطنهم او حقوقهم الثابتة وهم شعب الف نسيان الخصومة المحلية كلما دعاه الواجب الاسلامي الوطني ليتكاثف لدحر اعدائه والدخلاء عليه كيفما كانت قوتهم وتحالفهم.

وينبع الحكم في المغرب من اصالة شعبه وما جبل عليه من فضائل كريمة تمكنت فيه بفضل القرآن الكريم واحاديث الرسول الامين وبذلك فجميع الدول التي حكمت المغرب منذ عهد ادريس الاول لم يقم حكمها الا على الاسس الراسخة في اعماق المغاربة ولم تقم حضارته الا بفضل الاسلام ولغته وقيمه وتشهد على ذلك المآثر السامقة والمؤلفات الضخمة وتاريخ الرجال الذين حكموا المغرب في رفعة الحقيقية الممتدة من نهر السينغال

ولن يصعد المغرب مرة اخرى الى القمة مجده التليد الا بالشموخ الاسلامي والاصالة العربية النابعة من اصول الامازيغ منذ هجرتهم العريقة في القدم من بلاد اليمن الى ان تعززت بالهجرات العربية المتوالية منذ الفتح الاسلامي حيث تكون الشعب المغرب العربي المسلم وغدا شعبا له مميزاته الخاصة واصالته المتمكنة واخلاقه النبيلة بما جبلت عليه من كرم وتحرر وتضامن في الشدائد والمآسي والازمات.

بقلوب كثيرة واستساغته قلوب وافرة وخضعت لحكمه اجناس متعددة تعلمت منه الاخوة الانسانية في اجلى مظاهرها بلا لونية ولا نعة ولا طائفية ولا عرقية ولا عنصرية ولا قبلية وقد تعاقب على عرش المغرب ملوك نشروا كلمة الله ورسخوا تعاليم الاسلام غير مشوبة بمخلافات مفرقة ولا بنعرات طائفية ولا بعنصريات هدامة مفسدة.

وظل ملوك الدولة العلوية ياخذون بزمام المبادرة ويتصدرون ركب الاسلام ويقودون جيوشه ويحافظون على وحدته ويحفظون الاغلال ويكسرون الحواجر ويشعلون روح النضال في افراد شعوبهم ويعلمونهم ان الاسلام قوة للتوثب والاحياء والتحرر من مفاسد الايديولوجيات الدخيلة وما تحدته من بلبلية وتراجع وانكماش ثم اندحار.

وجلالة الحسن الثاني ملك مغرب أصيل عارف باحوال المغاربة واصولهم وتاريخهم رضع لبان الاصالة المغربية بكل ما تحمله من عوامل موقظة للاحاسيس الشريفة النابعة من تعاليم الاسلام المترسخة في اعماق الشعب المغربي وهو يعمل جادا لاحياء ما اندثر من عبقريات واظهار ما خفي من مكرمات خدمة لشعبه وهداية له حتى لا يتيه جزء منه في المنعرجات المهلكة والمنحرفات المضلة الى ان يتعمق في جميع العقول المغربية ان المغرب يكون سلسلة ذهبية في تاريخ الاسلام ويتبرع شبابه الناشئ في احضان العزة والكرامة الاسلامية فيعمل ويصمد لتحقيق الاهداف المرجوة وينطلق في مجال البناء والتشييد واحياء المعالم المضيئة في تاريخه ليظل شعبا قائدا ماهرا عالما بطريقة الوصول الى تبوء المكانة اللاتقة به وتاريخه العظيم.

إن خطاب جلالة الملك عند افتتاحه لاجتماع مجلس النواب جاء معبرا عن مصانم ما يعتقد شعبه وما يؤمن به في قرارة نفسه وما يتطلع اليه في مستقبله وما يؤمله في حاضره فبعد ان استعرض جلالته الاحوال السياسية واعطى تعاليمه للاعضاء ووجههم الوجهة القيمة حصر جلالته الاهداف المتوخاة في قوله : المدرسة الحقيقية للمغرب هي اولا لا تسامح في مقدسات الدين الاسلامي ووحدة المذهب ولغة الضاد والوحدة الترابية امور لا يمكن مناقشتها ولو ثانية واحدة.. نعم لا يمكن مناقشتها لانها راسخة وثابتة وجامعة وشاملة فلا يناقش فيها الا دخيل او مفترى او متعنت او اجبر او خائن او متآمر شرير لكونها اهدافا ثابتة مستقرة توحد بين المغاربة وتجعلهم شعبا

الى القارة الازوية بما تضمنه من مدن وسواحل وجبال وسهول وانهار وغايات وصحاري شاسعة وبقي المغرب محافظا على طابعة في هذه الاراضي المنطلقة شرقا وغربا شمالا وجنوبا تصمد بابطاها ازاء كل من تسول له نفسه الشريعة ان يدنس ارضه او يمس شرفه او يهين كرامته او يعيث بوحدته.

ولم تفلح الدول الاستعمارية الازوية في تأمرها على المغرب لتغيير وجهته او ابتلاعه رغم ظروف القهر والغلبة والاستعمار والتآمر المشين ماضيا وحاضرا واستطاع المغاربة رد كل حملة من حملات الخقد والصليبية ودحر الجيوش الكائدة ولو تحالفت وتضامنت لفك الرابطة المغربية العجيبة فانهم اعداء المغرب وبقي المغرب مسلما عربيا ثابتا مستظلا بوحدته وما يحمله من بذور نافعة توتي ثارها الطيبة جيلا بعد جيل الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

لقد استمر الشعب المغربي تقيا في عقيدته وتشريعه رزينا في سياسته وحكمه امينا في عهوده ومواقفه مراعيًا للاخوة العربية الاسلامية ينافح عنها في كل ركن من اركان العروبة والاسلام لا يخل بمال ولا يتواني في بذل المهج والارواح كلما دعا لا واجبه الديني والوطني للجهاد والنضال وظهر ذلك جليا في موقف الشعب المغربي من الدفاع عن فلسطين السليبية حيث ارسل ملك البلاد والقائد الاعلى للجيش الملكي كتيبتين لمؤازرة اخواننا في المشرق امام جحافل الصهيونية الماكرة فقاتل المغاربة في سيناء والحولان وفي كل رقعة يقف عليها الاعداء ليدنسوا المحارم والمقدسات، ولولا بعد الديار لما بقي عدو الاسلام يصول ويجول في مسرى رسول الاسلام محمد (ص). ان كلمة المغاربة لا تجتمع الا بالاسلام ولا تجاهد الا تحت رايته ولا تبذل الا من اجل الوفاء له ومن يتخرص بغير ذلك فائما يضرب في حديد بارد ولا يجني الا الحسرات لان مشاعر المغاربة لا تهتز الا بالاسلام وقيمه ولا تتحمل اعباء الدفاع الا بمبادئه واهدافه وتبذ الشعارات الدخيلة والاثماني الخادعة والاقاويل المزيفة والاهواء والتطاول المغرض والانحراف الفاسد والتشيع الاعمى.

لقد وفي ملوك الشعب المغربي لاسلامهم كما وفي المغاربة اجمعون ووقفوا جميعا في وجه الكفر والطغيان والجبوت ولا يخلون بعزيم ولا يرضون بجميل وبدلك قامت حكومات مغربية اسلامية قوية اسست حضارات وامبراطوريات وانطلقت بالاسلام في مجاهل افريقيا وفي معاقل النصرانية قامت زج الاسلام

ملتصبا متساندا منظما قويا يطمع في المعالي وينظر الى الامام لا يتراجع في خطواته ولا يتعثر في مسيرته.

وستحلل باختصار شديد الاهداف الاربعة الواردة في الخطاب الملكي السامي لتبين معالم الطريق وتسير على هدى من الله وتجنب المزالق والاهوام.

1) الاسلام : هو دين الدولة الرسمي المنبعث من اعماق كل فرد من افراد الشعب المغربي الا من كفر وعصى وخان وخرج عن الجماعة فصوت تصويتنا ناشرا لا يتلاءم مع المجموعة المغربية المتأصلة في اسلامها وتاريخها ووحدتها.

والتنصيص في الدستور المغربي على ان المغرب ودلة اسلامية هو مجرد تقرير واقع وتأكيذ، والا فان المغاربة يدركون هذا الواقع ويعيشونه ويقدمونه ولا عبرة بمن شد فتلبيس بما جعله خارجا عن الجماعة منبوذا تافها عميلا.

ان الشعب المغربي بعرضه قد نشأ في ظلال الاسلام وعلى هدى من الله فاستمر تسلسله مع التاريخ يحمل لواء الاسلام ويدين بتعاليمه واعتبر الجيش المغربي جيشا للاسلام ينافح عنه ويذود عن حياضه ويقف بالمرصاد لكل معتد اثم ومتحيز ظالم او حمار عنيد وعلى اساس وحدة الشعب المغربي بجيشه وعرضه حصل الامتياز لشعبنا.

انه يكون وحدة اسلامية وقومية لا مثل لها ولا يتصور المغرب الا بكتلته المتراحة وبقيادته المسلمة الصادقة فلم يقع بذلك في مهيب التخاذل الشعبي والحكمي والمذهبي والعنصري والطائفي وحافظ على وحدته السياسية والجغرافية والفكرية مما حنيه الوقوع في مستنقعات النحل والاهواء وبقيت عقيدته طاهرة وتشريعه نظيفا فعاش مرفوع الرأس متحديا الاحداث الجسم فلما حاول الاستعمار الغربي مس شرفه وكرامته ودينه ولغته بالبطش والتسلط والقتل تصدى له المغاربة شعبا وعرضا الى ان انتزعوا استقلال وطنهم واعادوا كرامتهم المفقودة وطردوا المستعمرين وسوف يقضون على البقية الباقية من اذنانهم بما لهم من تشيبت بقيمتهم ورسوخ في اصالتهم.

وقد اشار جلالة الحسن الثاني في خذابه التوجيهي بالقصر الملكي بالرباط عند ترأسه للمجلس الاعلى للمجالس العلمية بان

من واجب العرش المغربي ومن اسمى واجباته الوفاء للامانة المقدسة وان انتشار الاسلام في الشرق لم يكن كانتشاره في الغرب لان الاسلام في المشرق الاقصى كما قال جلالتة وحد نفسه مبنيا على نوعين من الرهبانية ونجد ان الاسلام الذي انتشر غربا لم يحتج الى تلك الرهبانية بل منذ اليوم الاول كان سنيا وبقي سنيا. وتساءل جلالتة عن السبب في هذا الفرق واجاب بان ذلك يمكن ايجازه في كلمة واحدة : عدم التعريف بالعربية، واستدل بقول النبي (ص) لا رهبانية في الاسلام، وبذلك فان جلالتة يدرك الاحطار الخيطة بالمسلمين لتفريطهم في شؤون دينهم ولغتهم مما اضعفهم واصابهم بالانحلال والخلاف واطمع فيهم اعداءهم وكل ذلك يستوجب النقد الذاتي والرجوع الى الاصل لاستفتائها والسير بالدعوة الاسلامية سيرا متعقلا رزينا مع الارتكاز على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

والدعوة الاسلامية كما يريد لها جلالتة في حاجة اكيدة الى النظام والوعي والتوجيه وازاحة التلبس بالاسلام لتكون اسلامية حقة غير مصبوعة بالمذاهب المنتحلة الفاسدة والنازعة الى الشر والتهديم والرعونة والافتيات.

ولابد ان تسير الدعوة الاسلامية باللين والحسن والتسامح والمعرفة للاسلام معرفة قيمة شاملة اذ الجهل بالاسلام اساس المصائب ومجال التأخر والهبوط والانحطاط والضعف والانهار، والاسلام مبسط في احكامه وتشريعاته بلا تظاهر ولا رياء ولا كهنوت ولا تقليد ولا تصنيع لان التظاهر بالدين نفاق والمسلم الصادق ما كان ظاهره كباطنه اذ لا رهبانية في الاسلام ولا نفاق ولا تبرج ولا ضلال.

وقد نهى القرآن اهل الكتاب عن الغلو في الدين فقال سبحانه : «قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واصلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل» وقال : «يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله»

لقد دعا جلالة الحسن الثاني الى نيل الكهنوت في العبادات والى التمسك بالقرآن والسنة المطهرة وال يتطهير الاسلام من الجهلات والرهبانية ليبقى المغاربة سنين محافظين على مسيرتهم الاسلامية المظفرة.

وبذلك لم يحصل في المغرب ما حل في المشرق من المحاببات الانقاسية.

والتفرق في الوحدة التشريعية طيلة قرون كثيرة وبقي مبتعدا عن الصراع احموم بين اصحاب المذاهب المختلفة في دولة واحدة مما خلف صراعا عنيفا وصل الى حد المجاهرة بما ينفر منه الاسلام وممقته مما ادى احيانا الى التباغض والتكافر والتقاتل بين المسلمين مع بعضهم وكانهم اعداء لا تجمعهم رابطة ولا توحدهم عقيدة ولا تربط بينهم شريعة.

ان الاسلام في المغرب يتفوق بالوحدة المذهبية اقتداء بالامام مالك وبالوحدة العقيدية اتباعا لمذهب الامام الاشعري وللغارية مستع في اقوال المالكية واستباطاتهم وتقريراتهم وفتاويهم وبذلك يحق للمغرب ان يتولى الرعامة السنية الاصيلة لانتعاده عن التخاصمات والمنايذات والبدع المذهبية والمنكرات العقيدية التي وقع فيها اخواننا المشاركة فانقسموا طوائف وشيعا. ان وحدة المذهب تجمع بين افراد الشعب وتوجب عنهم الانتقاسات وتجعلهم كتلة مترابطة متأزرة غير مضطربة ولا متناحرة وبدون الوحدة المذهبية لا يستقر القضاء ولا يخطو خطواته الثابتة العملية وتكون الاحكام مقبولة من الجميع مسيرة للواقع المعاش المقبول من جميع اطراف الشعب فاذا وقع التنازع حلت المشاكل كل بما يرضي الحق ويزيل الخلاف ويخضع الاطراف للحق والانصاف.

والمذهب المالكي مذهب جامع ومتسع الاجزاء ومرن ومركز على أسس اصولية ثابتة مقررة معروفة فهو مذهب يعتمد على الكتاب والسنة والاجماع والقياس والعرف والعادة وياخذ بالمصالح المرسله وهي باب واسع ومحجة للاجتهاد القيم وقد اعطت للمذهب المالكي ما جعله كثير الفروع غزير الاستباط كبير الاحتواء لا يقف مشدوها امام الحضارات مهما اتسعت وتشعبت ولذلك كثرت فيه التأليف البارعة والمسوعات الفقهية الجامعة فاصبح مذهبها مستبحرا قابلا للاجتهاد لا تقف في وجهه عقبة ولا تقلص من امتداده مستحدثات ولو تعقدت وتكاثرت فلا يحتاج الا للفقهاء المهرة والمعطلين المرزين والدارسين الممتازين.

(3) ان اللغة العربية من موحدات الشعب المغربي الاساسية وبها بقي المغرب محافظا على نظافته الاسلامية بغير زيف ولا

وقد حذر جلالتة من السلبية في الوعظ واكد على تعزيز التربية الاسلامية في المنزل والمدرسة والمسجد ليبقى المغرب كما نشأ في ظل الاسلام منذ ما يزيد على اربعة عشر قرنا.

ونهى جلالتة عن الفوضى في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكون الاسلام ينهى عن التزمت والتعصب والرجعية والافكار الهوجاء ولا يريد قتل الشعور الانساني في الناس ويدعو الى التيسير والتبشير والفتح والاجتهاد وينهى عن العسر والتفجير إذ في اليسر والبشرى سعادة وانسراح وفي العسر والتشديد انقباض وقنوط.

روي عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي (ص) قال : « سددوا وقاربوا وبشروا فانه لا يدخل احدا الجنة عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال : ولا انا الا ان يتغمدي الله بمعرفته ورحمته.

ويقول سبحانه وتعالى : « وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا بخرصون».

ويقول : « ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من وئي ولا واق».

ويقول : ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء» وعند ما تنتشر المناكر والاهواء في مجتمع من المجتمعات ويضعف فيه الوازع الديني فان النفوس تفرس والضماير تتخرب والقلوب تقسو فيسرع الخراب ويكثر الهتان وتلاشي الفضائل والاخلاق وفي القرآن الكريم : ولئن كنتم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون».

وفيه : « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله».

(2) وحدة المذهب : ومن مميزات المغرب بل الشمال الافريقي كله وحدة المذهب اذ ياخذ المغاربة جميعا بمذهب الامام مالك وهي ميزة مغربية فذة تبعد المغرب عن المشاحنات والخلافات وتحفظ له قوته الاسلامية سليمة من التضاربات

الدراسية لتقارب شعوب المسلمين وتوحد في التفكير لبناء امة اسلامية دستورها ولسانها لغته ومنهجها سنة رسول الاسلام محمد (ص).

ونؤكد مرة اخرى نظرا لمكر الدعاية وخبث الاستعمار واذنابه وقبح الصهيونية وخططها ان الشعب البربري شعب اصيل في عرويته عريق في اسلامه تحمل الرسالة الاسلامية واذاعها وتشبث باللغة العربية ووطد دعائمها وقاد الفتوح الاسلامية وما ذلك الا لدمائه العربية ولم يكن العرب في المشرق

يسمحون لغرب العرب بالقيادة في الفتوح والأمر على العكس في المغرب حيث اسندت القيادة الى برابرة لكونهم عربا كاخوانهم القادمين من الشرق العربي فهذا طارق بن زيادة يقود الجيوش الاسلامية في الاندلس ويخطب في الجيش بلغة عربية رائعة ثم يأتي

المستعمرون ومن يسمون انفسهم بالباحثين ليختلقوا الازاحيف وليشككوا في عروبة طارق وقرأوا ان شتم تاريخ المرابطين والموحدين والمرينيين فستجدون العروبة ناصعة والاقوال مأثورة والاسلام لامعا.

(4) الوحدة الترابية

بقيت وحدة المغرب الترابية ثابتة في اعقاب تاريخه الطويل واستمر الجهاد المغربي يتخطى الصعاب والعقبات موقنا بالنصر متمسكا بالعزة مستميتا في الدفاع والنزال بمدنه وقراه وسهوله وجباله وصحاريه ولم يسكت المغاربة عن الهوان ولم يخضعوا للانتزاع والاحتلال وتتابعت مواكب المقاومة المغربية بالسياسة والسلاح اذ جذور الحرية عريقة في شعبنا لا نقهر بالقتل والتسلط والاحتلال مما جعل المغاربة بالمرصاد لكل طامع او متربص او حاقد ولم تستطع اي قوة محو اصالة الشعب المغربي او منعه من الالتحام في المعارك الفاصلة بين الحق والباطل رغم تعرض وطننا للاطماع التكاثرية وذلك يؤكد الاستمرار في وحدتنا وتربطنا وادراكنا لما يراد بوطننا وما يدبر له من مكاييد من الكفرة وانصافهم.

والعرش المغربي هو الضامن الوحيد لوحدة الشعب المغربي والرمز الاسمي لهذه الوحدة المقدسة التليدة والروابط بين افراد العشب المغربي ثابتة قائمة ولن يقبل اي فرد ان تمس وحدتنا الترابية او تستمر بين عالم الاطماع ولن يتخلى الشعب المغربي

تشويش ولا انقسام وارااد الاستعمار الفرنسي ان يزيغ وحدة المغرب بظهيره البربري فاخفق وانتهى امره وبقي المغرب عربيا ثابتا صامدا للزواييع والاعاصير ومن شذ فانه على شذوذده، وتعاسته وتفوقه وعمالته لان اصول المغاربة تنبع من منبع واحد لا ثاني له وقد قال ابن خلدون : ان هؤلاء البربر قدموا من جنوب جزيرة العرب وان جدهم الاول يدعى مازيغ.

وهذه الشهادة وحدها من عالم جليل ومؤرخ عظيم واجتماعي ماهر ومطلع خبير تكفي وحدها للرد على اتباع الاستعمار وانصار التفرة والخذلان فلا نترك اقوال العلماء الاعلام والباحثين الا اذا نلنا الى اصوات الازنان والتوايع الدينية وندوس ميزتنا المغربية واصالتنا العربية وتاريخنا حافل بعلماء العربية وكتباها مما جعل المغرب يحافظ على سلامة العربية بعلمائه الاوفياء ومؤلفيه الاتقياء.

وقد قال جلالة الملك الحسن الثاني في احدى خطبه : وما هو السبب في هذا الفرق بين الاسلام الاقصى الشرقي والاسلام الاقصى الغربي الفرق او السبب لهذا الفرق هو سهل ويمكن ان نوجزه في كلمة واحدة عدم التعريف بالعربية فجهل اللغة العربية

هو الذي نشر رجال الدين الذين كانوا يتكروون اللغة العربية تلك اللغة التي يجب علينا ان ندركها ونكون ملمين بها حتى يمكننا الاستفادة من تلك اللغة التي يجب علينا ان ندركها ونكون ملمين بها حتى يمكننا الاستفادة من اولي الفكر والعلماء.. انها كلمة ذهبية من جلالة اعلنا عن ايمان وادراك

ووعي بمسؤولياته العربية والاسلامية الكبيرة ذلك ان الاسلام يضيغ بضياغ لغته التي نزل بها القرآن الكريم فلن يفهم هذا القرآن حق فهمه الا في لسانه العربي وغير العربي يسمح له مؤقنا ان يتدين بالاسلام ريثما يتعلم لغة القرآن ولذلك الخ جلالة الملك في مؤتمر القمة الاسلامي بالدار البيضاء على رؤساء

الدول الاسلامية ان يعتوا باللغة العربية لمعرفة الاسلام ودقائقه وسياسيته وقيمه ليتوحد المسلمون وتجمع كلمتهم فهو كقائد مسلم عربي متفوق ومفكر قدير يدرك ان اللغة الحظ الاوفر في وحدة الامة المسلمة لذلك نصح رؤساء الدول الاسلامية باعطاء اللغة العربية ما تستحقه من مكانة وبالاخص في المناهج

عن وحدته ولو قست الظروف وتكالب المتآمرون وهي شنتنة مغربية راسخة. فقد يختلف المغاربة فيما بينهم على شيء أو أشياء ولكنهم لم يختلفوا ولن يختلفوا في وحدتهم الوطنية أبداً ولذلك نراهم في عالم السياسة يدلون بأراء مختلفة ولكننا لا نجد مغربياً واحداً يجادل في وحدة ترابه أو يقبل المساومة أو يخضع للتخريب والانتزاع وسوف يظل المغرب بقيادة ملكه بالمرصاد لكل من يحاول المساس بوحدته الترابية وهو مستعد للجهاد والتضحية للحفاظ عليها.

لقد استعاد المغرب جزء من صحرائه وما زال امام الشعب المغربي نضال شاق لاستكمال وحدته التاريخية لكن المهم الآن ان الصحراء المسترجعة قد تم ادماجها في الوطن الاب وقامت بها منشآت هامة وانفتح المجال بين جنوب المغرب وشماله ليلتحم الاحوة حاضرا كما كانوا في ماضيهم وارتفعت اعلام الحرية متحدية اطماع الطامعين وقضى الامر الذي فيه تستفتيان.

واخيرا فان البيعة بين الشعب والعرش من اعظم الجوامع الموحدة للشعب المغربي وقد قام الحكم في المغرب منذ عهد ادريس الاول على البيعة الاسلامية وما تحويه من شروط واعراف بين الوالي ورعيته واستمرت قائمة في جميع العهود بحيث لم يحكم المغاربة بدون بيعة شرعية.

وتعتمد البيعة على الشورى الاسلامية الجامعة للمزايا والفضائل بين الحاكمين والمحكومين وحيث انها تقوم على دعائم اسلامية فان الخروج عنها يعتبر تحديا للاسلام ذاته وارتكاسا في الاهواء المضرة وحلها للفرقة والتصدع بين صفوف الامة.

ان البيعة عهد وثيق وطاعة وولاء في المنشط والمكره والصفاء والكدره ولا تخترق الا بكفر صراح وتم بنقاء الضمانات وصفاتها وسلامتها والوفاء لها بلا شطط ولا خيانة ولا تدليس.

وقد تطورت في الاسلام حسب الازمان والمؤثرات وكانت العادة عند المسلمين ان يبدأ بالمبايعة كبار الناس ثم يليهم حسب درجته مع احترام السن والعلم والمكانة بين الناس وكانت في اول الاسلام شفوية ثم اصبحت كتابية او يجمع فيها بينهما وكان المسلم شديد الحرص على الوفاء بعهده ولا تزحزحه المطامع واذا دعاه الامر للدفاع عن بيعته حمل السلاح وقاتل واستشهد في سبيل عهده.

وسارت الدولة العلوية على النهج الاسلامي في بيعة ملوكها واول ملك علوي اخذت له البيعة العامة بالمغرب هو المولى الرشيد الذي عاجلته المنية قبل اكال رسالته وتولى بعده المولى اسماعيل فوحد المغرب وبنى امجاده بناء محكما قويا وبعد وفاته حدثت بالمغرب احداث جسام الى ان بويع الملك المصلح محمد بن عبد الله فاسترد للمغرب هيئته وقضى على الشغب والخلاف واسترجع للمغرب بعض المدن التي احتلها البرتغاليون ووقف في وجه المطامع الاجنبية برأي حصيف وحزم مستير وحكمة بالغة

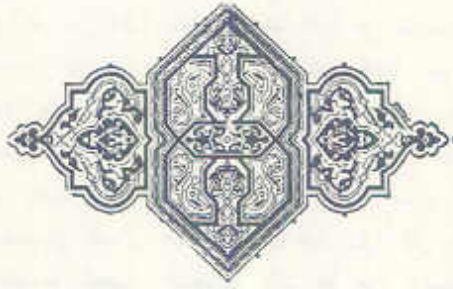
وقد بايعه الشعب المغربي لكفاءته ومقدرته وعلمه ووفائه واستقامته واسترسل الحال بعده الى مبايعة الملك المجاهد الحسن الاول في ظروف محفوفة بالاحطار فواجهها مواجهة الحبير المتبصر وقضى معظم ايامه في مقاتلة الخارجين والمتأمرين واستطاع ان

يجمع وحدة المغرب بعد تفككها وان يضرب المعارضين الجامدين النكاثين وبعد وفاته مر المغرب في ظروف قاسية والجمه وانلي بالاستعمار الاجنبي والاحتلال العسكري وفي هذه الفترة الحالكة بويع محمد الخامس وقد هبأ القدر ليقود شعبه للخلاص

من ربة الاحتلال وكان عميق الايمان بالاسلام وتعاليمه شديد التمسك بالعروبة وامجادها فقاد المغرب بحكمة ووطنية نادرة الى ان رد الاعتبار لوطنه. بجهاده وجهاد شعبه بقيادته وتحمل وقاحة الاستعمار عندما خلعه الفرنسيون عن عرشه ليعود اليه حاملا بشرى الحرية والاستقلال.

ولما شاءت ارادة الله ان ينتقل الى الرفيق الاعلى خلفه ولي عهده جلالة الحسن الثاني الذي يعتبر من الابطال العظام الصامدين فورث سر ابيه ليقود المغرب من نصر الى نصر ومن عزة الى عزة ومن مجد الى مجد.

وقد بايعه الشعب المغربي قاطبة بعلمائه واحزابه وهيأته وافراده فكان خير خلف لخير سلف وانبرى بمكمل تحرير وطنه مما تبقى منه في يد المختلين فكان هو الموحد للمغرب بعد شتات ومحور الصحراء بلا منازع بقيادته الحكيمة يتخطى المغرب العقبات ويقطع المراحل ويحقق الامل ولا شك انه مفخرة من مفاخر الدولة العلوية الشريفة وقائد اسلامي ماهر وزعيم عربي فريد وسوف يحقق المغرب بقيادته امجادا وامجادا ولنصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز.



العَرشُ حَامِيَا الوَاحِدَة الوَطَنِيَّة

للأستاذ محمد العثماني

إذا رجعنا تاريخيا بعيدا نجد ان دولة المغرب من احرص الدول على وحدتها، أرضها، وانسانها، وعقيدتها، ووجدانها، وعلى حماية حدودها التي كانت في الماضي لا يمنع امتدادها البحر على جهة الشمال الغربي، ولا صحراء شاسعة على جهة الجنوب، ولا بلاد واسعة أصبحت فيما بعد دولا على جهة الشرق، ثم غير الزمان مداره فجاء تاريخ ليسخ تاريخنا، جاء تاريخ ليلقب التاريخ وببذل الأرض غير الأرض، ليقعد دولا ويقم دولا، ويمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء على خارطة الدنيا وعلى صعيد القارات ..

الا ان الحقيقة التاريخية تعلن دائما وعلى مدار الزمان ان المغرب لم يغير التاريخ موقعه الحضاري، وان نقص أرضه من اطرافها، ولا تخضع لاي تأثير اجنبي عن عقيدته وتراثه، فيحوله عن مساره التاريخي الذي اختاره منذ أكثر من 13 قرنا، وهو الاسلام الذي ارتضاه الله للناس ديننا يضمن على الحياة والناس، او يحوله عن نظامه المؤسس على تقوى من الله ورضوان، وهو منهاج الحكم الذي اختاره منذ عهد ادريس الاول الى عهد الحسن الثاني العظيم . هكذا نرسل نظرة خاطفة الى تاريخنا البعيد القائم على قاعدتين — الاسلام والعرض، لان العرش المغربي في سائر ادواره التاريخية مرتبط بالاسلام، كما ارتبط به الاسلام في هذه الديار .

وإذا رجعنا الى الوراء قليلا لمراجعة تاريخنا القريب نجد المغرب في بداية هذا القرن يفقد استقلاله بسبب تكالب الدول الصليبية على بلاد الاسلام شرقا وغربا، وقد كان المغرب حافظ على استقلاله حتى آخر لحظة، بمعنى انه آخر من سقط تحت الاحتلال الاجنبي

قال جلالة الحسن الثاني في نهاية خطابه التاريخي الذي القاه في مؤتمر نيروبي الثاني، وهو يرفع يده على المغرب .

«.. انني مسؤول عن حماية هذا العلم، لانني أمثل المغاربة كخادم، لا كملك يسودهم، بل هم يسودونني» : بهذه الكلمة المعبرة اعطى الحسن الثاني للتاريخ مفتاح شخصيته، واعطى للباحثين مادة غزيرة يستوحونها في البحث والتحليل، وجوانب مضيئة من عقيدته، تنكشف على ضوءها اسرار وخصائص للشخصية الفذة والعظمة الذاتية التي يتميز بها الحسن الثاني العظيم .

والكلمة الملكية تحمل معنيين كبيرين :

1) حماية الوحدة الوطنية، وقد عبر عنها جلالاته برفع العلم والالتزام القومي بحمايته .

2) ريادة الديمقراطية، وقد عبر عنها جلالاته بقوله : أنا خادم المغاربة، لا أسودهم بل هم بهذا الاعتبار يسودونني..»

هذا ما يتبادر الى ذهني وأنا احمل القلم لاكتب شيئا حول هذه الذكرى المحيطة، ذكرى عيد العرش الخالد ...

ثورة الريف، الى مقاومة مستمرة في الأطلس الصغير. الى الحركة الوطنية والتنظيمات الشعبية التي ظهرت مع بداية الثلاثينات، وبالضبط، مع اعلان الظهير التنصيري الذي يعرف في تاريخ النضال الوطني «بالظهير البربري».. فبلاد جزولة (سوس) لم تلق سلاح الدفاع عن الوطن الا في سنة 1934 م اي بعد الحماية بـ 22 سنة، وقبل الانتفاضة الشعبية العارمة بـ 18 سنة، والتي فجرها حادث ابعاد جلاله المجاهد المغفور له محمد الخامس — رضوان الله عليه — وهو الحادث الذي فجر الطاقة الوطنية في هذه الديار، فعصفت بالاستعمار، ومن معه من الاعوان والانصار.

كان برنامج الاستعمار، والهدف الذي يسدد له هو التخطيط المستمر لتحريق وحدة الوطن أيضا وشعبا، ولغة، ودينا، ونظاما.. وقد بالغ في تمزيق المغرب، فاحضعه لخراطيم متعددة ومعقدة عاش منها حيناً من الدهر وضعية الانشطار والانقسام.

1) خريطة سياسية، وهي عبارة عن مناطق مخزنية، ومناطق عسكرية.. ومناطق بربرية، واخرى عربية..

2) خريطة دولية — منطقة تحكمها فرنسا — ومنطقة تحكمها اسبانيا، ومنطقة تخضع للنظام الدولي (طنجة).

وفي داخل هذه الخريطة تركيب عجيب، فاسبانيا تحكم مناطق الشمال باسم الحماية، وتحتل الصحراء الغربية باسم الاستعمار والضم الى الدولة الاسبانية، وتحتل منطقة افني وقبائل آيت باعمران تارة باسم السكان، وتارة باسم السلطان، واخرى باسم الادماج في النظام الاسباني.

اما فرنسا فقد وضعت تندوف والصحراء الشرقية تحت حكم خاص كاحتياط لما قد يحدث، ثم احقتها بالجزائر لتوسع بها املاكها التي تعتقد ان ملكيتها تدوم لها.

3) خريطة قضائية — اقاليم تخضع للمحاكم الشرعية الى جانب المحاكم المدنية، واخرى تخضع لمجالس العرف، وبعبارة — محاكم عربية (ومحاكم بربرية) الى جانب المحاكم الفرنسية مدنية وعسكرية.

4) خريطة اقتصادية، وهي التي بنوها على الميديء المعروف ((المغرب النافع، والمغرب الغير النافع)).

5) والى جانب كل ذلك اسس مراكز التنصير في مختلف الاقاليم لزراعة العقيدة واستيلاء التراث الحضاري والوجداني الديني.. وهذا الاستلاب، هو الهدف الذي يرمي اليه الاستعمار القديم والجديد.

الحقيقة ان للاستعمار اهدافا قريبة واضحة هي وسائل فقط لاهداف بعيدة لا تظهر للسطح، ولكنها هي الغاية المرادة، وما سواها انما هو تخطيط وبرمجة للوصول اليها.

في قارة افريقيا، وقبل المغرب — مثلا — بسبعين سنة سقطت الجزائر التي كانت تابعة للمحكم التركي، تحت الاستعمار الفرنسي الذي دام اكثر من 130 سنة، فجعلها جزءا من التراب الفرنسي دستوريا، ودون ان يكون لها حق في السيادة، بحجة انهم وجدوها بدون سيادة ولا نظام حكم ذاتي على الاقل.. ومعنى ذلك ان الجزائر ليست لها جذور تاريخية كدولة ذات كيان ونظام دولي.. او ليست لها بوصلة تاريخية على حد تعبير جلاله الحسن الثاني في حديث الصحافي اللبناني جلال كمشك منذ سنوا. قال جلالته: «عندما تتحرر الشعوب لا بد لها من بوصلة محمد آتجاهها، ولكن مشكلة الجزائر هي انها تعرضت لقهر استعماري دام عدة قرون، من الاتراك الى الفرنسيين، فقتضى على الشخصية الجزائرية، ولذلك افقد الاتجاه، لانه لم يجد البوصلة، لا في جيبه ولا في مكتبة قديمة، ولا في خزانة الوالد، وكان من الممكن ان يتكئ على شقيقه في اليمن واليسار — التوانسة والمغاربة، لا لنعطيه بوصلتنا، فهي لا تصلح له، ولكن لنعينهم على تركيب وتحديد بوصلة، ولكنهم اختاروا العمل الانفرادي».

وبعيني ما تخم به الصحافي حديثه حيث قال : «.. فودعت الرجل الذي شغله صنع التاريخ عن هوية تدريس التاريخ».

الواقع ان المغرب بعد ان استهلك طاقته في الدفاع عن سيادته واستقلاله وقع بدوره تحت الاختلال باسم الحماية، لا باسم الاستعمار، ففقد الاستقلال حيناً من الدهر (44عاما) ولكنه لم يفقد سيادته في يوم من الايام، بفضل العرش الذي بقي منارا لتاريخه وحضارته، ورمزا لوحده وسيادته، فلم يستطع الاستعمار ان يعبر مسار التاريخ، ولا ان يقتلعه من جذوره.

لقد ادرك هذه الحقيقة اول مقبم عام لفرنسا بالمغرب الماريشال ليوطي الذي كانوا يسمونه (خالق المغرب) فقال في التقرير السري الذي رفعه الى حكومته وهو يزاول مهمته بالمغرب.

.. اننا وجدنا هنا دولة وشعبا، دولة لها نظامها وادارتها، وشعبا يختلف عن الاهالي في تونس والجزائر.. وزاد قائلا :

«.. لسنا هنا امام التنسي البارد، ولا امام الجزائري المتهور، ولكننا امام المغربي النشيط الذكي الذي ينزع الى الحرية ويتطلع شبابه الى مباشرة شؤونه» قم قال وهو يحذر حكومته من الاعتماد على الجيش دون مشاركة المغاربة في الادارة والتعاون معهم.. «اننا بدون ذلك نمر على جسر سريع العطب».

كذلك كان، فلم يهدأ بال في المغرب للاستعمار، ولا ظاب له ولجيشه القرار، فمن ثورة مسلحة في الأطلس المتوسط، الى

فرنسا — مثلا هل كانت تعمل للسيطرة على الأرض والانسان؟ نعم، ولاخضاع الشعب لحكمها وهيمتها؟ نعم، كل ذلك صحيح، ولكن الذي تريده بالدرجة الأولى هو غسل الادمغة وفصل الشعب عن قيمه وعقيدته، وبعبير اوضح : احياء الصليبية بعقائير جديدة ووسائل تقنية لا يوبه لها الا بعد حين، وبعد فوات العلاج على المصلحين.

ولعل اصدق كلمة كشفت النقاب عن هذا المخطط الرهيب ذلك التصريح المثير الذي فاه به رئيس الديبلوماسية الفرنسية اثر احتطاف جلالة المغفور له محمد الخامس بساعتين، وهو قوله : «ان هذه العملية الرائعة نصر للصليب على الهلال».

كلمة ذات مدلول كبير صرح بها جورج بيدو وزير خارجية فرنسا آنذاك، فقد سحب صفة الروعة على العملية القادرة واعطاها مدلولها الاساسي، واذا كان لبعض الاحداث الكبرى في التفسير والتقدير عبر ومفاجآت، فان لهذا الحدث الفاصل اكثر من عبرة واكثر من مفاجأة، فقد انقلب تفسيره لدى المخططين له، فاعطاهم اسوأ النتائج وابعدها في السلبية والانعكاس، فشاء الله لإرادة الشعب الا يتجاوز عمر هذه العملية (الرائعة) في نظره اكثر من 26 شهرا، والا ينتصر الصليب على الهلال في هذه الديار التي اراد الله ان تبقى دار الاسلام ولغة القرآن.

كان المخطط التزقيمي الذي عرضنا بعض خطوطه مازلا خطيرا لتدمير الوحدة الوطنية، وبهيء المغرب — ولو على المدى البعيد — للتجزئة الى ولايات او دويلات كما فعلوا في بلاد الشام بعد ان تقلص عنها ظل الخلافة الاسلامية.

ولكن المغرب له في نظامه وعرشه العريق حماية من التزقيم، ومناعة ضد التأثير بعوامل الانشطار، فقد وجد جلالة محمد الخامس نفسه امام هذا المخطط الرهيب، فشرع في مسلسل النضال — وبجانبه ولي عهده جلالة الحسن الثاني — لانطال مقعوله وضربه في الصميم على مراحل.

i) في 1943 والحرب العالمية يتضح مسارها لفائدة الحلفاء طرح الملك المجاهد قضية المغرب في مؤتمر انفا الشهير.. فاخذ من الرئيس روزفيلت وعدا تمكين المغرب من حقوقه المشروعة بعد انتهاء الحرب.

2) في 11 يناير 1944 — والحرب تقترب من نهايتها أوعز جلالاته الى الحركة الوطنية بتقديم وثيقة الاستقلال المعروفة..

3) في 9 ابريل 1947 اقدم جلالة محمد الخامس على زيارة

طنجة رسميا بالرغم من معارضة فرنسا، ومحاولة عرقلة بتدبير مذبة الدار البيضاء في 7 ابريل 1947، حيث اعلن جلالاته في خطابه التاريخي ان المغرب يطالب بحقوقه التاريخية وتوحيد ترابه.. وليس من الصدفة ان ام المسلمين في صلاة الجمعة، بل ذلك تعبير بليغ للاستعمار الدولي عن تمسك المغرب بحقه في الوحدة والاستقلال. وسبب هذه الحركة التاريخية التي هزت اركان الاستعمار، عزل مقيم فرنسا العام «اريك لابون»، وعين مكانة الجنرال «جوان» لممارسة الضغط والتهديد على القصر الملكي والحركة الوطنية التي تستمد طاقتها من العرش والجالس عليه.

4) ولتوكيد المعنى العميق لزيارة طنجة واشعار فرنسا عمليا بان الملك هو رمز سيادة المغرب وضامن وحدته قرر جلالاته محمد الخامس رفع العلم المغربي على القصر الملكي لأول مرة في تاريخ المغرب على عهد الحماية.

ففي 19 مايو 1947 ترأس جلالة محمد الخامس احتفالا رسميا مؤثرا لرفع الراية المغربية فوق القصر الملكي الذي يجسم سيادة المغرب ويضمن تحقيق آماله في الحرية والاعتناق.. وبلاحظ ان هذا الحادث التاريخي وقع بعد زيارة طنجة كرد فعل للضجة التي اثارها في فرنسا والأوساط العالمية.

وهذا العمل الجزئي بالقياس الى ذلك الظرف الدقيق قد يكون رد فعل مقابل لحادث طغت عليه الاحداث فاغفله التاريخ او غفل عنه.. ذلك هو ازالة العلم المغربي فوق الادارات الرسمية في تافراوت وما جاورها من بلاد جزولته، بعد ان وضعت الحرب اثقافها، وحين كانت فرنسا تفكر في ضم سوس الى الصحراء الشرقية، او فصلها عن الشرق والشمال كولاية ملحققة بارض فرنسا، لا ندرى، كل شيء ممكن، ويدور في افئاف المستعمرين آنذاك.. ثم بدا لهم ما بدا فاعادوا العلم الى مكانه بعد غيابه عدة اسابيع..

5) في 1950 م قدم جلالة محمد الخامس الى فرنسا مذكرة المطالبة بحقوق المغرب المشروعة، ثم استدعى جلالاته من طرف رئيس الجمهورية لزيارة فرنسا بهدف دراسة مضمون المذكرة، فقام جلالاته بتلك الزيارة التي انتهت بتصلب فرنسا وصممها عن الاصغاء الى صوت حق المغرب في فسح عقد الحماية.. ثم عاد جلالاته بعد ان ترك في فرنسا مذكرة ثانية اشد صراحة وأحد لجهة. وهكذا سارت الاحداث سريعا حتى بلغت قممها في عهد

مقيم فرنسا العام الجنرال «كيوم» الذي نفذ عملية ابعاد جلالة محمد الخامس عن عرشه، ولكنه لم يستطع ان يبعده عن التاريخ، ولا ان ينزعه من قلوب شعبه، فكانت هذه العملية بداية النهاية للوجود الاستعماري في هذه البلاد.

أثبت بهذا العرض السريع لمراحل كفاح العرش ومقاومته
خطط تمزيق الوحدة الوطنية، لنرى كيف اتفن الاستعمار ذلك
المخطط وعقده، ولنتذكر المسلسل البطولي الذي ابتداه جلالته الملك
الراحل لتصفية التركة الثقيلة التي خلفها الاستعمار، ثم استأنفه
خلفه ووارث سره وجهاده جلالته الحسن الثاني حفظه الله.

مرت 23 سنة من عهد جلالته الحسن الثاني، والمغرب —
بريادة جلالته — يحرر مزيد من المكتسبات، ويحقق في مجال
استكمال وحدته الترابية أروع الانتصارات، فقد تحقق في عهد
جلالته من المنجزات الاقتصادية والعمرائية والاجتماعية، الى جانب
تحرير الجناح الايمن من الوطن، ما يملأ صفحات التاريخ ويبرهن مجد
العرش العلوي.

ومراجعة لموضوع حديثنا نذكر — فقط — ما تم على يد جلالته
من تحرير الصحراء بفضل المسيرة الخضراء التي كانت حدثاً تاريخياً
لفت انظار الدنيا وملاً اسماع الزمان، وتغطي على احداث القرن
الذي ودعناه منذ اربع سنوات مع العالم الاسلامي، وكأن الدورة
التاريخية بالنسبة الى المغرب وقعت ارضاصها بالمسيرة الخضراء
ليستعيد بعدها كل مجده، ويستأنف سيره الى المستوى الحضاري
الذي كان له في ضمير التاريخ.

لقد سجل المغرب انتصاراً عظيماً بقيادة عاهله العبقري
وهو يقتحم الصحراء، ويحطم الحواجز الوهمية التي وضعها
الاستعمار الصليبي بين شطري المغرب — شماله وجنوبه، فكان اول
انتصار من نوعه في التاريخ اتى عن طريق الزحف السلمي الذي
قام به الشعب في نظام رائع وانتظام بديع، موحد الصف والكلمة
خلف رايده العظيم.

الا ان المغرب لم يمر بمرحلة من مراحل بناء استقلاله
واستكمال وحدته الترابية، هو احوج فيها الى توحيد الصف
وتكثيل الجهود، والتعبئة المادية والنفسية من هذه المرحلة التي نحن
فيها الآن وجهها لوجه مع عدو خبيث لئيم يتسم بالشراسة والوحشية
وتحريب الدم ونقض العهود واساءة الحوار.. عدو من نوع شاذ لا
يمل الخاتلة واللف والدوران، لانه — الى جانب عداوته العزيرية —
معياً من قوى خارجية لتفجيزه متى ارادت، وفي اي موقع حددته،
فهو لغم جاهز برؤوس متعددة تنفجر في آن واحد على اكثر من
جهة وضحية، وقد كنا منذ سنوات هدفه، فحاول جلالته الحسن
الثاني بحكمته ونبله نزع فتيله وابطال مفعوله، ولكن اللغم اللعين
يزداد التعرقة بادوات التفجير طالما تثبت المغرب بحقه، وكلما نجح

في مرحلة لاستكمال وحدته الترابية.

ان افريقيا أصبحت حقلاً للغام الا عملاء ينجح
الاستعمار الاديولوجي في اختيارهم واعدادهم وتاطيرهم ليصدروا
الفننة والشعب الى جزياتهم، والى كل شعب كان للاستعمار
الخارجي مصلحة في توهينه وتخطيم قدراته، ومسح هويته حتى لا
يكفر الا بفكر منحج الاستعمار في زرعها، فكل لغم موقوت
يفجره الزارعون في الزمان والمكان المحددين وما هذه الالغام
المستعمر، ولا يحمل الا شعاراته التضليلية التي توهم الشعوب انها
ستجد فيها علاجاً لمشاكلها الاقتصادية والاجتماعية التي تتعقد
كلما الخ العملاء على ربط عجلتها بقوى اليمين او اليسار.

ان القارة السمراء أصبحت ضحية اولئك المخائين الذين يلعبون
بمصيروها، وهم — مع الاسف الشديد — من انائها العاقين
المسخرين لاثارة الفتنة بين شعوب القارة وتهميش القضايا الأساسية
المشتركة وتعميمها في الزواج التي يثيرونها هنا وهناك، بهدف وقف
قطار القارة عن السير في طريق التنمية والبناء.

وكما قال جلالته الحسن الثاني في المؤتمر الصحفي الذي
عقده بعد مؤتمر منروفا:

«... اننا نعيش في عالم يزداد حمقا، فان اي مغامر
يستطيع ان يضع درهما في جهاز الهاتف العمومي، فيتصل بالمطار
ليشعره بان قبلة موقوتة وضعت في طائرة المسافرين المستعدة
للاقلاع، ثم يتأخر اقلعها بساعات».

انه درس قيم اعطاه جلالته للعالم، ولافريقيا بصفة خاصة.
ان المكتسبات التي حصل عليها المغرب من مسيرة فتح
الى تحرير وادي الذهب لا تقل عن المكتسبات التي تمخض عنها
الغاء عقد الحماية سنة 1956، فقد تبخر كل ما هبأ العدو من
مكر وشر لاغتصاب قواعد ثابتة في صحرائنا، بفضل بقظة جيشنا
الباسل، وحكمة العاهل الرائد، فاصبح العدو امام الواقع المر الذي
من شأنه ان يفسد عليه المخطط ويحملة على التقلص امام الحقيقة
الناصعة، كما قال «لافونطين» الانسان يتقلص بردا امام الحقائق،
ويتأجج حرارة عند الاكاذيب.

ان الشعب في صحرائنا يحتقل الآن مع الشعب في كل
الاقاليم المغربية بعيدة الوطني، فالمسيرة ترحف والذئاب تعوي.. ان
ثلاثين صفرا من الدول الخائعة لا يساوي الا صفرا واحدا فليس
هناك رقم صحيح اذا اعتمدنا على انفسنا وعلى ايماننا وعزيمتنا.
وانما رجل الدنيا وواحدما

من لا يعول في الدنيا على رجل

اكادير : محمد العثمان

وَيَوْلِيهِ حَقَّ الْحَقِّ

جَلَالَةُ الْمَلِكِ أَحْسِنِ الثَّانِي مَلِكِ الْبُصَايَا

للشاعر الاستاذ مولاي الطيب المريني دينا
نائب عميد كلية اللغة العربية بمرآش

وانشده حيا، وقد جدت الذكرى
 جلالكم فيه سوى النعمة الكبرى
 وقد نطقت اعمالكم بالذي يدري
 فهل استطيع الوصف، او ادرك الحمرا
 امانة هذا الشعب، تبغي له الصدرا
 بها حدك الاعلى يتيه وقد سرا
 قهرت بها الاحداث، تطعمها الحرا
 وكهلا، فاوحيت الفداء لها الدهرا
 (حماة) يطيق الذل، او يقبل القهرا
 يرى بطشه عدلا، ورحمته جورا
 يعز ذليلا، اذ بين الفتى البارا
 ولاكتها الاقدار تجزنا قسرا
 على جدث منه يفوح الشذى عطرا
 لتبزم روح الشر ملتحفا غدرا
 بها تنهدي حتى قطفنا بها النصرا
 وان كان عهدا مظلما صنع الفجرا
 وقام يصلي للذي دفع الضرا
 جدير بان يحيا، جدير بنا قدرا
 مع الحدث المشهود، ميزتنا الصغرى
 بمالك من نعمي، تمجد في الذكرى
 رسول سلام، يرهب البر والبحرا
 ويزرعها امنا، ويمنحها خيرا
 وقد ركب الخطب الكريمة وفي الصحرا
 (من القزم) الباغي، غدا امره امرا
 لزاما علينا ان تواريه القبرا
 لقطع مفازات مخاوفها تدري
 معاهد، للاعداء قد قصمت ظهرا
 شعور دفين بالتعلم قد اغرى
 كما قلم، طابت موافقكم طرا
 يطل غمه، مهما تكبر واغترا
 وتلعنه الاجيال، ساخطة شزا
 حياتك فوق الحد مستعدبا اسرا

دعتي المعالي ان ازف لك الشعرا
 وما كانت الذكرى ليوم تربعت
 فهل ياترى يستصعب الشعر شاعرا
 وهبني افضت القول جهد بلاغة
 وانت الذي حملت رغم حدائفة
 كفاح مرير خضته بشجاعة
 انارت لك الدرب الطويل عزيمة
 عرفت هموم الشعب، طفلا، وبافعا
 وهل مثل حر مادري ذول عهد
 وما كان هذا الامر نزوة قادر
 ولاكنه امر (التخلف) في السورى
 وما كل ما يلقي الفتى صنع نفسه
 فبادرت والشهم الهمام (محمد)
 تجدد منارا، وتبني مجددا
 لترفع اعلامنا (وحققك) لم نزل
 وزايلنا الكابوس، لاكان عهده
 فأذن في صبح له كل مؤمن
 ويسأله التوفيق في صنع حاضر
 فعبر عهد مجد كان لقاؤنا
 وهامي ذي الارقام اكبر شاهد
 فهل مثل جيش انت ماسك درعه
 يرد الاذى عنا، ويحمي عريننا
 سوى نعمة الفضلها لك عائد
 ليضمن تحريرا لحيات رملها
 ليفهمه انا اسود معارك
 وهل مثل تعلم الشباب وسيلة
 اقيمت له في مدة قل مثلها
 فهام بها الرواد يحدو جموعهم
 يقولون، لا نرضى وفيها جهالة
 ومن رضى الجهل اللعين زمانه
 ويرفضه العصر الذي هو روحه
 ولم ينسك الانسان ارضا وهبتها

أبت على (الجلاد) ان يصدر الامرا
قيامته قامت، وقد ورد الحشر
رأى، وكيان الشعب لن يقبل الهدرا
وان سيطر الباغي الدخيل بها عصرا
وقد هاله هول الفجائع اذ تترى
وقد ماجت الامواج من حولها شرا
يراه الذي عين الحقيقة قد يقرأ
بحار سدود، قد تديم لها القطرا
نضيج ثمار، لا نزال به سكرى
لمصلحة الانسان، انعم به ذخرا
ستجعل من صخر اجنتها الخضرا
يخطها بغال من جهاده مفترا
لفك التي في الامر، مسترخضا عمرا
بعيده قد اسرى، سنسجد في المسرى
اذا قال قولا رددته الدنا جهرا
بك الظلم قد والى جرائه النكرا
اذ ما رمت عن قوسه بلقت امرا
(بمكة عند البيت) قد رفضت جورا
بها سنزيل العار عن قدسنا، جبرا
رأت في اجتماع الشمل محنتها البكرا
وفي موتنا كان الوجود بها احرى
ليحيا شريفا غير منتقص قدرا
وما هو الا العار، والخزي في الاخرى
على المكر قد عاشت، وما افصح المكر
وبارك رب الكون رائدك البدرا
والهمه التوفيق بحفظه ذخرا
ودامت له النعماء تزجي له الشكرا
وقد حقق الآمال تنظم القطرا

مولاي الطيب المريني دنيا

فعانقت في اجوائها الريح بعدما
فاطقت الدنيا عليه، كأنما
فلما رأى ان الحقيقة غيرما
وأيقن ان الارض ملك لربها
واذعن للاحرار يخطب ودهم
توليت انت الدفع، دفع سفينة
تعيد لها الالواح، والخرق سافر
فاجريت في سهل البلاد وحرثها
ورصعتها بالباسقات شوانحا
لربح رهان قد وضعت اساسه
سنريحه حتما، وفينا سواعده
ومن وهب الارض الحية نفسه
وينسى الحدود الامنات مقاوما
فيا قدس النصرات، وحق من
كذلك قال العاهل الحسن الذي
سيفديك بالارواح باقدسنا التي
وها أمة الاسلام ساعده الذي
فقد اشهدت كل الضمائر عندما
فيا أمة الاسلام وحدتك التي
فما فرقتنا غير ايد ائيمة
فهبت وفي تحطيطها الموت كامن
وما مات من كان الجهاد سيله
والا فان الموت حتما نصيحه
فحي عليه لا تهلك عصابة
وما لجنة للقدس يوزكت ملجنا
واسعده بالفتح وفق جهاده
ودام لنا فكرا، وروحا مشعة
ودام ولي العهد يوم خطرة

أبراً تنسى الحياة وبيني ...

للسامع الأستاذ عبد الكريم التوافي

عهدك التواهي (يامتسى) روائع
عهد بمن تنرى رخاء اديع
هل عيدا، ودام عيدا، واعيد
كل شيء مروتنق رائع
به وتورى نعمأزه، والمنافع
اذك أيامها النجوم السواطع

كان يمتسا على الحياة وبشرى
فالمسماتوات والملائك والأ
ردد الكون في ابتهاج دعاها
وشدا المغرب المقدى وغنى
لبنها، وهمل اسعد طالع
رض لديناه داعيات ضوراع
وارت مساجد وصوامع
وهفا : عاش عهده للترايع

والحياة ازدهت وهلت تباشير
تاناهاى ان هل عيعد المنسى
وساها عرش اثيل فراق
وتتنت من الغضارة نشوى
وتبادت دنيا المباحح جدلى
ر، اشاقت بكل ابهج ماتع
والمنسى روائع وبدائع
وتناهر محاسنا وصنائع
اسكرتها اشواقها واللوائع
قيلات المنسا ومن الطوالع

وبدا الكون، كل ما فيه راه
الربيع الضحكوك زيان ساج
تمتلاه في انشاء ازاه
وتاغيه ريقسات التهاى
يتغى، يشدوه فيجشجى المسامع
هدهدت رفهه العيوم الطوامع
سر الرواي ويسامين الرابع
وتجيات بالرواء رصائع

والنهر الوستان داعب شطير
فجرى ينشد الرياحين ان
طارحته جمائل الروض اش
به نسيم مضمخ العطر وداع
سام الخوارزمى، والورد ريان ضائع
واق الاماني وأغنيات، المنابع

بلغاهما : عناديبيل وسواجم
عز، وعزرت ايامه بالبدائع
سدن، واذاز متسدك بطواع
اغرة عرش موطد العز فارغ
وشعارا، وكان حسن مطالع
كان بشرى لخالدات الصنائع
سلام والضاد، للسميرات جامع
ورخاء وانعمما ومناجم

سى ربيع معد ودون التيت يانع
والسعادات في حماه متابع
سدى، فدياننا طبيبات المراتع
سل، وبعداد بالفترات ترافع
ما لها النيل والفترات تضارع
اشر المقازات ظللة ونواجم
سل فيها، والعيش رفهتان واسع
سار المشى فيض من الخير تالغ
سب ربيعا ومزهرات المزارع
سات ثماء : معاملا ومصانع
ناطقات بالمعجزات النواصع
هها كإلا معاهد ومجامع
بهداة فطاحل ومصاقع
سبا، وآراء قومها والنوازع
وجنوب، والعلم اوثق جامع

تتحدى عراقيلا وموانع
سر دستور من هدى الشعب نابع
حين بالدين حطتها، لا المقامع
نظما يشتمى بها كل ضالع

سعب ديننا ومذهبا وشرائع
رض، وتحمى اصالة وطبائع
منجزات مخلدات الروائع

واسرتها للطيبور فهراجت
بك (آدار) يامتسى قد اعتنى
عز آدار، فالرمان له خـ
ويتاعى ايامه العسر، يـ
(حسن) الفسال كان (آدار) فألا
لم تنوج به اعتباطا، ولكن
كان فتحا على العروبة والاسـ
كان للمعرب الحبيب ازدهارا

والمشى لامة المعرب الا قصـ
قد، لنا، الله خاره فسعدنا
ولقد طابت الحياة بما اسـ
ولئن تاهت الكنانة باليـ
فلقد شدت - يامتسى سدودا
القيافي تجت عيوننا، واو
وساتين من حدائق رف الظـ
سر شمالا، او سر جنوبا، فائـ
واذا طفت غربنا شافك الحصـ
واذا الشرق زرتة شمت أيـ
ايمن بيمت طالعتك شهود
كليات شواخ القصد، حفتـ
أرفدتها (أكاديميات) تاهت
حول ابانها تجمعت الدنـ
بين شرق ومعرب وشمال

ابدا تشيء الحياة وتبني
دين (طه) عقيدة، وملاك الامـ
صت للعدل والقوانين شأننا
فاستقامت دسوتها واستقرت

وتأليت ان يوحد هذا الشـ
ويصان الاسلام والضاد والا
فأباديك - يامتسى - تـ

كل يوم عليك للوطن الغال
والتزمت اذا التزمت وما شعب
أبدا كنت للعروبة للام
(وفلسطين) في حياتك مث
قد تحملت في صمود وإيم
وكن غيرك استلذ المعاذير

كل يوم عليك للوطن الغال
والتزمت اذا التزمت وما شعب
أبدا كنت للعروبة للام
(وفلسطين) في حياتك مث
قد تحملت في صمود وإيم
وكن غيرك استلذ المعاذير

ه يشفي اذواءهم والمواقع
ر، وفي الجهر، في اقتضاء الدوافع
وك رشدا قد صدقته الوقائع
اك، ونضجا منذ كنت - يا ملك - يافع
لان الدواهي فلم تنها الزعازع
يتحدى مروعات الفواجع
مصباح للمسيرة لا مع
وع - مقاليد أمرهم والمنافع
ر حرب إذا تدوي المدافع
عرييا ومسلما ومصارع

وتنيت وحدة العرب على الل
في الإزادات في المناهج في الس
ورأى العرب، والخيفة، في خط
ورأوا عزمها ايدته مزياب
ولقد حنكت قناتك غير
انما زادهما العناء مراسا
فاستخاروا، فابقنوا أن اراءك
فتواصوا، وقلدوك - على ط
ورأوا أنك المرشح يا مسعد
ولقد كنت - يا مشاي - كفو

سد الشعب إننا لما تراه نسارع
في هوائك لا نتمسري، لا نصانع
روحه الطهر والوفاء دوافع
أهنا، وإيمان وشجتها المراضع
ر، وكانت لغى الهدى خير جامع
واجماع شعبك المتتابع
بأ بزيف، ولا بكيد مخادع
ساء تألوا ان لا يخونوا الودائع
وائيق ونقضوا على خبيث المطامع
يقتين خطاهم وتتابع

يا مشي، وعيمد عرشك عيم
شهد الله والملائك أننا
إنه الحب خالصا وولاء
ربطت بيننا عهدود قطعنا
ومقادير وحدتنا مدى الدهن
وموائيق بيعة رصها الله
يعة لم يشها زيف ولم تع
انها بيعة الجدود وآب
عاهدوا الله ان يفوا بالم
وعلى ذرهم نسير ونقفو

يك، وشعب معبأ، لك طائع
انا، فكل رديف، وجيشك رادع
لسوانا منابث او منازع

يا مشي عناية الله تحم
سر لتحرير ارضنا وصحار
كذب الادعياء، ما في مداها

هيا منا، ونحن منها توأما
 وشجت بيننا المنابت، مذكانت
 ليس فيها لعيننا اي حق
 اي حق لعيننا في ثراها
 ..وقضى الله ان يحقق أملك، والد
 فمضى جيشك المعأ يسترجع
 زاحفا يسحق العدو، ويحتج
 والاله القدير ربك للحج
 فالحمى عز، والحدود امان
 والاعفادى مرزاون اسارى
 خا ودينا والسنا وطبائع
 وكنا برغم انفس المزارع
 لا أباد، ولا رؤوس اصابع
 نحن ابناؤها، وهى المراضع
 لله للمحققين سامع
 مع غصبا، وكل ما هو ضائع
 من الخزايا : قيادة وتوابع
 قى نصير، للظلم اعظم قامع
 والصحاري معززات الموانع
 وخزايا، والله للبعي باحس

(حسن)الفعل انت آمال شعب
 شاقفة عيكم فمأس اختيالا
 ... كل شير من ارضنا، كل بيت
 يارعى الله عرشكم...، وولي العهد
 يتحدى بك الدواهي القوارع
 ودعا الله خاشع القلب خاضع :
 كل قلب يدعو ويهتف صارع...
 يد، وليحفظ الحمى والمراضع

فاس :عبد الكرم التواتي



هدية أنت من رب السماوات

ملحة تجمّد عهد جلاله الحسن الثاني في عيد العرس المجد

لدؤسان الشاعر أحمد عبد السلام البقالي

هدية أنت من رب السماوات
تضيء كوكبنا بين النجرات
من نوره مثل مصباح اشعه
من كوكب ساطع في قلب مشكاة
ورائد انت لم يكذب عشيرته
يوماً، ومرشدها وسط المناهات



اربع قرن مضى؟ ما كان اسرعه!
وكان أقصر أعمار المرات!
في عمر قصة حب مالها ابدا
نهاية، فهي في فجر البدايات
ما بين شعب وعرش خالدين على
مر الزمان، وماضي الحب كالآتي
كلاهما هائم في حب صاحبه
يفديه من حبه بالروح والذات
ما زال يكتبها التاريخ منبرا
بما تعاقب فيها من عناقات
للشعب بالشعب، يابن الشعب، انت وكم
حققت من هدف سام وغايات!
لو كان للشعب ان تعطي شهادته
لنت منا ملايين الشهادات

باقائد « لجنة القدس » الشريف الى
 نصر يؤيده المولى بأيات
 و « لجنة السبعة » الاقطاب ترأسها
 لشرح « قصة فاس » والقـرارات
 اقطاب امتا اختاروك قائدهم
 وناطقا باسمهم عند الملمات
 لو كنت فظا غليظ القلب لانصرفوا
 الى سواك، ولم تظفر بصوات
 لكنهم وجدوا روحا مهيبة
 تذيب حكمتها كل الخلافات
 وعمقيرة توفيق وتسوية
 ورأب صدع، وتخفيف لصدومات
 فكم قضيت لاقاع الجماعة بالـ
 إجماع من صبر ساعات وساعات
 انضيت جسمك في التقرب بينهمـو
 ولم تجاهر بشكوى وانتقادات
 ان الجسم ، وان صحت، لتذبلها
 مطامح الانفس الكبرى العظيمة
 فأجمعوا، واجتاع العرب معجزة
 لم يستطعها سوى رب السماوات
 ولا غرابة فيما جئت انت به
 من معجزات كيار او كرامات
 فجدك المصطفى في الجاهلية قد
 اعطى قريشا مثالا في المساواة
 بوضعه الحجر الميمون وسط ردا
 نه، وحسم صراع الافضليات



لكن جارك لم يمهلك ثانية
 لنشر الوية، او رفع رايات
 او الدفاع عن القدس المشرف أو
 شرح القـرارات او كسب الصداقات

فلا فلسطين تعينه، ولا شرف الـ
 أعراب مرغ في الأوجال مرات
 اغري بك الجار نبل لا حدود له
 يبي بأنك من أنقى السلالات
 أغراه ملسم قفاز حريرية
 صمت يدا ما دزت غير العطاءات
 لم يدر ان بها كفا حديدية
 تردي العدو بطعنات شديدا
 جاؤوا لكي يسرقوا صحراءنا عثا
 فضيعوا العمر في حرث المحيطات
 يحرضون على أبناء جلدتهم
 عدو دينهمو المستكبر العاني
 من بيت مالكموا، يامسلمين شروا
 من العدو صواريخ المسافات
 ليقتلوا اخوة في الدين والدم لم
 تلهمو منهمو ادنى الامانات
 رموا « فلسطين » و « القدس » الشريف وراء
 ظهورهم مثلما خانوا الامانات
 وباركوا الوحدة الكبرى بالسنة
 كذبا، وهوا الى خلق الكيانات
 دم « الجزائر » يجري في الرمال، ولن
 يطفى من الحق آهات وانبات
 لن يخرجونا من الصحرا ولو قتلوا
 منا الملايين في حرب العصايات
 ماضهم لو اتوا بالصلح واتحدوا
 وجارهم، ونسوا تلك الخزانات
 الحق يعلموا ولا يعلم عليه، ولو
 طال الزمان على نشر السخافات
 كم زورواضدنا تاريخنا، وشروا
 ضمانا لاناس جد اموات

وأشبعوا شعبهم جوعاً ومسغبة
 لينفقوا المال في خلق النزاعات
 اعمت بصائرهم احقادهم فغادوا
 عقارباً ملئت سما وحيات
 تحولت عقد النقص التي بهم
 الى التعالي على اهل المروءات
 لا شيء يجدي مع المستكبرين ففي
 قلوبهم مرض صعب المداوة
 تبعد سرائرهم سوداء كالحمة
 على وجوه عبوسات كئيبات
 فلا ترى غير قبضات موجهة
 الى العيون، واسنان كسيرات
 ولست تسمع الا ما تصك به
 اذان كل حيي من سفاهات
 هم حاسدونك على ما قد افشاء به
 عليك ربك من فيض العطاءات
 ملك ولدت به، واتيت حكمته
 لم تسع انت اليه بل هو الآتي
 مقدر لك مكتوب عليك كما
 اراد ربك في أسنى السجلات
 من بيت آل رسول الله انت، وهل
 اسمي وارفع من بيت النبوات؟
 فايين من مثل هذا المجد شذمة
 من الطغام وابناء الخيالات؟
 فلا غرابة ان يغفوا زوالكم
 وان يكونوا لكم اعدى العداوات



قالوا « سيخشي جنود الجيش ان كثرت
 ولن يجند للصحراء قوات
 قالوا « سيخشي جنود الجيش ان كثرت
 ولن يجند للصحراء قوات

وكيف ينتزع الصحراء من بلد
أقوى وأعظم منه عشر مرات؟
قالوا: «سنتفقه فيها، ونصرفه
عنها، ونخرجه في ظرف ساعات!»
قالوا: «سيتعب من . اصرارنا زمتنا،
وتلك عادته عند النزاعات..»
قالوا، وقالوا.. فلم تصدق نبوءتهم
بل اخطأوا العد في كل الحسابات
فامتسحت قوة (فرانكو) بعهدتها
أمام افواج آيات ورايات
وفاجأت دول الدنيا مسيرتها
خضرا، وما قد تلاها من مسيرات
وامتد فيها جدار الأمن بحرسها
من هنك مرتزقيهم للكرامات



«البوليزاريو» وليد «للجزائر» من
أب زنيم ومثبوه العلاقات
رنته في طاعة الشيطان مرضعة
آياه سما، واحقا ادا دفينات
لكي يكون لها عبدا تغير به
على الشقيق، وتقضي بعض حاجات
لكنها اصبحت في ملكع أمة
يسومها الخسف في كل المجالات
أهل «الجزائر» ان الساعة اقتربت
في الافق لاحت لها بعض العلامات
«ومن علاماتها في الأرض ان تلد الـ
اماء رباهن المستبدات



شعوب مغربنا تبغي السلام، ولا
تريد حربا ولا ترضي اقتالات

فليسألوهما.. ولن يرضوا، فعند هو
 لا فرق ما بين فرد الشعب والشاة!
 سجن كبير يعيش الشعب داخله،
 لا حريات، ولا ديمقراطيات
 شعوب مغربنا تصبو لوحدها
 وهم يجدون في خلق الدولات
 «فرق تسد» مبدأ جاء العدو به،
 فقلوده كفعل البيغيات
 فلا حياة لهم الا بوحدتنا
 معاً.. «يد الله في ايدي الجماعات»
 تخلف الشعب يغري نفس حاكمه
 بالزج بالشعب في حرب الزعامات
 وتركه جاهلاً كي يستبد به
 فيترك الامر في ايدي الحكومات
 تجاوزتنا شعوب في تطورها
 وخلفتنا لأنواع الخصومات
 هم ينظرون لنا بين ارجلهم
 نكيل للبعض لكمات ورفسات
 فيضحكون، ويرني الاصدقاء لنا
 ويكفي البعض منهم بابتسامات



لان تكونوا رعايا دولة عظمت،
 وهماها الناس في كل المجالات،
 اجل من ان تكونوا حاكمين على
 قبائل، ودويلات حقيرات!
 لا يسلم الشرف العالي وعزته
 من الاذى، رغم حرص واحتياطات
 قد قالها «المتبي» وهو احكم من
 غنى له الدهر آيات وآيات
 وتلك حجتنا اننا لنا شرف
 ادنى مشارفها هـ ام المخرات

نحن الالى ورثوا المجد الاثيل عن
الاجداد جدا فجددا والخلافات
نحن الالى فتحوا «اساتيا» وما تركوا
«فرنسا»، ودانت لهم كل الحضارات
نحن الالى ايقظوا «افريقيا» وما تركوا
صحراء ارض ولا ادغال غابات
نحن الالى صنعوا الفلك الميف ولم
يقهر عزائمهم هول المحيطات
من عهد «ادريس»، تاج العنصرين الى
باني الحدائفة منصور المسرات
مليكا «الحسن الثاني» الذي انحدرت
له الخلافة من خير الرسائل
اضفت للنسب العالي العلوم، ولم
تقنع بشيء سوى اعلى الشهادات
وحضت بحر علوم الدين مكتشفا
كنوزه، رافضا بدع الضلالات
حفظت في الصغر القرآن اجمعه
كما حفظت الاحاديث الشريفات
وصرت في فلك القانون فرقه
بوره يتدى وسط المناهات
وهمت بالفن في اعلى مراتبه
شعرا، ولحنا، والوانا، وآلات..
تعددت عندك الاعداد واختلفت
كانما انت الف مفرد الذات
كاسة صقلت منها الجوانب أو
بلورة بين مرآة وممرآة
الشمس الصقلت عليها من اشعتها
حيطا رقيقا كاحلام الفراشات
فضاعفته المرايا الف الف سنى

وارسلته لغزو اللانهايات
وكان اعظم ما اخفى تواضعكم..
فلا يراه سوى سامي المقامات
جمعت في واحد ما لو تفرق في
الف لصاروا شحوس العقرينات
فهل نرى منك الا قمة برزت
لشاح سابح وسط المحيطات



في عهد عرشك، اللفضي جئت الى
مقامكم رافعا ازكى تحياتي
ومنشدا بعض ما اوحى الي به
حي لكم ودعائي وابتهالاتي
ان يحفظ الله فيكم سر وحدتنا،
وبصطفيكم لمجد وانصارات
وان يحققق للاسلام عزته
على يديكم، وآلاف الفتوحات
وان يبارك في اعمار عترتكم،
«محمد» و«رشيد» والاميرات
وان يخلد ملكا انت حارسه
وأن يقيه بالطاف خفيات

احمد عبد السلام البقالي



عَدَا تَشْرِقُ الشَّمْسُ

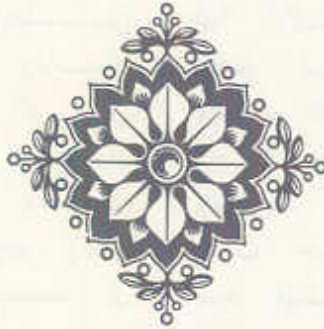
للساعر محمد الحلوي

ولانحجبوا النور عن اعينني
نغير قير قيرود تقيردي
مع الفجر ينساب في اذني
في ويوقظ ايقاعها ارغني
ب، ومن بحماله لايفتن؟!
ن عرائس فواحة الازدن
ح وتنساب في الريف والمدن
وفيض سنابل في مخزني
ر وتعطي عطباء بلا منن
ب ويرسو على هامسة الزمن
ومقبرة المعتدي الازعن
فادبر في جيشه المتخنن
ملاحم عاشت على الالسن
وملاء المقابر والسفن
ل ويرمي بهكله العفن
ويلقي الخطوب بلا وهن
د قلاع شواخ لاتحنني!
من الخد غالية الثمن
وتمشون للحرب في كفنن
ن يسرون فيها على سنن
وسارقوه غير مؤقن!
ه اذا امأ الصدر بالاحن!
ومن يصطلي الحرب في مأممن!
لشعب تمرس باحن
به جار سوء على دخن!
رام ويزدك ما استطاع في مكمن
وينكسي جراحك في العنن

دعوا الشمس تشرق في وطني
دعوا الروح تسبح في افقه
وخلوا نشيد بلبلد
تدغ الخانها خلجها
رؤي وطني بهجة لانغير
خمانله الخضر ملء العيو
وانهره وهي ثروي البطا
سلاسل تجري على ثربه
تفيض جداولها كل خي
واطلسه يتحدى الخطو
عربن اسود وقلعة مجد
عهاوي على ساحرة كل باغ
وسطرر في الخد ابناؤه
خيول ابنن تاشفين في كل واد
وشعب ابنن يوسف يجلي الذخو
بخوض المسيرة في وحدة
وابناؤه الصيهد عبر الحدو
هم كل يوم معلمة
يلاقون اعداءهم بابسام
سجايا المغاربة الاكرم
تراهم حرم لايباح
وموت عدوك لاشك في
وكم يقتل الحق مد مرضي به
وليس البلايا بقاتلة
ولكن افظع مايبغلي
تذود الاذي عنه ذود الك
وتصغي لاهاته في الخفاء

لها كنت كالساعة يد الايمن !
 اناشدك الله لاتنسني !
 عرفته في الموطن الحشن
 بغير تضامينا عابسي
 وهبته روحي سيكرهني !
 على الدرب يوما ولم تكن
 تمخض عن حاضر محزن !
 ت الى خلق هيمسي ذي
 اء وولى عدمتك من زمين !
 من الاقرباء وما هالني !
 شقاؤك في ظل عهد هني
 واوتيت فيه من المأمين !
 ويعمرنا نور فجرهني
 وه نشد السلام على الفنين
 ال غدا يرجع النوم للاحفن
 ور ويتعم طفلي بالاحفن
 وتحلو الحياة بلا شجن
 ير وغرك في الكون ماهزني
 اه تخذتك لي وثني !

واعممق جرح جراح يد
 فيامن ذكرك والخطب داج
 ولاتنس شعرا باجمعه
 ولا تنكسر لماضي نضال
 فما كنت احسب ان السذي
 كأننا غريبان ما الثقيا
 سوى خاطر في ضمير الزمان
 فيا للشهامة كيف استحبال
 وبازمننا مات فيه الووف
 نسيت العود بما نالني
 فياوطنني ان يكن قدرا
 تحورت فيه من الغاديين
 فقد ينجلي الليل عن فلق
 ويشدو الحمام السذي روع
 غدا تحمد النار فوق الريم
 غدا تعرف السمات الثغ
 ويرقد في كل قلب شهيد
 وباطوني انت جسي الكعب
 امجد زني ولو ان لي سو



ها هو اليوم ذا يوم اللقاء

للشاعر محمد الكبير العلوي

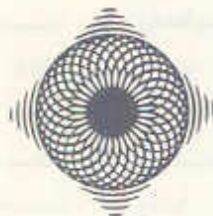
كل يوم مسيرة خضراء
كل يوم تقدم وازدهار
كل يوم عهد جديد وبعث
كل يوم توثب للمعالي
كل يوم مسيرة ونضال
كل يوم يسمو بنا الحسن الثاني
صوت حق مجلجل وخطاب
وصمود وموقف يتحدى
هكذا هكذا يكون النامي
هذه الأرض حلها اليوم بمن
هذه الأرض ماها تتراى
هذه الأرض ماها تنامي
هفت نشوة وغنت وتاهت
هل اتاك الحديث عن مقدم العا
قيل يأتي الملك فالتفت السا
أمل مشرق وفجر مضيء
واذا المؤكب العظيم مطبل
فتميد القلوب بشرا وتهفوا
وبروق الجمال في كل نفس
طلعة زانت الوجود وعز
اطرقت عنده العيون وقمرت
وتعدت منه القلوب وكانت
ومضى والقلوب تصحبه في
ولقد هاج في النفوس حنين
وتلظت عواطف القوم حبا
خفت منهم القلوب هياما
ياحبيب القلوب أهلا وسهلا
فاملأوا الأرض والسما هتافا

وطموح ومفخرة وثناء
وانتصار ووجده وبناء
وانتفاض وموعد ولقاء
وكفاح ليلها وارتقاء
وتحد وعزة وابناء
سي فتجسوا لقدننا العظما
للمعالي ودعوة ونداء
قلبه الأرض كلهها اصدا
وتسود الأزمنة الشماء
وأمان وساد فيها الهناء
كالثالي حصوها الحمراء
في شيوخ وبعثريها ازدهار
خيلاء وحققها الخيلاء
هل صبحا فقي الحديث الشفاء
من حشودا ضاقت بها الانحاء
بالبشارات باسم وضاء
يملا الأفق نوره والضياء
وتضح الساحات والأرجاء
ويسود الجلال والكبرياء
وجلال وبهجة وبهاء
وتسرو تلك النفوس الظماء
اشربت حبه ونعم العذاء
سيره فهسي حوله رفقاء
واشتياق من شأنه الازكاء
وغراما فما لها اطفاء
ولوعا وفاض منها الاخفاء
كلنا اليوم فرحة وغناء
وزغاريد أبا الخلاء

طاب منه الاصبح والامساء
 والتطت في احشائكم رمضاء
 ها هو اليوم ذا يوم اللقاء
 واستبذت بالأمسة السراء
 ملؤها الحب روحا الالهواء
 وأناشيد كلها انحاء
 وهوى عنه ضاقت الاحشاء
 انت للمجد والسمو سماء
 وجمال وعزة واباء
 وتصاغرت واعتراك حياء
 وتغنت امواجك العجماء
 وسعودا واخضلت اليبداء
 برده فهي روضه خضراء
 وزهت فهي غادة حياء
 بعده ترتقي بك الانحاء
 د وشمس ينورها يستضاء
 فلقد سادك المنا والرخاء
 لك حنوا من دفنه الأفياء
 دأبك العهد والوفاء والسواء
 وضمنان ووحدة ويقاء
 فلأنت الكريمة العذراء
 منذ كنا وكانت الصحراء
 وحدثنا فعندك الانبياء
 وحدويها به يشيد القضاء
 همما الحب والفدا والوفاء
 شاخ الصرح دونه الجوزاء
 ولك العز والعللا والثناء
 وتبارى في وصفك الشعراء
 في معاليك راقه الانشاء
 مثل ما كان قلبي الادبياء
 وتفاعيل كلها غراء

انه عيد بهجة وسرور
 طالما هتمتموا به وجنتهم
 واشربت قلوبكم للتلاقي
 فداعت حتى الدموع سرورا
 نظرات وأنفس وقلوب
 وهتاف وملتقى وحشود
 وغرام به العواطف جاشت
 أيها الشاطيء المضيقي تشرف
 أيها البحر فاض فورك قدس
 فضاءت هيئة واحتراما
 وتدفقت مطربا ومثيدا
 اشرفت حولك الخواصر نورا
 خلج اليمن والأمان عليها
 وازدهت في جهاتها وحلاها
 انت يا ابن رسول سر ونور
 أنت ظل منه على الارض ممدو
 فعمي صحراء المعالي صباحا
 حسن الشعب ذاءه قد اظلت
 فامرحي وافرحي فأنت قديما
 مجدي العرش فهو سر ورمز
 واستعدي شبابك اليوم غضا
 حديثنا عنك قديما
 حديثنا عما عرفت قديما
 اسمعينا انشودة العرش لنا
 عرش شعب وشعب عرش تما بينا
 وأقاما للمكرمات بناء
 حسن الشعب انت اعظم شأننا
 حار في وصفك البليغ اندهاشا
 شاعر الوحدة المشيد ثناء
 خدمة الوحدة الوطيدة ديني
 فتقبل مني معاني غراء

شاعر الوحدة
 محمد الكبير العلوي



وَبِالْعَرْشِ نَلْنَا كُلَّ مَجْدٍ وَرَفَعَتَا

للشاعر محمد عبد الرحمن العلوي الدرعاوي

وما حزت من خير فأنت به أخرى
وأخرى به حرا وأخرى به نثرا
وبشرى من الرحمن ما فوقها بشرى
تسير به يمتاك سرا إلى اليسرى
وكلتاها تسمى فمالك من يسرى
بها العسر يغدو من سهولته يسرا
قبل قليل من إليه لها يسرى
وحكمك حكم بالعدالة قد سرا
من الذكريات الجارية إذ تجرى
وليس عجيبا ما به تنفع الذكرى
ربحنا به الدنيا ولم نخسر الأخرى
فكم ربحوا نجوا ولم يربحوا نجوا
وكم عمل زين شرت به صدرا

لك الخير كل الخير يا حسن الذكرى
وأخرى بشعر الشاعرين منقحا
ومنا لك البشري بعزك في الورى
وبشرى لشعب في يدك شؤونه
ويسرك والتمنى سواء ييـمـنـها
وعسرك يسر من وجوه كثيرة
ومثلك من يسرى إليه حاجة
وذكرك ذكر للنفسوس يسرها
وذكراك ذكرى لا تقاس بغيرها
بها نفع الله العباد بأسرهم
فلله كم رأى مصيب رأيتـه
وذلك جمع قل في الناس مثله
وكم من مقال قاتله فأجـدـتـه

□ □ □

ونصرا وفتحنا يتبع الفتح والنصرا
يزور بها الأوطان يملؤها عطرا
ويبهجها سرا ويبهجها جهرا
وقاعدة كبرى وقاعدة ضعوى
وبالعرش كنا واعتنينا به وفرا
ولا برحت امطار حكمته تنرى
على أمة كبرى تبه به فخرا
ويحفظها حصنا ويحفظها ذخرا
فلننا نخاف الدهر في ظله اصرا
ولا قولة تؤذي ولا نظرا شزرا
وياحيدا ذاك الجباء وما جرا
ونلنا به التكرم في الناس والأزرا
رفعا بها عنا المظالم والحظرا

هينا لك انجد الذي أنت أهله
وأهلا بعيد العرش في كل أوبة
ومرحى لأوطان تطيب بعطره
ويرقصها شيا ومردا وفتية
فبالعرش كنا واستقامت أمورنا
هو العرش لا غيت سجايب فضله
ولا انفك في الأوطان ينشر ظله
ولا زال يغنيها ويسعد أهلها
أما به المكروه من كل عابث
ولا كيد حساد ولا حكم جائر
حيانا به الرحمن مالك أمرنا
وبالعرش نلنا كل مجد ورفعة
مسرتنا كانت به خير خطبة

ودسنا بها التفريق دوسة حازم
ونلنا بها التوحيد في عقر دارنا
ولا هدي كالتقرآن يحكم أمرنا
وإذ من بالتوحيد ربي بفضلته
يرى الخزم ان لا يقبل الضيم والحجرا
ولا شيء كالتوحيد يرفعنا قدرا
ويرشدنا نينا ويرشدنا امرا
فواجبنا ان نبدل الحمد والشكرا

□ □ □

جزى الله عناء ال مولاي يوسف
لقد أحسنوا سعيًا فأبوا بئنا
وإذا شاهد الأعمال من حسن يرى
وإن جميع الناظرين به ادري
أمتنا الأحرار من كرموا نجرا
وبالمدح منا كلما ذكرهم مرا

□ □ □

وقالوا أجدت الشعر قلت لعنني
ويوجد في الأنهار ما لم يكن يرى
وليس غريبا ان اجيد فإتني
وتأتني طباعي أن افوه بمدحه
وحسي شعورا أن أكون ثم نهرا
على عبات البحر ملتصبا ذرا
بمدحي لآل البيت استهم الشعرا
لمن لم يكن في الفضل قد بلغ الشعري

العيون : محمد عبد الرحمن الدرجاوي



عرشنا وصحراؤنا

للشاعر عثمان جوريو

وطـنـي انت الامـاني وتـراث الأولينـا
لم تزل رمـزا لمعالي للأبـناء الطامحينـا
□ □ □

اخصبت فيك حقـول بجهـود العاملينـا
وأمدتها سدود تسكب الماء المعينـا
□ □ □

وتعمالت منشآت بالبنـاء التاهضينـا
ومشاريع تجلت تبعث الأمل فين
□ □ □

عرشنا حزم وعزم وصـود الفاتحينـا
صا نسو الشهم المفسدى وأمير المؤمنينـا
□ □ □

من بنى للعرب صرحا في مجال الخالدينـا
وحى القـدس المعلى ومقام النبيينـا
□ □ □

بقلاع طائـرات وعتـاد الهادين
وحـود قد اجابوا صرخة المستجدينـا
□ □ □

في رنى الجولان حلـوا وازالوا خط سينـا
لقنوا صهيون درسا ارفع المستعمرينـا
□ □ □

فاستطـاروا في وفـود تشد العـوش المعينـا
والفـنا تملي شروطنا في صفوف المعتدينـا

وبعد الصحراء لانوت وأنت بالوافدين
فحماها من طعنا ودعاوي المبطلين

□ □ □

مسيرات ارتسنا معجزات الاولياء
تحمل القرآن رمزا وشعارا للمهتدين

□ □ □

فتقدت دار سلام ومقر الاميننا
علم الوحدة فيها بحرس الكنز الثميننا

□ □ □

دام للشعب منارا وملاذا للمخلصيننا
ينشر الامجاد تترى يعلن الفتح المبيننا

عنان جوريو



وَعْدَةُ الْعَرْشِ وَالشَّعْبِ

للساعر عبد الواحد اخريف

تحمال في حلال الامجاد والنعيم
ويطرب الشعب ريان الوفا العميم
يتقى الربيع حواشيا بمنسجم
حتى تمازج حسان على شحم
والزهري بالعرش يذكو عاطر النسم
اعطافه النور يهدي اجمل الحلم
كان حضرتها من «نجمة العلم»
بصادق الود والاخلاص والقيم
على الوفاء مثالا ساطع القدم
الا لب الهدى والعرش والذم
فأثرت امة مشكورة الشيم
كما مضى سلف للمكرمات نمي
برائع الشعر والالخان والنعيم
الى مراقي العلا محفوظة الحرم
آياته معجزات العصر والامم
ويذل الفكر للتخطيط في العسم
اسمى مقام رفيع باذخ سيم
تحريك ان صدها غير منكم
كما تحدث عنها صانع الكلم
مشاهم يتحدث في السر والرسم
علامة للنبي والنصح والحكم
الى السماء كذخر غير منهم
ولو كشعر «زهري» في همي «هرم»
والشعر لمح البليغ الخاذق الفهم
افواجها نحوها تمشي على نهم

تعود كالشمس ذكرى شاخ القسم
يزهو العرش في لآلئه فرحا
تعود والارض نشوى من سلافها
كانه ماأرى حنا لطيعته
فالعرش في موسم الازهار منبج
انظر ترى منسا يسي العيون وفي
بهم في حضرة حناء يانعة
عيدان للشعب احيا الله مهجته
قد سلب الود منذ كانت سجته
ما صفق القلب في احبائه ابدا
اخلاقه ركز الاسلام منشأها
تمضي على العهد لايلوي بها احد
من عهد «ادريس» لم تفنا معبرة
لعهد من رفعت اعماله وطبا
العاهل «الحسن الثاني» الذي برزت
يقضي النهار مضينا افق امته
اضفى على الشعب من خير بيوته
سل «المشارق» عن عنوان نهضته
قد اشرفت بجلال في الربوع ضحي
العاملون رأوها في ضميرهم
و «العرب» رغم امتلاك العلم يرقبها
قد طيقت عالم الانسان وارتفعت
لا يستطيع قصيد نظم جوهرها
تكفي الاشارة لليب يذكها
هاذي المعاهد للتعليم سامقة

هيّاكل المجد في شوق وفي همم
 بعيدة عن سواد الظلم والظلم
 سواعد بسوى الانتاج لم تهم
 فيشكر الصنع بالعرفان كل فم
 موفورة العد والالوان والقسم
 ثمارها دون نقصان ولا عدم
 لا تشتكي ان سواها بالجفاف رمي
 من دون غدر ولا بخس ولا سأم
 كالروح في الجسم يحيا جد معتزم
 يشبه صعب ولو كالتشاهق العلم
 وجرأة مثل عزم الاسد في الاجم
 الفكر البسها اريدية العصم
 مواكب النصر في حرب وفي سلم
 كفاية فيضها كاطر السديم
 لجوهر اختوى في سلك منتظم
 فسله في دنيا المعمور خير دم
 تركو الفروع بها في الناس كلهم
 تمودجا للهدى والبر والكرم
 من غرسه واستطابوا لذة النعم
 العاهل «الحسن الثاني» على قدم
 مشاعر الود والاحلاص لم يرم
 من المفاخر سام جد محترم
 عنوانها وهي - ان جدوا - على عظم

تشيد اعمدة ينس الرقي بها
 تضيء وجه العلا انوار فطنتها
 هاذي المصانح تحيي العيش تقصدها
 عمالها بمدح الاحلاص جدهم
 وما المزارع الا كالجنان بدت
 تعطي الجزيل من الحيات ناضجة
 تروي السدود ثراها كلما ظمنت
 مكاسب تبعث الايام جدتها
 وكيف تقرر يوما والمليك لها
 يطوي بأتمه كل المراحل لا
 بهمة ماها غير العلا هدفها
 حسن الارادة من ضافي شمائله
 موفق الخطو تمثي في معينة
 مفوه ان علا متن المنابر من
 مختار در المباني من براعته
 نبوغ بيت احاد الله نبعته
 قد طهر الله اصلاها له كرمته
 وكيف لا ورسول الله اسمه
 تفيأ الخلق ظلا قام فوقهم
 يسر في هديه الوضاح معتصما
 والشعب من خلفه صف توحده
 بجلسه كل يوم في ذرى نزل
 وما الشعب سوى اقبالها فهم

□ * □

اجزاء قطرك صون القائد الفهم
 ما سبحت بسوى التوحيد للحمم
 دم القربانة فيها غير متم
 سلما كما فتح الهادي حى الحرم
 من كل سوء ويحميها من النقم
 عتاده وهو في حصن به تم
 والفتح بالروح غير الفتح باللجم
 لان ايمانه بالسيف لا القلم
 سلاح ظالمها ضرا من الوهم

مولاي يامليك التوحيد صنت به
 هفت اليك من الصحراء افئدة
 وشائج بيننا تهاج صاخخة
 سارت «مسيرتك الخضراء» تفتحها
 وفي يديها «كتاب الله» يحفظها
 وما يزال «دخيل» الدار يسكنها
 فجاء نصرا فريدا في طبيعته
 قد حير العالم المادي ظنيته
 ان قدر الله نصرا للشعوب تجدد

اعيدت الارض فاغناظ الذين هم
كادوا وما الكيد الا اللؤم اجمعه
وحولوا السلم نارا انت مطفئها
متى تعود الى رشد عقولهم
اخواننا ابدا في الدين والرحم
فولدوا صنما يسعى الى صنم
بكل شهيم لدى الهيجا وكل كمي
ويدبر الحمق مكسورا على وضم ١٢

* □ *

مولاي ديدنك التوحيد تشده
«ليبيا» و«مغربنا الاقصى» جناحا هدى
شوط اردت به توحيد امتنا
والعرب وحدتهم لا شك قادمة
سيان في الدار اوفي العرب من ام
لم يخفقا بسوى التوحيد للامم
من اخط الى القاصي من التخم
ان كان مثلك فيهم باديه الهمم

* □ *

مولاي في القدس آمال رجلك لها
بذلت من اجله جهدا يضاف الى
سيطلع الفجر في آفاق روضته
وانت سيط الذي سرى الى الحرم
ما تبقى من جليل الأسر والخدم
وتسجلي غميرات الحزن والغمم

□ * □

مولاي في العيد اشدو شاعرا غردا
ما قيمة الشعر ان لم يد عاطفة
حزاك ربك عن شعب وفيت له
فاهنا بعيد له في كل خاطرة
ودمت تبني على أس العلا وطنا
وعاش في حضنك الموحى خير هدى
و«للرشيد» صلاح الرشيد بصحبه
سباه منك جميل الفعل والسم
للشعب والملك الخفوف بالعصم ؟
وفاء من اخلصوا النيات في الحكم
عيد وفي كل قلب نشوة العظم
تريده اليوم سباقا الى القمم
ولي عهدك بين العلم والقيم
والشعب خلفك صف غير منقم

تطوان : عبد الواحد اخريف



بَيْنَ بَطْحِ الْعُيُونِ

للشاعر قردور الورتايسى

هنا «عاصمة الصحراء» للمجد يحطب
وللكون اقلام تصيخ فتكتب
ملكك له في الجند عرق مؤصل
وفكره الابداع يزهر، ويظرب
متى قال، قال الكون حي على العلاء
فجاءت جنود الله توارح
ملكك تسامى، العلاء فتبعت
خصوم حي الصحراء والنفس ترغب
بدا في سماء الامجاد ملكا مدويا
تلين له الصغراء دوما وتعجب
وتمو به الزرقاء نبلا وعفه
وتحبي به الجرداء دوما وتعجب
كان ذرى الالفام موطن فكره
فمنها يشع الحق، والحق اغلب
ومنها يشع السلم فكرا ومشعرا
ودينا به الدنيا تهم وتعذب

□□□□

الا انها العارون مهلا فانه
ملكك عزيز بالعلاء يتمذهب
فمما عاش الا منها متفجرا
به محمد الظمان سلما ويرقب
واما تبادت في الحروب جنوده
تري مثل صوت النفخ والارض احرب
فله ما احجاه بالعرش مالكا
واكرم به ملكا يقول ويداب

بصوغ المعاني العر ذرا منسقا
 كعقد نسيق في الدجى يتكهرب
 وصدر رحيب في الخطوب وعزيمة
 فولادية. والقول كالحلم يعذب
 فيما ضاق ذرعا من خطوب كثيرة
 ولا ضاق من خصم بجي، ويذهب
 ففسي كل أن صدره متأهب
 لسلم. على حرب تنور وتغرب
 الا تلك آيات العاقرة الالي
 يعيرون روادا، وان شط مطالب
 فلا عجب الا يكون مجدا
 وان كان للإجماد يرى ويُنصب
 هيبا بني الصحراء اذ شع ملكنا
 بصحرائنا. والكون يشدو ويغرب
 فيما الحسن الثاني سوى من سلاله
 اضاء لنا الآفاق والكون غيب
 فمئذ تولى العرش. والشعب آمن
 وان لجت الاعداء أو تصعب
 لقد حابت الاعداء في كل موقف
 وباءت بحسر دائما يترب
 وعاشت ذنى الاقصى على النصر خافتا
 كما عاش قبل اليوم، واللذ غضب
 فما تصب الامجاد في ارض شعبنا
 وفي موقع الاعداء تحفى وتنضب
 رعا الله عرشا لم يزل مترصدا
 لنا كل عز بالنسى يظيب
 وما خاب فيه الظن منذ عهدوه
 فكيف - وائم الله - فيه يجيب
 فكم حالت الاحوال واشتد كربنا
 فلذنا به والخطب يرغى ويصخب
 فأت لنا الدنيا نعيما مكرما
 وصارت ذنى الخطوب تكى وتذب
 فبعث - ملك البلاد - عيشا منعما
 على قسة الخلود، والكون معجب

وعاش ولي العهد فينا مؤمرا
حييا محييا به العيش يعذب
وعاش الرشيد الفذ عزا وسوددا
يقاضى الهى دوما فيمرو ويغلب
وعاش - بعيش الكل - شعب ممجد
به صارت الدنيا تيهه وتطرب
ودامت دنى الاسلام في الشعب كوكبا
تشع السلام الحق والجحد ينحب
ودامت لنا الصحراء غرة ارضنا
وغيابت ظنون لم تزل تتحرب

الرباط : قدور الورطاسي



كأن فطورك أنداء تروياها

للشاعر وجيه فهبي صلاح

ربوع مغربنا غنت روابيا
وهش منثيا بالنصر واديا
واشرفت شمس عرش العز فامتلات
آفاق كتابنا ذكرا وتويا
تنى على الحسن المقدم معلنة
ان المثى - حبيب الله - راعيا
منذ الحدائة كان النصر مطلبه
فحقق النصر للصحراء واهليا

□□□

يا سيدي انت في اذهاننا أمل
لامنة انت بالاشراق تهديا
اوصلتها لرفيع الشأن فانطلقت
على هداك الى الصحراء تونيا
فاحضرت الساقيات الحمير واتعشت
كأن خطوك انباء ترويا
وطيرها صادح في كل مزدهر
من الحمامات ل قاصيا ودانيا

مرحى لعاهلنا مرحى لمغربنا
مرحى لشعب عزيز النفس عاليا

عرش وشعب وارض ظل يجمعهم
مدى الزمان وفاء زادهم تيبا
فحقق معجزات ذكرها عطر
شدا الزمان بها واحرار محصبا



بالعرش صننا وجننا في مسيرته
الى العيون فعانقنا روايبا
كتاب السلم رشت في مفاوزها
ماء الحياة وفجرنا سواقبا
هي العيون عيون الشعب تحرسها
لانا درة في تاج محبا

اليوم تستقبل الصحراء عاهلها
وبهجة الـروح تسري في نواديا
وتملأ القرحة الكبرى مرايعها
ويصدح الشعير فواحبا بواديا
تشدو حساسينا للعرش ملحممة
يبدو الوفاء سموحا في معانبا
اشعارهم من شغاف القلب نابعة
فيها البلاغمة قد زانت قوافبا
هنا عكاظ وعيد العرش كعبتا
وذي الروائع ارواح تعنبا
تمجد الحسن المنصور رافعة
له الولاء قلوب عرشه فيها



ينيك ياسيدي شعب يقدمكم
ينيك دار بكم ترقى معاليا

يهيك شعب جنود خلف عرشكم
يوم الـــــــزال اسود طوع حادتها
يهيك انك بالرحمن معتصم
ينير درب خطي للنصر تمسها
تفتح الافق بعد الافق منشرحا
امام شعبك للدنيا وما فيها
نظامك الخير والقرآن منهجه
قدم للمتسا المحماء حاميا
وليلى عرشك نبراسا لامتنا
تجزيك خيرا وبالحيرات تجزيها

وجيه فهمي صلاح



رُحْلُ سَبِيلِ الْمَطَامِ قَهِيْن

لِلشَّاعِرِ عَبْدِ الْفَتْاحِ إِمَامٍ

فما بعد هذا النصر عز ولا فخر
ولكن صمت الليث يعقبه الزأر
لنا الغضبية النكراء و الفتكة البكر
وأنا أباة لا يقزعنا الغدر
شريم بها كأس هي العلقم المر
فياغته خسف واهلكه المكر
وذو الغدر اوى ما يكون به القبر
وكانوا بغاث الطير دامها النسر
صواعق لابر وقام ولا بحر
وحاق بكم خزي وباء بكم خسر
تظل مدى الأيام ينشرها الدهر
من الخوف انعام تملكها الذعر
هو الموت حتى يشيع الذئب والنسر
ويطهر وجه الارض والسهل والصخر
فأنت لها حصن وأنت لها فخر
وسارت بها الركيان والبر والبحر
على مثلها تبنى المناقب والذكر
وحكمة ابطال بها يشهد الدهر
فأرض الصحاري ياطعها لكم قبر
بنا قدم او مس وحدتنا الضر
وحلت بنا الافراح وانشرح الصدر
وسارت بنا الآمال يقدمها النصر
فإننا جمعنا الشمل والحمم الأمر
تؤيدنا الآيات والحجج الغر
ولحن الجبال الشم والبلد الحر
ولا تم الا بالكفاح لهم امر
الا ان نكران الجميل هو الكفر

على صفحات انجد فليكتب الدهر
صيرنا وما صبر الابي مهانة
متى نسي الازغاد انا بنوا العلا
ألم يعلموا أنا أسود كواسر
فهذى سمارا والعيون وعيرها
قطع من الجرذان يزحف في الدجي
جموع كامثال العجاج تقاطرت
ولما رأوا بأس الكمأة تفرقوا
رأيت جنودا بل أسودا كأنهم
سقتكم من الموت الزؤام كؤوسه
مواقع للتاريخ يشدو بذكرها
ففرتم من الاطال صرعى كأنكم
هلموا الى الصحرا فإن مصيركم
وبالله عودوا كي تيد جموعكم
لك الله ياحيى البلاد وعزها
فكم شدة في الحرب خضت غمارها
وكم لك في التاريخ صيت وسمعة
فحزم واقدام وبأس وجرأة
رويدكموا لا تغضونا وتغددروا
ولا تحسبوا ياقوم انا تزلزلت
تصافحت الارواح في كل بقعة
تلاقت أمانينا على خير غاية
فقولوا لأهل البغي موتوا بغيظكم
وإنا رفعا راية النصر والولا
فمن ذا الذي يسعى لتفريق شملنا
وما ساد اقوام تغير عزيمة
نسيم ايادينا وحنم عهدنا

تعالوا عسى ان يهلك الله جمعكم
وما طاب عيش في الحياة حاملا
مآثره مثل النجوم عديدة
فبالحسن الثاني بلغنا مكانة
نبينا على همام الثريا مآثرا
بناها ملك ايد الله ملكه
فياسيدي دمت الملاذ لشعبنا
ففي كل قلب من جهادك فرحة
وحردت للاعداء عزيمة وهمة
وكل سبيل للمكوارم هين
لهذا فإن الشعير فيك محب
لسدتك العليا نرف تحية
ولا زلت بجرا بالمفاخر زاخرا
وعاش ولي العهد للسجد والعل

فعد بنى الدنيا بيعكموا خير
ولا خاب شعب قاده الحسن الحر
وأجاده يعيا بها العبد والحصر
تباركها الافلاك والانجم الزهر
تغني بها التاريخ والشعر والنثر
فبات لنا على أم النجوم لنا ذكر
فأنت له الروح المدير والفكر
تعنت بها الافواه واتسم الثغر
بها اندحر الباغي وحل به الذعر
ذلول فلا صعب لديك ولا وعبر
وأنت خليق ان يصاغ لك الدر
يتوجهها الاحلاص والحمد والشكر
«ولا زال منها بجزعائك القطر»
وذانت لك النعمى ودام لك النصر

عبد الفتاح إمام



أعراس الحب

للشاعر أحمد العمراfi

من نشوة العيد يزهو الشعب مفتخرا
والكون يرقص في ابهى مماثلته
عيد تربنت الدنيا لمقدمه
عيد الفاخر جان اليوم مواعده
عرش وشعب على درب الوفا التقيا
حب كبير واخلاص وتصحية
واخذ بالحب ان اركانها بنيت

□ □ □

شعب على دين ملك ملهم الحكم
نعسى بنعسى يسير الشعب والملك
هي القلوب اذ ما الحب وحدها
المنجزات توالى المنجزات، فم النـ
هذي سدود يفيض الخير شامخة
هذي مصانع بالعمال زاخرة
هذي معاهد تسقى النشء معرفة
هذي مساجد بنت في مراعينا
هذي مسيرة فصح يا لروعتها!
فعانق الوطن العالي حبيبه
هذي وهدي وهدي.. ما لها عدد
تحفها عين ربي والملائكة
فالحمد والشكر لله الذي النعم

□ □ □

مولاي عرشك للامجاد مفخرة
فأى عيد كهذا العيد مكرمة
وعاك رب كريم يا حبيب قلوب
واهاً بعيدك في يمن وفي رغد
وليهنأن ولي العهد وليعش
وليهنأ الشعب مسرورا ومتهجرا

وعيدك الزاهر الانسى به افتخرا
وأى ذكرى كهذي تلهم العبرا
بنا بما قد رعى الآيات والسورا
واسلم لشعبك تهديه العلى ظفرا
كذا الرشيد وباقى الآل والأفرا
في ظل عرش مجيد يصنع الفخرا

العيد قبل

للشاعر محمد أجانا

العيد قبل زاهيا متبسما
يختل في ثوب الوسامة ناعما
تسري بموكبه الفخيم تباشر ال
فرح العميم وكان طيبا عارما
وتقود مقدمه البهي حجافل ال
حب الذي يبدو زكيا سالما
وتفرد الاضواء عند مزاره
وتردد الانغام لحنا حالما
وتسير بالركب الجميل مفاتن
ومشاهد اجدى تكون ملاحما
فالعرش يضحك والبود ترفرف
والشارع الممدود يرقص باسمها
وترى القرى يحياها وسهوها
مشغولة بالعيد رمزا قائما
فاعجب لاطفال يحنون الليلى
ك بعيده متشادين لوازمها
اما الشباب فانه بمحاسبة
خلق فوق السماء نائمها
واذا الشيوخ جميعهم في نشوة
طرحوا الرزائة تاريخين عمائمها
والشعب اجمعه يفيض محبة
والعرش يجمع شمله متضامها

والمغرب الأقصى تراب خالد
 حراسه ملك وشعب دائم
 كم ضحيا ليعيش حرا راقيا
 متوحدا الاطراف لا متقاسما
 كم ناضلا وتحملا من كل ألوا
 ن الخطوب وسجله مغانما
 خاصا الشدائد قابليات مرة
 وتذوقا ألما وكان مداهما
 بالصبر والاخلاص قدنا لا المنى
 وتحقيق الحلم الكبير ملازما
 وتسابقا سعيًا الى صرح البنا
 ء فشيده مفاخرًا ومكارما
 لله من شعب وفي مخلص
 ومليك شعب كان فكرا علما
 فاذا هما اجتمعا لأرض اصبحت
 خضراء تعم بالهدوء مواسما
 وتعيش في بحوحة الامن الوري
 ف وظلله المدود يقي راحا
 وترى الوجوه مشعة وقريرة
 تحيا هناء عادلا لا ظالما
 ويحس كل بالكرامة داخل ال
 وطن المحرر في السعادة عانما
 ويذوق في لطف حلوة نصره
 ويريد ان يمشي طريقا قاهما
 تتعانق الايدي وتبضح كلها
 في النهر يقي للجميع مواسما
 تنفس الازواح في مجرى هوا
 ء وترتوي بالماء عذبا شامبا
 والنور للفكر الذي يسعى به
 نحو الحرية راكعا اوجانما

فإذا الحياة جميعها موفورة
والكون اجعسه بصير ماسما
فالشعب والحن الحبيب كلاهما
روح الزمان مناضلا ومقاوما
عشقا بلا دهما الى حد العبا
دة والتصوف خالصا لا قاتما
لم يخلا - وغطاء كفهها غزير
ر - لم يمسكاه مداومها
فهما بعشق روح عصر حاضر
وغدا الجميع مساييرا ومساهما
لحقا بركب العصر لم يتأخرا
إن التأخر كان موتا آتما
والعصر مطبوع بطابع سرعة
وتطور علمها وفكرها فاهما
كالورد مغربا غدا الثقافة
غريبة متفتحا ومنادما
فتوعت افكاره وتعددت
كلماته والوعي صار مهاجرا
والفن يمشي في الطريق ودريه
والمرح الوثواب كان مزاجا
تلك الصحافة والمجلة والكتبا
ب تسير سيرا تاميا متراجعا
كثرت مشاريع وعمت منجزا
ت للتقدم كان خيرا خادما
تنبى الحضارة شامحا بيناها
ومخلدا تاريخها معاطفا
تنبى عن الحسن الفريد وعصره
تميزا متباها متاعما
فالنهضة الكبرى غدت في عهد
تسمو سما راتعا متلائما

وتجنسوا كي يدركوا أعلى المنا
صب في الوجود بملكوه خواتما
بوسائل الاعلام اصبح صوتهم
مترايما متعاليا متناظما
ملكوا عواطف اوروبا وامريكا
يجنون من ثمراتها المتوائما
فلتخذ اسلوبهم وبه نخا
رب مكروهم وعنادهم ومناقمنا
ان لم نخاربه كيدهم بمكيدة
عريضة فالوت امسى حائما
ان لم نكن متيقظين استعمروا
كل الاراضي من قرى وعواصمنا
بعزيمة الحسن القدير وصنوه ال
قذافي البادي قويا صارمنا
وبوجدة جمعهمنا في اسرة
تهوى النضال مجاهدا ومقاومنا
سترد للعرب الاراضي كلها
وتعيش امانا واقعا لا واهما
ويعزز الاسلام عزا سامقنا
ويذيب خلفا كان شرا لاطمنا
والوحدة الكبرى على ايدينا
ستصير حقا صادقا متراجما
اما الجزائر ويجهها - من وحدة
خلطت لها الاوراق شوما لاغمنا
ونرى الصهاينة في الدمار المحرق
عادوا الى النذل القديم سوائما
والثأر يؤخذ - لا محالة - طالما
من خلفه طلب يكون عزائمنا

-●-

يافرحمة الشعب الاميرة مريم
كانت لنا عرسا فريدا فاغمنا

قد ساهمت فيه الاقلام كلها
حيا واطهار السواء مساهما
صارت بها فاس العتيقة مسرحا
لفنون شعب كان دوما خادما
يهوى التعامل بالخرقة والرضا
ويود أن يقبى وفيما حازما
فلتهنأي يا أميرة اكسلس
بزفاف سعد دام حلوا غانما
ولتعمي برضاء والسدك المليي
ك وظفرا بالله امي عازما

-●-

يا قائد العرب الذين تشتتوا
في الرأي والعمل الحبيب شرادما
فلأنت أجمع للمبول وضمهما
واصحهم نطقا ورأيا ناظما
بالمسلمين فسر بهم نحو الهدى
متحديا (غربيا) موج شتاما
بكم يعود لجدده اسلامنا
غضا طريا بانينا للهادما
تألوا الشورى بكم في البرما
ن صفيحة وطليقة وحائما
فالشعب ينأ بالعدالة راضيا
متمعنا بحقوقه متفاهما
يحيا بدون مخاوف مستأمننا
متقبلا في الضوء نورا حاكما
ليست حياة المرء غير مسيره
وفق النظام لكي يجوز مناعما
وشغلت نفسك بالعروبة جاهدا
تبغي لها شرفا ونصرا عاصما

تسعى الى ضم الصفوف مطهرا
جو الحياة شوائبا وغمائما
انت الخير بها وقد خالطتها
وعرفتها في العمق سرا كما
وخرجت اكثر ما تكون تشاؤما
أما التفاضل صارو هما أوامها

-●-

مولاي شجعت العلوم وقدمتها
ولها بنيت معاقلا ومعالمها
هذي (أكاديمية) في ارضنا
شيدتها قمرا يضيء عولما
طعمتها من كل صوب بالرجا
ل لكي يقودوا في البلاد عظاما
فالفكر ياتي بالروائع باحسا
والعلم يطلع بالعجائب ساجا
وغدوت تقترح البحوث لانها
تثري العقول طلاقة ومفاهما
وبها تنافس اوروبا وامريكا
والشرق ينهر انهارا عارما
إني لانظر فيك روح افريقيما
لتقود وحدتها زعميا رائما
وتريدها صفا قويا واعيا
ينسي الحياة تفاهما متفاهما
وتود ان يقى التعاون بينها
في غير تضليل يكون جرائمها
(والخامس) المرحوم اسسهما لها
تبدو ((منظمة)) رست بدعائما
لا زالت تبغى ان تطول حياتها
لعيش وفق مبادئ ومراسما

أسفي عليها قد اراد خصومنا
 تخريبها ففقدت رمادا فاجما
 قد ابعدها عن اصول روادها
 وتسايقوا نحو الفتات اراقبا
 فتدت معانها وذاب صلاحها
 واصابها العفن الكريه ساوما
 ضاعت لها اوزانها مختلفة
 وبدا السواد مناوتها ومخاصما
 آه على ميثاقها بينوده
 قد زفقوه ضلالة وسخائمها
 فليكنها بقراره يبدو حكيم
 ما نرا متوازننا متحكما
 فإذا انسحبنا من (معطله) فقد
 قبلت بها (مسخا) هزلا غاشما
 كيف الجلوس اليه وهو ممسح؟
 كالسوحش عاش بغارته ليهجا
 صنعوه وهما خاسرا من خلقه
 قد رددوها مكاذبا ومزاعما
 بوسائل الاعلام سار واحطوة
 وتقدموا يفتون ربحا داسما
 يستحذون على الرمال توسعا
 والى صدورهم تصم مناعما
 حسنوا وظلوا في عماية وهمهم
 ونسوا المغارب للفضال صوارما
 إن الجزائر عكرت صفو الجوا
 ر ولم ترد الا اللظى متفاقما
 واذن فبحسن لها اسود نبتي
 حوض المعارك لا نخاف ماتما
 بجدار أمن حافظ لحدودنا
 ضاع ادعاؤك يا الجزائر ناقما

بصلابة الجيش العتيد فأننا
 نحمي الرمال ولا نهاب مصادمنا
 صحراؤنا بين الضلوع نكتها
 حيا عميقا صادقا لا هائما
 من دونها تجري الدماء سواقينا
 بل اجرا حتى تصد مراغمنا
 الحق في يدنا وفي اعماقنا
 لا لا نخاف دعاية او لائما
 سر ياملـيك طليعة شعبه
 فلتقد غدا جدا يب مقاومنا
 شعب احيط بوحدة وطنية
 لا لا يذوق مدى الحياة هزائمنا
 ما دمتم ترعونـه بـفـؤادكم
 يحيا طليقا صامدا متلاحما

-●-

مولاي شعبك قد اصاب حياتـه
 عسر يشـر مشاكـلا ومغارمنا
 يشكو قليل شرائه من سلعة
 فوق الجبال وقد يراهـا نائمنا
 ان الغلاء سرى الى اضلاعـه
 طمعنا لسلبه اماننا واغمنا
 والضعف ينخر في اليدين فصارتنا
 كالشعـرة البـيضـا تحلـجـاجنا
 ومتقفون غدوا على كف البطنا
 لـة ينظرون غدا ظلامنا غانمنا
 ومـوهون سعوا على كل الدرـو
 ب متـمـين بـوردة وبراغمنا
 قلق يساورهم ويبعث في صدو
 رهم اضطرابنا وانقباضنا قاحنا
 وشباننا تاهت به اقدامـه
 يخطو شروقنا؟ أم غروبنا هائمنا؟

مولاي حالة شعبيكم صورتها
كما احستها متألما
ولي اليقين بأنكم ستبدلو
ن الشوك وردا والنحوس نعانما
عفوا إذا فاه اللسان وترجما
عما يخالج في القواد مهاجا

-●-

إني سعيد ان وجدت بعهدكم
اشدو به متغنيا متسرنا
متمنيا لكم صوابا في الرؤى
متغلبين على العدو متاخما
وولي عهدكم الامير محمد
يحيا المنى ويعيش دوما سالما
متحملا عبء الامانة صائما
عهد الجدود مناصرا وملازما



عرشنا في الكون عنوان لنا.

للشاعر محمد بن محمد العائمي

بالتحايا للمليك اللهم
بالمعاني، وجليل القيم
ذات وعي للطريق الاقوم
فهو حقاً من اجل النعم
ذلك العهد الاعز الأفخم
تجدوا اقوى جواب مفحوم
جعل العرش ضمان المنعم
نرفع الامجاد منذ القدم
اغدق الوحي على المستلهم!
ابد الدهر، فلم تصرم
عهدنا الاوثق لم ينقسم

عاد عيد العرش أبهى موسم،
تلك ذكرى طفحت انوارها
اصبحت اوطاننا في ظلها
عرشنا في الكون عنوان لنا،
فملوا (عقبه) او (ادريس) عن
وسلوا من لحقوا، عن شاوننا
اودع الاجداد في الاخضاد ما
انه الأن الذي نحن به
إنه مصدر إلهام، فكلم
وصل الله به ارحمنا،
ومع العرش على طول المدى،

□ □ □

بالتحايا للامام المعظم
هو خمس قد بدت من أم
فهو طيب الطيب للمعتم
مثل، احيا بأبى حلم
من ثناء كلمات المعجم
حيث اغت عن فصيح الكلم
من ضمير المستهام المعظم
لحبيب كان دوما ملهمي؟!
قد أتاني من فؤادي المفعم
من فنون مثلها لم يرسم
لضميري، من به معتصمي
باخاء، من جميع النقم
أذ وقاه نقمة المنتقم
أنه توأم ازكى توأم!
ظاهر، لم يك بالمنتكم

من صميم القلب جتنا كلنا
نرفع الياقات للتاج الذي
يملاً الناظر والقلب سنى
به غنيت كأني بلبل
لا تؤذي ما باعمق الحشا
فاشارات الهوى كافية،
ينبع الشعر جيلا طيعا
كيف لا اسكب نفسي نغما
فأنا افضي الى العرش بما
وأنا أبداع فيه لوحه
إنه نور طريقتي، وهدي
جامع الأمة، من يحفظها،
معه الله يقوى جنده
حب هذا الشعب في عرش له
ذاك فضل الله في محبوب،

انه يعطي ويعطي عبده،
دعم الحق، وقوى اهله
فأذا الحق على آثاره،
في (نيويورك) (الحسن الثاني) سما
(لجنة القدس) التي يرأسها
فرحاب (المسجد الأقصى) شكت
وبقاء المرجح فيه سبة،
إن (صبرا) و (شاتيلا) فيهما
و (صلاح الدين) مبعوث هنا؛
وتوالى حلقات للعلا،
(قمة البيضاء) في (فاس) لها
نميج (المؤتمر الرابع) في العـ
ولقد عادت لنا (مصر) التي
أبها الباعث للإسلام والعـ
يعة الإجماع من قادتنا

ثم لا يسأل طبعاً، بكم؟
بالولاء الفاعل المستحکم
واضح الصولفة لم ينهزم:
ب (فلسطين) لأعلى التمس
كان فيها كاشفاً للعمم
بغى (صهيون) الأذل الاظلم
مرة في طعمها كاللعمم
حسرة الجرح العميق المؤلم
أمرنا من دونه لم يقم
يرتقي فيها بأعلى سلم
قبس نحو الثريا يرمي
حل الاجدى، الأهم، الألزم
هي للإسلام حقاً نتمى
رب، لنا دم في صعود، واسلم!
ثبت عند الزعيم الأعظم

□*□

قد رضعنا الحب في الأتداء، لا
وهيام الشعب بالعرش هنا
وعليتنا كتبت ملحمة
والإبادي البيض من عاهلنا
هتف الشعب به، فانظر الى
نحن في الحس وفي المعنى لنا
إن للذات مع الذات هنا
يرجع الفضل الى العرش الذي
عادت الامجاد للامجاد في
فالرمال العجديات لها
فهى منا والينا ابدا،
الف كلاً! لم يقز مرتزق،
للدعايات التي تسجها
هذه صحراؤنا نحن لها
وحدة كانت وتبقى دائماً،
فالى (الساقية) (الوادي) أنتمى
وجميع الشعب يفديها، فمن
ولنا فيها وجود راسخ
ذاتنا واحدة، لم تفترق

نرتوي منه، ولم ننفطم
سكن الأعماق، لم يتكم
للتحدي مثلها لم يرم
تستحق اللثم من كل قم
بحره، في موجه المنتظم
نكهة من شمالنا المتشم:
وحدة للروح لم تقم
هو معنى شعبه اخترم
تلكم الصحراء، محلي الانجم
قيمة فاقت جميع النسم
رغم مكر للدخيل المجرم
بالضمير الميت المنعدم!
طعمة الاشرار لم نستلم
كسوار محقق بالمعصم
لم تجزأ بيد المقسم
بعهود، حبلها لم يصرم
بأسها رهط الخنالم يسلم
تاريخي، ليس بالمهندم
ابدا في أمم او الم!

بسوى عشق لها لم نخلص
قائيات، فوق تلك الآم
وغدا العويصة للنهم
كيف تصفو ذمة التهم!
لا علينا في الذي لم يفهم!
لم يكن في السورى بالمهم

و (العيون) الحور في صحرائنا
رفرفت راياتنا في عزة
ليس منا من طعت اطماعه،
ومع التزييف فيما قد نوى
فإذا نحن وعينا حقا،
موقف المغرب دوما واضح

□

لحقوق في الحمى لم تضم
بر في ايمان به بالقسم
في نظام من اعز النظم
صرحه مكتمل، لم يتلم
في شروق غير معنوه عمى
قد وعاه مرغما ذو صمم
من ثماء، حجرا ذا بكم.
زاد خطا في رفيع القسم
الف مرحى لضمان الدرهم!
بسهام الله في الويل رمى!
في الرعايا ظهرت كلهم!

والمسيرات هنا ماضية
فلقد اقسم شعب مؤمن
وهنا عرش وشعب اخلاصا،
ولنا الصدر من المجد الذي
وكذلك الشمس لا ينكرها
صوتنا التابع من وجدانا،
ولقد انطق ما نحن به،
وعلى كل صعيد قدرنا
وأرى عملتنا قد سلمت :
نحن لا نركي، ولكن خصمنا
بركات العرش اذ نشهدها

□*□

ورعى مكسبا في شم:
افلحت في جهدها النسجم
رسخت في شعينا المنتظم
فاستوى تصميمنا في الهرم
عمدة في شملنا المتحجم
زاد باسا في رسوخ القدم
وله منها رفيع الاسهم
في اختيارات (التحدي) الاعظم
واصطبار، مع شد الخزم!
بكنوز من فنون الكرم
وعلى صون الحمى لم ينم
كان سباقا الى المزدحم
قد مضى في جهده المقتحم
مصدر الهدى بـ (دار الأرقم)

منجزات عاشها مغربنا
بهضة شاملة مؤمنة،
واتجاه ناضج في وحددة،
قمة قامت على قاعددة،
أما الشعب مع العرش هما
مغرب الاحرار والامجاد قد
فالحضارات به مائلمة،
والحضور الدائم امتياز بما
ثم المجد جهاد صادق،
وطنى العالى رصيد زاخر
دعم استقلاله في نخوة،
والى تسمية فاعلمة
مغرب الفتح المين المرتضى
مبدأ الثورى قد استوحاه من

وعلى (الدستور) قد شاد العلا.
 فهو حصن الملة السحاء. قد
 عرب نحن. وفي افريقيــــــــــــــــا
 تلك ذات (المغرب الاقصى) الذي
 يشهد التاريخ في اطواره
 في ظلال (الحسن الثاني) لنا
 في ذلك الرمز لقد سدنا به
 نطقه الشهيد. علاج ناجع.
 انه الأمن والاطمئنان إذ
 انه النور. وما ادراك ما
 حيننا ان به عزا لنا
 قد رعانا. وحي حوزتنا.
 أيها التاريخ سجل مجده.
 علوي عرشنا. مقتدر.
 وصل الحاضر بالماضي. وقد
 كل ذرات كياني استلهمت
 فإذا دقات قلبي عبرت
 عجا للعشق يروي مهجتي.
 هاهو العيد لقد لاح لنا
 إن عيد العرش قد جاوز ما
 والتفاني عظمت ارجاءنا
 تلك احيال عن الاجيال قد
 فالمرءات هنا موصولة.
 والكرامات لعرش ماحد.
 فهو في الداخلة والخارج قد
 بعضنا عون لبعض في الهدى.
 فالترى الموسر ارتواح الى
 نحن فيما يرتضي عاهلنا

في ضمان العرش. بين الامم.
 زاد عنها دائما. لم يسأم:
 وجد الاسلام اقوى حرم
 كان في اشعاعه كالعلم
 اتنا اهل الحجى والحكم
 قيمة تفضل كل القيم
 ابدا في عرب او عجم
 طفحت آياته بالعلم
 كل من لاذ به لم يضم
 جوهر النور الجليل المسم
 فهو اكبل لنا في الامم
 وهدانا للسبيل الاسلام
 وعن الله تدبر. وافهم
 فاز شعب بحماه يحمي
 كان سابقا لبعث المهتم
 منه احلى وألذ النعم
 عن ولأني. وغدت ملء فمي
 حيث احيا كل عرق من دمي
 بادي البشر. بهي المسم
 رسم الفن. ومالم يرسم
 بشدى يحيى ضمير المسلم
 وظدت للعرش اغلى الشيم
 والهدى في صلة للرحم
 مخلص. يحفظ طهر الذم
 غمر الاهل بأوفى الانعم
 إذ نلبي صرخة المترحم
 نجدة الصنو الييس المعدم
 من صلاح ابدا لم نخجهم!

□ * □

عن يقين بالكتابات المحكم
 منهج الحاكم والمحتكم
 غير منقوص ولا منحورم
 الهم الوجدان وحي القلم
 «علم الانسان مالم يعلم»
 حاسما في امرنا المنحجم

لم يحب شعب عريق مؤمن
 فكلام الله فيه ينجلي
 امره او نهجه متبع
 ذاك تقدير الهي. فهو من
 إذ هو المحسن. من احسانه
 ومن النة صنا مذهبا

(مالك) وجدنا في منح
لم يدرك خلفا بما انقلده،
من يسر في غير منح واحسد
وبفضل العلماء انقشعت
انما ازهرت التقوى، فقد
وقبول العبد في سجده؛
والرعايا انما قد وجدوا
دعوات الخير منهم صدقت
نخوة الاشراف فيهم برزت
إن آل البيت نعتز بهم
فانما منهم إليهم، إذ أرى
واجتاهم بهم، واختارهم
فهموا للوطن العالي، همو،
من تقاني في هواهم، فهو لم
وشعاع المظفسي مؤتلق
قله النصر مع التأيد من
ذلك الفرع من الاصل الذي
رضي (الحامس) عنه دائما
فهو برد وسلام، مظفسيء
وكذلك النصر في علياته
فهو في المنفى مجيد، مثلما
محنة الاحرار تشريف لهم،
ينصر الله دوما عبده
واختيار الشهم تكريم له،
والرسالات هنا موصولة
وازي الاشبال قد سادوا بما است
حفظ الله (ولي العهد) من
وحى (السماء) (حسناء)، فقد
ورعى العرش الذي تحرسه
وفهم الدهر نساء عاطر

سوى عصمته لم نسلهم
فهو حقا حجة الختم
ضاع حقا في دروب النادم
ظلمة الجهل البعوض المعتم
افلح الحق الذي لم يهضم
فهو من مبدعه لم يرحم!
فهموا للعرش او في الخدم
للمليك المؤمن المتكتم
نخوة الفضل، ونبل الكرم
ولقد عشنا على حبه
بعضهم حر الى بعضهم
وظلوع النور يبدو فيهم
لا يسود الا من الا بهم
ينكشف في عشقه، لم يلم!
عند سبط، بالرضا منهم
ربه الكافي، الأبر، الأرحم
في اعتزاز للمعالي ينتمي،
في الجهاد الحاسم في الخدم
للطيب، الكساح المضطرم
محسن تربية للهيم
هو في العودة آسي السقم
إذ جلا الصبح سجوف الظلم
فالبلايا ابدا لم تدم!
فهو من نيل المنى لم يحرم
من مجيد غير قد قيم
تلهموه من كفاح الضيغم
كان صنوا (للرشيد) الاكرم
زادنا حنا محيا (مريم)
عين مولانا التي لم تم
دالم، في عرشنا، لم يختم !!!



مرحى بعيد العرش

للشاعر الجمالي أحمد

لقد اقبل العيد الكرم مبشرا
لقد اقبلت العيد الذي جل شأنه
لقد اقبلن - والله - اكبر فرجة
لقد اقبل العيد الذي ذكر الورى
فذي (دولة الاشراف) شاد ملوكها
وذاذوا عن الاوطان كيد عضومهم
فقالوا بذا عزا رفيعا مخلدا
سلوا الملك (السماعلي) من قهر العدا
وكم شاد من حصن يعز نظيره
اذا رام شعري وصف مجد ملوكنا
وذا الحسن الثاني ملك بلادنا
فمرحى بعيد العرس اقبل بالمنى
تعم اقبل العيد الحبيب كذابه
فيلهج هذا الشعب حبا بذكره
ويعضي الى الساحات بفرش ارضها
اياطير غرد فالعيون قرية
وبارك لنا العيد الذي هز قلينا
سنسهر طرا ليلة العيد كلها
ونلقى من الاشعار ما لد مسمعا
سننشد شعرا مادحين لملكنا
هو الحسن العالي فكم من يده
وكم شاد من سد عظيم بارضنا
وللعلم والعرفان شاد معاهدا
مآثره شتى ومن شاء حصرها
تعلق هذا الشعب بالحسن الذي

فهلل هذا الكون تبا وكبرا
لدى الشعب طرا بالسعادة مشعرا
فما اروع الذكرى واغلى واكبرا !!
شهامة ملك بالفخامة احدرا
بذا الوطن اخوب ملكا مظفرا
ومن قد طغى منهم ومن قد تجبرا
واعلوا لواء في دنا العرب احبرا
بميش عظيم لا مثيل له يرى
بناء وتحصينا وكم شاد من قرى
فيالك شعرا عاجزا ومقصرا
يوالي بناء الخجد في خدمة الورى
فعطر هذا الجو مسكا وعبرا
ليبرز حب الشعب للعرش اكثرا
ويعرب عن افراحه متفجرا
ليرقص في اعياده متبخترا
وياطير انشد لحنك المتكررا
واكسبنا عزا ومجدا ومفخرا
فياخيم لا تعرب وت متورا
الى ان يلوح الفجر بالصبح مسفرا
وندعو له كيما يعز وينصرا
علينا وكم ضحى وجد وشمرا
وكم شجع الفلاح كي يحرث الترى
ليحمو جهلا في الشباب ويقبر
فلاهد طبعنا ان يخيب ويخسر
يراه جديرا بالامارة اقدرا

فكم كان هتافا بذكر مليكه
وكم انصت الشعب العزيز لقوله
فهو - ورب البيت - افسح ناطق
سل الدول العظمى تحيك بانه
هو الرجل المقدام ياشعب ابشرن
لقد حرر الصحراء وحررا اهلها
قويل لمن قد سولت له نفسه
مسيرتنا الحضرا سيخلد ذكراها
بها نزد هي ان ضمنا اي مجلس
وذي قمة الاسلام لف جموعها
فاخلاقه لانت كما شاء ربنا
فسل تربة (البيضاء) تنيك اننا
جياه الاله العرش لب ومنطقا
لتوحيد صف المسلمين مجند
غيور على الاسلام في كل موطن
غيور على الاوطان يفضب ان رأى
فسل قمة الاسلام تخبرك انه
فلسطين ديست ياأمير وشعبها
وها انتمو مولاي تسعون دائما
ولبنان، ما ادرك ماهو ! انه
فحش سيدي للكل خير مساعد
وعشت سليما يامليك لأمة
ويحيا ولي العهد تاجا لعرشنا
وعاش الرشيد الصنو لتاج لؤلؤا

وكم قال يحيا للامير وكررا
ليسدي اليه النصح درا وجوهر
يشنف سمع المرء ان يرق منبرا
طليق لسان ان يخاطبك تبرا
به ملكا عند الشعوب مقدرا
قولى بها عهد الدخيل وادبرا
وزام بها شرا، سيغدو مكسرا
وتبقى مع التاريخ مجددا مسطرا
نفاخر قوما ان دعينا ومعثرا
ملك بلادي مرشدا وعدبرا
وفكرته سادت فامسى موقرا
رزقنا مليكا بالرئاسة اجدرا
واعطاه قلبا طاهرا متطهرا
ليرق بهم حتما الى قسم الذرا
يريد له نصرا عزيزا مؤزرا
دخيلا تصدى للشعوب مسيرا
ولا غرو - اضحى للشعوب محورا
تشرذ في الدنيا ويات مبعثرا
ليغدو هذا القطر شعبا محورا
يريد ولا يلتقى امانا موقرا
ودمت هلالا في سما العرب نيرا
تراك لها كنزا ثينا وجوهر
ودام عزيزا رافع الرأس خيرا
وابقاه رب الكون للعرش مفخرا

الجمالي احمد



أهدأ بعيد العرش

للشاعر شهاب جنبكى

وغرد الطير في الافراح مسرورا
تسعى الى البر خلاقا ومعمورا
فنتلق الزهر فواحا ومعطورا
شعب المسيرة تصديقا وتقريبا
شعبا ايا، اراد اليوم تبشيرا
وضاحة بالعلی، ثبنا وتعبيرا
قولا كريما، وفي الافاق مبرورا
نورا يضيء دروب الحق ميسورا
كان الورد يعين الخلق مشكورا
هو السعادة ان صار الوری جورا
في مزنها الخير دفاقا وموفورا
«هو الى قمم العلياء تكبيرا
يامن مسحتم عن الصحراء تزويرا
نحو المعالي زمانا كان تنويرا»
وسرت في حالك الایام مذكورا
فكنت ذا القائد الميمون منصورا
قدرا رفيعا الى العلياء مقسدورا

تضوع المسك في الاجواء تقديرا
واستقبل الكون افواجا موحدة
والارض ترح من اعماقها طربا
والصبح يحكي انتصارات بحققها
والقائد الشهم يهدي من محبته
بشرى وبشرى بعيد العرش نحملها
يايا الحسن المنصور نسعاه
ياأيا الحسن المأمون نتبعه
يامن تصدر في الاسلام مجلسه
هو النعم اذا الایام قد وهنت
هو السعاية تهمني عند طالبها
ما اسعد الشعب لما قال قائده:
وجاهدوا في سبيل الله، لا تنهوا
خضوا كما خاض من اجدادكم نفر
صدقت يامن ازلت الضيم عن رحم
وعذت بالله من درب يضلنا
حادث وجادت لك الدنيا على غرر

* □ *

من ذي الحضارة انشاء وتاطيرا
منك العطاءات، ان كان الثرى بورا
عنا الخديعة تمزيقا وتعقيرا
جاد المليك بها انسا وتطويرا
في البيد قهرا، وفي الساحات محصورا
اعلامنا في الربا، تبا وتعفيرا

يامغرب الحسن الباني يقربنا
يامغرب العرب انت الروح في جسد
تمت لنا وحدة البلدان وانصرفت
والنفس راضية عن كل بادرة
وقد رأى الباطل المفتون غربته
تحطمت في الثرى اهدافه ورست

على اديمك، يا صحراء ملحمة غنى لها الطير افراحا وتحذيرا
ماخاب شعب وصوت الحق ينصره والقائد الاوفى يصون العهد معصورا

*□**

ليك، يا حسن المقدام نشعلها نارا على الطامع الطاغى وتسعيرا
ليك، يا قائد الاسلام نجعلها سلما وأمنا، وفي الساحات تدبيرا
تهز باليمن آفاقا مروعة وتحضن الشعب مأمونا ومستورا
ترقى وترقى، وعين الله تحفظك وصوتك في الوقا قد صار ماثورا
فاهنا بشعب كدر الارض منبه واهنا فنخورا طوال العمر مشهورا
اهلا واهلا بعيد العرش نوسعه قولنا وفعلا، وبالايمان تيسيرا

شهاب جنبكي



عبر سبعة عقود من المائة الهجرية الثالثة عشرة

القسم الثاني

لأستاذ محمد المنوفي

استجابة، لرغبة من الجهات المهتمة، ومن نماذج ذلك «شرح المختصر» الخليلي لأبي علي بن رحال، وهو ديوان تطنى عليه المادة التشريعية، وتتعدد مجلداته حتى تصل - حيناً - إلى العشرين، فيقع التصريح في بعضها باسم ناسخها، واسم الجهة المقترحة، حتى نستنتج من ذلك إشارات تكشف عن أسماء طائفة من الوراقين والمقترحين، وتبين - أيضاً - أفراداً من النخبة وهم يهتمون بالوراقة :

- ناسخون لمجلدات من الشرح المنوه به

برسم الوزير محمد بن عبد السلام السلوي (1)

(1) ترجمته في «تعارف اعلام الناس» 186/4 - 187. مع «تاريخ تطوان» 240/3 - 244.

وقد كان يباشر النسخة بنفسه، فيوجد - بغطه - نسخة من الأرجوزة الطبية : «الهدية المقبولة...» لأحمد بن صالح الدرعي، كتبها عام 1202 هـ : خ. ص 4540 ضمن مجموع.

وله خزانة كتب كان يفتحها للمستفيدين، وذلك ما استفاد من إشارة على ظهر مخطوطة «خاصة» من «تبصرة القافل» لمحمد الطيب المريني، فيذكر ناسخها أنه كتبها من أصل مملوك للفقير الأديب محمد بن عبد السلام السلوي المكناسي الدار، أصلاً وفرعاً بها مع جل القرار، بدأها ناسخها ببلد سفيان بمنزل الجرايط في العدير : في خزانة المنوه به وعلى مشونته، وفرغ منها - بالعرائش في مصرية المذكور - عشية الإثنين 25 صفر 1225 هـ : على يد كاتبها لنفسه : محمد بن الفقيه سيدي أحمد بن مهدي بن محمد بن أحمد بن الشيخ الصالح : سيدي أحمد بن مهدي، الزياتي الجلالي.

وهناك معلومات أخرى عن النشاط المكتبي للسلوي : في دراسة لمحمد المنوفي بعنوان : «ترجمة مغربية لفهرس الإسكوريال» : مجلة «البحث العلمي» : العدد 6 ص 16 - 23.

لورافة العلوية

يتفرع الموضوع إلى تسع نقط رئيسية : مدخل - وراقون ذكرتهم المصادر - وراقون معروفون من خلال منتسختهم - وراقون من طراز خاص - وراقتان من النساء - مخرجون للمؤلفات - الوراقة الأميرية - تكملة - ملحقات. وكان موضوع القسم الأول تحليل النقط الثلاث الأولى في 63 إسماً، وفي القسم الثاني تكون على موعد مع النقط الباقية حسب العرض التالي :

وراقون من طراز خاص

أولاً : وراقة برسم جهات معينة :

أ - وراقة بالاشتراك : والقصد إلى المنتسخت المتعددة المجلدات، فيشارك في كتابتها عدد من الوراقين،

☆ هذه هي الحلقة السادسة من سلسلة الوراقة «المغربية»، حيث نشرت - تباعاً - كالتالي :

- القسم الأول : من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الوطاسية : مجلة البحث العلمي : العدد 16 ص 37 - 65.

القسم الثاني : الدولة السعدية : نفس المجلة : العدد 18 ص 17 - 47.

القسم الثالث : العصر العلوي الأول : مجلة دعوة الحق : العدد 10، السنة 16 ص 80 - 92.

القسم الرابع : عصر السلطان العلوي محمد الثالث : نفس المجلة : العدد 2، السنة 18 ص 45 - 56.

الخامس : يتناول الوراقة عبر سبعة عقود من المائة الهجرية الثالثة عشر :

عشر : المجلة ذاتها العدد 4، السنة 23 ص 10 - 24 : القسم الأول.

المجلد السادس عشر : صبيحة الإثنين 14 رمضان
1254 هـ.

خ. س 3703

- ناسخون لمجلدات من الشرح ذاته
برسم جهة غير معينة

71 - الصقلي : إبراهيم بن المكّي الحسيني
الفاسي : 1858/1275.

المجلد الخامس : الإثنين 13 جمادى الأولى
1275 هـ.

72 - الحجازي : العربي بن محمد بن سليمان :
1857/1274 :

المجلد السابع : الخميس 8 ربيع الثاني 1274 هـ.

73 - الصقلي : الحسين بن أبي بكر الحسيني
الفاسي : 1858/1275 :

المجلد الثامن : سحر الإثنين 14 ربيع الأول
1275 هـ :

خ. س 3702

- ناسخون لمجلدات من
أنساب الأشراف للبلاذري

وهذا نموذج آخر مع نساخة الكتاب المشار له برسم
جهة غير مذكورة، فتوجد منه ثلاث مجلدات اشترك في
كتابتها ثلاثة وراقين :

الدلائي : محمد بن محمد إلى خمسة، بن عبد الرحمن،
سابق الذكر عند رقم 8 :

المجلد الأول : 19 ربيع الثاني 1209 هـ.

ابن الحاج : عبد الله بن عبد الرحمن السلمي، سالف الذكر
عند رقم 5 :

المجلد الثالث : 16 رجب 1209 هـ.

الوافلاوي : الحسن بن عبد القاهر مار الذكر :

المجلد الرابع وهو الأخير : 28 جمادى الثانية 1209 هـ.
خ، س 6914.

64 - البقال : عبد الفضيل بن المهدي الحسني، كان
حيا عام 1814/1229 :

مجلدان : الثاني : بتاريخ الأربعاء 6 ربيع الثاني
1223 هـ.

المثرون : بتاريخ 24 جمادى الثانية 1229 هـ.

65 - سكيرج : عبد السلام بن أحمد (التطواني)،
ت 1835 - 34(2)/1250 :

مجلدان : الخامس : ضحوة الأربعاء 20 ربيع الثاني
1223 هـ.

خ. س 8650

التاسع عشر : 25 جمادى الثانية 1223 هـ.
خزانة خاصة

- ناسخون لمجلدات من نفس الشرح
برسم قاضي فاس عبد الهادي العلوي (3)

66 - السفيناني : محمد بن محمد اللوي، كان
حيا عام 1838/1254 :

المجلد الأول : عشية السبت 16 رجب 1254 هـ.

67 - الصقلي : أبو بكر بن رشيد الحسيني
الفاسي : 1838/1254 :

المجلد الرابع : 16 جمادى الأولى 1254 هـ.

68 - المهدي بن عطية : 39/1255 - 1840 :
المجلد الخامس : 1255 هـ.

وهذا هو الذي أفاد كتابه هذه النسخة باسم قاضي
فاس : في ثقة شعرية - من ستة أبيات - ختم بها هذا
المجلد.

69 - بنونة : إدريس بن الطيب الفاسي :
1838/1254 :

المجلد التاسع : أواسط ربيع الثاني 1254 هـ.

70 - الظاهري : محمد بن محمد الحسني الفاسي :
1838/1254 :

(2) هو مؤلف تاريخ تطوان، وترجمته في «تاريخ تطوان» 285/6 - 286.
(3) ترجمته في سلوة الأنفاس 117/1 - 118.

وعلى هذه الوثيرة سارت كتابة نسخة من «شرح إحياء علوم الدين» للزيدي، وبين أسفاره توجد ثمانية اشترك في كتابتها بعض الوراقين، حيث عرف منهم إثنان :
الدلائي : محمد بن محمد إلى خمسة بن عبد الرحمن المتكرر الذكر :

السفران السادس والسابع.
74 - ابن سليمان : محمد الطيب بن عبد الرحمن الأندلسي ثم الفاسي سابق الذكر :
الأسفار 12، 13، 14.

خزانة القرويين رقم 655.
وأخيرا : نشير إلى «حاشية» اليبدي التلمساني على الشرح الصغير للخريفي على المختصر الخليلي : في مجلدين كتبهما وراقان.

75 - العلمي : العربي بن إدريس بن محمد :
المجلد الأول دون تاريخ.

76 - الوراچلي : علي بن أحمد بن العربي الدردي العبد السلامي 1264 : المجلد الثاني عام 1264 هـ.
خ، س، 167.

☆☆☆

ب - وراقه دون اشتراك : والمعني بالأمر الحالة التي يكون فيها النسخ للجهة المعينة واحدا غير متعدد، حسب الأسماء التالية :

77 - الأمين البخاري : نزيل فاس، وهو من مدينة بخاري، وكان هو الإسم الثامن في لائحة الوراقين بالبلاط السليمانى سابقة الذكر، وكتب - أيضا بخطه - كثيرا من مصنفات الحديث والتصوف برسم خزانة الزاوية الصقلية بفاس، وبها كان ينزل مدة إقامته بفاس (4).

78 - التازي : محمد بن عبد الله : 1793/1208 :
«الميزان» للشعراني : 5 ربيع الأول 1208 هـ : برسم

(4) من مقيدة بخط الشيخ محمد عبد الحي الكتاني.
(ك4) أورده محمد بن عبد السلام الناصري في «الرحلة الحجازية الصغرى».

(5) ذكره أبو الربيع الحوات في «الروضة المقصودة» : عند باب الشيوخ الصلحاء لمحمد التاودي ابن سودة.

أبي العباس أحمد بن علي بن عبد الله التوزيني التازي (ك4).

خزانة القرويين رقم 491.

79 - الوافلاوي : محمد المكي بن محمد بن محمد بن أحمد : 1798/1213 :

أ - «تحرير الكلام في مسائل الالتزام» للحطاب : 7 شعبان 1211 هـ.

خ. س 8027

ب - «شرح المختصر الخليلي» للحطاب : الأسفار 1، 2، 3، فرغ من الأخير : عشية 1213 هـ.

خ. س 10767

كتبهما لشخه أبي الحسن علي بن عبد الله التوزيني، إمام الزاوية الناصرية بتازا (5).

80 - العمراني : إدريس بن علي بن أحمد :
1799/1214 :

«شرح المختصر الخليلي» لأبي علي بن رجال : المجلد 8 : 2 جمادى الأولى 1214 هـ : للشيخ محمد بن عمرو والوزروالي ثم الفاسي (6).

خ. س 4872

81 - الزهراوي : محمد المكي بن محمد بن العربي المكناسي : 1801/1216 :

«الرحلة العياشية» : الإثنين 15 رجب 1216 هـ، مع من شاركه في نسخ أولها : برسم قاضي مكناس أحمد بن علي العلوي المدغري (7).

خ. س 525

82 - السبيطي : الطاهر بن علي :
1810/1225 :

«الجمان في أخبار الزمان» للشطبي : 25 جمادى الثانية 1225 هـ : لأبي العباس عبد الرحمن بن أبي شعيب الدكالي الهلالي.

خ. س 523

83 - القيسي : محمد بن عيسى الجرفطي ثم التطوانني : 1812/1227.

(6) ترجمة في «سلوة الأنفاس» 5/3 - 6.

(7) ترجمته في «اتحاف اعلام الناس» 365/1 - 366.

ب - «منهج العمال» للمتقي الهندي : بعد صلاة
الظهر من يوم السبت 17 ربيع الثاني 1242 هـ : بالزاوية
العياشية.

خ. س 11807

88 - غازي : أبو بكر بن المهدي الفاسي ثم
التطواني : 1850/1266.

«سراج الملوك» للطرطوشي : ضحوة الإثنين 19 ربيع
الثاني 1266 هـ : برسم قائد تطوان الباشة عبد القادر بن
الباشة محمد أشعاش (9).

خ. س 11433

89 - ابن سوادة : محمد الرشيد بن جعفر بن
محمد الطالب بن أحمد المري الفاسي : 1856/1272.

«القاموس المحيط للفيروز ابادي» : نسخة تامة في
مجلدين، فرغ من أولهما ليلة السبت 28 رجب 1272 هـ،
حيث ذيله بنتفة شعرية - من خمسة أبيات - ورد بها إسم
السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام.

خ. س 11099

90 - الفزراوي : أحمد بن قاسم السلوي :
1860/1276 :

«صحيح مسلم» : الأرباع الأول والثاني والرابع في
ثلاث مجلدات : 17 ذي القعدة 1276 هـ : برسم الأمير
عبد القادر بن السلطان أبي زيد بن هشام.

خ. س 5647

☆☆☆

ثانيا : وراقون بخطوط
غير مغربية

91 - المراكشي : صالح بن محمد 98/1213 -
1799.

يوجد بخطه - في تونس - جزء من «صحيح البخاري»،
وجاء في وصفه أنه أتم نسخه سنة 1213 هـ في مكة
المكرمة : بخط يشابه الخط الشامي (10).

(9) ترجمته تأخذ حيزا كبيرا من «تاريخ تطوان» 6/ ابتداء من ص 11.

(10) «فهرس المكتبة العبدلية» بتونس 94/2.

«شرح الصلاة المشيشية» لمحمد بن عبد السلام بناني :
ضحوة الإثنين 19 محرم 1227 هـ : برسم الوزير محمد بن
عبد السلام السلوي.

خ. ع. ك 2/1595

84 - الودغيري : محمد بن المختار بن عبد الله
الحسني 1229.

«الشرح الكبير للشريشي على مقامات الحريري» :
السفر الأول 1229 هـ، كتبه للوزير محمد بن عبد السلام
السلوي.

خ. ع. ح 81

85 - القصري : محمد التهامي بن العربي العبدري
المكناسي 1829/1244 :

«الاكتفا» للكلاعي : السفر الثاني : عشية الأربعاء 24
رجب 1244 هـ :

للقائد أحمد بن الحاج الخدري الزموري.

خ. س 9424

86 - الجامعي : محمد بن عبد العزيز الفاسي :
1833/1248 :

أ - «درة السلوك» للأمير العلوي : عبد السلام بن
السلطان محمد 3 : ضحوة الإثنين 16 صفر 1245 هـ : برسم
السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام.

خ. س 237

ب - «صحيح مسلم» : السفر الأول خال من
التاريخ : لقاضي فاس مولاي عبد الهادي بن عبد الله
العلوي.

خ. س 11165

ج - «شرح بناني على السلم» للأخضري : يوم الأحد
16 ذي الحجة 1248 هـ.

خزانة خاصة

87 - الفاسي : عبد الرحمن المجذوب بن عبد
الحفيظ بن أبي مدين الفهري (8)، ت 1844/1260.

أ - «صحيح البخاري» : خمسة أجزاء من الثالث إلى
السابع : تجزئة عشارية : 1242 هـ.

مكتبة الزاوية الحمزاوية رقم 399.

(8) ترجمته عند ابن إبراهيم في «الإعلام» 123/8.

خ. ع. د 115 أول مجموع

94 - الحجابي : الحاج محمد بن الطاهر بن أحمد

الفاسي موقت منار القرويين (13)، ت 1851/1267.

يوجد بخطه «رسالة في التوقيت» للكنبوي مبتورة
الأول، كتبها بخط يميل للمشرقي منقوط على الطريقة
المغربية، انتسخها في تركيا بالمدينة التي سماها «قوش
أصايب» وفرغ منها ضحوة الخميس 3 جمادى الأولى
1220 هـ.

خزانة خاصة

ثالثا : وراقون مزخرفون ومسفرون

95 - إدريس السجلماسي : مستوطن فاس، وهو

الإسم العاشر في لائحة الوراقين بالبلاط السليمانى، سابقة
الذكر، فينعتة الزياتي «بصانع الدفاتر ومحليها».

96 - الحلو : محمد بن عبد العزيز بن محمد بن

المهدي المريني الوطاسي ثم الفاسي : كان حيا عام
1831/1246.

يقول عنه الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور : «وانتشرت
بتونس شهرة الكاتب المجيد المتقن : محمد بن عبد العزيز
الحلو في صدر القرن الثالث عشر، وتنافس الناس بتونس
في آثاره... وبالزيتونة نسخة من البخاري في مجلد واحد
برواية ابن سعادة عن الصدفي : هي غاية في الصحة،
وجمال الخط، وبديع الطوالع والتزاويق، وروعة التلوين
والتذهيب، كتبها محمد بن عبد العزيز الحلو سنة 1227.

وأخرى بالعبدية كتبها هو بنفسه سنة 1221.

وكلتاها مجلدة بإتقان : في إحكام الربط، وحن

التجويف والتلوين والزخرفة وفتون الترصيع بالذهب
الإبريز الملون، ومكتوب - على لسان السفر في كل منهما -
بالحرف البارز في الجلد : الجامع الصحيح للإمام
البخاري» (14).

وهنا تنتهي ارتسامة العلامة التونسي عن ورقة المنوه

به، ونشير - الآن - إلى وصف المكتبة العبدية - بتونس -

إحدى النسختين - المشار لهما - من صحيح البخاري :

(13) ترجمته في «سلوة الأنفاس» 360/2.

(14) مجلة «المغرب» التي كانت تصدر عن وزارة الممثل الشخصي لجلالة

الملك : العدد 6 - 7 «مزدوج»، دجنبر 1965 - ص 18.

92 - الثعالبي : محمد السعيد بن الغزواني بن

محمد السعيد بن الحاج المفضل الإدريسي الحسيني (كنا)
المغربي نشأة، من تلامذة رئيس الخطاطين وثاج الكتاب،
العالم الأديب، نادرة الزمان، الشيخ أبي الحسن علي بن
إبراهيم الشهير بابن الخط، المصري منشأ، الحيني نسا،
المقيم بإسلامبول...

هكذا يوقع على قصيدة أنشأها، وأجاب بها عن قصيدة
خاطبه بها أبو إسحاق إبراهيم الرياحي، لما اجتمع هذا
بالوافد المغربي على تونس : في أوائل شعبان (11)
1817/1232.

93 - بوحدهو : محمد الطاهر بن الحسين بن

محمد الدكالي ثم الرباطي : (12) 1832/1248.

يكتب بخط مرسوم على وضع الخط التونسي، حسب
المنتسخين التاليين :

أ - «شرح المختصر الخليلي» للسردير : النصف
الأول : إبتدأ نساخته يوم الأربعاء 11 ذي القعدة 1234 هـ :
في مدينة الرشيد بمصر قبل سفره منها، ثم فرغ منه ضحوة
الجمعة 13 شعبان 1235 هـ، وختم كتابته في ضريح
السلطان الغازي محمد خان بالقاهرة.

خ. س 4831

ب - شرح القصيدة الخرجية للزموري، فرغ منه
يوم 8 جمادى الآخرة 1247 هـ.

(11) «تعطير السواحي...» تأليف عمر بن محمد بن علي بن إبراهيم
الرياحي ط. تونس سنة 1320 هـ 89/1 - 90.

(12) لا تعرف له ترجمة، وورد إسمه بين جماعة من علماء وعدول
الرباط : في وثيقة مؤرخة بربيع الثاني 1248 هـ، حسب ابن
إبراهيم في «الإعلام» : المطبعة الملكية 406/2.
وهو يضيف إلى إسمه في مخطوط الخزنة العامة : «من حفدة سيدي
بلقاسم بوحدهو : بقرية مكرس بدكالة».

ويوجد خطه - أيضا - على رسالة «كفاية العوام...» للفضالي : خ. ع.
د 115 ضمن المجموع أعلاه عند ورقة 159/أ، فيكتب عليها :
«أكرمني بتملك هذه الرسالة المحب في الله تعالى» : العلامة
المشارك أبي (كنا) عبد الله سيدي محمد التازي المغربي المنشأ،
المستوطن بوكالة المجاورين بالسنادقيا، بين مسجد الأزهر ومسجد
الأشرف، وإقامته بالأزهر إثنًا عشر سنة على طلب العلم، وتوجه -
في سنة تاريخه - للحج والمجاورة بمدينة الرسول ﷺ، وحج حجة
الفرس قبل، وسفره في شهر شوال سنة 1234، وهو المشهور في
مصر بالشيخ التازي في زمن تاريخه، قيده عبد الله تعالى : محمد
الطاهر بن الحسين بوحدهو».

98 - أجانا : إدريس بن التهامي المكناسي
37/1253 - 1838.

كان - حسب ابن زيدان - (17) يحترف بتفسير
الكتب وإصلاح المبتور منها.

- ابن الحاج : محمد بن إدريس العمراوي سابق
الذكر عند رقم 14.

يذكر أكنسوس 18 بين منتسخاته ثلاث نسخ من الشفا
يسفرها بيده.

99 - باكتل : محمد بن الحسن السوسي، تدنو
47/1264 - 1848.

يقول عنه المشرفي : (19) «وله صناعة عجيبة في
تجليد الكتب وتفسيرها».

100 - التادلي : محمد بن عبد القادر بن علي
الرباطي، تد عشرة الستين ومائتين وألف، وهو والد أبي

إسحاق إبراهيم التادلي شيخ الجماعة بالرباط، فيقول عنه :
«وكان والدي عالما، قرأ النحو والفقه والطب، وكان متقنا
للخط، فكان يضرب المثل بخطه، وجل كتبه التي كتبها :
«المصاحف» و«دلائل الخيرات»، وعندي من ذلك مصحف
ودليل، وكان يرسل الدلائل للمدينة المنورة : يرسلها كل
سنة... ويبذل في كتابتها أموالا، ويتقن تراجمها بأنواع
الألوان والزخارف، وكل لفظ «سيدنا محمد» أو «اسم
الجلالة» : مكتوب بلون يخصصه، وكثيرا ما يجعل للفظ سيدنا
محمد وحده جهة ورقة تخصصها، أو اسم الجلالة...» (20).

وعلى هذه الصفة يعرف - الآن - إثنان من منتسخات
محمد بن عبد القادر التادلي :

أ - «ذخيرة الكنوز في الصلاة على النبي العزيز»
للشيخ الغازي بن العربي المرغني ثم السجلماسي : الإثنان 17
جمادى الأولى 1250 هـ.

(17) «تحاف أعلام الناس» 23/2 خلال ترجمته.

(18) «الجيش» ط. ف 151/2.

(19) «نزهة الأيصار...» خ. ع. ك 579 ص 227.

(20) أبو إسحاق التادلي في اختصاره لتذكرة داود الأنطاكي، باسم
«التذكار لما في التذكرة من الطب مع الاختصار» : قطعة منه ضمن
كناشة في المكتبة التطوانية بسلا، وللتادلي - الذي نطق على اسمه -
ترجمة عند محمد دنية في «مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء
وصلحاء الرباط» : مخطوط خ. س 779/1، 222، وجاء فيها : «ونسخ
بيده عدة كتب... ولم أفق على تاريخ وفاته».

«نسخة تامة منه «البخاري» في جزء بخط مغربي، نسخه
محمد بن عبد العزيز الحلو... سنة 1221، وطواله محلاة
بأشكال مطروزة بالذهب والألوان على أبداع أسلوب، وله
فهرس لأبواب الكتاب محلي بأشكال حسان، وصفحاته
مجدولة بالذهب وبالحبر الملون... مجلد بسدوق فني،
مكتوب على لسان السفر بأحرف بارزة : الجامع الصحيح
للإمام البخاري» (15).

وفي نحو من هذه الخصائص لوراقة محمد بن عبد
العزيز الحلو : نشير إلى نسخة من صحيح البخاري في
تجزئة رباعية، ويوجد منها ثلاث مجلدات :

الثاني : يوم الجمعة 7 محرم 1237 هـ.

الثالث : يوم السبت 8 ربيع الثاني 1237 هـ.

الرابع : يوم الجمعة 19 رجب 1237 هـ.

خ. س 7733

97 - ابن الحاج : محمد بن عبد الرحمن بن
حمدون السلمي المردي ثم الفاسي 1825/1241.

قال عنه في رياض الورد : (16) «إنتهت إليه الرئاسة
في حسن الخط والتزويق، وتنميق الأشكال العجيبة بدقائق
الألوان والذهب الأنيق... وكان أخذه هذه الصناعة عن الفقيه
أبي الحسن علي الوافلاوي».

وبين منتسخاته نشير إلى ثلاثة :

أ - «زاد المجد الساري لمطالع البخاري» لمحمد
التاودي ابن سودة : نسخة تامة في ثلاثة أسفار، فرغ منها
صبيحة يوم الجمعة 10 ربيع النبوي 1239 هـ، وبطالعة كل
من أسفارها ترجمة أنيقة.

خ. س 3876

ب - الشرح الكبير على المقامات الحريرية
للشريشي : في مجلدين فرغ من ثانيهما صبيحة الثلاثاء 25
ربيع النبوي 1241 هـ.

خ. س 5961

ج - صحيح البخاري : المجلد الثاني دون تاريخ.

خ. س 10639

(15) «فهرس المكتبة العبدلية» بتونس 60/2.

(16) مخطوط خ. ع. ك 2313 : ضمن مجموع.

خزانة خاصة

ب - «دلائل الخيرات» للإمام الجزولي : الإثنى عشر 17 جمادى الأولى 1258 هـ.

خزانة خاصة

وكنموذج من عمل الوراق الرباطي : نشير إلى وصف نسخة دلائل الخيرات :

خطها مغربي مليح مبسوط في غالب أوضاع حروفه، مكتوب بالمداد الأسود الباهت قليلا، مع استخدام المداد الملون على التناوب : أحمر وأزرق وأصفر، وخصوصا عند قوائم الصلوات النبوية، وفي كتابة اسم الجلالة أو الاسم النبوي، مشكول باللونين الأحمر أو الأخضر، ومؤطر بثلاثة خطوط تحيط بالكتابة : اثنان بالمداد الأحمر، والثالث - وهو الخارجي - بلون أزرق.

وكثيرا ما يكتب اسم الجلالة أو الاسم النبوي في صفحة على حدة، بخط عريض ملون على التناوب، وموضوع داخل إطار يعلوه شكل قوس مزخرف زخرفة متنوعة بين الصفحة والأخرى فتتدلى منه ومن جهات منخفضة : رسوم مصايح معلقة بواسطة خيط دقيق.

وإلى هذا فإن الوراق يتألق في رسوم الروضة الكريمة، ومحراب ومنبر المسجد النبوي، ويضيف رسم مثال النعل الشريف : في زخرفة رائعة ملونة بأربعة ألوان، وخصوصا لون الحمرة.

هذا فضلا عن زخرفات عند فواصل دلائل الخيرات : عند أوائل الربيع الثاني والنصف الثاني والربيع الثالث، وعند أول الثلث الثاني والثالث، ثم عند أوائل أجزاء السدليل السبعة.

يشتمل على 159 ورقة، مطرة 10، مقياس 160/200.

101 - العلو : عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد المريني الوطاسي ثم الفاسي، ت 1853/1269.

كان - حسب التاشفيني - (21) عالما بتفسير الكتب وتنزيل الذهب.

والزياني - من جهته - يلمح لبراعته في الزخرفة والتفسير، فيذكره في عداد المقرئين لرحلة «الترجمانة»

(21) «اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون» : عند ترجمته.

هكذا : «تم الفقيه الأديب، ذو الصنع العجيب، الذي صانها (الترجمانة)، ونسج حللها، وفي ثياب الزركش دحاهها، وهياً لها ماءها ومرعاهها، وقال لها : لا تبرحي عني، فما بهذا المصر قريني، فأنا أبو زيد عبد الرحمن المريني» (22).

وفي تعبير الزياتي «بتحفة النبهاء» : (23) «الذي نقائه في الدفاتر لا تخلو، ونسبه في مرين مجلو...».

102 - اللهبي : محمد بن التهامي عمور الفاسي : 1858/1275.

أ - «المصباح المنير» للفيومي : في سفرينلا فرغ من ثانيهما يوم الخميس 11 ربيع الثاني 1275 هـ.

بأول كل من السفرين زخرفة أنيقة في وضع يتبين أنه من عمل الناسخ.

خ. س 692

ب - «حاشية بناني» على شرح السنوسي لمختصره في المنطق : دون تاريخ

خ. س 11866

☆☆☆

رابعا : وراق يزاوول المهنة في وضع متازم

103 - الحسنبي : محمد المدني بن محمد بن أحفيد بن الشريف العلوي الغنوسي : 1830/1245.

كتب منتسخين وهو لاجئ بضريح الشيخ أبي عبد الله الدقاق في مدغرة :

أ - «المساعد على تسهيل الفوائد» لابن عقيل : في مجلد فرغ منه ظهر الإثنى عشر 14 ربيع الأول 1234 هـ.

خ. س 862

ب - «إعراب القرآن» لإسماعيل بن خلف المقرئ : السفر الأول عشية الأحد 29 رجب 1245 هـ.

خ. س 11596

☆☆☆

وراقتان من النساء

104 - أمينة بنت الحاج عبد اللطيف بن

(22) «مقامة للزياني نوه فيها بالمقرئين لكتابي الترجمان والترجمانة، وندد بالمتخلفين، وهي غير تحفة النبهاء : مخطوطة خاصة.

(23) خ. س 2752.

أحمد حجاج المدعو غيلان الشريف التطواني : (24)
عام 1812/1227.

خطها مغربي مبسوط واضح مليح، مشكول في غالبه،
مجدول، منوع التلوين، ويعرف - الآن - بخطها منتخان :
أ - «الترغيب والترهيب» للمنزري : السفر الرابع وهو
الأخير، فرغت من كتابته بعد صلاة العصر من يوم السبت
الأخير من ربيع الثاني 1217 هـ.
المعرض الثاني لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات
والوثائق - مارس 1970. رقم 64 ت.

ب - «مصحف شريف» ذيلته هكذا :

«كامل المصحف المبارك - الحمد لله حق لحمده
(كذا)، والصلاة والسلام على محمد وآله - ضحى يوم الجمعة
من شهر الله عاشوراء : يوم ستة وعشرين، عام سبعة
وعشرين ومائتين وألف، على يد كاتبته الحقيرة الذليلة،
المذنبه الخطيئة (كذا)، أمة الله وأقل أمته، وأحوجها إلى الله
فيما مضى من عمرها وما بقي : أمنة بنت الحاج عبد
اللطيف بن أحمد غيلان الشريف...».

المعرض الخامس لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات
والوثائق - مارس 1973. رقم 168 ر.

105 - عائشة بنت الحاج مبارك الشلح بن
أحمد بن الحسين التكي (المتوكي)، الغشي الحسني : عام
1830/1245.

خطها مغربي بدوي واضح متوسط ملون، مشكول في
بعض منتسخاتها، حيث يعرف - الآن - منها ثلاثة :

أ - «مصحف شريف» : كتبت في آخره باللون
الأحمر : «كامل القرآن العظيم، بقدرة الجليل الكريم، بحمد
الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، على يد خديمة ربه،
الضعفة (كذا) : عائشة بنت الحاج مبرك (كذا) الشلح التكي،
غفر الله لها ولوالديها (كذا) ولمن نظر في خطها، ولجميع
المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات : الأحياء منهم
والأموات، اللهم أجعل آخر كلامنا : لا إله إلا الله، محمد
رسول الله».

وإثر هذا في الهامش بلون السواد : «عام سبع وثلاثين
ومائتين وألف».

خ. س 4225

ب - «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات» : اسم
الشرح الصغير لدلائل الخيرات للجزولي : تأليف محمد
المهدي الفاسي، وقد ذيلته بهذه الخاتمة :

«كامل الكتاب المبارك - بحمد الله وحسن عونه
وتوفيقه الجميل - صبيحة يوم الجمعة، الثاني والعشرين
يوما من شهر الله جمادى، عام سبعة وثلاثين ومائتين
وألف : 1237، الله يوفقنا للصواب، على يد أمة الله :
عائشة بنت الحاج مبرك (كذا) بن أحمد الشلح التكي،
البائس الفقير، الضعيف الحقير، المحتاج لرحمة الله ومفتاح
البصير، (كذا) غفر الله لها ولوالديها ولشيوخها، ولمن نظر
في خطها، وكل من قرأه يدعو إليها، ولجميع المؤمنين
والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات : الأحياء منهم والأموات،
ورضى الله عن أصحاب النبي أئمة الهدى، ومصايح الدنيا،
وعن التابعين، والحمد لله رب العالمين، وهو حسي ونعم
الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم أجعل
آخر كلامنا : لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

خ. س 4087

ج - «مدارك التنزيل، وحقائق التأويل» : اسم تفسير
القرآن الكريم لعبد الله النسفي في سفرين، وقالت آخر
السفر الأول :

(24) في «تاريخ تطوان» 93/3 وردت الترجمة التالية : «الفقيهه الصالحة
للاغيلة : هي الفقيهه العالمه الصالحة : السيدة أمنة إ بنت الفقيه
العالم الصالح : سيدي محمد غيلان، وقد ترجم لها أستاذنا الرهوني،
وذكر أنها كانت من الصالحات القانتات، وقد اعتنى بها والدها
وعلمها القرآن والعربية والفقه والحديث، فكانت عالمة نساء البلد
ومسألتهن، وكانت تعلمن أمور دينهن، وتفتيهن في شؤونهن،
وتعبد ربه مبتلة منقطعة عن الأزواج وعلاقات الرجال، إلى أن
توفيت رحمها الله، ودفنت ببيت من دارها بحومة النطير، وقد
جعل لذلك البيت باب لجهة الشارع، وقبرها مشهور يزار، ثم ذكر
أستاذنا الرهوني أنها كتبت - بيدها - «سيرة الكلاعي» كلها، وأن وفاتها
كانت سنة 1189، رحمها الله».

وإلى هنا تنتهي الترجمة الواردة في تاريخ تطوان، ويلاحظ أن هذه
الترجمة توافق الخطاطة - التي تعلق عليها - في اسمها، وتخالفها
في اسم والدها، وفي تاريخ وفاتها، وقد كانت هذه لا تزال بقيد
الحياة أوائل عام 1227 هـ، وهو تاريخ فراغها من كتابة المصحف
الشريف.

ت 18/1234 - 1819.

جمع تعاليق الشيخ يعيش الشاوي، التي قيدها - بخطه - على هوامش نسخته من شرح ميارة على تحفة ابن عاصم، ثم رتبها، وسماها «بالكواكب السيارة»، في مسامرة فقيه فاس أبي عبد الله ميارة» (32).

110 - شقور: أحمد بن محمد بن الطيب الحسني العلمي الموسوي ت 19/1235 - 1820.

رتب - على المعجمية المغربية - «ديوان» قريبه وأستاذه أبي الربيع سليمان الحوات، وفرغ من ذلك في ربيع الأول 1232 هـ (33).

111 - العلوي: السلطان مولاي سليمان بن السلطان محمد بن عبد الله الحسني، ت 1822/1238. جمع أشعار أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي، ورتبها في «ديوان» خلا من تاريخ التخريج (34).

- أفيلال: محمد المامون بن النادي الحسني العلمي التطواني، سابق الذكر عند رقم 11. جمع فتاوي القاضي عبد الرحمن الحايك التطواني (35).

112 - البناي: عبد الغفور بن التهامي التطواني، كان حيا (36) 30/1246 - 1831.

خرج - من المبيضة - حاشية شيخه الشيخ أحمد ابن عجيبة على الجامع الصغير للسيوطي، وفرغ من ذلك عشية الخميس 26 ذي الحجة 1224 هـ (37).

- ابن الحاج: محمد بن إدريس العمراوي، سابق الذكر عند رقم 14.

(32) خ. س 7777.

(33) خ. س 2941.

(34) خ. س 3/158.

(35) «تاريخ تطوان» 277/6، وترجمة أفيلال بنفس المصدر 283/6 - 284.

(36) في «تاريخ تطوان» 221/6: أن مؤلفه وقف على نسخة من تفسير القرآن الكريم لابن عجيبة بخط البناي المذكور، وقد فرغ من كتابتها عام 1246 هـ: برسم الفقيه العالم الشريف: الطيب بن عبد السلام البقال التطواني.

(37) خ. ع. د 1831.

«قد انتهى الجزء الأول... وكان الفراغ منه يوم الحد (كذا)، الثاني والعشرين من شهر الله ذي القعدة، عام خمسة وأربعين ومائتين وألف، على يد أمة الله: عائشة بنت مبرك (كذا) بن أحمد نجل الحسين الشيخ، التكي العشي الحسني، غفر الله لها ولوالديها».

خ. س 5061

☆☆☆

وراقون مخرجون للمؤلفات

106 - السجلماسي: محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل، نزيل الرباط ثم بجمعد، حيث توفي بها (25) 1799/1214.

وهو المخرج - من المبيضة - «الذخيرة المحتاج...» تأليف الشيخ محمد المعطي بن الشيخ محمد الصالح الشرقاوي العمري (26).

107 - الرهوني: محمد بن أحمد بن محمد نزيل وزان (27)، ت 1814/1230.

خرج - من المبيضة - «إمتاع الأسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع»، تأليف السلطان العلوي مولاي سليمان، وفرغ منه يوم الجمعة 18 ربيع النبوي 1221 هـ (28).

108 - اليازغي: عبد الغني بن محمد بن هنو الفاسي.

خرج السفر الأول من شرح والده على «الشامل» ليهرام (29).

- العراقي: عبد الله بن إدريس الحافظ، سابق الذكر عند رقم 34.

خرج ما شرحه والده على الثلث الأخير من «مشارك الأنوار» للصفاني، وأكمل شرح الباقي (30).

109 - ابن ريسون: محمد بن محمد الصادق بن أحمد، الحسني العلمي اليونسي التطواني (31).

(25) ترجمته عند ابن إبراهيم في «الإعلام» 155/6 - 161.

(26) «المصنوع» 35/6.

(27) ترجمته في «سلوة الأنفاس» 104/1 - 105.

(28) جاء التصريح بهذا آخر مخطوطة في خزنة خاصة.

(29) «الدرر الفاخرة...» لابن زيدان ص 76.

(30) خ. ع. ك 2698.

(31) ترجمته في «تاريخ تطوان» 266/6 - 274.

ب - «دلائل الخيرات» للجزولي : بتاريخ الخميس
27 رمضان 1258 هـ، ومعه مقيدات كثيرة بخطه وبخط
غيره.

خزانة خاصة

ج - نسخة أخرى منه : خ. س 11932

116 - الأمير محمد بن السلطان مولاي عبد
الرحمن بن هشام العلوي الحسن الحسني : في فترة
ولاية العهد، ت 1873/1290.

يذكر عنه ابن زيدان (43) أنه جمع - وهو خليفة
لوالده - عددا من النسخ، وجعل لهم محلا خاصا لنسخ كتب
الحديث وغيرها، وأسند رئاستهم إلى الفقيه الأديب الكاتب
السيد محمد بن محمد غريظ.

☆☆☆

تكملة

117 - وتعرض الأسماء التي جردت من
السوراقين، بدءا من الشرقي : أحمد بن المعطي بن
محمد البطاح العمري البجعي : 1790/1204 :

أ - «شرح الهمزية البوصيرية» للسنباطي : 29
شعبان 1203 هـ.

خزانة خاصة

ب - «أربعون حديثا» من جمع مصطفى بن كمال
الدين البكري : بعد زوال يوم الثلاثاء 18 رمضان 1204 هـ.
خزانة خاصة

118 - الملاقي : العياشي بن عبد الله :
1795/1209 :

«الكوكب الثاقب...» لعبد القادر السلوي : 10 ذي
الحجة 1209 هـ.

خ. س 925

119 - الودغيري : محمد بن المختار بن عبد
الله الحسني الإدريسي، السنوسي ثم الفاسي 1813/1228 :

(42) له ترجمة قصيرة عند الفضلي : «الدرر البهية» ط. ف 177/1.
وتاريخ وفاته من «إتحاف المطالع» للمؤرخ المرحوم عبد السلام ابن
سودة.

(43) «إتحاف أعلام الناس» 3/367.

كان يشتغل مع الزياني في إخراج مؤلفاته، وذلك ما
يشرحه مؤرخ الدولة العلوية وهو يتحدث عن ابن إدريس :
«كان في ابتداء أمره يستخرج لنا ما كنا نقيده في تأليف
الترجمان، والبستان، والألفية، والجمهرة، والفهرست،
والحادي، والبيغة، والسهام الراشقة، وشرح الكورة، والرحلة،
وغيرهم (38).

ولابن إدريس قصيدة يعدد فيها أوضاع الزياني التي
كتبها بخطه، حسب إشارة من مؤلفها في مقامة له (39).
وبين منتسحات ابن إدريس المنوه بها : نشر إلى
«التاج والإكليل» للزياني، ومعه «تحفة النباه» وسواها :
مخطوط خ. ع. ك 241.

113 - محمد ابن الفقيه الفاسي

نسخ للزياني بعض مؤلفاته، ومنها الترجمان (40)
والروضة السليمانية، وقد جاء عند خاتمة المصدر الأخير :
«وممن كتب على هذه الروضة الناسخ لها : الفقيه الأستاذ
السيد محمد ابن الفقيه هذه القصيدة...» (41).

☆☆☆

الوراقة الأميرية

114 - والقصد إلى ثلاثة نماذج، بدءا من الأمير
العلوي : عبد السلام بن السلطان مولاي سليمان
الحسني (42) ت 1845/1261.

كتب - بخطه - بعض منتسحات محفوظة هنا أو
هناك.

115 - الأمير يوسف بن السلطان مولاي
سليمان العلوي الحسني، كان بقيد الحياة فاتح محرم
1862/1279.

يوجد بخطه : أ - «شرح المختصر الخليلي» للدردير :
الربع الأول، فرغ من كتابته ضحى يوم الثلاثاء سابع عيد
الأضحى حسب تعبيره، سنة 1244 هـ.

خزانة خاصة

(38) «الروضة السليمانية» خ. ع. د 1275 : ورقة 231/ب.

(39) هي المقامة المشار لها عند التعليق رقم 22.

(40) وردت الإشارة له آخر بعض مخطوطات «الترجمان».

(41) «الروضة السليمانية» خ. ع. د 1275 : ورقة 237/أ.

د - «شرح الهمزية البوصيرية» للسيد يحيى الشبيهي : صبيحة يوم الأحد 7 ربيع الثاني 1267 هـ،
خ، س 11334.

124 - الوكيللي : محمد بن محمد بن عبد الله الحسني 1268 :

مغاني الوفا بمعاني الاكتفا لمحمد بن عبد السلام بناني : مجلدان :
الأول : 1267 هـ، والرابع : 1268 هـ.
خ، س 3356.

☆☆☆

تختم هذا العرض بتكملة عن خطاط من المغرب الشرقي : إدريس بن الطيب بن المأحي من تجفنايت بإقليم وجدة، فيذكره المشرقي : (46) «له خط بارع لا يفوته خط ابن مقلّة» ويضيف : «ولاخط العلامة ابن صار مشيق التلمساني (47)»... وقد طلبته الدولة العلوية في زمن وزيرها الأعظم، وأمين كتابها الأفخم، الفقيه ابن إدريس : أن يكون كاتباً في حضرتها، فامتنع أخوه...».

46 «نزفة الأبصار...» خ. ع. ك 579.
47 اسمه كاملاً : الحاج الحسين بن الحاج أحمد بن الحاج حسين بن صار مشق الفرغلي التلمساني، ويقول عنه المشرقي ضمن الفقرة التي نعلق عليها : «كان يضرب المثل بجودة خطه، حتى حكى أنه جعل في باب تلمسان وأوابطين المطر مفتوحة، فلم يستطع كتاب الوقت أن يجعلوا مثلها - في الصحف أو الأنواع - وأوا بالصداد، وقد كتب لزوجة ملك وهران دلائل الخيرات، وترجمه بساء الذهب، فأعطته مائة دينار ذهباً، دون إحسانها إليه بما عدا الذهب».

وإلى مخطوطة دليل الخيرات المنوه بها : توجد - بخطه - نسخة أخرى في مكتبة الزاوية القندوسية، حيث عاينها علامة مغربي، ووصفها هكذا : «رأيت في مكتبة الزاوية القندوسية مجلداً ضخماً فيه دلائل الخيرات، بخط أنيق جداً، وورق غليظ صقيل، مكتوب بالسواك في آخره : أنه كتبه الحاج حسين بن المرحوم الحاج أحمد بن المرحوم الحاج حسين بن صار مشق الفرغلي التلمساني، وكان تمامه في 3 من شهر قعدة عام 1131، في كل وجه من هذه النسخة سبعة أسطر، وفي كل سطر أربع كلمات غالباً، في غاية الحسن والجمال والصحة، كأنه الأصل الذي نسخ عليه دليل الشيخ سيدي محمد بن قاسم القندوسي...».

ومرة أخرى يوجد بخط صار مشق السفر الثاني من نسخة - رباعية التحرئة - من صحيح البخاري، بتاريخ صبيحة الإثنين، أول شهر شعبان 1115 هـ، والنسخة بكاملها في خزنة القرويين رقم 790.

«إحياء علوم الدين» للغزالي : نسخة تامة في أربعة أسفار : عام 1228 هـ.
خ. س 4215

120 - سكيرج : أحمد بن حم بن عبد الوهاب الأندلسي ثم الفاسي : 1237 :
«الاكتفا» للكلاعي : السفر الثاني : 1237 هـ.
خ. س 7743

121 - الكنكسي : محمد بن محمد بن عبد الله :
1840/1256 :

«تنوير الفكر بكلام الفحول على لوامع تيسير الوصول» : اسم شرح «تيسير الوصول إلى جامع الأصول» لابن الديع : تأليف قاضي فاس عبد الهادي بن عبد الله العلوي : السفر الأول والثالث الذي هو الأخير : 28 محرم 1256 هـ.
خ. س 2515

122 - العراقي : محمد المهدي بن عبد المجيد الحسيني الفاسي (44)، ت 1842/1258 :
«فتح الباب الملتزم، الجامع لبعض معاني الحكم» للشطبي : آخر ذي الحجة سنة 1215 هـ.
خ، ع، ك، 108.

123 - الشبيهي : عبد الرحمن بن التهامي بن يحيى الحسني الإدريسي الزرهوني : (45) 1851/1267 :
أ - «صحيح البخاري» : الخمس الأخير، في مجلد فرغ منه ضحوة الجمعة الأول في ربيع الأول 1256 هـ بالزاوية الإدريسية.
خ. س 4704.

ب - «الموطأ» : للإمام مالك : 1256 هـ.
خ، ع، ج 550.

ج - «الشفاء» للقاضي عياض في سفرين : 5 جمادى الثانية 1257 هـ.
خ، س 1817.

44 ترجمته في «سنوة الأنفاس» 358/2 - 359.
45 في «الدرر البهية» 21/2 جاء ذكر ولده هكذا : «ومنهم الفقيه الأنجب، إمام الضريح الإدريسي، وهو السيد عبد السلام بن عبد الرحمن بن التهامي بن الفقيه العلامة السيد يحيى».

الملحقات وعددها أربعة :

الأول : نظم لألى الممط، في حسن تقويم
بديع الخط

لأحمد بن محمد بن محمد بن قاسم
الرفاعي الحسني الرباطي

قال الرفاعي الفقير أحمد
الله جل وتعالى أحمد
مصليا على الرسول الهادي
المصطفى سيد كل هاد
وآله صفوة خلق الله
وصحبه ذوي العلى والجاه
(وبعد) فاعلم أن حسن الخط
أجل ما يقتنى وخير أعطى
فكم سما إلى العلى من رامه
ونال منه العز والكرامة
وحبه أثنى عليه الله
في الذكر بالحكمة واجتباها
بقوله يزيد ما يشاء
في خلقه ويوتى من يشاء
وهو ما اختص به الإنسان
كالمقل يشهد به العيان
وإني لما رأيت الناس
قد شربوا من الونى أكواها
وقصرت همهم وما اعتنوا
بالخط منهم أحد وما اقتنى
وهجروا سره دون عذر
ونبتذوه من وراء ظهر
وأعرضوا كل الإعراض عنه
وما روي مما رويت منه
حتى غدا بغربنا مفقودا
وكاد لم يكن به موجودا
فمت لذا نظمت فيه أرجوزة
قريبة ألفاظها وموجزة

(سميتها) نظم لئالى الممط
في حسن تقويم بديع الخط
قلدها الجيد من الولدان
زيادة في الحن والمعاني
وللمؤدين تاجا قد علا
رؤوسهم فخيرهم قد كعلا
نظمتها على ما بي من عيب
مبتغيا بها رضا الرب
والله أرجو أن تكون نافعة
لي ولهم وكل خير جامعة

(تقويم السطور وتساويتها)

السطر في اصطلاحهم خط وصل
ما بين تقطتين عن ذلك حصل
وكونه خطا رقيقا صافيا
متحن ولا يكون خافيا
بحيث يرشد البنان لالتزام
وضع الحروف في اتساق وانتظام
كذلك عقد من لئالى الدر
في جيد لبات ذوات الخدر
فإن أضفته وصار اثنين
فاجعلهما - إذا - متوازنين
وإن جمعت فكذلك والتزم
تساوي كلهم وعدل واحتكم

(تقويم القلم وكيفية قبضه)

من قصب يكون فهو خير
من ذهب وذلك فيسهل
وانح برأيه أعالي القصبة
مصطفيا له أجل أنبوبة
كالرمح في التقويم حاد الرأس
ليل صدر لا ترى من بأس

ذا فصلة من لحمه وقشرته
بذاك تعجب - إذا - من جريته
وسوفي الفري جريته
من غير ميل نحو حافتيه
وإن أردت أمنه من كسر
وقت الكتابة يميها أجر
وبعضهم إلى اليسار ينحرف
لحكمة زائفة بها عرف
وقبضة القلم شيء معتمد
فاعن بها فإنها أمر أكد
فصف الأربيع من بنائك
منعظا بها إلى جانبك
واقرن إبهامك رأس الشاهد
كحلقة واجعله خير راشد
بينهما معتمدا على الوسط
لكن على رأسه والشهد وسط

(الدواة وما يتعلق بها)

يقال للدواة نون والرقيم
كذلك ألفي بمدقتر قديم
جمع دواة دوايات نادوا
وهي التي يرى بها المداد
وإن أليقت فهي نون مليقة
وصوفة المداد هي الليقة

(تقويم الحروف القائمة)

أجل ما انتصب واستقاما
وخير خط في اعتدال قاما
الألف الحائز قصب البوق
بجدة سجدها للحق
يشهدنا بأن الله واحد
ما إن له من ولد ووالد
واللام مثله بلا تناء
وارسم كذلك بباء بسم الله

وتبعن في الوصف هاء واقفة
وهي لأسفل اليسار عاطفة
كالها من الحياة في الوقف ولا
تجعل أنبوبا فحسن عملا
ودون ذي الحروف في القيام بها
وتأوتا واليا ونون نسبا
والسين والشين كذا ولهما
ثلاث أسنان لكل منهما
واظهر السين كمنها في الخبر
وتابع الشين لها في الأثر
واستحسنوا التواء رأس اللام
ورأس أولى السين خذ نظام
(تقويم الحروف المفتوحة)

الميم دائرة تمامة بدت
صغيرة على يمين احتسوت
فإن تكن صدرا فنصف دائرة
وترها السطر ووسطى دائرة
لكن ذي فوق وتحت جاءية
والسطر قطرهما وحتى التالية
ومثل ميم أول السطر ترى
واو وبالييمين قوسه جرى
والفاء مثل الميم أيضا جاءت
لكن لها ساق عليه قامت
قد وصلت بالسطر، والقاف الوسط
كذا وإن أخرتها دع النقط
والساق منهما كقوس ظهرت
من يمينه السوتر للسطر جرت
وهاء يائها قل دائرتين
صغرى بوسط كبرى متصلتين
وأيه الساحر كالمثلث
حدثت زواياه فكن ذا باعث
وهكذا الهاء من اسم الجلالة
فاعن بفتحها تحز جلاله

وخذ من الدائرة العظيمة
ثلثها لصاد متقيمه
والضاد والظاء كذا والطاء
وذا ن خط لهما وفاء
والسطر هو وتر للكامل
إياك أن تحيد عن ذا الأصل
والعين إن تك بوسط الكلمة
مثلث الزوايا ليست قائمة
ساقاه بالجانب وأعلى قاعده
وصله بالسطر وصن ذا الفائدة
كذلك إن تك أخيرة ورد
تعريفها نحو اليار فلتمد
(تقويم الحروف المشقوقة)

المدال شكلها كقوس فاعلما
وقطرها إلى اليار يمما
حتى إذا جاز محيط قوسه
ثنا بزائد لنحو عكسه
وبعضهم يجعلها كطائرة
لها جناحان وصدر طائرة
والمدال مثلها يزيد نقطة
بوسط القوس ترى منحطة
واليا من الذي كذلك لكن
معكوسة بدون نقط كائن
وقد يرى دال كراء رفعا
رأس له ما إن تراه منعما
كمدال مهد ومحمد وما
أشبهه والذي خيرا قدما
والكفاف فوق السطر خط اثتلف
بلا مواز له طول له ألف
متصلا بقوس ربع الدائرة
تحيط للسرى وقت الدائرة
وأبداه من أعلاه غير قاسم
له وثغره الزهي باسم

والعين قوس ينتحي للكبرى
محيطها محسب للسرى
طرفها الأسفل بالسطر اتصل
ومنه خط لليار قد وصل
وذا إذا كانت في الخط سطر
كعين على وكعين عذرا
وغين غيب وبنقطة جلا
كفلك كوكبه الأوج علا
وشطر سن حربة للراية
جيم بذا حقق له دراية
والحاء والحاء كذلك الحقن
مفرقا لرأسها أو الضغن
واخر من الوجهين أولهما
فهو الذي تجده أفضلها

(تقويم الحروف المعرقة)

الراء قوس وهي ربع دائرة
رأسها بالسطر وتحت سائرة
واحكم كذا للزاي واجعل نقطته
ظاهرة فوق وعدل صورته
والنون في التعريق نصف دائرة
ليس لها قرن لأعلى ظاهرة
وامنع أخيرها لثلا يتصل
بالسطر واجعله قريبا منفصل
واللام والقاف كذا والياء
ما بين سطرهما لها انتهاء
بحيث إن وقع تحتها ألف
لم يختلط معها وذا حكم ألف
وارفع قرين الياء كالمثلث
واعطف وعرق وعن الشيخ ابحت
والسين والشين إن كانتا طرفا
كالياء في الرفع ودع ما انعطفا
والصاد والضاد كنون محسا
واردد عنان قلم إن جمعا

والسلام من على وصلى وبلى
فوق قرين الياء سره اجتلا
وحاز هذا السر بين الناس
أنسدس ولم يكن بفاس
وفاء جر إن تكن مقطوعة
محمولة وقد ترى موضوعه
كفءاء في الأرض وفي الجنات
(محمد) مع آله الثقات
ويءاء يرتض اجعلن في السطر
وفوقها ما قبلها فلتدر

(اتساق الحروف وانتظامها)

قد مثلوا الحروف بالجواهر
والسطر بالسمط وهذا ظاهر
بل للحروف عندهم أسرار
أودعها من السورى المختار
فإن كتبت فاجعل الحروف
في وسط السطر ولا تحيفها
وسو ما بين الحروف في النظام
من غير زيء يبدو أو نقص يرام
سيان ما قد كان منها متصل
بغيره أو كان عنه منفصل
وذا المسمى عندهم في الأصل
بالنظم إلا أن يكن كالفصل
وقائم الحروف سواقمته
مع أخيه واحذرن تفاوته
بحيث لو أتت عليه مطرة
مرت برأسهم غير مسفرة
والزم أخي حروف ربع الدائرة
ما بين سطريك اجعلنه آخره
كذلك في التعريق ميم تاليه
فهى من أقطاب الحروف العالیه
إن التزمتم ذا بخطك ترى
سرا وهو معنى قصر (مـزورا)

ونسون إن قاربت منها أخرى
أو شبهها فتلـك أم الأخرى
ولا تقاطع أو تطابق حرفا
لآخر فـذاك شين يلقى
والحاء والجيم والحاء إن عرقت
فثلث قوس لليسار رجعت
ومثلها عين وغين وقعا
في طرف من غير خلف فاسمعا

(تقويم لام الألف)

خطان رأها ما قد تفرقا
واقطعها من أسفل واعتقها
واجتمعها فأعجب لقاطعين
مجتمعين متمماتين
وإن لويت رأس كل منهما
أو واحد أحسن من تركهما

(تقويم حروف التركيب)

وأحرف التركيب عند الكتابة
جيم وحا وخوا كحاء الخشبة
وكمحمد وكالجنات
ما قبلها فوق السطور ياتي
متصلا بغير رفع يبدو
لرأها فذاك فيه قيد
كذلك إن حرفان قبل سبقا
كحاء سبح واعطف وعرقا
وبعضهم السين في السطر يضع
كالشيخ مروان والباء قد رفع
ويجرى ذا في حواء مصحين
والصلحقات وكمصلحين
وحاء حمرا قد ترى مركبة
على تيبك الميم رواه الكتابة
وراءها ركب وأعل الطرفا
منها وذاك حسن قد وصفا

وقد يزيد الخط حنا حرف
 إذا التوى يحار فيه الوصف
 كطاء سلطان سطا ولطفنا
 خطه واصطفى وطاء لطفنا
 وهاء هاد وبهاء استحنوا
 التواءها ومذهبي قد أحنا
 لكن في التوائها تفصيلا
 فاثرب إذا ما شئت سلسيلا
 كما لوى الشيخ الوزير الكاتب
 كافي هنالك لك كاتب

☆☆☆

(والخط) أنواعه لا تحصر
 أفرادها يقصر عنها الخبر
 لكن خيره السذي أتمنا إلى
 أنسدلس فسره قد اجتلا
 واقتبسوا من نورهم أهل سلا
 فخطهم قدما ووقتا قد علا
 كباين الفقيه المرتضى الجريدي
 وكالسوسي ذي البها المنير
 فضل هذا مولانا الإمام
 عن غيره (سليمان) الهمام
 واشتهرت به رباط الفتح
 عند أناس منحوا بفتح
 وأرجو ربي أن أكون منهم
 فينظموا جوهري في سلكهم
 والسر في الشيخ لا بد منه
 فيه تموم فابحث عنه

☆☆☆

(وهذه) نبذة فيه كافيه
 طالبها يجني بها أمانيه
 نظمتها غرة (شكر) لامعه
 مع (أربع) من السنين واقعة

أبياتها (قوم) قد احتوا على
 سر وأدركه من تبتلا
 (وهاهنا) قد تم ما قصدت
 من صنعة الخط كما أردت
 وذاك مع جهلي السذي اتمت
 بـه وفرقتي لمن أحببت
 وأسئل (الرحمان) جمع الشمل
 بالأهل والمنشا وكل أمل
 والختم بالحنى مع الزيادة
 بجاه (طه) صاحب السيادة
 صلى عليه ربنا وسلمنا
 وأله ما سح سح وهما
 وصحبه ذوي العلا ومن تلا
 فنال من حن الختام أملا

الملحق الثاني :

إفتاحية «حلية الكتاب ومنية الطلاب» : إسم شرح
 الرفاعي على أرجوزته : «نظم لأبي المظ، في
 حسن تقويم بديع الخط» والنقل من نسخة المؤلف
 بخطه عدا الصفحة الأولى : خ، ع، د، 254.

... وبعد « لما أن وفق الله تعالى والدي وأرشدهم
 إلى تعليم كتابه المبين، وأدخلوني للمكتب مع أولاد
 المومنين، وفتح - سبحانه - علي فحفظت القرآن. والمنة لله
 الملك المنان. ألهمني جل وعلا فصرت أستحسن الكتابة في
 كل موضع، وتقع حروفها مني كل موقع، وكان يأتي وقت
 كتابة الألواح مكتبنا، ليعين في الفتوى مؤذنا : الشيخ
 البركة المسن الوقور الزاهد الذاكر على الدوام : شيخنا
 سيدي عبد السلام. سباطة الأندلسي الرباطي، وكان ذا حظ
 حسن بديع الشكل، عديم المثل، فكنت أرصده عند عرض
 الألواح للسلك فأسلك لوحه عليه، ليكتب لي في آخره
 السائس الموقوف عليه، فأعيدته - بعينه - مرات، وأتبعه
 عسى أن تقطف من روضه زهرات، حتى أحسست من نفسي
 أنني ناولت من أعصانه العالية بعض الثمرات، فصرت أكتب
 السائس الموقوف عليه بخطي لأعلمه أنني أريد قطف الزهر
 من تلك الأكمام، وكان شيخنا وقورا قليل الكلام، فلما علم

ذلك مني أقبل علي، وزادني على السائس كلمات ونظر إلي وقال لي هكذا، وكن تفعل مثل هذا، فقمتم من بين يديه بما يجب من الأدب نشوانا، وبخمرة السرور ملثانا.

ثم صرت أكتب في الكاغيد حتى استقام خطي وجاد، وتروثق أو كاد، فلازمت ابن عمنا شيخنا مولاي أحمد - رحمه الله - وكان ذا خط حسن، مروثق مستحسن، فكان يعلمني انتظام الحروف واتساقها. ويقدر لي النسبة من الكتابة وتعريفها.

ثم انتقلت إلى مطالعة الكتب ذات الخط الحسن وانتخب ما استحسنه من خطها، وأتخير ما تقبله العين من تبريز الحروف وبسطها، فلم أجد خطا يعبر بالقوة عن المعاني ويفصح بها إفصاحا، ويزيد الحق اتصاحا، يماثل خط ديار أهل الأندلس أعادها الله دار إسلام، فقد كانوا فيه آية ما بين الأنام، وهم الذين أجادوا الخط وأوضحوا الكتابة، وأصابوا في مناسبتها كل الإصابة، وأودعوها بطون الطرس ذخيرة للأسلاف، تنقل من قرر عن الأسلاف، فكان لهم الفضل بالتقدم لقول القائل :

فلو قبل مبكاهها بكيت صباية

بعدي شفيت النفس قبل التندم

ولاكن بكت قبلي فهيج لي البكا

بكاهها فقلت الفضل للمتقدم

ولما فتح الله علي، وحقق ما كان يرجوه منه سبحانه والدي، واقتبست جذوة من نور الكتابة، وجرت ألسنة الخلق أنني أصبت منها بعض الإصابة. وكنت بمحروسة فاس بقصد القراءة والتبرك بمولانا إدريس نفعا الله به، ليحصل لي بالكتابة النفع دنيا وأخرى، وأراد - سبحانه وله المنة - أن يكسوها سرا : يسر لي شيئا كاملا صالحا عابدا يراعي النجوم والأظلة لذكر الله : شيخنا وسيدنا أبا عبد الله سيدي محمد التهامي بن سيدي محمد بن محمد بن الشاهد بن مولانا التهامي بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله الشريف العلمي الوازاني، فأخرجني من فاس إلى داره بقبيلة بني ورياجل بمدشر الدردار بوادي ورغة بقصد الكتابة، فكتبت له كتبا عديدة، آخرها كتاب أبي (عبد الله) محمد بن إسماعيل البخاري من عمل عشرة أسفار.

وقد أقمتم عنده نحو من أربع سنين حتى سمع بي

عنده شيخ الإسلام، وقدوة الأنام، مربي المرديدن، ومصباح السالكين، وتاج العارفين : شيخنا وسيدنا ومولانا : سيدي أبو الحسن مولانا علي بن مولانا أحمد بن مولانا الطيب بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله الشريف المذكور : فبعث له علي أن يوصلني إليه لزاويتهم المباركة : وازان ففعل، ولما أراد أن يودعني سيدي التهامي المذكور بعد أن دعا لي بخير : طلبت منه زيادة دعاء بالقبول على هذا الخط، فقال لي أتريد قبولا أكثر من هذا، قلت نعم يا سيدي، فقال لي عند ذلك : لا أكسد الله لك سلعة، ثم ودعني في يد الله.

ولما اجتمعت مع مولانا علي المذكور رحب بي، وقال لي : أنت فلان ؟ قلت نعم يا سيدي، ثم قال لي : نريد أن تكتب لنا كتبا نكون شركاء في أجرها، فقلت أجل يا سيدي : أجر ومعك، فنعم الأجر هو، فعين لي ما أكتب، وبقيت أكتب له نحو من أربع سنين، ولا أكتب له إلا كتب التصوف والحقيقة، وخصني مرة بكتابة كتاب في الأسرار، وآخر ما كتبت له المصحف الكريم.

ثم طلبني منه نجله الصالح، ذو الهمة العلية، والأخلاق الطيبة المرضية، البدر السامي : أبو عبد الله سيدي محمد التهامي، فدفعني إليه بعد أن أوصاه علي، فبقيت عنده كذلك بوازان أكتب له كتب التعديل وغير ذلك مما يتعلق به.

حتى وقع خطي في بعض الرسائل بيد مولانا الإمام الذي أيد الله به الدين، وقلده أمر المسلمين، فما بات عن مصالحهم بطرف وسان، سلطان العلماء وعالم السلاطين أبي الربيع مولانا سليمان، بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل الشريف العلوي، قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، وكان جالسا بحضرته الطاهرة العلية بالله مولانا التهامي بن مولانا علي المذكور، فقال له : أتعرف هذا الخط ؟ قال تعرفه هو لفلان كان يكتب لنا، فقال له رحمه الله : إذا جئتمونا هذه المرة فأتوا به معكم، فوافق الحال بعد ذلك أن كان سيدي علي المذكور عائدا لمولانا سليمان في مرض اعتراه بمراكشة، فأشخصني معه إليه، فلقيناه بتامسنا بموضع يقال له كيو، فعرضني عليه علي يد شيخنا المبارك، العالم العلامة، الممن البركة :

سيدي محمد بن الصادق، الشريف اليرسولي العلمي، فأنزّلني - رحمه الله - بمحلته السعيدة مكرماً، ووجه سيدي عليا المذكور لمراكشة بقصد زيارة سبعة رجال، وللتبرك به، ولما أردت الوداع معه - أي سيدي علي - وأرجع مع مولانا سليمان : اعترتني دهشة، وقابلتني هيبة الملك، فصرت أبكي أمامه، وقلت له : يا سيدي إني لا أستطيع معانة دار المخزن ولا أحسن أديها، فقال : لا تلقى فيها إلا الخير إن شاء الله، فمولانا سليمان حسن العشرة، إن عرف طبعك ساعدك عليه، فأصبحه فلك الخير في صحبته، ثم دعا لي بخير وودعني في يد الله.

فلما صحبت مولانا سليمان ورأى خطي : اتخذني - أولاً - لكتابة تفسير الإمام البقاعي، ثم بعد ذلك أخرجني من بين عشرة من الكتاب لقراءة ولده الصالح : أبي حفص مولانا عمر - رحمه الله - ولتأديبه، فلا زمته حتى حفظ القرآن والحمد لله، ولقيت من صحبة مولانا سليمان - رحمه الله - كل خير دنيوي وأخروي، ومات وهو راض عني والحمد لله، رضي الله عنه، ومن رضاه عني أن قال لي يوماً : أنت تعلم أنني أحببك، وحتى أولادي يحبونك، فحجبت، وقلت يا سيدي : إنما أنا عبدكم، فقال لي : إنك نصحتني في أولادي، جزاك الله خيراً.

ولما أفضت الخلافة إلى ولي عهده ومتولي الأمر من بعده، الذي هو أثبت الملوك جناناً، وأقواها نجدة وبيانا، وأكملها عدالة وصيانة، وأوفرها مروءة وديانة، وأجمعها لشروط الامامة اتفاقاً، وأوعبها لضروب الكمال في سوق المعارف والعارف تفاقاً، طالع الأمن في غرة الأزمان، أبو زيد مولانا عبد الرحمان بن أخيه مولانا هشام، أدام الله بقاءه للمسلمين، أمين، وكان يعرفني من قبل، ورأى ضعفي وكبر سني وعجزني عن الخدمة : اتخذني لتأديب ولده الأطهر، التقى النقي الحيي الأنور، الأنجب الأنجد، مولانا أحمد، أصلحه الله وأنبته نباتاً حسناً، فها أنا معه مغمور في أياديه وإسدائه، أيده الله، والحمد لله، ونسئله - سبحانه - حسن الخاتمة، اللهم بارك لنا في إمامته بركة تشمل النفس والأهل والأموال والأولاد، وتحفظ به المهج والسفار والتجار والبلاد، ويسر له آمال الراغبين، وحطه وحط به فإنك ملجأ الطالبين.

وما ذكرته من صحبة الصالحين والملوك وما نلنا منهم من الخير والدعاء الصالح إلا تحدثاً بنعم الله، وتشويقاً لحكمة الكتابة التي هي زيادة في الخلق.

وحيث كنت أقرئ مولانا عمر المذكور رحمه الله، وكان الشأن مع حفظ القرآن تعليمه الخط القويم بإشارة من أبيه رحمه الله، كنت أتحدث في شأنه مع شيخنا العالم العلامة العارف الزاهد، العاضد على السنة المحمدية بالنواجذ، أبي حفص سيدي عمر بن سيدي المكي بن سيدي المعطي بن الصالح الشرقي العمري الفاروقي، متعني الله برضاه : حضني على أن أجعل منظومة في صناعة الخط، وأبين فيها أشكال الحروف تقريبا للمتعلمين، وحلية للمؤدبين، فكان - رضي الله عنه - سبباً، فنظمت قصيدتنا هذه التي نريد شرحها إن شاء الله، المسماة «بنظم لثالي السمت في حسن تقويم بديع الخط»، قصدت بها النفع لنا وللمسلمين والمؤدبين.

فكان من جملة النفع بها أن وضع - سبحانه - لها قبولا في أقطار المغرب، فما دخلت بلدة منه إلا وجدت لها سؤلاً، وكنت عنها مسؤلاً، ويطلب مني أن أجعل عليها شرحاً يعرب عن ألفاظها ومعانيها، ويسفر عن قواعدها ومبانيها، إذ حروفها مؤسسة ومبنية على قواعد هندسية، ويلج علي في ذلك، ولست أهلاً لذلك، لعلمي بقصوري عن درجة التأليف، وليس لي آلة أستعين بها من آلات التصنيف، فبقيت متحيراً بين الإقدام والإحجام، وأتردد وراء وقدام، واستوهب موهبة من الله الملك الوهاب، عسى أن يسر لي سبباً من الأسباب، ويفتح لي لمعرفته باباً من الأبواب، حتى استولى على خاطري وارد العزم، فألزمي الأخذ بالحزم، فاستعنت بالله، وتوكلت على الله، وما توفيقي إلا بالله.

وسميت «حلية الكتاب ومنية الطلاب»، ورتبته على مقدمة عشرة أبواب وخاتمة، والله المسئول، أن ينفع به ويضع له القبول، أمين.

☆☆☆

الملحق الثالث والرابع : رسالتان موضوعيتان :
الأولى : من السلطان مولاي سليمان إلى رئيس

الزاوية الناصرية : الشيخ علي بن يوسف الناصري في
غرض استعارة كتابي التفسير والنزهة لابن كثير من الخزانة
الناصرية، ونصها بعد الافتتاح :

«محبنا في الله تعالى، الفقيه، الخبير» الدين : السيد
علي بن يوسف، حفظه الله، بعد السلام ورحمة الله
وبركاته.

وبعد : فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو،
وأسأله - سبحانه - لنا ولكم سلامة الدارين، والتوفيق لما
يجبه ويرضاه.

وفيه نؤكد عليكم أن توجهوا إلينا التفسير لابن كثير،
مع النزهة له، ولا بد من غير تطويل.

ثم، إننا نتشوق ونتشوق إلى ورودكم على حضرتنا
العلية بالله، كما كانت عادة الألاف رحمهم الله، ولو
أمكنا القدوم عليكم بأنفسنا لفعلنا، فالآن نؤكد عليكم مهما
أمكنكم أن تقدموا علينا فاعزموا به، فإننا نجيبكم، مع
ملاحظة محبة سلفكم. والله - تعالى - يديم توفيقكم بمنه،
والسلام، في ثامن وعشرين جمادى الثانية، من عام 1211.
ومن تمامه، أن مرادنا بالكتب المذكورة أن ننسخها
ونردها إليكم إن شاء الله، والسلام، في تاريخه».

الرسالة الثانية :

من السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، إلى عميد
الزاوية الناصرية : السيد أبي بكر بن علي الناصري، في
موضوع انتساخ حاشية الطيبي على الكشاف للزمخشري،

وقد كانت الجهة السلطانية استعارتها من هذه الخزانة،
وكتب شيخ الزاوية في شأن استعادتها، ونص المراد من
الرسالة الملكية :

«... وحاشية الطيبي لا زالت عند الناسخ، لأن خطها
مشرقي مغلق، والذي يفهمه يلقي على الناسخ شيئا فشيئا،
فلذلك أبطأ، وحين يكمل عمله تصلك إن شاء الله، والله
يجازيك خيرا على اهتمامك بشأن الكتب، ومحافظة
عليها، فهاكذا ينبغي، والسلام، في 2 صفر الخير، عام
1251»، (48).

توضيحات

تأتي إشارات لأماكن المخطوطات كالتالي :

خ. س : الخزانة الحسنية.

خ. ع. د : قسم حرف الدال من الخزانة العامة.

خ. ع. ك : قسم حرف الكاف من الخزانة العامة.

خ. ع. ح : قسم حرف الحاء من الخزانة العامة.

خ. ع. ج : قسم حرف الجيم من الخزانة العامة.

وبالنسبة للمطبوعات الحجرية الفاسية : ط. ف.

48) الرسائل من كتاب «النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية» لابن
زيدان، حسب مقتبسات من المخطوطة الأصلية.

كتب صدرت عن

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

• في موكب السيرة النبوية

أو في بيوتات الرسول ﷺ

تأليف الدكتور محمد المختار ولد أباه الشقيطي

• متن الرسالة

تأليف: أبي محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني



كتاب

فَلَكَ السَّعَادَةُ الدَّائِرَةُ بِفَضْلِ الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ

من مخطوطات
خزانة
القرويين

تأليف: الفقيه محمد المدعو عبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
محافظة خزانة القرويين

وتنوع أساليبها سواء في القديم أو في الحديث .
ومما ينبغي التنبه إليه أن الاهتمام بهذا الموضوع كان من أكد
ما تهتم به الهيئات العلمية والسياسية في البلدان الإسلامية،
خصوصاً أيام مواجهتها للغزو الأجنبي .
ولقد عرف المغاربة طريقهم إلى هذا النوع من التأليف نظراً
لكونه كان ينسجم مع مواقفهم البطولية في التاريخ ويعبر عن
احساس المثقفين الأحرار نحو ما يجب عليهم أن يقوموا به من
أجل التوعية ومن أجل اظهار المشروعية الدينية في الدفاع عن
حوزة البلاد وعن حماسة الاعتقاد .
وكانت الظروف التي تحياها البلاد المغربية أيام احتلال
الأجانب لشواطئها من أكبر العوامل على خلق نشاط ثقافي بين
ما في الدفاع عن الدين من قيمة، وعماً في تحرير البلاد من رقة
العبودية من فضل، وعماً في نشر الادب البطولي من نفع
وفائدة .

من الموضوعات ذات الأهمية في الإسلام موضوع الجهاد
وبواعثه وما يتعلق به من مختلف الأحوال سواء من حيث اعداد
العدة أو تهيئة النفوس، أو ذكر الفضائل، أو تبيين ما أنزل الله
فيه من آيات، أو ما جاء عن رسوله من احاديث، أو ذكر ما قام
به الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوات، أو جهز من سرايات
مع ماورد في ذلك من اخبار واثار .
وكان هذا الموضوع متصلًا غير منقطع، متجدداً غير
محدود، يهتم به المؤلفون في المشرق والمغرب، ويكتبون فيه حسب
مقاصدهم واختصاصاتهم. فهو موضوع المؤرخين واصحاب
السير وموضوع المفسرين واصحاب الحديث، وموضوع
الهيئات العسكرية وعلماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد وعلماء
النفوس، بحيث لا تخلو جميع الأزمنة التي تعاقبت على المسلمين من
الحديث عنه ومن التأليف في عناصره. ولا يجد من يطلع على ما
ألف فيه سأمًا ولا مللاً. نظراً لكون الكتابة فيه تتعدد ابوابها

ورغم ما قامت به الدولة السعودية من محاولات لتحرير كثير من المدن الساحلية فانها قد عجزت عن تحرير الباقي الشيء الذي خول للعلوين فيما بعد ان يسيروا على نفس النهج التحريري، وان يعملوا على انقاذ المغرب من الاحتلال الانجليزي والاساسي والبرتغالي .

ومن المعلوم ان عملية التحرير هذه كانت تحتاج الى توعية كافية والى خطة محكمة، والى ابراز الجوانب الايجابية في الاعداد المادي والاعداد المعنوي، وهذا امر لايتأتى القيام به الا من الطبقة المثقفة المخلصة، التي تملك زادا من العلم والادب وزادا من التقوى والصلاح .

فمن ياترى سيكون مؤهلا لهذا العمل في القرن الحادي عشر الهجري حينما كثرت التحديات، وتعددت مراكز المقاومة في بلاد المغرب ؟

ان كل الازهافات كانت تظهر ان المغرب كله لم يكن بالذي يرضى الذل او يقبل الصغار الا ان الروح المنتهقة من اهل سجلماسة كانت اشد اندفاعا، واقوى عصبية واقدر على لم شتات المغرب ، وعلى ابعاد شبح الفرقة عن اهله ولقد تجلى ذلك في موقف العلوين الذين تولوا الامر حينذاك فعملوا على توحيد البلاد وعلى طرد المستعمرين من مدينة طنجة ومن مدينة المهدية وقاوموا اشد المقاومة من اجل طرد الباقي من المدن الساحلية الاخرى، كما تجلى في موقف علمائهم وفقهائهم الذين واكبوا هذه الانتفاضة فالفوا الكتب ونظموا الشعر وخطبوا في المحافل العامة والخاصة ليبينوا ان الجهاد فرض لازم وانه يتعين حين هجوم العدو او حين استنفار الامام او حين العمل على فك الاسرى من قبضة من يذلونهم او يذيقونهم الوان العذاب .

ومن بين الذين كان لهم بيان قوي ومعرفة موسوعية في الدراسات الاسلامية وفي السير وفي التاريخ شريف من شرفاء سجلماسة هو السيد محمد المدعو عبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر (1) ذلك الشريف الذي بذل جهدا كبيرا من اجل توعية المواطنين فالف كتابا في موضوع الجهاد سماه فلک السعادة الدائر بفضل الجهاد والشهادة جمع فيه فروع وضمنه كل مايتعلق بهذا الموضوع من آيات واحاديث بناه على طريقة المحدثين وذكر في مقدمته انه كان مطولا ثم اختصره وانه بوبه على اثني عشر بابا كما هي بروج الفلك وانه فصله على ثمانية وعشرين فصلا على عدد المنازل .

كان هذا الشريف من المع رجال مدغرة ورث العلم والصلاح عن والده المتوفى سنة 1044 هـ وعن اجداده الكرام واشتهر

باطلاعه، على السيرة النبوية فالف فيها ارجوزة سماها الوسيلة الى الرهن من صاحب الوسيلة اشار اليها في الورقة الثانية والثلاثين من كتابه كما اشتهر بالتصوف فالف فيه كتابه الموسوم بمريد الطريقة وسلوك سبيل الحقيقة اشار اليه في كتابه ايضا في الورقة 129 .

وكان لاينعت الا بالفضل والصلاح ذكره الشريف سيدي عبد السلام بن الطيب القادري في كتابه الدر السني في بعض من بفا من النسب الحسن (2) فاثني عليه وجعله ضمن سلسلة ذهبية من هاته الشجرة الشريفة فلا يذكر اي واحد منها الا وهو موسوم بالعلم او بالجهاد او بالزهد او بالانفاق على مصالح العباد .

رأس هذه السلسلة المذكورة هو المولى علي الشريف الذي كان لايفتر عن الجهاد بالاندلس ثم ابنه يوسف العالم الذي خلف بعد موته اربع خزان للكتب ثم ابنه الحسن الذي كان يحفظ المدونة ثم ابنه طاهر الذي كان ييمن عليه خوف الله في غدوه ورواحه وفي ليله ونهاره ثم ابنه علي الزاهد ثم ابنه عبد الله وهو والد المؤلف الذي اشتهر بالعلم والصلاح .

وبعد ذكر هذه السلسلة قال الشريف سيدي عبد

السلام القادري وهؤلاء المذكورة هم القاطنون لهذا العهد بقصبة توريرت من مدغرة دارهم دار علم ودراية وصلاح وولاية لم يزل ذلك يعرف من احوالهم وفي ابناءهم ورجالهم وكم في بني عمهم الاخرين من الاخبار امثالهم .

وعلى كل حال فالمؤلف لم يكن غفلا ولامخاتلا ولامدعيا ولهذا كان كتابه محبوبا متداولا ونافعا مفيدا وقد حبس المولى عبد الله نسخة منه على خزانة القرويين في شهر رجب من عام ستة وخمسين ومائة والى وهي نسخة مكتوبة بخط مغربي جميل واضح رقمها الترتيبي 264 وتشتمل على مائة وخمس وستين ورقة وسنعمل بحول الله على تقديم ملخص عنها ليتعرف القراء على محتوياتها وليعمل المهتمون بالثقافة على تحقيقها ونشرها وستدمج فصولها داخل ابوابها رغبة في الاختصار ولقد سبق لنا انها تشتمل على اثني عشر بابا .

الباب الاول في الامر بالجهاد وذكر احكامه وادابه

وهنا استدل بآيات قرآنية متعددة وباحاديث نبوية مختلفة، فمن الآيات التي استدل بها قول الله تعالى (ظ و 5) .. كتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير

وجولوا في الميدان وحققوا ادعاءكم الايمان بمجادلة اتباع الشيطان..

وانشاء هاته الخطبة علا صوته واحتدم غضبه وخص جماعة من مخاطبيه لم يكونوا قد شعروا بما يجب شعورا تاما فقال لهم : «اهون بكم من شجعان ابغض بكم من فرسان ؟ اف لكم ياضلال، تبالكم يامن لا تخطر له المعالي بيال، متى يؤذن ما بكم من حور بانتقال؟ متى ينقضي ذيل الجبن المطال ؟ متى تهضون لقتال الاوباش الاندال، متى تتضمنون سيف العزم لمجادلة طوئف سفلة اردال.

وما تصفحتم نصوص الدفاتر فيما ورد عن السلف الصالح من الصبر في ذات الله والاحتمال ؟ او ما قرأتم في الذكر نداء الاكرام والاحلال ؟ اتصائمكم بعد استماع الكتاب العلي ؟ ام تعاميمكم بعد ان وضع الحق الجلي، ام تحبون لعباوتكم انكم غير مخاطبين ؟ ام تظنون لجفائكم انكم غير مكلفين ؟ ام تعتقدون ان كفاركم اليوم لا يستحقون الجلاد ؟ ام جبنتم عن مقارعة الاجناد الازغاد، ام لكم براءة استنتكم من عموم دعوة العباد، ام تقولون نحن اشتغلنا بمجهاد انفسنا والاولاد، فيوقعكم الشيطان مع من صاد».

وهكذا يستمر في خطبه يستهضم ويثير حمتهم ويدفعهم الى الاستشهاد ليكونوا من السابقين الاولين الذين يتعالون عن الدنيا ويانفون الضيم ولا يستسلمون للهوان.

وكانت عادة المؤلف انه كلما واثته الفرصة اطلق جماح قلمه ولسانه وهب يدعو الى الجهاد بعنف وقوة حيناً، وبلين واستعطاف حيناً آخر ويستدرج المستمعين اليه بكل الوسائل الاقتناعية التي يعتمد عليها في اسلوبه الخطابي ويستدل من حين لآخر باقوال السابقين.

وكان في هذا الموضوع يعتز باقوال والده رحمه الله ويستلهم منها سداد الرأي وقوة التوجيه فقد ذكر اثناء استفسار همهم ما يتأق (وا2).

«ورحم الله والدي ابو محمد بن علي وابقاه لخل ما اعتاص من اشكال وارد حيث قال : الذل ذاله يشير الى الذم ولامه الى اللوم، والجبن جهل وبلادة وندامة، والعجز عيب وجور وزلل، والكسل كلل وسلب ولعن، والقعود قرح وعيب ووهن ودغل، والتخلف تجبر وخورا أو خزري ولد وفساد، فكيف يرضى بهذه الخمازي من له عقل قويم او كيف لا يتجنبها ذو الرأي المستقيم.

ومن المعلوم ان امثال هذه الاقوال قد يكون لها تاثير اثناء

لكم. وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم، وانتم لا تعلمون (البقرة 216) وقوله تعالى (ظ و 6) : وقتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، ان الله لا يحب المعتدين، واقتلوهم حيث نفقتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم. (البقرة 190 - 191) وقوله تعالى (و 8) انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (التوبة 41).

وكان يمزج بين الآيات وشروحها ويسهب احيانا في الشرح حسب الحاجة اليه فلقد شرح قول الله تعالى.. «انفروا خفافا وثقالا» بشروح متعددة حسب الروايات الواردة عن الصحابة وكلها مقبولة عقلا وغير متنافية مع الواقع فقد قال ابن عباس نيشاط وغير نيشاط وعن الحكم مشاعيل وغير مشاعيل وعن الحسن في العسر واليسر وعن زيد بن اسلم فتيانا وكهولا وعن عكرمة شبايا وشيوخا وعن غير هؤلاء مرضى واصحاء او خفافا وثقالا من السلاح او فقراء واغنياء وغير ذلك من التأويلات القابلة لمفهوم الخفة والنقل.

ونقل بعض الروايات المفصحة عن بعض هاته المعاني والمبينة لحرص المسلمين على الجهاد فمن ذلك ما رواه عن ايوب رضي الله عنه انه كان لا يتخلف عن اية غزوة الا عاما واحدا وكان يقول : قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا اجدني الا خفيفا او ثقيلًا ومن ذلك ما ذكره عن سعيد بن المسيب انه خرج الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استفر الله الخفيف والثقل فان لم تمكن الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

والظاهر انه كان يحرص على الاكثار من الجزيات المحرصة على القتال ليدفع المجاهدين الى الاستجابة لقوته فيهرعوا للمقاومة ويسرعوا اليها كما هرع الصحابة والتابعون، ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :«عليكم بالجهاد فانه باب من ابواب الجنة يذهب به الله اثم الغم» (ظ و 10).

ولم يسعه بعد ذكر هذه الآيات والاحاديث والقصص الا ان ينادي باعلي صوته ان جاهدوا وقاموا ان لم تفعلوا فستكونون قد اخللتم بالواجب واهلتم روح الحياة.

وكان في خطابه شديد اللهجة قوي الاندفاع يكاد يكون في اندفاعه صورة من علي بن ابي طالب كرم الله وجهه حينما كان يحض جيشه على الجهاد ويدفعه الى الاستجابة فقد قال (ظ و 11) فانظروا رحمكم الله ما تلي عليكم من آيات قرآنية وورد على آذانكم من احاديث مصطفية وكروا على الفرسان

تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدًا، ذلك الفوز العظيم
(التوبة 100).

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من
المناسبات الحث على سرعة الاستجابة لاعلاء كلمة الله فقد
اخرج في كتاب شفاء الصدور (ظ 31) عن نفيح الحارثي
عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال : «الاناة في كل شيء خير الا في ثلاثة ان صحح في حيل
الله فكونوا اول من ينقر واذا نودي للصلاة فكونوا في اول من
يخرج واذا كانت الجنابة فمجلوا بالخروج بها ثم الاناة بعد خير..

وفي هذا الباب تحدث عن وجوب الخذر والتيقظ وعن
استعمال الخدع الحربية ما لم تكن عدرا لان الحرب بطبيعتها
تحتاج الى التورية والتستر وقد اشار الى ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا هم بغزوة وري بغيرها كما اشار الى قيمة الخذر في
اكتساب الظفر والى ما تجره الغفلة وعدم التيقظ من الحسرن
والبوار ومثل لذلك بالنصر الذي بلغ اليه يوسف بن تاشفين
اثناء حربه للادفونش وللهزيمة التي وقعت لابي الحسن المريني
حين فقد عناصر الخذر ومقومات المواجهة.

وختم هذا الباب بذكر صفات مستحسنة لا يستغني عنها
الغازي اقتبسها من قول السمرقندي الذي يقول (الورقة
34): (ينبغي للغازي ان يلتزم عشر خصال في الحرب، ان
يكون في قلب الاسد فلا يجبن، وفي كبر الثمر فلا يتواضع لعدوه،
وفي شجاعة الدب يقاتل بجميع جوارحه، وفي حملة الخنزير فلا
يولي دبره اذا حمل عليه، وفي غارة الذئب اذ يس من وجه اغار
من وجه آخر، وفي حمل الاثقال كاثملة تحمل اضعاف وزنها، وفي
ثباته كالخجر لا يزول من مكانه، وفي صبره كالحمار اذا اثقلته
نصول السهام وضرب السيوف، وفي وفاء الكلب لو دخل سيده
النار لا تبع اثره، وفي التماس الفرصة كالديك.

الباب الرابع في ذم الفرار من الزحف وفضل
القيام في الصف

بدأ هذا الباب بقوله (35) : «اعلم ان الفرار من الزحف
من كباير الذنوب قال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اذا
لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار، ومن يولهم يومئذ
دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله
ومأواه جهنم وبئس المصير» (الانفال 15-16).

وتقول في الموضوع احاديث كثيرة منها ما روي الطبراني
عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ثلاثة لا ينفع معهم عمل : الشرك بالله، وعقوق الوالدين،

الالتحام الجماعي الذي تتلاشى فيه الانانية الفردية والذي
تقوي فيه الحماسة الاندفاعية والغالب ان هذه الخطب المثيرة
التي ذكرها في كتابه لم تكن الا مدونات لما كان يلقيه في المحافل
العامة لان الاسلوب الخطابي ظاهر في جرسها وفي فواصلها.
وقد تداول المغاربة هذه الخطب وكانوا يستعملونها كلما
دعتهم الضرورة الى ذلك نظرا لقوتها ولصدق قائلها فتأثيرها لا
يزول خصوصا اذا كانت الاسباب الدافعة الى ترادها موجودة،
وكانت الاستجابة اليها عند الخطابين معهودة.

الباب الثاني في معرفة من يحارب وشرط وجوب
الحرب وجوازها وشرط النكاية والمهادنة ومنع
الاستعانة بالمشرك

وهنا ذكر الذين يحاربون هم المشركون او المتلصصون وان
الحرب تجب على الذكر المسلم الحر العاقل البالغ القادر وانه لا
يجوز في الحرب نكاية بالمرأة والشيخ والطفل والمزمن مالم يساهم
هؤلاء بشيء ضار بالمسلمين كما تحدث عن الذمي ووجوب
احترامه ونقل عن اللخمي القول
الآتي : (ظ 23) : «وان علم من ذمي عندنا انه عين
يكاثرهم بامر المسلمين فلا عهد له» وقال سحنون يقتل حينئذ
الا ان يرى الامام استراقه.

وهنا تعرض للحكم الذي يجب ان يلقاه الجاسوس اذا كان
مسلمًا وذكر فيه اقوالا خمسة.

اولا : القتل مطلقا وهو لابن القاسم وسحنون
ثانيا : القتل الا ان تظهر توبته وهو لابن وهب.
ثالثا : القتا إن كان معتادا لذلك فان ظن به الجهل
وعرف بالغفلة بكل وهو لعبد الملك.
رابعا : التخيير للامام بين القتل والنكاية وهو لمالك.
خامسا : انه ينكل بالجلد الشديد ويحبس حسبا طويلا
وينفي ولم ينسبه لاحد.

الباب الثالث في فضل المسارعة الى الجهاد وبيان
مرتبته من الدين واستحباب التيقظ من الحرب
(ص 30)

واستدل هنا على فضل المبادرة بقول الله
تعالى : «والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعدهم جنات

والفرار من الزحف : « وروي ابن حبان ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن يكتب فيه الفرائض والسنن والديانات فذكر فيه، ان اكبر الكيثر يوم القيامة الاشرار بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق، والفرار يوم الزحف في سبيل الله، عقوب الوالدين (36).

وبعد ذكر هاته الآيات والاحاديث تدخل المؤلف كعادته في الكتاب وخاطب المستمع اليه بقوله : «فاجل مقام ربك، وعظم نظره اليك، وتهيب من اطلاعه عليك، واسأله ان يثبتك ويقوي ضعفتك ويعصمك من فرار يسر به عدوك الشيطان، ولا يرضاه من اولاك كل مجد واحسان فشجع قلبك، وانبذ جنبك، واعلم بان الله تعالى حاضر معك وشاهد عليك، وربيك مطلع عليك فخف سطوته، واحذر بطشه، إن رأك مارا بين يدي اعدائه مماطلا بتسلم نفسك بعد عقد شرائه وتنبه الى ان الفرار مذمة وعار، لا يزيد في عمرك ما لا ينقصه الثبات، اذ لا يتقدم الاجل ولا يتأخر لحظة وقت الممات ومن سقى في علم الله انه يموت قتيلاً فلن تجد لما حكم الله به تبديلاً».

وإذا رامي المقادير رمي فدرع المرء اعوان النصال
وقد خم هذا الباب بالدعوة الى الاغلاظ على الكافرين اذا وقع القتال ليلا يضطرب امر المسلمين او تنهزم راياتهم وأشار الى ما كان يذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعواته حيناً كان يقول : «اللهم اجعلني حرباً لمن حاربت مسلماً لمن سالت (الورقة 41).

الباب الخامس في فضل انغماس الرجل الشجاع او الجماعة القليلة في العدد الكثير قصداً لنكاية العدو مع ذكر حكم المبادرة

بدأ هذا الباب بقول الله تعالى : «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، والله رؤوف بالعباد» (البقرة 207)
وقد حرص المؤلف على ابراز فضل المواجهة والمبارزة. وبين ان من كانت له العزيمة الصادقة او من كان يعلم انه بعمله سيفت جيش العدو، او انه سيرفع المعنوية عند المجاهدين فانه اذا قاوم بصدق واخلاص فسينال عند الله احسن الجزاء، واستدل على ذلك بتصوص مختلفة من كتب الفقه ومن كتب الحديث.

ومما نقله في الحث على الجهاد ما روي عن ابي بكر بن ابي موسى الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (42) : «ان ابواب الجنة تحت ظلال السيوف».

ومنها ما أخذه من كتاب شفاء الصدور ولفظه : «ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على الناس يوم بدر وحرصهم على القتال ثم قال والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابراً محتسباً مقبلاً عبر مدبر الا ادخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام اخو بني سلمة وفي يده ثمرات ياكلهن او ياكلها يخ يخ فما بيني وبين ان ادخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء فقتل الثمرات من يده واخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

ركضا الى الله بغير زاد الا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد فكل زاد عرضة النقاد
غير التقى والبر والرشاد

والمؤلف كعادته لم يكن يكتفي بالنقول في مثل هذه الموضوعات وانما كان يتدخل بتوجيهاته وتبني روح الكفاح في نفوس المقاومين، قد يبلغ به الحد احيانا الى درجة التبريع والتوبيخ.

والسبب في ذلك قوة غيرته وشدة ارجحته وحدة قلقه مع الوضعية المزرية التي حلت بالمسلمين في كثير من مواقعهم فالسواحل محتلة والامرى المسلمون في ايدي الاعداء ينتظرون من يجرهم ومن يفك اغلالهم ولهذا صاح بصيحه المدوية فقال : (49).

«عجبا كيف ينبغي لمدعي الاسلام فضلا عمن يتشوف لافعال الكرام ان يكون حيا بعد استيلاء الكفار على السواحل واستبدال مواطن ذكر الله بنشر الغي والباطل.

على مثل هذا يقتل المرء نفسه
ويخلو له مر الممات ويعذب

ثم قال بعد ذلك:

«ابن ارباب العزم، ابن اخوان الحزم، ابن الفوارس الانجاد، ابن الكماة الاجواد، ابن اصحاب العصية؟ ابن اهل الحمية؟ ابن ذوو الشفقة على اخذان الايمان، ابن اصحاب الغلظة على من لج في الكفران، ابن من تعرفه السيوف، ابن من تخاف وطأته الصفوف، ابن ضراغمة الهيجا، ابن صقور لحم العداء ابن الابطال الكاشفون الغمم، ابن الصائون الاهل الذائدون عن الحرم، ابن السמידع الجريء الجنان، ابن الباسل المقدام في الطغيان....

وهكذا يستمر في تعداد الصفات المرجوة لانقاذ الموقف واخراج المغرب من قبضة الاعداء المستبدين به المختلين لجزء من اراضيه.

ومن ثم كان لهذا الكتاب اثر واضح في رفع الهمة وفي تنمية

فآثر حماية الدين بالكفاح والمواجهة على حمايته بالانسحاق الى الالتزام الذاتي باسهل طريق ونقل في هذا الموضوع ما اخرجه البيهقي في الشعب وابن عساكر وغيرهما عن عسعر بن سلامة ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد رجلا من اصحابه فقال اردت ان اخلو بجبل وان اتعبد قال لا تفعله ولا يفعله احدكم فليصبر ساعة في بعض مواطن الاسلام افضل من عبادة اربعين سنة خاليا (59).

ونقل اثر هذا الحديث حكاية تؤيد قوله وهي قال محمد بن ابراهيم ابن ابي سكينه املي على عبد الله بن المبارك اياتا بطرسوس وارسلها معي الى مكة الى الفضيل بن عياض وهي:

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا
لعلمت انك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فحورونا بدمائنا تتخضب
او كان يعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصيحة تعب
ريح العبير لكم ونحن غيرنا
وهج السنايك والغبار الاطيب
ولقد اتانا من مقال نينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في
انف امريء ودخان نار يلهب
هذا كتاب الله ينطق نينا
ليس الشهيد ميت لا يكذب

قال فلقيت الفضيل بكتابه فلما قرأه ذرفت عيناه ثم قال صدق عبد الله ونصحتني.. قال المؤلف ففي هذه الحكاية اتفاق هذين الامامين الجليلين على ان الجهاد افضل من العزلة والانفراد.

واستمر في هذا الباب على مثل هذا النسق الدال على تعمقه في الدراسة الفقهية والسنية وعلى معرفته بمدى الخير الذي ينصب على المؤمنين الذين ينشدون العزة ويطلبونها بأموالهم وانفسهم فرحمه الله وجزاه على تلك الارجحية المنبثقة من نفس مومنة تعرف ما لها وما عليها وتستحضر من تاريخ الاسلام وتاريخ ابطاله وصلواته ما ينفعهم في الحال والمآل.

العزيمة وتقوية روح المقاومة التي هي من طبيعة المغاربة في كل عصر وحين، فليس ما يكتبه المؤلف او ما يخاطب به المستمعين اليه يعد تجريبا لهم او استخفافا بمواقفهم ولكنه تصور ناتج عن القوة النفسية التي يمتاز بها وتسجيل عملي لاندفاعه المتكرر الذي لا تخلو ثنابي الكتاب منه في كل مناسبة تقتضي ذلك.

الباب السادس في فضل الجهاد والمجاهدين

بدأ هذا الباب بقوله (53) : «لا مربة في ان الله تعالى ايد هذا الدين المحمدي بالجهاد ووعده الساعي فيه بالوصول الى تبين المراد، فاعظم به من امر لا تخصي فضائله، كما انه قدمت على كل خير عملي نوافله.

وهنا اكثر من الاستدلالات القرآنية والحديثية ايرازا لفضله وتشخيصا لقيمته وتبيننا لمنفعته

من ذلك قول الله تعالى «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله وجنات ، اولئك هم الفائزون يشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ايدا ان الله عنده اجر عظيم» (التوبة 20-21-22)

ومن ذلك قوله عز وجل : «ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن، ومن اوفى بعهده من الله فاستشروا بيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» (التوبة 111)

ومن ذلك قوله تعالى «يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون».

واما الاحاديث النبوية التي استدلت بها فكثيرة جدا كلها تدعو الى الحزم والجدية وعدم الاستسلام لنزغات الشيطان تنقل من نماذجها ما اخرجه ابن عساكر عن ابي امامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما وقعت قطرة احب الى الله من قطرة دم في سبيل الله او قطرة دموع في سواد الليل ولا يراها الا الله عز وجل» (الورقة 77)

وهنا حاول ان يقارن بين فضل الجهاد وبين العبادة الفردية الانعزالية التي تجعل الشخص منزويا في زاوية من الزوايا او معتكفا في معبد من المعابد دون ان يسهم بجهاد عملي يحمي الامة من الضعف والذل والصغار، بل بلغ به الاندفاع الى المقارنة بين الجهاد وبين اختياره بعض الاماكن المقدسة للعبادة

الباب السابع في وجوب النفقة في سبيل الله عز وجل وذكر فضلها وفضل تجهيز الغازي وأثم من خانه

وبدأ هذا الباب بقوله (80) «اعلم ان القتال مدافعة تشتمل على عدة وزاد، فلا يم امره الا باعمال العزيزتين : الشجاعة والجلود، ولذلك كان اشد الآفات في الدين البخل والحين».

ومما نقله هنا ما اخرجه حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «لما نزلت مثل الذين يتفقون امواهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء (البقرة 261) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة (البقرة 245) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزلت اثما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب (الزمر 10).

كما نقل ما اخرج في شفاء الصدور عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ايما رجل سمع بغاز فنهض اليه ليعينه على حاجة من حوائجه او شيعة ساعة او سلم عليه نهض وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وهو رفيقه يوم القيامة مع الشهداء، ومن جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل اجره حتى يموت، ومن بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة (ص 84).

ويمثل هذه النقول كان يجب الناس في الخير ويستميلهم الى الانفاق في سبيل الله ويدعوهم الى الاسهام في الدفاع عن حوزة البلاد وفي الحرص على حماية الدين بانفسهم وامواهم لانهم حين يسهمون بذلك لا تضع اعماهم ولا تذهب سدى فهم ينتظرون اجرهم عند الله بغير حساب».

الباب الثامن في الامر باعداد العدة للجهاد وفضلها وفضل الرمي واحتباس الخيل (ص 82).

وهنا ابان قيمة اعداد الاسلحة وقيمة اعداد الاشخاص لاستعمالها ومعالجتها واستدل بقول الله تعالى : «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» (ص 93).

واشار الى قيمة الرمي بالسهم وما في ذلك من الفائدة العائدة على المسلمين، ونقل احاديث نبوية كثيرة في الموضوع منها ما اخرجه البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «علموا ابناكم السباحة والرمي والمراة المغزل» (ص 93).

وبعد ذكر هذا الحديث قال : «ينتزع من الحديث الكريم ان الرامي بالمدفع الذي احده عثان جوق او ابنه ابو يزيد التركي داخل في زمرة من رمى بالسهم وملحق ان شاء الله بمن يرتجي من وعد ربه من رمي بها في سبيل الله تعالى فهي مع النبل كقرسي رهان ولا فارق بينهما يبدو وفي العيان، والدليل على ذلك انه لم يقل احد من السلف ولا نقل شخص من الخلف ان الحجارة لا يرمي بها لانها غير السهم ولا انه غير متاب من ضرب بها ولا ليس بشهيد من قتل بها بل الاجماع تم على ان كل ما نيل به العدو ويؤجر عليه فاعله.

وهكذا نستشف من المؤلف الدعوة الى استعمال احداث الاسلحة والى التزود بها في الحرب لان الاعداد لا يتحصر فيما هو موجود فقط بل انه اعداد متطور ينبغي تهيء المسلمين اليه بالاسهام في احداث المعامل وفي اعداد المهندسين الصالحين لاستخدام كل ما يصلح لحمايتهم ووقايتهم من شر اعدائهم فان التزود بوسائل القوة والدفاع يثبت وجودهم ويعلي شأنهم.

الباب التاسع في ذكر الرباط وفضله وفضل عمل المرباط والمجاهد

وهنا اشاد بذكر المرباطين وما هم من الاجر العظيم نظرا لصبرهم وتحملهم وزهدهم في ملذات الحياة، ونظرا لما يعانونه من احوال الخوف واتعاب السهر. ويكفينا دليلا على ذلك قوله تعالى : «ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» (آل عمران 200) وفسر المؤلف هذه الآية بما يأتي :

اصبروا اي على مشاق الطاعة وصابروا اي غالبوا اعداء الله بالصبر على شدائد الحرب ورابطوا اي رابطوا بايدانكم وحيولكم في العتور مترصدين للغزو».

ومن المعلوم ان المرباطة كانت من اهم الركائز التي بنيت عليها الدولة الاسلامية فقد كان المسلمون يتسابقون الى المشاركة فيها ويعملون جهد مستطاعهم ليكونوا حراسا للحدود وان يكونوا مقاومين لكل عدوان ياتي من الخارج ولهذا كانت الكتب الدينية تتحدث دائما عن قيمة هذا الموقف وتنقل ما ورد فيه من احاديث وما ورد من آيات. وقد كان مؤلف هذا الكتاب حريصا على ذكر ذلك لما في هذا الذكر من تحقيق الاهداف التي يتوخاها ويرجوها.

موت وهي في صدره وان الله عز وجل يدعوه يوم القيامة الجنة فتاتي بزخرفها وزينتها، فيقول الله ابن عبادي الذي قاتلوا في سبيل الله وقتلوا او اودوا وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب، وتاتي الملائكة يسجدون فيقولون ربنا نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا، فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي فتدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (106).

ومن الايات القرآنية التي جاء بها وحللها وترجمها شرحا وافيا قول الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون..

وبعد تعرضه لمفهوم الحياة وهل هو حقيقة او مجاز قال : (108)

.. النفس اميل الى القول بانهم احياء حقيقة وفي الحال لما ان الله تعالى اخبر بانهم احياء فوجب الوقوف مع الظواهر ولا يصرّف اللفظ عن معناه الاصلى الا اذا اوهم ظاهره محالا. وهنا لا مقتضى للعدول عن ظاهر اللفظ لان القادر على ان يحييهم يوم القيامة قادر عليه الان.

هذا في الجواز العقلي واما بحسب العرض فيجب الايمان بانهم احياء وان لم نشعر بحياتهم كما اذا رأينا شهيدا ابقى في الارض حتى تقطعت اوصاله او أكلته السباع لان احوال الآخرة عادة اخرى غير هذه التي نعهد وقد ارشدنا تبارك وتعالى الى ذلك بقوله ولكن لا تشعرون. وهذا من بديع حكمته تعالى اذ لو شعرنا بكيفية حياتهم لفاتنا ما اقتضته المشيئة منا وطلبته الشريعة من الايمان بالغيب.

وايضا فقد دل على حياتهم آثار كثيرة وقد قال الاصوليون ان الظواهر اذا تضافت على شيء افادت القطع فيلزم بمقتضاه الجزم بحياتهم.

وايضا فلو كانت الأرواح فقط هي الحية لم يبق لخصوص المدحة حياتهم معنى لانه لا وجه يبدو للثناء عليهم بالحياة ايضا اذ قيل انهم سيحيون إذ الاجبار بانهم سيحيون امر مشترك بين المقتول والقاتل.

ورغم حديثه عن فضائل الشهادة فانه ذكر احديث تنبئ

ومما استدل به في هذا الموضوع ما اخرجه الترمذي وحسنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله واخرجه ابو يعلى والطبراني في الاوسط عن انس بلفظ عينان لا تمسهما النار ابدا عين باتت تكلاً في سبيل الله وعين بكت من خشيتها» (ص 104)

ومما استدل به ما اخرجه الطبراني عن معاوية بن حيو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترى اعينهم النار عين حرس في سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله..».

وعلى كل حال فان جل هذه الاحاديث تغري المرء بالصبر وتدفعه الى الطاعة وتجعله حريصا على الاستقامة في سبيل الله. وختم هذا الباب بما اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا انبؤم بليلة افضل من ليلة القدر حارس حرس في ارضه خوف لعله الا يرجع الى اهله.

الباب العاشر في فضل الشهيد المقتول في سبيل الله (104)

قال في هذا الباب:

اعلم ان رتبة الشهادة للفضائل جامعة ومنزلتها لاعلام الشهادة رافعة لدينا لها الا من سقت له العناية ولا يلقاها الا من بلغ في المجد الغاية ولا يصفحها الا مقدم هام عن هوى دار فانية محبة في الفطر على العسل المصفي في الدار الباقية.

فيا مبتغى الما ذي شد حياز ما

فلا بد دون الشهيد من ابر النحل

ولقد اكثر من الاختيارات الحديثة الدالة على فضل الاشتهار في سبيل الله كما نقل بعض الايات القرآنية في ذلك.

فمن الاحاديث ما اخرجه احمد والبخاري وابن حبان والحاكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ثلاثة يدخلون الجنة الفقراء المهاجرون، الذين يتقي بهم المكاره، اذا امروا سمعوا واطاعوا، وان كانت للرجل منهم حاجة الى السلطان لم تقض له حتى

الا على فرس ابلق فلما سمع المعتصم ذلك جمع من الخيل ابلق ما جهز به جيشا وغزا عمورية ففتحها وانقذ المرأة من الاسر.

ولقد جعل هذه القصة مثالا عمليا للمسلم الواعي الذي لا ينسى واجبه ولا يهمل اخوانه ويربط بينها وبين الواقع الذي يحياه المسلمون في عهده حيث اصبح يرى عددا من الاسرى يرسفون في اغلال من القيود ويعيشون من وراء الحدود فلا يؤبه بهم ولا يجاهد من اجلهم فاسف وقلق ورأى ان اهمالهم اهمال للواجب المقدس الذي يدعو المسلمين الى الوحدة والتآزر والتناصر.

واستغل هذه الفرصة كعاته للحض على الجهاد والقتال من اجل انقاذ اسرى المسلمين واخراجهم مما هم فيه من الذل والصغار وبلغ به الغيظ الى التفرغ والتبويخ فقال : (160)

احسن بمن سالم من قد حاربـــــــــــــــــه
ابغض بمن ترك من قد ضاربه
اي وجــــــــــــــــود قد اتى لمن ترك
اخوانـــــــــــــــــه في ذل اسر وشرك
واللـــــــــــــــــه لولا مذهب الحق لزم
لقلب انكم خيال وعدم
لولا احتساب اجر رينا الكريم
ما كان عقل من يحضكن قوم
لوكان لي رأي يطــــــــــــــــاع عكسوا
فاستجد والجماد او من رمسوا

وانتقل بعد ذلك الى الخاتمة التي خصها بالذكر النفل والسلب والامان وما يتعلق بذلك من الاحكام الفقهية العامة.

وعلى كل حال فالكتاب يعد نموذجا من نماذج التأليف في القرن الحادي عشر بالبلاد المغربي ويبين مدى الغيرة التي كانت لمؤلفه - وهو من الشرفاء العلويين - على المسلمين الذين كان يرجو لهم دوام العزة واستمرار الظفر وديمومة الانتصار فرحمه الله برحمته الواسعة واعاننا على استرجاع مجد المسلمين انه على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ
محافظ خزانة القرويين

ان الشهيد يغفر له كل شيء الا مظالم العباد. وقيل ان هذه المظالم اذا كانت دينا فان على الامام قضاءها عليه فان لم يقضها تولى الله تبارك وتعالى قضاءها عنه وارضى خصمه، وهذا مشروط بان يكون الشهيد حين اخذ الدين ناويا ارجاعه والدليل على ذلك ما اخبره البخاري من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من اخذ اموال الناس يريد اداها ادى الله عنه».

الباب الحادي عشر في ذكر بعض حكايات المجاهدين والشهداء (131)

وهنا اشاد بذكر بعض النساء اللاتي كن يخرسن على تقديم ابائهن فداء لله وحماية للدين ويصور بطولتهن العظمى الدالة على ان المرأة المسلمة كانت واعية بدورها قادرة على التضحية في سبيل الله وقد نقل من كتاب اسمه تبيين ذوي الاقدار على مسالك الاثر ان ام ابراهيم الهاشمية كانت من النساء العابدات بالبصرة فاغار العدو على ثغر من ثغور الاسلام فانتدب الناس للجهاد فقام عبد الواحد بن زيد الزاهد البصري في الناس خطيبا يحضهم على الاستشهاد وكانت ام ابراهيم حاضرة فلبت النداء وحضت ابنا على السير قدما في سبيل الله فلما ذهب الى الجهاد كانت تمنى ان يكون دمه سقيا لشجرة الفداء وكانت تعتبر ذلك هدية منها الى الله فلما رجع الجيش قالت لعبد الواحد يا ابا عبيد هل قبلت هديتي فاهنا ام ردت على فأعزى فقال لها : قد قبلت هديتك والله ان ابراهيم لحي مع الاحياء يرزق قال : فخرت ساجدة شكرا لله تعالى وقالت : الحمد لله الذي لم يجيب ظني وتقبل نسكي مني.. ثم نقل بعض القصص من كتاب مشارع الاشواق لابراهيم بن النحاس ومن كتب اخرى ككتاب روض الرياحين للياضي وكتاب روضة الحقائق لابن عبد الله بن الحلال.

الباب الثاني عشر في المغانم وتحريم الغلول وذكر الجزية ووجوب فك الاسرى

ذكر في هذا الباب امثلة حية مختلفة تدل على همة الملوك والخلفاء في الدفاع عن المسلمين وفي فك اسراهم وفي تحرير سجنائهم. واعجب غاية الاعجاب بقصة المرأة التي لطمها اعجمي في عمورية على عهد المعتصم العباسي فقالت وامتصماه فاستخف بها الذي لطمها وقال لها لا يأتي المعتصم

مَوْقِفُ السَّلْطَانِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُلُويِّ مِنَ كُتُبِ الْفُرُوعِ

1134 - 1904 هـ

لِلْأَمْتَادِ عَبْدِ الْهَادِي الْحَسِينِ

المؤمن، الا انهما لم يظهرهما، واطهره يعقوب هذا (2) .
كان هدف يعقوب المنصور من حرق كتب الفروع، هو
محو الخلافات الفقهية، والاقوال المتعددة المتشعبة، التي عقدت
بساطة الفقه المالكي .

يقول الناصري في كتابه «الاستقصا» (3) امر يعقوب
برفض فروع الفقه، وان الفقهاء لا يفتون الا من الكتاب
والسنة النبوية، ولا يقلدون احدا من الائمة المجتهدين، بل تكون
احكامهم كما يؤدي اليه اجتهادهم، من استنباطهم القضايا من
الكتاب والحديث والاجماع والقياس .

(2) المعجب للمراكشي. ص : 40 ط. دار الكتاب 1978. ورغم
حجارة الموحدين للمذهب المالكي، فانهم لم يحاربوا الا امام مالك
وكتابه الموطأ، وانما حاربوا كتب الفروع والفقهاء الذين يعملون
بها. انظر «مظاهر النهضة الحديثة» ج 1، ص : 279،
لصاحب البحث

(3) «ج 1، ص : 178 ط. دار الكتاب .

تمهيد :

بعد ان تولى حكم المغرب، ابو يوسف يعقوب المنصور
الموحدي سنة 585 هـ، اصبح يشعر بالخطر، ازاء الحالة التي
وصل اليها الفقه المالكي من تشعب الازاء، والعمل باقوال
الفقهاء المالكية، والاعتماد على كتب الفروع، بدل الاخذ من
نصوص القرآن، وسنة رسوله عليه السلام .

من اجل هذا وذلك، اراد ان يقضي على المذهب
المالكي، وعلى اصحابه الفقهاء ويرد الناس الى مصدر التشريع
الاسلامي من الكتاب والسنة، فاصدر امره باحراق كتب
الفروع المالكية سنة 591 هـ (1)، في انحاء البلاد المغربية، بعد
ان تجرد من الايات القرآنية والاحاديث النبوية .

وهذا المقصد بعينه، من مصادرة كتب الفروع
وحرقتها : كان مقصد ابيه ابي يعقوب يوسف، وجده عبد

(1) انظر كتاب «مظاهر النهضة الحديثة» ج 1، ص : 207
لصاحب البحث

ومثل هذا الصنيع، هو الذي عطل سير الفقه، الى الامام، ووقف تقدمه، حتى كان بعض علماءنا الاجلاء، يستكبرون هذا العمل .

يروى عن ابن اسحاق الشاطبي صاحب «الموافقات» ت سنة 790 هـ انه قال : ان ابن بشير وابن شاس، وابن الحاجب، افسدوا الفقه، وكذلك قال بهذا القول، الفقيه احمد القباب الفاسي ت سنة 779 هـ قبل الامام الشاطبي (6) . ويزوال الدولة الموحدية وانقراضها على يد المرينيين بصفة نهائية، سنة 667 هـ 1267م تعطلت تلك النهضة الحديثة المباركة، ورجع العمل بعلم الفروع، كما كان من قبل، بل اكثر . وضرب على يد علماء الحديث . يقول صاحب كتاب بيوتات فاس الكبرى (7) . ولما تولى يعقوب المريني ت سنة 685 هـ مملكة المغرب، طلب منه اهل المغرب الرجوع في القضاء الى مذهب مالك، فامر قضاة المغرب بذلك، وترك العمل بالحديث ...

رد المرينيون الاعتبار والعمل لكتب الفروع، وردوا لاصحابه الفقهاء المالكية مكانتهم السابقة في عهد الدولة المرابطية، وقربوهم اليهم ليتعاونوا معهم ولينصرفوا لخدمتهم . وزعم ذلك لم يغمط علم الحديث رواية ودراية في هاته الفترة المرينية الاولى، بل بقيت آثار تلك النهضة الحديثة، تتجلى في بعض علمائها الكبار امثال : ابن رشيد السبتي ت سنة 721 هـ وابن عبد المالك المراكشي، صاحب الذيل والتكملة، ت 703 هـ والرئيس ابي محمد عبد المهين الحضرمي ت 749 هـ، وسواهم كثير .

ان المغرب استقر نهائيا من العهد المريني، على فقه مالك، مذهباً يقتدى به ويعمل به، في مختلف الحياة، تشريعا وقضاء وتدرسا، وتأليفا، كما اشتهرت العقيدة الاشعرية مذهب العقائدي، لا يرى عنهما بيديلا .

وهكذا اصبحت كتب الفروع الفقهية المالكية، تدرس وتقرأ في جميع المغرب، من مختصرات وشروح، وحواشي يعمل بمقتضاها، ويفتى ويحكم على ضوءها، ونحوي ما سواها، من كتب التفسير والحديث، ولم يبق العمل بها كما كان من قبل، زمن

ومحاولة حرق كتب الفروع ومحاربتها، ظهرت ببلاد الغرب الاسلامي قبل الموحدين، وذلك ان المحدث الكبير عباسا الفارسي، احرق بنفسه كتب الفروع في وسط مدينة القيروان، اوائل القرن الثالث الهجري في عهد القاضي اسد بن الفرات، سنة 213 هـ حتى ادبه على ذلك هو بنفسه وشهر به (4) . وعلى هذا، فمحااربة كتب الفروع وحرقتها، ابتدأت من اول ظهورها بالغرب الاسلامي؛ لان الناس انكروا على اسد بن الفرات «مدونته» حين دخل بها اول مرة الى تونس، وصاروا يقولون له : جئنا باخمال، واظن، واحسب، وتركت الآثار وما عليه السلف (5)

لقد اثرت النهضة المنصورية الحديثة على الفكر المغربي، وحررت من الجمود والتقليد ودفعت به الى الامام، في جميع الميادين الحضارية والعلمية والسياسية .

ظهرت في هذه الفترة تأليف عديدة ومفيدة في الميدان العلمي، من تفسير، واصول، وفقه، وعلم الكلام، وادب، وطب، وفلسفة، وخصوصا في الميدان الحديثي، فظهرت فيه آنذاك : الاحكام الكبرى، والوسطى، والصغرى، للمحدث عبد الحق الاشيلي الازدي ت سنة 582 هـ وكتاب بيان الوهم والايهام للمحدث الكبير ابن القطان الفاسي، ت سنة 628 هـ وغيرهما من الكتب الحديثة الاخرى، التي تضاهي كتب كبار المحدثين المشاركة، كما نبغ عدد كبير من العلماء في هاته الفترة، كابن رشد الحفيد الفيلسوف، والسهيلي صاحب كتاب الروض الأنف، وابن دحية السبتي، ويحيى بن خلف المعروف بابن المواق، وولده محمد، وكلاهما كان ينعان باختهدين، ولكن سرعان ما تعطلت هاته النهضة الحديثة المباركة، وانطفأت شعلتها الوضاعة، بسبب موت يعقوب المنصور الموحد سنة 595 هـ اصبح المغرب يرجع الى الوراء، بعدما عرف نوعا من الازدهار الثقافي الواسع، والتحرر الفكري المتفتح، والعمل بالسنة المطهرة في العهد الموحد .

كان الفقهاء في هاته الفترة الموحدية، يرجعون الى مصادر التشريع الاسلامي مباشرة، يستقون منها ويستنبطون، فصرنا نراهم بعد ذلك، يشتغلون بكتب الفروع الفقهية، واقول فقهاء المذهب المتقدمين، يقتضرون عليها، ويقفون عندها .

(6) انظر الفكر السامي . للفقيه الحجوي ج . 4 ص : 81 وشجرة

النور الزكية ص : 231 .

(7) ص : 19 ط . دار المنصور الرباط .

(4) المدارك لمعاض . ج . 3 ص : 248 . ط : وزارة الاوقاف . الرباط .

(5) انظر نفس المصدر والرقم .

يعقوب المنصور الموحد، الى ان جاء دور السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي .
حياته ونشأته (8) :

ولد سيدي محمد بن عبد الله سنة 1134 هـ اواخر عهد جده المولى اسماعيل، تربى بين احضان والده المولى عبد الله وجدته، المرأة العظيمة خنائة، بنت الشيخ بكار المعافري التي تنسب الى القاضي ابي بكر ابن العربي المعافري، الفقيه الكبير المجدد ت 543 هـ (9).

وفي سنة 1143 هـ ذهب سيدي محمد رفقة جدته خنائة هاته، الى البقاع المقدسة، صحة عدد من العلماء الاجلاء المغاربة، وهو ما زال في طور الصبي.

رجع من رحلته الحجازية، وفي ذاركنه صورة حية عن المشرق العربي، وفي ذاكرته صورة حية عن المشرق العربي وفي قلبه شعور واحساس قوي بالاخوة الاسلامية، وفي عقله ارتسام وانطباع عن الحياة العلمية بالشرق.

شب تحت رعاية جدته خنائة، فكانت تراقبه وترعاه وتعهده بعطفها وحنانها وتعهده للمستقبل الذي ينتظره، وصدق من قال : ما من عظيم الا ومن ورائه امرأة..

طلب العلم من اول شببته الى اخر حياته، فلم تشغله مهام الدولة عن الطلب والتحصيل حتى صار يؤلف فيه، وبعد من العلماء.

وبمجرد موت والده المولى عبد الله، تمت له البيعة من طرف اهل الحل والعقد، سنة 1171 هـ، اذ كان يبلغ السابعة والثلاثين من عمره.

لقد كانت ممارسته لمهام الدولة في عهد والده مدرسة درس فيها عن كتب، الشؤون القضائية والعلمية والاجتماعية

(8) اقتصر على الجانب العلمي من حياته باقتضاب، حسبما تنطبه الخلة، اما الجوانب الاخرى، فمن اراد ان يتعرف عليها، بالاستقصا للناصري ج. 8 والترجمانة الكبرى للزياني، وغيرها، ولقد خصه احد حريجي دار الحديث الحسنية برسالة الدبلوم، فهي موجودة مرقونة بمكتبها بالرباط .

(9) وخنائة هي معافرية بالعين المهملة، خلافا لمن اعجمها، فهي منسوبة الى جدها الاعلى الفقيه الكبير ابن العربي المعافري، وهي التي كانت طلبت من زوجها السلطان المولى اسماعيل ببناء ضريح جدها هذا، وهو دفن باب اخروق نفاس، توفيت سنة 1159 هـ.

والاقتصادية والسياسية خير دراسة، وشاهد عن قرب احوال القضاة والعمل وسائر من ترجع اليهم الامور، مشاهدة اطلعته على ما يجري في الدولة.

ومنذ ان تولى سيدي محمد بن عبد الله زمام الحكم، وهو يعمل بحزم وجد على اقامة العدل، بين افراد الامة وتوطيد دعائمها، ومراقبة اعمال القضاة والعمال ومحاسبتهم ومعاقبة كل من يتحرف عن تعاليم الشريعة، ويبدل الخير والمساعدة لعموم الشعب وكل المحتاجين.

ربط علاقاته السياسية والتجارية مع الدول الاسلامية والاوربية بواسطة سفرائه المخلصين، كما تتبع اسرى المسلمين عموما بما فيهم المغاربة من مختلف البلاد الاجنبية فيبدل في ذلك الاموال الطائلة، وجميع ما يحتاجه الاسرى، من انواع المساعدات فاشتهر بذلك ذكره داخل المغرب وخارجه.

ولما حل بالمغرب حوالي سنة 1190 هـ وما بعدها، القحط وانجاعة بسبب الكوارث الطبيعية، امر بجلب الاقوات من الخارج الى المغرب، وبيعها باثمانها، على يد الامناء الافرقاء بعدما اعد مطاعم للارامل والمعوزين وذوي الحاجة يلتجئون اليها وقت الاحتياج.

وقد اسقط في هاته السنين الحرجة عن الناس، الضرائب والتكاليف الخنزنية، الى ان ظهر الخصب، وارتفع المجدد وعم اليسر والخير، البلاد والعباد.

ففي الميدان القضائي، كانت لسيدي محمد بن عبد الله، له اجتهادات مذهبية واختيارات خاصة، حملها عليها الاحتياط من الحيف والظلم والزور، زعيا لحقوق الامة، فكان ينشر المراسيم الازنة تلو الاخرى، فيما يراه حاسما لذلك، ويحمل قضائه وولاته على العمل بها. اهتمامه بالحديث النبوي الشريف.

ان الحديث النبوي، هو حصيلة المعارف الاسلامية، وهو اصل من اصول الشريعة وركيزة من ركائزها، وهو المصدر الثاني بعد كتاب الله العزيز.

ولا تخفى مكانة الحديث النبوي الذي هو الصراط السوي، والمنارة الوضاء والهداية العظيمة للمهتدين، لهذا اكب سيدي محمد بن عبد الله على مطالعة كتب الحديث ودراستها، دراسة تحصيل وفهم وعمل، من كتب الصحاح، وموطأ مالك، المعروفة آنذاك من الاوساط العلمية المغربية.

ولم يكتف بهاته الكتب الحدينية، بل تشوقت نفسه الى الكتب الحدينية الاخرى الغير المعروفة في المغرب ان ذلك، كمسند الامام ابي حنيفة النعمان ت 150 هـ ومسند الامام

الشافعي ت 204 هـ ومسند الإمام أحمد بن حنبل ت 241 هـ فجلبها الى المغرب من اجل دراستها.

ولهذه الغاية، استقدم اليه العلماء الكبار من جهات المغرب، فاختر منه جماعة نجالسته ومدكرته في الحديث النبوي، وخص لذلك اوقاتا مضبوطة لدراسة كتب الحديث دراسة استيعاب، ومن هؤلاء العلماء الاعلام، اخذت الكبير، ادريس العراقي والفقهاء محمد الغربي، والفقهاء محمد بوخرىص، والفقهاء علي بن ادريس الفيالي، وغيرهم كثير، وحتى كان يقول لهم متأسفاً : والله لقد ضيعنا اعمارنا في البطالة واللهم ايام الشبية، فلا نضيع ما بقي، ويتحسر على ما فات من قراءة العلم (10) لان الوقت اغلى من الذهب.

وبسبب هاته المسانيد الحديثية، اطلع علماء المغرب على مجموعة من الاحاديث النبوية التي كانوا مجهولونها فاشتغلوا بها، واهتموا بها غاية الاهتمام.

ولم تكن هاته الدراسة الحديثية من طرف السلطان والعلماء نظرية محضة، بل كان الغرض منها، استخراج احكام تستفيد منها الامة المغربية. ويظهر ذلك جليا في المناشير التي كان يعينها سيدي محمد الى قضاته وعماله، فقل ما يخلو منشور من المناشير من استشهاد بحديث نبوي، او اثر من اثر الصحابة والتابعين، وعلماء السلف رضوان الله عليهم.

فمن ذلك ما كتب به الى القضاة عندما غالى الناس في المهور، اذ امرهم الا تعدى اربعين مثقالا، فما دون بحسب عملة العصر.

وما استشهد به في هذا الموضوع، من احاديث النبي عليه السلام «من يمن المرأة قلة مهرها» وهكذا نرى سيدي محمد، يستنبط من دراسته لكتب السنة احكاما يسر عليها قضاته وعماله، ويبتدون بهديما، وفي نفس الوقت، تكون هاته الدراسة الحديثية منطلقا للعلماء المغاربة، يحذون حذوها ويسيروا عليها.

موقفه من علم الكلام

كانت بلاد المغرب، تعمل بالمذهب العقائدي السلفي، منذ ان دخل الاسلام اليها، الى افول دولة المرابطين، والقضاء عليهم من طرف الموحدون.

«واما حال المغاربة في الاصول والاعتقادات، فيعد ان طهرها الله تعالى، من نزعة الحارجية اولا، والرافضة ثانيا، اقاموا على مذهب اهل السنة والجماعة، مقلدين للجمهور من السلف، في الايمان بالمشابه، وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر، واستمر الحال على ذلك، الى ان ظهر ابن تومر في صدر المائة السادسة، فرحل الى المشرق، واخذ عن علمائه مذهب ابني الحسن الاشعري ت 330 هـ الذي يقول بتأويل المشابه من الكتاب والسنة (11).

دعا ابن تومر الناس الى العمل بالعقيدة الاشعرية، مدعيا ان من خالف هذا المذهب العقائدي الاشعري، فهو ضال ليس بموحد، بل هو مجسم.

ومن هذا العهد، اقبل علماء المغرب على العقيدة الاشعرية، درسوا وتاليفوا الى زماننا هذا، وان كانت قد ظهرت بالمغرب قبل ابن تومر (12).

اما موقف سيدي محمد من علم الكلام، وبصفة خاصة من العقيدة الاشعرية، فهو كان يبحث الناس على دراسة عقيدة ابن ابي زيد القيرواني ت 336 هـ المبسطة وما هو على شاكلتها، اما كتب العقيدة الاشعرية، فضع قرائنها في المساجد وغيرها، لان طريقة الاشعري فيها اقوال وردود على المعتزلة، والعقيدة في معناها حسب مفهوم سيدي محمد، يجب ان تكون سهلة مبسطة، لهذا فضل طريقة الحنابلة في علم الكلام. لاهم ساروا على المنهج السوي، الذي رسمه لهم احمد ابن حنبل، عندما سد طريق الخوض في علم الكلام والجدال فيه. فيسيدي محمد ينص في مقدمة كتابه «الفتوحات الافية لا انه مالكي المذهب، حنبلي العقيدة، ثم يقول : وافتتحت كتابي — بعقيدة الامام محمد بن ابي زيد القيرواني — التي ابتدأ بها رسالته، لما اشتملت عليه من الفوائد الدينية، وسلامة قواعدها من القوادح الواردة على غيرها، من الكتب التي صنفت في علم العقائد، ولاقبال السلف الصالح على حفظها وتدرسيها وشرحها، وانتفاع الخاص والعام بها، هذا الذي حملني على الاقتصار عليها، وعدم الالتفات الى غيرها.

من اجل هذا، كان ينهي عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية المخروجة على مذهب الاشعرية، وكان يحض

(11) انظر نفس المصدر ص : 140

(12) انظر مقدمة الانتباه المرحوم محمد بن تايوت الطنجي لمبارك عياض ج 2 ص 1 ط وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية.

(10) نظر الاستقصا للتاصري ج 1 ص : 68 ط دار الكتاب

الناس على مذهب السلف من الاكتفاء بالاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب والسنة بلا تأويل.. وانه لا يرى الخوض في علم الكلام على طريقة المتأخرين (13).

موقفه من كتب الفروع :

ان الرعيل الاول من العلماء المالكية ببلاد المغرب، كانوا فقهاء، ولم يكونوا محدثين بالمعنى المعروف، انحصر علمهم آنذاك في موطأ الامام مالك، واقواله وفتاويه، ولم يحاولوا ان يزيدوا على هذا شيئا.

فيتوحيد الدولة المرابطية للاندلس والمغرب، جعلتهما وطنا واحدا يتبادل سكانه المصالح والمنافع، فسكن بعضهم الى جوار بعض، واستفاد كل من الآخر في مناحي الحياة.

تبنى اهل بلاد الغرب الاسلامي في المذهب المالكي، مدرسة مالك الفقهية، وتحلوا عن الاخذ والعمل بالحديث النبوي، كمبدأ اساسي من بين اسس مدرسة مالك الحدينية.

فمن زمن المرابطين، انتشرت كتب المذهب المالكي ببلاد المغرب، واصبحت معتمد الفقهاء المالكية في حياتهم، من قضاة ومفتين واصحاب شروط وغيرهم، الى زمن الخليفة يعقوب المنصور الموحد، كانت الحظوة والعناية الخاصة للفقهاء المالكية، اصحاب علم الفروع، فقد نالوا مكانة كبيرة على يد ملوك المرابطين، فنفتت في ذلك الزمن كتب المذهب المالكي، وعمل بمقتضاها، فبني النظر في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام (14).

ان الدولة المرابطية كانت مالكية صرفة، مقيدة باتباع المذهب المالكي واصحابه، بشأن الدولة الالهوية بالاندلس، وملوك الطوائف فيما بعد، على عكس الدولة الموحدية التي رفضته رفضا باتا.

في العهد المرابطي، كانت تدرس امهات كتب المذهب المالكي، من مدونة الفقيه عبد السلام سحنون التونسي، فهي اصل المذهب المالكي الفقهي المرجع روايتهما عن المغاربة وايها اختصر مختصروهم، وشرح شارحوهم، وبها مناظرتهم ومذاكراتهم (15) وكتاب «الواضحة» لعبد الملك بن حبيب القرطبي ت

238 هـ وكتاب «العتية» لصاحبها محمد بن عتاب الاندلسي ت 255 هـ وكتاب «البيان والتحصيل» لابن رشد الجد ت 250 هـ (16) ومقدماته وغيرها من كتب اخرى في الفقه المالكي.

لقد ترك الفقهاء المالكية «مدونة» سحنون، وتحلوا عنها، وعرضوها باختصرات الفروعية المجحفة، مع ان المدونة مفهومة بنفسها، لا تحتاج الى شرح في غالب مواضعها.

وصنع هؤلاء الفقهاء المالكية، كصنيعهم اولا مع كتاب موطأ مالك، الذين تركوا العمل به، فهجروه وعرضوه بالمدونة وشروحها، مع ان كتاب الموطأ، كتبه الامام مالك بيده، ونقحه مدة اربعين سنة، وهو منقول الينا بالتواتر، رواه عنه عدد كبير من العلماء.

ومدونة الفقيه سحنون، ليست كذلك، فلم يكتبها مالك بيده، ولم ينقحها، وانما هي اقواله وفتاويه، التي رواها تلاميذه عنه، منهم ابن القاسم العتقي المصري ت 199 هـ وسحنون اخذها عن ابن القاسم فيما بعد، وهكذا صرنا نرى الفقهاء المالكية يذهبون من السهل الى الصعب، ومن المبسط الى المعقد، ظنا منهم انهم يختصرون الفقه، ويوفرون الوقت على طلاب العلم، مع انه العكس من ذلك، بل زاد الفقه تعقيدا على تعقيد، وابعده عن منبعه الصافي بسبب كثرة الاختصرات والشروح والحواشي والتعليق المجحفة.

جاء ابو عمر وابن الحاجب المصري ت 696 هـ فاختصر كتاب «التهديب» للبراذعي ت 460 هـ في مختصره الفرعي الشهير، ويعد الفقيه ابن الحاجب، جاء الشيخ خليل ت 776 هـ فاختصر هو كذلك مختصر ابن الحاجب، وهنالك بلغ الاختصار غايته، لان مختصر خليل مختصر اختصر.

ومعنى هذا ان الشيخ خليلا اختصر كتاب ابن الحاجب، وابن الحاجب اختصر كتاب البراذعي التونسي، والبراذعي اختصر كتاب النوادر والزيادات، لابن ابي زيد القيواني، صاحب «الرسالة» وهكذا اصبح الفقه المالكي معقد لا يفهم بسهولة. وبسبب هاته الاختصرات، احال اصحابها اشياء عن مكانها، فتغيرت مسائل عن مواضعها، وصار ذلك محلا بالبلاغة، وبالاسلوب العربي الفصيح، وهو فساد في التعليم، وفي اخلال بالتحصيل، وضياح للوقت كبير، بسبب تتبع الفاظ الاختصار

(13) انظر الاستفصاح ج 1 ص : 68 ط . دار الكتاب.

(14) انظر المعجب ص : 43 ط دار الكتاب 1978

(15) انظر المدارك لعياض ج 3 ص : 399 ط : وزارة الاوقاف

(16) طبع منه حتى الان سبع مجلدات

العويصة للفهم. بتراحم المعاني عليها، وصعوبة استخراج المسائل من بينها، فقصودوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين، فأركبهم صعباً يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنا (17).

تنبه السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الى هاته الظاهرة التي اصبح عليها المغرب من الابتعاد عن العمل بكتاب الله العزيز، وسنة رسوله عليه السلام، وعن امهات الكتب المالكية، من موطأ الامام مالك صاحب المذهب، ومدونة الفقيه سحنون وما هو على شاكلتها، فاصدر مرسوماً في هذا الشأن، بين فيه ما يراه صالحاً للتدريس والافتاء والحكم من كتب مالكية سهلة ومفيدة.

نص في مادة الحديث على تدريس كتب الصحاح، وعلى تدريس المسانيد السابقة الذكر، وفي الفقه المالكي نص على دراسة كتاب المدونة، وكتاب «البيان والتحصيل» وكتاب «المقدسات» و «النوادر» و «الزيادات» و «الرسالة» وغيرها من امهات كتب الفقهاء المالكية الاقدمين.

ومن عجب سيرته انه كان يرى اشتغال طلبة العلم بقراءة المختصرات في الفقه وغيره، واعراضهم عن الامهات المبسطة الواضحة، تضييع للاعمار في غير طائل، وكان ينهى عن ذلك ولا يترك من يقرأ مختصر خليل، ومختصر ابن عرفة وامثالهما، ويمنع في التشجيع على من اشتغل بشيء من ذلك، حتى كاد الناس يتركون قراءة مختصر خليل، وانما كان يحض على كتاب الرسالة، والتهديب، وامثالهما حتى وضع في ذلك كتاباً مبسوطاً (18).

وفي ذلك يقول سليمان الخوات (ت 1231 هـ) يتحدث عن شيخه الفقيه الكبير ابي عبد الله محمد التودي ابن سودة (19) ولم ينقطع شيخنا عن قراءة مختصر خليل، الا ما كان ايام السلطان سيدي محمد الحسني، فانه صدر عنه الامر اذاك بتأكيد قراءة «التهديب للبراذعي» و «الرسالة» لابن زيد القيرواني والاقتصار عليهما، دون مختصر خليل، فامتثل امر السلطان...

منع كذلك سيدي محمد الافتاء والحكم بمختصر خليل وشراحه، وامر بالاستناد في ذلك الى امهات الكتب المالكية، والزم القضاة بكتابة احكامهم والاشهاد عليها.

ورد في بعض منشوراته، ان من اشتغل باخذ الفقه من مختصر خليل وشروحه، وترك اخذ الفقه من كتب الاقدمين المرضيين، كمن اهرق الماء واتبع السراب، فليضرب رجال القضاة، صفحا عن تلك المختصرات التي حجت بمعمياتها بساطة الدين ويسره، وليعودوا بالناس الى كتاب الله وسنة رسوله، ففيهما غناء عن كل ما سواهما، وليقتدوا بكل ما يرفع اليهم من الاقضية بما امر به النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد نص جماعة من الاعلام النقاد مثل : الحافظ ابي بكر ابن العربي المعافري، وابي اسحاق الشاطبي، وعبد الرحمن ابن خلدون وغيرهم، ان سبب نضوب ماء التعليم في الاسلام ونقصان ملكة اهله فيه اكياب الناس على تعاطي المختصرات الصعبة الفهم، واعراضهم عن كتب الاقدمين المبسطة المعاني، الواضحة الادلة التي تحصل لمطالعها الملكة في اقرب وقت.. (20).

وهنا نرى موقف سيدي محمد، بالنسبة لكتب الفروع، غير موقف يعقوب المنصور الموحيدي، لقد سلك طريق الامر والنهي، واكتفى عن هذا بالمراسيم السلطانية، ولم يقدم على مصادرتها وحرقتها، بخلاف يعقوب المنصور، فانه امر ببذرها وحرقتها، واحرقها بالفعل في عواصم المغرب سنة 591 هـ كما نكل بالفقهاء المخالفين، واتخذ في حقهم انواع العقوبات، من تعزيز وسجن وتكيل، ولكل وجهة.

هذا هو موقف سيدي محمد بن عبد الله من كتب الفروع، ومن كتب العقيدة الاشعرية المعقدة، الذي اراد ان يرجع بالامة المغربية الى عهدنا الزاهر، وان يردها الى مصدر التشريع الاسلامي الصافي، والى بساطة الدين الخفيف، والى امهات الكتب العلمية المبسطة السهلة، التي لا تعقيد فيها، حتى الف هو بنفسه كتباً في هذا الشأن (21).

اجل، اصبحت الحياة في عهده تسترد نشاطها من جديد شيئاً فشيئاً، وتحرر من بعض القيود التي حلت بها، ولكن

(17) انظر مقدمة ابن خلدون ص 533-553 ط التجارية

(18) انظر كتاب الاستقصا للناصري ج 8 ص 67 ط : دار الكتاب

(19) الروضة المقصورة في مآثر ابن سودة ص 307 مخطوط الحزارة العامة بالرباط رقم : 2211

(20) الاستقصا ج 8 ص : 67 ط دار الكتاب

(21) منها : مواهب المنان بما يتأكل على المعلمين تعليمه للصبيان،

والجامع الصحيح الاسانيد المستخرجة من سنة مسانيد، والفتوحات الالهية الكبرى، وهو امهات، وغيرها.

ممنوع في الشريعة، والاتباع ما ثبت عليه حجة، والاتباع مسوغ،
والتقليد ممنوع.

لم نبق مقلدين لكتب المختصرات الفقهية، وفي مقدمتها مختصر
الشيخ خليل وشروحه، الذي يقول عنه الفقيه الناصر اللقاني ت
سنة 896 هـ (26) : نحن أمة خليلية، ان اصاب خليل
اصبنا وان ضل ضللنا معه، وانما صرنا نقلد القوانين الاجنبية
ونعمل بها في جل معاملاتنا، التي ما انزل الله بها من سلطان،
وهذا كله راجع للتقليد الممقوت، وذلك ان المغلوب مولع ابدا
بالاقتداء بالغالب في سائر احواله، على حد تعبير ابن خلدون
(27).

اذا التقليد هو السبب في حركتنا العلمية التقدمية، والنهضة
الحديثة الفقهية الى دعا اليها السلطان سيدي محمد بن عبد
الله، والرجوع بها الى هذا الوراثة الفقهية القانوني الوضعي،
الذي نعيشه اليوم، والذي لا اساس له من التشريع الاسلامي في
شيء.

اما ان لنا ان نتحرر من وطأة القوانين الاجنبية، وما يتلوها
من التصورات الفكرية والعقائدية، التي بقيت من مخلفات
الاستعمار العاشم، وما ابتدعناه في ديننا ودينانا من العوائد
الضالة، التي هيمنت علينا، وان نرجع الى كتاب الله العزيز،
والى سنة رسوله عليه السلام، الذي لا ينطق عن الهوى أن هو
الا وحي يوحى» (28) والى اقوال سلفنا الصالح، واقوال ائمتنا
المجتهدين الكبار، والى امهات كتبنا الفقهية، وغيرها من الكتب
المفيدة.

فبالعودة الى هاته الاشياء، نحقق ما نصبو اليه من عز
وازدهار وتقدم في كل الميادين.

ان تجديد الفقه ممكن وبكل يسر، اذا كانت النية صادقة،
والعزم قويا، فلتترك عنا اولا قوانين الشرق والغرب، التي لا
توافقنا، ولنزل من برامجنا الدراسية، الكتب الفقهية المختصرة

(26) انظر : الفكر السامي ج.4 ص : 79

(27) انظر المقدمة ص 147 ط التجارية

(28) سورة النجم. آية 4

سرعان ما استخدم هاته الشعلة الوضاعة بموت هذا الملك العالم
المصلح، سنة 1204 هـ 1789 م، سنة الله في خلقه، ولن
تجد لسنة الله تبديلا.

ولما افضى الامر الى ولده المولى سليمان (1204 -
1238 هـ) واستولى على زمام الحكم الزم الناس مرة اخرى
بالرجوع الى مختصر الشيخ خليل وبدراسته، وصار يحضهم على
التمسك به ويبدل على حقه الجوائز، عائدا بهم الى العهد المريني،
فكان علمه هذا مبينا لما اقدم عليه والده، وبذلك كله تابع
لتطور الامم والازمان (22)

يقول الناصري (23) : والرأي ما رأي السلطان سيدي
محمد.

آفة التقليد :

تعقدت الحالة مرة اخرى من جديد، اذ رجعت كتب
المختصرات الفقهية الى الميدان الدراسي، واصبحت تهمن اكثر
من ذي قبل، على كتب التفسير والحديث النبوي، والكتب
الفقهية المبسطة.

اجمع العلماء على ان المقلد ليس معدودا من اهل العلم، وان
العلم معرفة الحق بدليله والتقليد هو اخذ العلم من غير معرفة
دليله.

وهناك فرق بين الاتباع والتقليد، لان الاتباع هو ان تتبع
القائل على ما بان لك من فضائل قوله وصحة مذهبه، والتقليد
ان تقول بقوله، وانت لا تعرفه (24).

يقول ابن خويز منداد الفقيه المالكي (25) : التقليد
معناه في الشرع، الرجوع الى قول لاحجة لقائله عليه، وذلك

(22) انظر كتاب «الفكر الاسامي» للفقيه الحجوي

ج. 4 ص : 126 و 224

(23) انظر «الاستقصا» ج 8 ص 67 ط دار الكتاب.

(24) انظر كتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البرج. 2

ص : 45 و 195 ونظر معه الفكر السامي للحجوي

ج.4 ص : 232 - 333، وقد اطال ابن عبد البر في هذا

الموضوع

(25) انظر جامع بيان العلم وفضله ج 2 ص 143

هـ 1984م) فمواد الاجتهاد فيه ايسر بكثير من العصور السالفة، لامن زمن ابن عبد السلام، ولا من زمن الفقيه ابن عرفة، لوجود الطباعة الحديثة فيه، التي سهلت على الناس كل شيء، ولوجود وسائل الاعلام المتعددة ووسائل النقل السريعة، التي قربت كل بعيد، وربطت العالم بعضه ببعض، في حين عثر على عدة مؤلفات تفسيرية وحديثية واصولية وفقهية وغيرها، كانت في حكم العدم، ومنها وقد طبع اليوم، كل هاته الاشياء، انارت وستير الطريق للعالم المخد والمباحث المثابر، فلم يبق الا الكد والاجتهاد، والسير الى الامام في الميدان العلمي والفكري.

ف عجائب القرآن والحديث النبوي لا تنقضي الى يوم القيامة، كل فرد لابد ان يأخذ منها فوائد خصه الله بها، لتكون بركة هذه الامة الى قيام الساعة (34).

قال عليه السلام : «امتي كالمطر، لا يدري اوله خير او اخره».

يقول الشيخ ابو مدين شعيب الانصاري ت سنة 594 هـ : للقرآن نزول وتنزيل، فاما النزول فقد مضى، واما التنزيل فبأبي الى يوم القيامة.

واملنا قومي على كلياتنا الفنية، وفي مقدمتها دار الحديث الحسنية لتحقيق هذا الغرض المشهود، وعلى علمائنا واساتذتنا العاملين، وطلابنا الاتكفاء لان يبذلوا ما في وسعهم، لاسترجاع اصالتنا الفكرية والحضارية، وان يعملوا على احياء تراثنا الخالد، والعمل بالشريعة الاسلامية السمحاء.

وبهذا العمل سنحقق بحول الله دعوة السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، وبأبي قادتنا وعلمائنا المصلحين، رضوان الله عليهم اجمعين، لا يصلح اخر هذه الامة بما صلح به اوها (35) وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون العالم الغيب والشهادة فينبتكم بما كنتم تعملون (36).

تطوان : عبد الهادي الحسيني

(34) قال هذا القول ابو عبد الله ابن الحاج، انظر الفكر السامي ج 4 ص 269

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها، رواه ابو داود في سننه والحاكم في مستدرکه، عن ابي هريرة، وذكر السيوطي في الجامع الصغير ج 1 ص : 378

(35) قال هذا الكلام الامام مالك

(36) سورة التوبة آية 105

المخدوقة الادلة، ولنعرضها بكتب الحديث الصحيحة، بما فيها موطأ الامام مالك، وكتاب الام للشافعي، والمشكاة للخطيب التبريزي، وما هو على شاكلتها، وكتب التفسير المفيدة واحكام ابن العربي المعافري، واحكام الجصاص، والتهيد للحافظ ابن عب البر (29)، وكتب امهات الفقه المبسطة.

ففي هذا كله الكفاية، ويكفي معنا العالم بأسره، وهذا بشهادة علماء الغرب انفسهم اصحاب القانون.

وارى ان يزداد للمتخصصين في دراسة الفقه الاسلامي، كتب القوانين الغربية من اجل المقارنة، ومن اجل التعرف على ما عند الغير، لنقارن الحجة بالحجة، ولنعرف الفروق الجوهرية بين فقهننا وقانون غيرنا.

فهذا نستدرك ما فاتنا في هاته الاحقاب، ونحدد عهد سلفنا الصالح، وعصرنا المغربي المسلم الزاهر، قال الفقيه المصلح ابن عبد السلام (30) ومواد الاجتهاد في زماننا ايسر منه في زمن المتقدمين، لو اراد الله الهداية.

واما الحديث النبوي فهو اليوم سهل، لانه قد فرغ من تميز صحيحه من سقيم، فاذا نزلت مسألة بالفقيه، فيكفي ان يجمع من المصنفات الحديثية، والاحكام الكبرى، لعبد الحق الاشيلي الازدي، ت سنة 582 هـ (31) وينظر ما فيها، ويكفيه تصحيح مؤلفه، ولا يلزمه نظرتان في سنده، ولا يكون مقلدا في ذلك، ويكتفي في موقف الاجماع، بالنظر فكتب الاجماع الموضوعة فيه اجماع ابن القطان، المحدث المغربي الفاسي ت سنة 628 هـ (32).

اذا احضر الفقيه هذه المصنفات الحديثية، للنظر في النازلة، فانه يجتمع لديه من الاحداث فيها مالا يكاد يحضر مالكا (33)

اما في عصرنا الحالي، القرن الخامس عشر الهجري (1404

(29) وكتاب التمهيد، طبعته منه الى الآن وزارة الاوقاف المغربية 14

جزءا تمتنى ان يتم في اقرب وقت بحول الله

(30) انظر الفكر السامي ج 4 ص : 254

(31) انظر عنه كتاب النهضة الحديثية لصاحب البحث ج 2

ص : 70 ط وزارة الاوقاف

(32) نفس المصدر، والجزء ص 93 وما بعدها

(33) ورد هذا الكلام للفقيه ابن عرفة التونسي ت 803 هـ انظر الفكر

السامي ج 4 ص 255



صفحات
التاريخ
المغرب

أسرار عن موقف المولى عبد الحفيظ من معاهدة فاس

للأستاذ محمد العزني الشاوش

الاجنبي عن الغرب، واسترجاع ما اغتصبه الاجنبي من حدوده، مع تطهير الادارة المغربية واحداث مجلس شعوري يمثل الامة. والعمل على العاء شروط مؤتمر الجزيرة الخضراء التي اعطت للاجانب حق التدخل في شؤون المغرب. وان كان ولائد من اتحاد او تعاون فليكن مع الخلافة العثمانية الاسلامية ومع الدول الاسلامية المستقلة (عبد الرحمن ابن زيدان : تخاف اعلام الناس. ج. 1. ص 449 ط 1347-1929) لكن الظروف المتأزمة التي جلس فيها على العرش لم تساعده على انجاز ما تعهد به. وانفجرت الثورة الشعبية من جديد ضد الوضعية المتدهورة في البلاد، خاصة بعد الاتفاق الفرنسي الالماني عام 1911 الذي تخلت بموجبه المانيا عن معارضة فرنسا في التدخل في شؤون المغرب.

اقترن اسم السلطان المرحوم مولاي عبد الحفيظ بن السلطان المقدس مولاي الحسن الاول بمعاهدة فاس بتاريخ 30 مارس سنة 1912 المعروفة بمعاهدة الحماية الفرنسية للمغرب وتدلنا الوثائق التاريخية والتصريحات الحفيظية على ان السلطان ذهب ضحية المؤامرة الاستعمارية ضد المغرب، وانه وقع المعاهدة المذكورة تحت الضغط العسكري والاكره الديبلوماسي من الجانب الفرنسي. خلافا لما اشاعة الحكم الفرنسي من أن السلطان طلب من فرنسا بسط حمايتها على المغرب لتبرير موقف الحكومة الفرنسية من المغرب، في حين ان العلاقات المغربية الفرنسية كان قائمة على التحفظ تارة والتوتر تارة اخرى بسبب احتلال فرنسا للجزائر منذ سنة 1830 ومؤازرة المغرب للمقاومة الجزائرية ضد الاحتلال. وقبل مناقشة الموقف الحفيظي من قضية الحماية «بعض بنا أن تقدم نبذة عن حياة السلطان المذكور، كان الأمير مولاي عبد الحفيظي خليفة لاجيه المقدس السلطان مولاي عبد العزيز على اقليم مراكش قبل نشوب ثورة عارمة بسبب التدخل الاجنبي في المغرب بعد معاهدة الجزيرة الخضراء عام 1906 كانت نتيجتها مبايعة ممثلي الرأي العام المغربي (اهل الحل والعقد) للسلطان الجديد مولاي عبد الحفيظ عام 1908 وتنازل مولاي عبد العزيز لاجيه حقنا للدماء، ومبادرة منه في العمل على حفظ الاستقرار الداخلي لمواجهة الخطر الاجنبي الذي صار يستفحل يوما بعد يوم.

□*□

وقد بوبع مولاي عبد الحفيظ ببيعة مشروطة بابعاد الخطر

المصري، ونشرت وكالة الاخبار الفرنسية (هافاس) تصريح الوزير المغربي بأنه «يكذب تكذبا قاطعا الاشاعة القائلة بان السلطان عبد الحفيظ طلب من فرانسو بسط حمايتها على المغرب، وان جلالتة مغتبط بالمعونة التي قدمتها فرانسو اليه، لكنه يعلن في نفس الوقت عن استمرار العلاقات المغربية الفرنسية على اساس معاهدة الجزيرة الخضراء، (السلام عدد 4 يناير 1934) ومعلوم ان معاهدة الجزيرة تعترف للمغرب باستقلاله وسيادته ووحدة تراه .

□ * □

لكن الدبلوماسية الفرنسية استغلت ظروف تحول قيادة الجيش الفرنسي في فاس من وضعية التعاون العسكري الى وضعية الازهاق ومحاصرة السلطان، فوافدت السفير (يوجين رينو) لمحاولة اقناع السلطان بفكرة معاهدة الحماية في محادثات طويلة كان يقوم بدور الترجمة فيها قدور بن غريبط الذي كان يحظى بثقة السلطان. غير ان جلالتة لم يقتنع بنظرية الحماية وعارض بشدة، بل هدد بالاستقالة امام اصرار السفير الفرنسي على اقناعه بوجهة النظر الفرنسية. وامام هذا الموقف ندرك قسوة الاكراه الذي مارسه الدبلوماسية الفرنسية على مولاي عبد الحفيظ معززة بالقوة العسكرية المرابطة في فاس .

كان السفير رينو يقدر ان استقالة السلطان احباط مهمته الاستعمارية، ولذلك مارس كل الضغوط لبقائه في الحكم مع مواصلة المحادثات في موضوع الحماية. ودامت جلسة يوم 29 مارس 1912 ست ساعات (من 6 مساء الى 12 ليلا) بالقصر الملكي بفاس. وفي صباح 30 مارس تم توقيع معاهدة الحماية في ظروف غامضة وفي جو يشعر بالاكراه والانتزاز. وقد اعرب عن ذلك الكاتب الفرنسي (روبير رينار) فيما نقله عنه الكاتب الانجليزي (روم لاندو) في كتابه (تاريخ المغرب في القرن العشرين - ط 2) قال : «ان السيد رينو قاد هذه المفاوضات المضنية باللجوء الى الوعد مرة والى الوعد اخرى، وبفضل اسلوبه هذا انتهت المفاوضات التي طال امدتها بالنجاح وتوجت بتوقيع المعاهدة» (ص 108)

□ * □

وما ان علم الشعب بالخبر المشؤوم حتى انتفض انتفاضة عارمة وخاصة في فاس اثناء شهر ابريل عامه. فقبول من طرف الجيش الفرنسي بمنتى الوحشية والقمع والازهاق. واحتج السلطان على ذلك في مناقشات طويلة مع (الجنرال ليوطي) اول

وعلى اثر هذا الاتفاق الخطير، يادر السلطان بتقديم مذكرة بالغة الاهمية الى وزارة الخارجية الفرنسية جاء فيها ما نصه : «ان شرف الامبراطورية (المغربية) واعتبارها، واحترام تقاليدها، يلزم ان يبقى كما كان في الماضي كاملا غير منقوص، بحيث لايمس بحال من الاحوال. والحكومة الفرنسية لاجتهد ان السلطة الحاكمة لم تنزل موضوعة بين ايدي العائلة العلوية منذ اربعة قرون، فلا بد من ان تحفظ لها هذه الحرمة. واستلقت نظر الحكومة الفرنسية الى الحقيقة الواقعة، وهي ان المغرب منذ الفتح الاسلامي لم ينضم الى اية دولة اجنبية كمستعمرة من المستعمرات. وانه منذ ثلاثة عشر قرنا لم ينقطع عن التمتع باستقلاله التام. ولهذا السبب نفسه لايمكن ان تعتبر الامبراطورية الشريفة في المستقبل ارضا مستعمرة» (محمد داود : مجلة السلام عدد 4 شهر يناير 1934) ولعل هذا النص يوحي بما شعر به مولاي عبد الحفيظ من سوء نية فرانسو نحو المغرب وانه وضعها امام مسؤولياتها المستقبلية .

□ * □

نعم كان السلطان قد فتح محادثات مع الحكومة الفرنسية لدراسة الوضعية المغربية، وحيث كان المغرب يحتاج الى تنظيم عسكري عصري لاقرار الامن الوطني وخاصة في مدينة فاس عاصمة المملكة التي كانت مقرا للبعثات الدبلوماسية الاجنبية، فقد اعربت فرانسو عن استعدادها لتقديم مساعدتها للسلطان في هذا المجال. ولم يعارض عبد الحفيظ هذا الاقتراح بعد تعهد فرانسو بالمحافظة على استقلال البلاد واحترام نفوذ السلطان. فجاءت فرقة من الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال موانبي الى فاس، قادمة من الدار البيضاء التي سبق للجيش الفرنسي ان نزل فيها عن طريق البحر عام 1907 بحجة حماية الرعايا الالوربيين والقنصليات الاجنبية وفي المقدمة القنصلية الفرنسية. وتطبيقا للسياسة التعاون الفرنسي الاسباني في قضية المغرب فان بارحة حربية اسبانية جاءت من الجزر الخالدات (كنارياس) وانجندت الفرقة الفرنسية بفرقة عسكرية اسبانية زيادة على تحطيم المدينة بقنابلها. وتقرر عدم جلاء القوات الفرنسية الاسبانية عن الدار البيضاء الا بعد تكوين جيش مغربي منظم قادر على اقرار الامن وحماية المصالح الاجنبية .

وقد اعتمدت الدبلوماسية الفرنسية وجود الجيش الفرنسي في فاس في اطار التعاون العسكري المغربي الفرنسي فاشاعت بان السلطان طلب من فرانسو بسط حمايتها على المغرب. فبادر عبد الحفيظ بتكذيب الاشاعة على لسان وزير خارجيته الحاج محمد

مواقفه الجريئة في معارضة نظام الحماية المفروض، ومحاولة اقناع الساسة الفرنسيين بالعدول عن فكرة الحماية الى معاهدة تعاون بين الدولتين المغربية والفرنسية في اطار استقلال المغرب وسيادته، وذلك هو الذنب في نظر فرنسا التي أخذته به بعد تمكنها من بسط نفوذها على البلاد، فكان موقفها المتوتر نحوه عقابا سياسيا مارسته بأساليب توحى بالكراهية والحقد ترك وصفها للامير في رسالة شخصية بخطه الى صديقه بتطوان المرحوم احمد الرهوني وزير العدل بتطوان سابقا. وفيما يلي نص الرسالة التاريخية:

«الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
 «محبا الاعز الارضي الفقيه العلامة الاحضى وزير العدلية بالتغفر
 التطواني السيد احمد الرهوني، سلام عليكم ورحمة الله.
 «وبعد فقد تعين اعلامك بان موجب مفارقتنا نعر طنجة
 عندما ظهرت الحرب الابوابية (1) القساوة التي عوملت بها،
 والاهانات التي تجرعت غصصها، ولم ازل مدة الانتقال من
 ذلك النعر أتجرع الم الهجرة، لان شأنها عظيم، وانتظر انفراج
 الازمة بانتها الحرب الابوابية، ولما انتهت وخلصت قانت من
 قوب، وظن كل ميتل ان الفرج مرقوب، بادرنا بالكتب لرجال
 الدولة الجمهورية (2) اسأهم السلم والصفح عن الذنب الذي
 ما اقترناه، بتركهم سبيل اهلنا ليتمكن لنا نقلهم للشام او مصر
 لقربهما من الحرمين الشريفين، والتخلي عن اموالنا وحقوقنا، فلم
 يفتح الله بشيء. فجددنا الطلب مرارا فاجبنا شفاهايا لا كتابة
 يقبول العفو على شرط سكناي بباريز، فاجبناهم باستحالتهم شرعا،
 ومناقاتهم لقصدنا الاول من التخلي عن الملك، لا نالم نخذ عنه الا
 للتمتع بكمال الحرية، فلم يلق جوابنا آذانا مصغية. فطلبنا منهم
 رفع المسألة للشرع، فرفض قبول حكم الرفع. ومن ذلك تبين لي
 انني انفخ في غير ضرم، وإن سعيي لا يأتي الا بما هو اطم.
 «ثم وجهنا على ابنائنا بقصد صلة الرحم معهم، فاجبنا
 بالمتع، فظهر من ذلك انهم اسارى وان كانوا في غير حرب،
 وبموجه قطع المستونة التي اوجهاها لكم حتى يتبين هل هم
 اهلي ام لا. ونفدت هم من الدراهم التي استحقتها يكوني من
 العائلة الملوكية وبالموجب الشرعية النصف ليكن لهم معه
 المعيشة.

(1) الحرب العالمية الاولى 1914 - 1918
 (2) يقصد الجمهورية الفرنسية

مقيم عام فرنسي بالمغرب الذي ادرك ان السلطان غير مستعد
 للتعاون معه على تطبيق المعاهدة، مما جعله يبني الظروف لقبول
 استقالة مولاي عبد الحفيظ الذي لم تطاوعه نفسه على التعاون
 مع النظام الجديد. فعاد السلطان مدينة فاس يوم 6 يوليوز
 متوجها الى الرباط تمهيدا لتنازله الاختياري عن العرش لانيه
 الامير مولاي يوسف بن الحسن الاول يوم 12 غشت 1912
 وهو اليوم الذي بويغ فيه جلالة السلطان مولاي يوسف رحمه
 الله بيعة شرعية في مدينة الرباط التي صارت عاصمة ادارية
 للمملكة المغربية بدلا من مدينة فاس التي احتفظت بشهرتها
 كعاصمة علمية.

□ * □

وانتقل مولاي عبد الحفيظ الى مدينة طنجة ثم الى فرنسا،
 وادى فريضة الحج سنة 1913، ولما اعلنت الحرب العالمية
 الاولى استقر في اسبانيا الى سنة 1925 ولم تسمح له فرنسا
 بالعودة الى طنجة، فاقام في فرنسا الى وفاته رحمه الله سنة
 1937 فنقل جثثانه في باخرة (جينة) الى الدار البيضاء ومنها الى
 فاس في قطار حديدي خاص، حيث اقيمت له جنازة رسمية رهيبة
 حضرها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس، ودفن بضرخ
 جده مولاي عبد الله بن اسماعيل بفاس.

□ * □

وقد استتجنا من سلوكه الرصين ومواقفه الجريئة انه اكروه
 على امضاء معاهدة الحماية اكراها، ولم يبق له اختيار امام
 الحصار والاكراه الا الامضاء. وعلينا ان نتفهم المعنى الشرعي
 للاكراه، يقول القاضي ابن العربي: «المكروه هو الذي لم يخل
 بينه وبين ارادته، ويكون الاكراه بالقول او بالفعل او بالتهديد.
 والمكروه معذور في الدنيا، مغفور له في الآخرة» (احكام القرآن
 ج 3 ص 1177 بتحقيق علي محمد الجاوي) وفي الحديث
 الشريف: «ان الله تجاوزني عن امي الخطأ والنسيان وما
 استكرهوا عليه» (رواه ابن ماجه عن ابي ذر الغفاري.
 والطبراني والحاكم عن ابن عباس، والطبراني ايضا عن ثوبان
 الهاشمي. واخرجه ابن حجر في بلوغ المرام. والسيوطي في الجامع
 الصغير وقال صحيح) ولا حجة لمن وصمه بضعف الازادة، وقد
 كان متصفا بالحزم والنباهة وتوقد الذهن، ولكن لا حيلة له ولا
 لغيره امام المد الاستعماري في اوائل القرن العشرين.

□ * □

وقد امعنت الحكومة الفرنسية في مضايقة واضطهاد مولاي
 عبد الحفيظ بعد تنازله عن الحكم انتقاما منه فيما سلف من

من الثقافة. وبالرغم من انهيار الأوضاع السياسية فإنه ساهم في تنشيط الحركة العلمية وحركة التأليف والنشر خاصة. وفي هذا المجال طبع مؤلفاته الخاصة وهي:

- نيل النجاح والفلاح في علم ما به
القرآن لاح

- كشف القناع عن اعتقاد طوائف
الابتداع

- العذب السليل في حل الفاظ الشيخ
خليل

- منظومة في مصطلح الحديث

- منظومة في الاصول : الجواهر اللوامع في نظم
جمع الجوامع

- منظومة في القضاء : ياقوتة الحكام في مسائل
القضاء والاحكام.

كما امر بطبع مؤلفات هامة تعتبر من امهات مصادر الثقافة
الاسلامية نذكرها فيما يلي:

- شرح الخطاب على مختصر خليل، وبهامشه شرح
المواق.

- احكام القرآن للقاضي ابن العربي

- الاصابة لابن حجر، وبهامشه الاستيعاب لابن
عبد البر

- شرح الابي على صحيح مسلم

- المنتقى في شرح موطا مالك لابي الوليد الباجي

- بداية المجتهد لابن رشد الحفيد

- مشارق الانوار للقاضي عياض

- الروض الانف في السيرة النبوية للسهيلي

والملاحظ ان اغلبية المؤلفين المذكورين من المغاربة
والاندلسيين. والملاحظ ايضا ان المولى عبد الحفيظ استعمل في

رسالته السابقة الذكر عبارة «الجامعة الاسلامية» وهو تعبير لم
يسبقه اليه في عصره احد فيما نعلم ألا ما كان من دعوة جمال

الدين الافغاني الى فكرة الجامعة الاسلامية في اواخر القرن
التاسع عشر، وما كان من الجملة الواردة في وثيقة البيعة

الحفيظية ونصها : «واذا دعت الضرورة الى اتحاد او تعاضد،
فليكن مع اخواننا المسلمين كما قال عثمان (اي الخلافة العثمانية)

وامثالهم من بقية الممالك الاسلامية المستقلة» وهي صيغة تشعر
بائمان الشعب المغربي مبكرا بنظرية الجامعة الاسلامية.

تطوان : محمد العربي الشاوش.

«واشهدكم وليبلغ الشاهد الغائب، لان الله جعلكم «امة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا»
(3) اني ما اتيت بجرمة شرعية توجب استحلال مالي، ومفارقة
اهلي، وتركني عرضة للضياع، لاني اقر لله بالوحدانية، ورسوله
الاعظم صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة وكال التبليغ، وفي
الحديث «فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا
بحقها» (4) واني احفظ حق القيام بالطلب فيما اخذ مني قبل
وبعد، لان سيادتكم كانت تسمع في التصريح بعدم القبول عند
الا شهاد على البيع وبراء من كل دعوى تجعل سلما لمنعي ما
ذكر.

«وسأكتب لسائر المسلمين بالانحاء بشرح هذه القضية،
والقصد بيانها لا النكابة اوحب الانتقام، لا أنا اهل البيت وكل
بنا البلا، كما علمتم. لان الجامعة الاسلامية والاخوة الدينية
تلتزمني بالتصريح دون التلويح، وتبيح لي اظهار ما كان السبب
في مفارقتي الاهل من غير ذنب يبيح. واعلمناكم لتلا يبلغكم
الخبر على غير وجهه ممن لهم الغرض في تحريف الكلم عن
مواضعه وعليكم السلام ورحمة الله. في 27 ذو الحجة 1338
- عبد الحفيظ.»

تلك هي الرسالة الحفيظية التاريخية البليغة، الغنية عن كل
تعليق او تعقيب. وللمتأمل فيها ان يرى كيف عامل الاستعمار
الفرنسي شخصية سياسية سامية المقام بمنتهى العلظة والفظاظة
وعدم احترام شخصيته وحقوقه الانسانية، بعد فرض معاهدة
الحماية بطريقة تعسفية جريئة. فالمعاهدة كانت مفروضة فرضا
كما قال المحامي الفرنسي الكاتب (بول بوتان) في كتابه (مأساة
المغرب) قال : «لقد فرضنا المعاهدة على السلطان فرضا»
واكد كذلك روم لاندو في كتابه (تاريخ المغرب) فقال : «ان
المعاهدة التي جعلت من المغرب حماية انما فرضت على
السلطان» (ص 97) واذن فلو كان السلطان قد رضي
بالحماية وركن الى فرنسا واطمأنان اليها لنال منها خيرا كثيرا
خاصة بعد انسحابه من الحكم.

□*□

والجددير بالذكر ان المولى عبد الحفيظ كان على جانب كبير

(3) الآية 143 سورة البقرة

(4) حديث متواتر رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة مرفوعا تصه «
امرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله. فاذا
قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها، وحسابهم على الله.»

النشاط العمراني للدولة المغربية

في وقف وتشيد القناطر والجسور

والصَوِي (2)، للاهتمام والتوجيه من أموال الوقف التي تخصص، عادة، لمقاصد هذه الوجوه كي تبقى حسنة موقوفة باقية إلى يوم التناد...

ولقد كان العرب في عهدها الأولى أمة ركوب، لا تميل إلى تمهيد طرق الجيوش، ولا إلى اتخاذ المركبات، ولم يعمل العرب أيام سيادتهم على تقدم نظام الطرق البرية في بلاد الشرق...

ولعل طرق ذلك العهد، لم تكن إلا شبكة من المسالك المطروقة لا يربطها نظام، ولا نسمع عن عناية العرب بتعمير الطرق إلا قليلا (3).

(2) ذكر البكري شيئا يشبه ذلك في الطريق السني بين نفراوه وقسطنطينية، فقد أقيمت بينهما خبب يهتدي المسافرون بها لكيلا يضلوا في الأرض السَّوَّاجَة التي بين هذين البلدين (المغرب، للبكري، ص: 84) ورأى ناصر خسرو، على مقربة من بحيرة: «وان» بارمينية طريقا على امتداده عند مقامة على الأرض ليسير المسافرون أيام المطر والضباب (رحلة ناصر خسرو، ص: 9، من الأصل الفارسي، عن آدم ميتز، ص: 2/406) وقد حكى الصولي عن رجل يعرف بالخلنجي كان يحمل الخريطة من مكة إلى بغداد، ويسبق بأخبار الحج (الأوراق، للصولي، مخطوط، باريس ص: 136).

وللعرب «علم الاهتداء بالبراري والقفار»، وهو علم يتعرف به أحوال الأمكنة من غير دلالة عليه دلالة ظاهرة، بل خفية، لا يعرفها إلا من تدرب فيه، كاستدلال برائحة التراب، ومسامة الكواكب، إذ لكل بقعة رائحة مخصوصة، ولكل كوكب سمت يهتدى به، كما قال الله تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم المنجم تهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ ونفع هذا العلم عظيم بين، وقيل: قد يكون بعض من هو بليد في سائر العلوم ماهرا في هذا الفن، كما يمكن عكسه، وقد يحصل هذا النوع من التمييز في الإبل والفرس: وهذا خبر من فرع الفراسة (كشف الظنون ص: 1/203).

(3) «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» لادم ميتز ص: 2/405.

للأستاذ محمد بنعبد الله

... ومما اهتم به المسلمون، وطمح إليه الفاتحون، قديما وحديثا، لتعمير الأقطار، وترقية الديار، في بناء الحضارة الإنسانية عن طريق الوقف، وحفلوا به أيضا احتفال، خلال حياتهم المدنية، ومسيرتهم الحضارية، وأولوه العناية البالغة، اهتمام المخلصين المحسنين من أبناء ملتهم، وعناية الخيرين، ذوي النجدة والأريحية منهم لبناء القناطر (1) والمجازات، والمعابر النهرية، وتعمير الطرق، وترصيف السبل، وتيسير السير والمرور، ووضع المعالم

(1) القنطرة: معروفة الجسر، قال الأزهري هو أزع يُبنى بالاجر، أو بالحجارة على الماء يعبر عليه (لسان العرب، للعلامة ابن منظور، مج: 3، ص: 172) تقول العرب: قنطرت الشيء: إذا أحكمته، ومنه سميت القنطرة، لاحكامها، وقد شبه طرفه ابن العبد البكري، الناقية في ترانسف عظامها، وتداخل أعضائها، بقنطرة تبني لرجل رومي، قد حلف صاحبها ليحاطن بها حتى ترفع أو تجمس بالقرمذ والصاروج أو بالاجر، فقال:

كقنطرة الرُّومي، أقم رُيْهُ
لنكثفن، حتى تشاد بقرمذ

أي كقنطرة الرجل الرومي وقد عرف السومريون بناء الجسور والقناطر منذ 3.200 ق.م، وهناك أدلة على وجود جسر على النيل عام 2650 ق.م، وأقدم جسر في العالم لا يزال باقيا، ويعود تاريخه إلى سنة 750 ق.م، هو فوق نهر «ميليزه» في أزمير بتركيا.

فمن ذلك ما حكاه «ناصر خسرو» أحد العلماء الذين وفدوا على مصر من الشرق، وعاش بها فترة تلقى العلم بالجامع الأزهر، وفي بيت الحكمة - من أنه كان بمصر جسر من التراب بحذاء النيل، من أول الولاية إلى آخرها، وأن السلطان كان يرسل في كل سنة عشرة آلاف دينار إلى عامل مُعتمد ليجدد عمارته.. (4).

وكذلك أنشأ جنكيزخان كثيرا من الطرق الواسعة في البلاد الجبلية بآسيا الوسطى، وكان أحد هذه الطرق يخترق مضائق جبال «تيان شان» جنوبي بحيرة صيرم، وقد أقيم فيه أربعون قنطرة من الخشب تتسع كل منها لعربتين تسيران متحاذيتين.. (5).

وكان على نهر دجلة في أيام الساسانيين قناطر ثابتة، فيحدثنا ابن حوقل في القرن الرابع الهجري أنه رأى آثار قنطرة من الآجر قرب «تكريت (6)»، ولا تزال بقايا قنطرة جميلة من هذا الطراز باقية بالجيزة؛ فلما جاء القرن الرابع الهجري كانت هذه القناطر كلها قد أصبحت أطلالاً، واستبدل بها جسور من السفن، بعض أجزائها متحرك، كما

(4) «رحلة ناصر خسرو» ص : 54 / من النص الفارسي، وكتاب «رحلة ناصر خسرو» القبادياني ألفه باللغة الفارسية عن رحلته إلى الحج في القرن الخامس الهجري وزار مصر أثناء هذه الرحلات. وقد ترجم هذه الرحلة إلى اللغة العربية الدكتور أحمد خالد البدلي الأستاذ بجامعة الرياض.

(5) «رحلة تشان تشونج» (TSHAN TSHUNG) عام : 1221 عن آدم ميتز ص : 2/408.

أطول امتداد لجسر بين تقطعي ارتكاز اليوم هو «الجسر كويك» فوق نهر «لورنس» في كندا إذ يمتد 64، 548 مترا بين ركينتيه، وطوله الاجمالي 987،247 مترا وعليه طريق لسكة الحديد، وطريقان للسيارات، بدأ العمل فيه عام 1899، وافتتح في 1917/10/3 وكلف : 22.500.000 دولار، ومات أثناء العمل فيه 87 شخصا.

كما أن أطول جسرين في العالم لعبور القنطرة يوجدان في ولاية «لويزيانا» الأمريكية (7009، أمتار)... وفوق نهر «يانجستي» في مدينة «نانكين» بالصين (6772 مترا).

(6) ابن حوقل، ص : 49. ولما بنى المنصور بغداد، جعل لها ثلاثة جسور ثم زيد جسران، ثم تخربت وبقيت على جسرين اثنين، وكانت الجسور قائمة على سفن طافية على وجه الماء، لم تكن هذه الدعائم الراسخة في الأرض، ولم تكن هذه الجسور الشائبة العريضة... ففي كتاب : «الفرج يعد الشدة» للقاضي التنوخي، في قصة إبراهيم بن المهدي لما اختفى وتوارى من المأمون خوفاً من أن تنزل به العقوبة، لحقه جندي كان يعرفه من الأيام القليلة التي ادعى فيها الخلافة، فدفعه، فوقع في بعض سفن الجسر.

هو الحال في بغداد وواسط (7).

فبناء القناطر، وتشيد الجسور، بالإضافة إلى أنه كان سببا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والصالية، وتقريب الصافات البعيدة، كان قرية يتقرب بها إلى الله، وفضيلة باقية ينعم بها الواقف لئال الثواب الجزيل، والأجر الأوفى.

وقد روى شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السغدري (ت : 461 هـ بخارى) في كتابه (8) ما يلي : «... والثاني عشر : أن يتخذ الرجل قنطرة على نهر، يأذن الإمام أوفى ملك نفسه، ويأذن في المرور عليها، فهو جائز، أي وقف، فهو كمن بنى مسجداً، أو جعل أرضه مقبرة للمسلمين، أو جعل داره رباط ثغر من الثغور ينزل فيه الغزاة والمجاهدون ويسكنونها».

وقد تحدث الحسن بن علي الإمام الزيدي المعروف باسم محمد الأطرشي (9) في كتابه (10)، عن المحافظة على

(7) آدم ميتز ص : 2/408... قال الوئيد : قال لي شعبة : «أرأيت جسر بغداد ؟ قلت : لا، قال : فإنك لم تر الدنيا... وقد عقب الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي في مذكراته الأنيقة على مقولة الوئيد هذه بقوله : «أما أنا فرأيت جسر بغداد، ورأيت الدنيا، لا أقول : إنه أعظم من جسر إسماعيل أو الزمالك في مصر، ولا هو أجل وأضخم من الجسور التي عرفتها في البلاد التي رأيتها، ولكن لجسر بغداد سرا آخر يعرف كل من نظر في كتب الأدب والتاريخ، هذا الذي جازه القواد الفاتحون والفقهاء والمحدثون والشعراء والساجنون... هذا الذي وقف عليه الرشيد والمأمون، وأبو حنيفة والشافعي، والفضل بن دينار، وعطية وأبو نواس، وعبد الله بن طاهر، ويزيد بن مريد... وشهد جسر بغداد جلال الخلافة، وعظمة العلم، وروعة الزهد، وضحك المجون وقوة الجيش، وجرى من فوقه نهر التاريخ، كما يجري من تحته نهر دجلة... وتداعت على جوانبه القرون... هذا الذي كان مرة الدنيا... هذا جسر بغداد (جريدة الشرق الأوسط، الخميس 1983/12/1، ع : 1829).

(8) «النتف، في الفتاوي» ص : 1/526، حققها، وقدم لها، وترجم لمصنفها ورجالها وخرج أحاديثها، وعلق عليها الدكتور صلاح الدين الناهي...

(9) توفي بأمل في طبرستان عام 304 - 917 هـ.

(10) «الاحتساب» المعروف لمولانا الناطق بالحق، التامر للحق، المنسوب إلى الزيديين الشيعة، والذي يعد من أقدم النصوص التي تتحدث عن الحسية في الإسلام، ولا يسبقه من النصوص المعروفة حول ذات الموضوع إلا كتاب : «أحكام السوق» ليحيى بن عمر (ت : بسوسة عام 289 هـ 901م) وقد حققه حسن حسني عبد الوهاب، وراجع فرحات الدشراوي - الشركة التونسية للتوزيع 1975، ولم يكن هذا الكتاب معروفاً على الإطلاق قبل نشره عام 1959 بروما لأول مرة، وقد نشره وحققه : ر. مرجنت تحت عنوان : «نص زيدي في الحسية من القرن الثالث الهجري»...

ووقف على كل أثر منها أو قافا عظيمة (16).

وقد كانت على الأنهار قناطر قد تهدمت، وأهمل أمرها في عهد عهد الدولة (17) (ت 372 هـ 982م) الذي عمر القناطر ووقفها... فلم تكن تخلو من أن تجتاز عليها البهائم والنساء، والأطفال والضعفاء فيسقطون، فبنيت كلها جديدة وثيقة في عهده، وعملت عملا محكما، وكذلك جرى أمر الجسر ببغداد، فإنه كان لا يجتاز عليها إلا المخاطر بنفسه، لا سيما الراكب لشدة ضيقه وضعفه، وتزاحم الناس عليه، فاختيرت له السفن الكبار المتقنة، وعُرض حتى صار كالشوارع الفسيحة، وحصن بالدرابزينات، وأعيد كثير من قناطر أفواه الأنهار (18).

وكانت توجد معابر على الأنهار كالتي كانت عند الخابور فيما بين النهرين، حيث يشد الملاح، وهو على ظهر المركب، جبلا مثبتا على الشاطئ الآخر، حتى يصل إليه، غير أنه لا يعرف إلى أي تاريخ ترجع هذه الطريقة، وهي مستعملة إلى اليوم، في حوض نهر التاريم (19). وكانت للجسور المعمولة من السفن في الجانب الشرقي من بغداد زنبيرتان متحركتان يمكن رفعهما لتمكين السفن من المرور (20)...

وكان بخوزستان شرقي مدينة سوسة القديمة قنطرة «ديز فول» «DIZFUL» وطولها ثلاثمائة وعشرون خطوة، وعرضها خمس عشرة، وكانت تقوم على اثنتين وسبعين أسطوانة، ويسمى «ابن سرايون» قنطرة الروم (21).

16 «خلاصة الأثر» للمحبي. ص : 1/141.

17 «الحضارة الإسلامية» لادم ميتز. ص : 1/83.

18 ابن مسكويه. ص : 1/119، 1/17 لادم ميتز.

19 «الحضارة الإسلامية». ص : 2/410.

20 ابن أبي أسيبعة. ص : 1/179.

21 Le Strange. P : 239 !! وأن أكبر امتداد لجسر في العالم هو الامتداد الرئيسي لجسر هامبرامتوري في إنجلترا، كلف بنساؤه 135 مليون دولار، وطوله : 1,410 كلم، واستغرق العمل فيه من 27 تموز 1972 إلى حزيران 1980 غلوا برجيته : 162,461 مترا... وعند إضافة امتداد «هسل» «وبارتن» يصبح طول الجسر 2,2 كيلو مترا.

القناطر والجسور من طرف المحتسب الذي كان يقوم مقام الناظر، فقال : «وعلى المحتسب أن يتعاهد القناطر والمساجد والطريق، فإن رأى فيها من هدم أو ضرر، فعليه أن يرفعه إلى القاضي، فإن كان لها وقف أنفق عليها منه، وإن لم يكن لها وقف رفع أمرها إلى الإمام، وإن كان من بيت المال سعة أنفق عليها منه، وإن لم يكن فعلى المسلمين يعين بعضهم بعضا».

وقد عني السمع بن مالك الخولاني، في عهد محمد بن عبد العزيز الأموي بتنظيم قرطبة، وتجميلها، وإعادة ترميم القنطرة الرومانية التي اعتبرت فيما بعد من عجائب الأندلس (11).

وقد وفق الله أبا سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الخركوشي الشافعي (ت 486 هـ) لوقف وبناء القناطر، وعمارة المساجد والحياض والدروب، وكسوة الفقراء العراة من الغرباء والبلدية، حتى بنى دارا للمرضى بعد أن خربت الدور القديمة بنيسابور، ووكّل جماعة من أصحابه لتمريرهم، وحمل ما بهم إلى الأطباء، وشراء الأدوية (12). وفي فتوح البلدان : أن عمر بن الخطاب كان يشترط على أهل الذمة إصلاح الجسور والطرق (13).

وقد ذكروا أن عبد العزيز بن مروان كانت له، وهو على مصر ألف جفنة، كل يوم تنصب حول داره، وكانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل على العجل (14)، وهذا يدل على نجر الطرق وترصيفها لتجري العجل (15)...

وبنى الشيخ أبو الغيث المعروف بالقشاش المغربي التونسي مالا يعد من القناطر المنيعة، والمدارس الرقيقة،

11 «تاريخ الأدب الجغرافي العربي» «لكراتشكو فسكي» ص : 1/60.

12 طبقات الشافعية. ص : 3/283.

13 التراتيب الإدارية. ص : 1/283.

14 «الخطوط» للمقريزي. ص : 1/339.

15 التراتيب الإدارية. ص : 1/284.

بين السماء والماء، وبينها وبين الماء عشرة أذرع (25)...
وقد انفرد المطهر المقدسي، أحد علماء القرن الرابع الهجري
بذكر «قنطرة ختن» في بلاد ما وراء النهر، وكانت معقودة
من رأس جبل إلى جبل، وهو يقول: إن أهل الصين
عقدوها في الدهر القديم (26)...

وفي عام 408 هـ ذهب يمين الدولة لينجد
«قدرخان» على: أرسلان خان» فعقد على نهر جيحون
جسرا من السفن، وضبطه بالسلاسل، وعبر عليه، ويقول ابن
الأثير: إن ذلك لم يكن يعرف هناك قبل ذلك
التاريخ (27)... وذكر الرحالة الصيني: «تشان تشونج» انه
وجد جسرا مثل هذا على نهرس الشاش، بعد ذلك التاريخ،
بنحو مائتي عام (سنة 1221م) (28).

أما أعجب قنطرة في البلاد الإسلامية كلها، فقد
كانت مبنية على الطريقة الأوربية، وهي قنطرة: «سنجه»
التي بناها الامبراطور: «فسبازيان» على «نهر سنجة» أحد
أفروع دجلة على مقربة من سيماط، وكانت تعد من عجائب
الدينا، وكانت كبيرة شاهقة متصلة بالجبل على حجر مَخَوخ
إذا زاد عليها اهتزت وكانت عقداً واحداً، كل حجر من

(25) ابن حوقل ص: 170. ويعتبر المهندس الفرنسي السيد «مارك
سوكان» «Marc Seguin» (ولد بمدينة «أنوناي» «Annonay» عام
1786 - 1875م) مع أخيه كاماي «Camaille» رائدين لِمبدأ فكرة
الجسور المعلقة «Ponts Suspendus» عام 1824. والتي تعتمد على
جبال من حديد، وهي تسمح لطول أو امتداد يجاوز ما تسمح به
الأنواع الأخرى وأكثر الجسور الحديثة هي من هذا النوع.
وأطول الجسور المعلقة في العالم اليوم: «جسر مضايق ماكيناك»
بين مدينتي «ماكيناو» و«سانت إيفانس» في «مشيغان» وطول
المسافة بين نقطتي الارساء 2,542 كلم. ويصبح طوله الاجمالي إذا
أنضفت إليه طول الأقسام المتكئة على ركائز: 5,840 كلم. وقد
افتتح هذا الجسر في تشرين الثاني 1957، وكلف مائة مليون دولار،
كما أن أعلى جسر في العالم مخصص ليعبور القطارات يقع قرب
«كليرمون فيران» Clermond Ferrant في فرنسا، تم إنشاؤه بين عام
1901، وعام 1909، يبلغ طوله 144 مترا. ويرتفع 132,5 متر فوق
نهر «سيول».

(26) كتاب البدء والتاريخ ص: 4/92.

(27) ابن الأثير ص: 9/210.

(28) آدم ميتز ص: 2/408.

وكان بالأهواز قنطرة هندوان، وهي من الآجر،
وعليها مسجد يشرف على النهر (22).. كما كان بالقسم
الأعلى من نهر قارون قنطرة «إينج» التي يقول ياقوت إنها
من عجائب الدنيا المذكورة، لأنها مبنية بالصخر على وإد
يابس بعيد القعر، وكانت تقوم على دعائم، ارتفاع كل منها
مائة وخمسون ذراعا، تشدها قضبان من الحديد، وقد أنفق
على إصلاحها في آخر القرن الرابع مائة وخمسون ألف
دينار (23)... أما في المدن التي تقوم على الأنهار كبغداد
والبصرة، فقد كان الانتقال بالقوارب، وقد أحصيت
السُميريات المعبرانيات بدجلة في أيام الخليفة الموفق (من
عام 256 هـ 279 هـ) فكانت ثمانين ألفا، يقدر كسب
ملاحيا في كل يوم بتعين ألف درهم (24).

أما أعظم الجسور الخشبية، فربما كانت القنطرة التي
على نهر «طاب» بين خوزستان وفارس، فقد كانت معلقة

(22) المقدسي ص: 411.

(23) معجم البلدان، ص: 1/416، ولعل أطول جسر طبيعي في العالم هو:
«قنطرة المنظر الطبيعي» في حديقة الأقواس الطبيعة شمال:
«أوتا» «Utah» وطول هذا الجسر الطبيعي من الحجر الرملي:
88,69 مترا.

أما الجسر الطبيعي الأكبر حجما فهو جسر: «قوس قزح» في «أوتا»،
اكتشف في 14 غشت 1909، طوله: 84,734 مترا، وعرضه:
6,705 أمتار «أوتا» ولاية أمريكية في الجبال الصخرية مساحتها
219.932 كلم² سكانها 1,059.000. عاصمتها: «سالت لايك سيتي»،
وأكثرية سكانها من «المورمون» Mormons، الذين يأخذون ببدعة
دينية بروتستنتية أسسها: «جوزيف أميت» في الولايات المتحدة
1830، حيث تسامحوا بتعداد الزوجات إلى أن منعتهم عنه الحكومة
1887.

وأعلى قنطرة طبيعية تتكون من الحجر الرملي، أيضا، تقع على
الضال الغربي من كاشيه في «سينكيانج» الصين، وقدر علوها
بـ 304,8 أمتار وطولها: 45,72 مترا.

(24) «تاريخ بغداد» ص: 73. ط: سلسون... وقد كان ببغداد كثير من
القوارب الخاصة، فقد كان لكل من ذوي اليسار من أهل بغداد داية في
اصطبله، وطيبار في النهر، وكان الكبراء وأصحاب الجاه ينتقلون في
الغالب على الماء. (الحضارة الإسلامية ص: 2/397).

أحجاره عشرة أذرع في خمسة (29)...

وفي أيام الفتح العربي لمصر، كان حصن بابلليون
مواجهاً لجزيرة الروضة، وكانت هذه الجزيرة قلعة محصنة
تربطها بالحصن قنطرة، ويربطها بالضفة الغربية للنيل
جسر من القوارب ينتهي عند قلعة قائمة... إذ أن في وقت
الفتح لم يكن في النيل إذ ذاك في ذلك الموضع إلا جزيرة
واحدة هي جزيرة «مصر» وتسمى أيضاً : «الجزيرة» فقط...
وهي جزيرة الروضة الحالية، وكانت بالإضافة إلى حصن
بابلليون تكون جزءاً من النظام الدفاعي عن هذه المنطقة؛
وكانت هناك قنطرة تصل الجزيرة بالضفة الشرقية، أي
بحصن بابلليون، وقد شك المؤرخ الدكتور حسين مؤنس إن
كانت هناك قنطرة أخرى تصل الجزيرة بالجزيرة، ولو أن
بعض النصوص التي ترجع إلى عصر المأمون تذكر جسراً
يسمى الجسر القديم... ثم أنشئ جسر جديد، والمراد هنا
جسر من القوارب ينتهي عند قلعة قائمة..

أما في الناحية الشرقية، فمن الثابت أنه كانت هناك
قنطرة، وقد اختفت هذه القنطرة، لأن المجرى ما بين
الجزيرة والنيل انسد من هذه الناحية، وزحفت الفساطط
غرباً، وأصبح أهلها يأخذون الماء من فرع الجزيرة في
منتصف القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي.

وقد شيد أحمد ابن طولون في الجهة الجنوبية
الشرقية من القطائع قناطر للمياه لا تزال بعض عقودها
قائمة، وكان الماء يسير في عيونها إلى القطائع (30).

ويروي مؤرخو مصر الإسلامية، على عادة مؤرخي
العصور الوسطى، القصص والأساطير التي تشير إلى سبب

بناء هذه القناطر (31)...

والحق أن عاصمته الجديدة كانت محتاجة إلى تدبير
المياه لها، وإلى توفير كل سبل الراحة لسكانها، وقيل أن
الناصحين أشاروا على أحمد بن طولون بأن يجري الماء من
عين أبي خَليد، فاعترض قائلاً : بأن هذه العين، لا تعرف
أبداً، إلا باسم أبي خَليد. وأنه يريد أن يستنبط بثراً تنسب
إليه، فعدل عن العين إلى الشرق، وبنى عليها القناطر...
وكانت هذه القناطر شبيهة بالقناطر الرومانية المرفوعة،
وسماها المؤرخون باسم السقاية...

ويظهر أن هذه القناطر تطلبت مجهوداً كبيراً، وأموالاً
ضخمة، وإنها كانت من المتانة والإبداع بمكان كبير، وأشار
إليها سعيد بن القاص في عدة أبيات من قصيدته التي رثى
بها الدولة الطولونية ومن هذه الأبيات قوله :

بِناءٍ لَوْ أَنَّ الْجِنَّ جَاءَتْ بِمِثْلِهِ

لَقِيلَ، لَقَدْ جَاءَتْ بِمِثْلِهِ
وقد بنيت قناطر ابن طولون بأجر يماثل في الشكل
والحجم أجر الجامع الطولوني...

والمعروف أن الذي تولى لابن طولون بناء هذه
العيون هو المهندس النصراني الذي شيد له بعد ذلك
المجد الجامع (32)...

ويرى المؤرخون أن أحمد بن طولون حبس على
مسجده الجامع وقناطره دخل بعض الأبنية (33).

وكانت عناية السلطان «الظاهر بيبرس» بالزراعة
عظيمة، وتتضح في حرصه على توفير الماء لري الأرض،
الأمر الذي دفعه إلى بناء كثير من القناطر والجسور لكثرة
ما كان يشرف من الأراضي في كل سنة، فانتفعت البلاد
بهذه القناطر (34).

(29) «عميد المنسوب» للشعالي، و«الاسطخري» ص : 62، و«التنبيه»
للمسعودي ص : 64 - 744، و«المقدسي» ص : 147، وقد لاحظ بعض
رحالة الرومان أهمية هذه القنطرة. «أدم ميتز».

(30) عاصمة أحمد ابن طولون. كذلك كان يطلق اسم القطائع على مدينة
«سامراء» التي بناها المعتصم. اللهم إلا القصور الملكية...

(31) المقريزي : خطط ص : 2/457.

(32) أحمد بن طولون. للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ص : 251 - 252.

(33) المصدر السابق 253.

(34) السلوك : للمقريزي ص : 7/446.

ودار العلوم، والمكتبة الخديوية، له : «الخطط التوفيقية» في عشرين جزءاً (36).

وقد نشرت جريدة «اللواء» في 18 ديسمبر 1902 قصيدة «شاعر النيل» في حفلة الخزان التي كانت أكبر الحفلات التي شاهدها المصريون في هذا العصر على ضفاف النيل؛ ونشرت «مجلة المجلات العربية» القصيدة في عدد نوفمبر وديسمبر عام 1902، ونشرت «المؤيد» القصيدة في يوم 18 ديسمبر 1902 تحت عنوان : «آية الخزان» يصف فيها حفلة الخزان، وما لها من جمال، والبناء، وما له من عظمة وجلال، والنيل كيف كان طليقاً ثم أُمِرَ، ومجد مصر، كيف كان شامخاً ثم دَثَرَ، فقال يصف القنطرة :

بِنَيْتٍ فَرَسَتْ عَرِيضَ الْيَمِّ قَنْطَرَةً

مَا كَانَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ، يَبْنِيهَا
شَاءَ قَاهِرَةً، فَوْقَ الْمِيَاهِ فَلَا

تَجْرِي وَتَذْهَبُ إِلَّا مَا تَوَلَّيْهَا
وَيَخْتَمُهَا بِهَذِينَ الْبَيْتَيْنِ مَخَاطِبَا رِفَاتِ الْمَصْرِيِّينَ
الْقَدَمَاءُ :

يَا أُمَّةً بَلَّغْتَ فِي الْمَجْدِ غَايَتَهُ

وَقَصَّرَ النَّاسُ فِيهِ عَنِ مَسَاعِيهَا
قَوْمُو الْغَدَاةِ، انظُرُوا هَذَا مَا تَأْتُرْكُمْ

هَلْ فِي مَا تَأْتُرْهُمْ شَيْءٌ يَضَاهِيهَا

☆☆☆

وفي عام 692 هـ كان الفراغ من بناء «جسر نهر الكلب» الذي شرع بينائه سيف الدين أرقطاي المنصور الناصري كإفاد السلطنة أيام الملك المنصور بن قلاوون، وكان بناؤه بعد ما خرب الجسر الذي أقامه السلطان «أنطونيوس» الحلبي الذي تملك على رومية بعد المسيح. بمائة وأربعين سنة، وهو الذي قطع الصخور، وبنى البرج، ومشى في الطريق الذي على شاطئ البحر الموصل إلى مدينة بيروت، كما هو مكتوب على الصخر قبالة الجسر

ومن أهم القناطر والجسور التي أنشأها «بيبرس»، تلك القائمة على بحر «أبي المنجا»، والتي وصفها المقرئزي : «بأنها أجل قناطر أرض مصر» ولا تزال بقايا هذه القناطر باقية حتى اليوم، وإن كانت غير مستعملة بسبب تحويل مجرى الماء... هذا عدا قنطرة : «منية السرج» وقنطرة القصير وقنطرة خليج الإسكندرية، وقنطرة «شيرامنت» وغيرها.

وثمة قنطرة مشهورة أنشأها السلطان «بيبرس» على الخليج المصري نسبت إليه، فبها «ابن دقماق» : القنطرة الظاهرية» وإن كان إسماها الشائع في المراجع هو : «قنطرة السباع» لأنه وضع عليها سباعاً من الحجارة تشير إلى شعار السلطان «بيبرس» نفسه. وقد استخدمت هذه القناطر أيضاً، في الانتقال من جانب إلى آخر من جانبي الخليج (35).

ولقد كان علي باشا مبارك الرومي (1823 - 1893م / 1311 هـ) أحد أركان النهضة العمرانية والعلمية في مصر في زمن إسماعيل، له الفضل في بناء القناطر الخيرية والخطوط الحديدية، بالإضافة إلى تأسيس المطبعة العربية،

(35) «الظاهر بيبرس» تأليف : د. سعيد عبد الفتاح عاشور ص : 155.
(36) انظر ترجمته وتفصيلها في : «مشاهير الشرق» ص : 2/33، ط : 2.
وترجمته لنفسه في : «الخطط التوفيقية» ص : 9/39. «وزعماء الإصلاح» للأستاذ أحمد أمين ص : 186، والجزء الأول من : «عصر إسماعيل» للرافعي ص : 219 - 255، و«تاريخ اللغة العربية» للمرحوم جورج زيدان ص : 4/263.

قال ياقوت : «القناطر» : موضع أظنه بالحجاز، لقول الفضل بن العباس بن عتبة :

سلي، عالجتْ عُودَةَ عَنْ شِيَابِي
وَجَاوَزَتْ الْقَنْطَارَ، أَوْ تَقَابَا

معجم ياقوت. ص : 7/164 قال البيهقي : القناطر : بلد، وعلق الأديب البارح، والنسابة الحافظ والمؤرخ الضليح محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي : «القناطر ما أعرف موضعاً بهذا الاسم من دون إضافة، إلا القناطر المعروفة إلى هذا العهد في مصر.. وطني أنها لم تحصل هذا الاسم إلا بعد ياقوت بمدة طويلة، فلم تسمى القناطر إلا لكثرة قناطرها، وتوسع العمران في الديار المصرية، وهذا الاسم لا أعرفه في الحجاز، ولا في نجد بهذا الاسم الذي مر ذكره، بل أعرف موضعاً يقال له (القنطرة) ولكن في هذا العهد خربت، ولم تعرف (سحيح الأخبار)، عفا في بلاد العرب من الآثار، ص : 5/244، تحقيق ومراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد، ط : 2، بيروت).

مجاز، في الحقيقة للبرايـا
وأمر بالمرور على الشريعة (39).

☆☆☆

ومما صح عن طاهر بن محمد الطاهري الصقلي، أن
القاضي الخطيب أحمد بن قاسم القباب الفاسي، رأى النبي
ﷺ في المنام، فسأله عن الشرفاء بفاس، من هم فيه
حفيده ؟ فقال له عليه السلام : أقدم غدوة غد إلى قنطرة
أبي طوبه، تجد حفيدي بها... قال : فلما أصبح، سرت إلى

(39) «مجلة المسلمون» ع : 43، 1982/8/20، وعلى ذكر الشريعة نشير
إلى أن القاضي محمد بن عبد الرزاق الجزولي تلميذ ابن رشيد
المهري، كان مفتتاً بابنه (جدوة الاقتباس ص : 143) فبيح له أخذ
الرشوة بغض الطرف عنه، فهجاه محمد بن يحيى بن أبي طالب بن
أبي القاسم العزفي بأبيات كتبها في جدران باب الفتوح، وباب
الشريعة بمدينة فاس وهي :

أقاضي فاس لقد شنتها
وأحدثت فيها أموراً أشنعها
ظلمت العباد، ورمت العناد
وخادعت في السدين كل الخديعه
فتحت لتجلك «باب الفتوح»
وأغلقت للناس «باب الشريعة»
فبادر مولى السورى فارس
بعزلك عنها لئلا يذريعه

والتورية في الفتوح ظاهرة على أنه جمع فتح، مكنى به عن
الرشوة، «ومولى السورى فارس» يعني به السلطان أبا عنان المريني.
وتوجد بمدينة فاس باب تسمى «باب الشريعة»، وهي باب يدخلها
الفارس بالعلم العالي، والرامح بالرمح الطويل من غير أن يميل العلم،
ولا ينثني الرمح لارتفاعها، ويطلق عليها الآن : «باب المحروق»
وكانت هذه التسمية تعرف منذ دولة الموحدين، والذي أحرق هو
الثائر محمد بن عبد الله ابن العاضد القائم بجهال ورغة لما أن ظفر
به وقتل علق رأسه على باب الشريعة المذكور، وأحرق جسده في
وسطها وذلك يوم ركبت مصارعها بأمر الأمير محمد الناصر المنصور
سنة 600 هـ (جنى زهرة الأس ص : 43).

وقد تحدث عن باب المحروق في سياق كلامه على لسان الدين ابن
الخطيب أبو العباس أحمد المقرئ (نسخ الطيب ص : 5/156) كما
توجد في كثير من مدن الأندلس : «باب الشريعة» وكلها كانت في
السور المحيط بالمدينة كرسية وبلنسية.

وباب الشريعة، أيضاً، أمام مصلى العيدين بمراكش، وبينها فسح
عظيم بين سوق الخيل، وللسلطان به قصر مطل عليه، ويليها باب
نفيس المفضل المياه والاعتاب، وركبة «أكناو» ويتعلم فيها الصبيان
القوم، ثم قصر أمه العزيز، وقصر ابن جامع (ابن فضل الله العمري،
الباب الثاني عشر، ورقة : 109 حرف : أ، وبإزالته ضريح الإمام
المهيلي) وكانت تقام بها الحفلات الرسمية أيام يومف الموحدي
(المن بالامامة، لابن صاحب الصلاة، ص : 291، راجع حوادث :
560 هـ، الاستبصار ص : 181، الجدوة ص : 27).

التقديم مما يلي قبله على هذه الصورة : الأمير إدوار قيصر
ماركوس أورليوس الحليم السيد أغسطس كبير الجرمانيين
الحبر الأعظم قطع الجبال المشتملة على «نهر ليثا»، ونهج
الطريق مهلاً، ولقبه بالطريق «الانطرنيناني».

وهذا النهر تلقب بالكلب، لكونه يُعيد ما أصلحه
«أنطونيوس» الملك نصب به قائمة «نصبا من حجر كبير
على صورة الكلب، وقيدته بسلسلة حديد في الصخر، وجعل
قدامه تقيرا لأجل الطعام...»

ولما أراد نائب الشام في أواخر النصف الأول من
القرن الثامن عمارة جسر الدامور (37) الجاري بين صيدا
وبيروت، ندبوا لذلك مهندساً خبيراً بالأعمال الساحلية،
يقال له أبو بكر ابن البصيص البعلبكي، وهو الذي عمّر
«جسر نهر الكلب» وله غير ذلك من الأعمال الثقيل ببلاد
طرابلس، فعمله على صورة متقنة...

وعمّر الأمير بشير الشهابي بإيعاز من والي صيدا،
جسراً على نهر الدامور أيضاً، فجمع أهل الصناعة إليه،
فكانوا أكثر من مائة وخمسين رجلاً، فأنتمه في شهرين..

وكذلك جسر الظاهر برقوق الذي بناه على نهر
الأردن (الشريعة)، وطوله مائة وعشرون ذراعاً، وعرضه
عشرون (38)...

ومن وصف الشاعرة الدمشقية العالمة التقنية عائشة
الباعونية (ت 922 هـ) بيتان قالتهما، وأنشدتهما في «جسر
الشريعة» الذي بناه هذا الملك :

بنى سلطاننا برقوق جبرا

بأمر، والأنام له عطية

(37) ما بين «جسر الدامور»، حيث انعمور «موثي دايمان» في العام 1941 خلال
هجوم الجيش البريطاني لتحرير لبنان وشعبه من سلطة الفرنسيين
التابعين لسلطة أدولف هتلر، و«جسر نهر الأولي» إلى الشمال من صيدا تقع
منطقة إقليم الخروب.

(38) «خطب الشام» لمحمد كرد علي، ص : 5/301.

القنطرة، فوجدت بها الشريف طاهر الصقلي يعني هذا، وهو من بيت الشرفاء الحسينيين المعروفين بالصقليين بفاس (40).

وكان للحسن بن ست الآفاق الفقيه الصالح مالاً أنفق على أهل الفضل والدين في بناء القناطر، وعمارة المساجد (41)...

ويحدثنا التاريخ بأنه كان لأبي العباس أحمد بن محمد الشاوي دفين الجرف من عدوة القرويين أموال كثيرة، وكان يصرفها في وجوه الخير، ولا يبالي، ويفعل المصالح، فبنى قنطرة: «ابن طاطو» قرب سيدي أبي جيدة من فاس لما أفدها السيل، وأزال من محلها التراب والحجر مالا يقدر غيره على إزالته، إذ كان السيل قد تحيف جميع الدور التي كانت على الوادي وانحصر ترابه بها (42)...

وقد حدثني أستاذنا العالم الفاضل البحاث سيدي محمد الفاسي عن نشأة قنطرة «ابن طاطو» ذلك أن سكان مدينة فاس كانوا قد قرروا أن يثيدوا هذه القنطرة في القرن الثامن، فاكتبوا لجمع المال، ولما وصلوا إلى دار السيد «ابن طاطو»، وهما بقرع الباب، بقصد تسلمهم واجب هذا السيد في الاكتتاب، إذ سجعوا ضجة وشجارا في البيت، تبينوا أن سبيه أن السيد المذكور يعاتب ابنته على ما تقوم

به من إسراف وتبذير في البيت : فقد أوقدت الموقد يعود ثقاب كامل، وكان الأليق اقتصاديا في نظر «ابن طاطو» أن تشطره شطرين : واحدا للصباح والآخر للمساء.. فانصرفوا وجاوزوا البيت إلى غيره، وهم يعجبون لفرط شح هذا الرجل، وكزازة يده، فإذا بالسيد «ابن طاطو» يعلم بحضورهم، وقد ولوا مدبرين وتجاوزوه، فلحق بهم وسألهم عن السبب في عدم أخذهم لواجب المشاركة في بناء القنطرة، فقالوا له : «إننا سمعنا شجارا اقتصاديا داخل البيت حول ما تقوم به ابنتك من تبذير وإسراف، فعلمنا أن البخل قد ألقى رحاله في هذا البيت، فجاوزناه إلى غيره.. فقال لهم : «ذلك كان شأني في تربية ابنتي؛ لأنني أعدها كيف تبني مستقبلها الاقتصادي في بيت زوجها، فألفت نظرها إلى واجب الاقتصاد الذي هو ملاك الخير، وقوام السعادة ومناد الحياة..

أما فيما يتعلق بجمع الاكتتاب لفائدة هذه القنطرة، فإنني أناشدكم الله، بأن تدعوني وشأني في بنائها ووقفها في سبيل الله، فبناها وحده، ونسبت إليه، ومن العجيب، يقول الأستاذ محمد الفاسي، إن هذه القنطرة بقيت صامدة قائمة إلى الآن، وإلى يوم الناس هذا وقد بنى الاستعمار الفرنسي في عهد الحماية الدابر قنطرة بجانبها، لكنها تهدمت، وانهارت دعائمها، وتكررت معالمها ولم يبق لها أثر ولا عين ولا خبر مع بقاء الأولى، ذلك أن قنطرة «ابن طاطو» بنيت بقصوص البيض الذي شد أجزاءها شدا متينا، فبقيت متماسكة إلى الآن...

☆☆☆

وفي أيام لمتونة، كان أبو العباس أحمد الشاوي قد جعل بين العدوتين قناطر للمجاز، لمن كان في كل عدوة إلى الأخرى...

(40) بيوتات فاس الكبرى ص : 17 / جذوة الاقتباس، ص : 1/200.
(41) «جذوة الاقتباس» ص : 1/180، والحسن هذا، من مدينة «بكرة» بالجزائر، وقد سكن مدينة فاس. انظر : ملوة الأنفاس : 3/259 لمحمد بن جعفر الكتاني.

وسئل الثووي رحمه الله عن له بنت فمهاها : ست الناس، أوست العرب، أوست العلماء، ما حكمه ؟ وهل هذه اللفظة محببة عربية، أم لا ؟

فأجاب، هذه اللفظة ليست عربية، بل هي باطلة، من حيث اللفظة، وقد عدها أهل العربية من لحن العوام، فقالوا : من لحنهم، قولهم : «ست» بمعنى سيدة..

وأما حكمها من حيث الشرع، فمكروهة كراهة شديدة، وينبغي لمن جهل، ومنى به، أن يغير الاسم، وقد ثبت في الصحيح، أن النبي عليه السلام غير اسم برة، فجاءها زينب. (12/373) المعيار العرب، للونشريتي.

(42) «نشر السناني». للقادي ص : 1/133.

ووصل بعضها ببعض، وتقريب المسافات، وبناء الجسور حتى العبور عليها لكل الناس، ومن مختلف الأجناس، فأول ما يقوم به ولاة الأمور إذا استهدف لهم الأمر، واستتبت أحوال البلاد، وبعد أن يفتحوا قطرا من أقطارها أن يبنوا القناطر لتكون مجازا سهل به العبور والتنقل عبر الأودية والأنهار، سواء كان ذلك داخل البلاد، أو في البلاد المفتوحة فهذه الأخيرة، إذن، مما يعنى بتحضيره وإنعاشه حتى تكون حنة موقوفة إلى يوم الدين...

لذلك نجد أنه كانت في دولة المرابطين والملثمين والموحدين والمرينيين أنهم يسندون تأسيس البنات الدينية كالساجد والقناطر والمدارس والزوايا والمارستانات إلى نظر القضاة الأجلة، وكان لا يتولى القضاء عنهم إلا جليل المرتبة علما ودينا ومروءة، لكون القضاء، إذ ذاك كان لهم النظر العام في الأحكام الشرعية، وفيما يعرض في الشؤون السياسية، فيتولى فصلها القاضي مع الوالي الذي له النظر في بلده نيابة عن السلطان، ويشاركهما في ذلك شيخو الشورى، وبعض العلماء الكبار، يعينهم السلطان للنظر في

48) كانت هذه القنطرة في حومة الرملة من جهة الشرق، وكانت ضمن القناطر التي جرفها السيل عام 725 هـ. بيد أنها لم تجدد بكيّة القناطر التي حملها السيل، وسبب إهمالها يعود إلى ماورد بيانه في العبارة التالية التي ألفت بمختصر: «جنى زهرة الأسي» التي تقول: «وبقيت قنطرة الرملة إلى الآن لم تبتر، وأرجو من الله أن يكون ادخرها لهذا الملك المبارك السعيد، ويجعلها من حسناته التي يبقى أثرها، ويضاعف أجرها، فإنها من الحسنات الطويلة الامتاع، الكثيرة الانتفاع، وسبب إهمال الأمراء لبناؤها أن أسوار المدينة لما رتب فيها الحفار والسمار في أيام المخاوقة، وأول هذه الدولة المرينية، أيد الله ملكها، خرج سور الرملة في قسط اليهود لعنهم الله، واشتهر ذلك بينهم، فلما تهدمت هذه القنطرة أشاع اليهود أن يبنوها عليهم حسيما عليهم حفارة السور، ليقتنوا أن يكون أثرها لهم، ويحرموا المسلمين من أجرها، ولم يستطع اليهود المبادرة لبناؤها، وقبح على الأمراء أن يكلفوهم ببناؤها خوف أن يبقى أثرها لهم، فأهمل النظر فيها بسبب ذلك هكذا تلقيناه من جملة شيخو فاس».

49) جذوة الاقتباس. ص: 49 - 1/50. والقناطر التي تهدمت يكون اهلاؤها على قدر الانتفاع بها (المعيار، لئونثريسي ص: 8/44).

فالأولى قنطرة ابن طوية (43)، التي جردها أبو سعيد المريني، والثانية، قنطرة «ابن أبي برقوقة» التي على وادي الرصيف (44)، ولما جردها السلطان أحمد بن محمد البرتغالي رابع سلاطين بني وطاس، قال في ذلك الفقيه أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونثريسي، وكتب في مربعة هنالك:

جبر الرصيف أبو العباس جرده
فخر السلاطين من أبناء وطاس
فجاء في غاية الاتقان مرتقفا

لمن يمرّ به من عدوتي فاس
وكان تجديده في نصف عام «غنى»

من هجرة المصطفى المبعوث للناس
والقنطرة الثالثة: قنطرة باب السلسلة (45)...
والرابعة قنطرة الصباغين (46)، والخامسة: قنطرة كهف الوقادين (47)، والسادسة قنطرة الرملة (48)، وحين جاء السيل العظيم عام 726 هـ، حمل قنطرة باب السلسلة وما بعدها من القناطر، فأمر عثمان المريني ببناء قنطرة باب السلسلة، وقنطرة الصباغين، وبنيت قنطرة كهف الوقادين على يد من تطوع بذلك من المسلمين (49).

ولعل أول ما يطمح إليه الفاتحون من المسلمين الواقفين الذين يعملون لتعمير الأقطار، وتنمية البلاد والديار، وترقيتها وإنعاشها، تعبيد السبل، وتمهيد الطرق،

43) وهي قنطرة باب الجديد.
44) ومنها يدخل إلى حومة المخفية عبر (جزان برقوقة) انظر: «الاستقصاء» ص: 4/155.
45) وهي المعروفة اليوم بقنطرة الطرافين، وقنطرة سيدي العواد، وكان السيل هدمها عام 725 هـ، فجدها السلطان أبو سعيد المريني.
46) وتعرف اليوم بقنطرة الخراشيين، وقنطرة ساباط الهيداريين وقنطرة جزان ابن زاكور، وهذه القنطرة جرفها السيل عام 725 هـ أيضا، وبنائها في شكلها الحالي السلطان أبو سعيد المريني.
47) هي قنطرة بين المدن الحالية، حملها السيل، أيضا عام 725 هـ، وتطوع ببناؤها على شكلها الحالي جماعة من الواقفين المحسنين.

المصالح، حتى تستوفى الحقوق، ويتنصف المظلوم من الظالم (50).

وقرر الملك يوسف بن تاشفين ضم سكان مدينتي فاس في واحدة، وهدم السورين اللذين كانا يفصلان المدينتين، إحداهما عن الأخرى وبنى جسورا على النهر كي يمكن الانتقال بسهولة أكبر، بين ضفة وأخرى (51)، وهكذا لم تعد تؤلف المدينتان سوى واحدة مثلما قسمت هذه الأخيرة إلى عشرة أحياء، أو بصورة أدق إلى عشر مناطق.

وقد أكد «ميلي» : (52) «أن أبا يعقوب الموحد بنى القناطر، ومعابر المياه، مبرهنا بذلك عن اهتمام نادر بالصالح العام... وقد أسس ولده المنصور منارات وقناطر، وحفر مطامر، وأقام ملاجئ...».

وقد بنى الملك المنصور الموحدي جسرا قرب مدينة مراكش، وقد ابتدأت أعمال بناء الجسر يوم الأحد 25 أكتوبر عام 1170 م في عهد الخليفة الموحد أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن والد المنصور، وعلى هذا الجسر خمس عشرة قنطرة، وهو من أجمل الابنية التي توجد في افريقية، وقد تخربت ثلاث قناطر في عهد أبي العلاء الملقب بأبي دُبوس آخر ملك وخليفة في مراكش، كي يمنع عبور يعقوب، أو ملك من أسرة بني مرين، ولكن هذا لم ينفعه إطلاقا في شيء (53)... إذ أن أبا العلاء الملقب بأبي دُبوس كان يمارس سلطته بوصفه خليفة موحديا شرعيا في منطقة مراكش، عندما قرر أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني التي تم الاعتراف به ملكا في

المنطقة الواقعة شمال نهر أم الربيع منذ 30 يوليو 1258م قرر أن يحتل مدينة مراكش، وقام في أواخر يولييه 1269م بمحاولة ضد هذه المدينة، ولكن قطع الجسر أدى فشلها، ولكن أبا دُبوس لاحق خصمه، فقتل في معركة في ذكالة يوم الجمعة 30 غشت 1269م... إذن لم يؤد قطع جسر تانسيفت إلى الحيلولة دون نهاية أسرة الموحديين في مراكش.

☆☆☆

بل أن الفاتحين العرب كانوا إذا دخلوا قطر، أو فتحوا مصرا إلا ويأدروا بإحداث مؤسسات ومنشآت عمرانية كبناء القناطر والمساجد والمدارس والملاجئ، ولا سيما في بلاد الأندلس...

وقد بنيت قنطرة قرطبة قبل الفتح العربي بنحو مائتي سنة (54)، وكانت قنطرة مهمة ذات نفع عظيم في إبانها...

وقد دخل أمير المؤمنين يعقوب المنصور الموحدى اشبيلية بالأندلس للتبرك بالاجتماع، وللمذاكرة فيما فتح الله في غزوته من البلاد، يوم الأحد من شهر المحرم عام 567 هـ، وقد كان أمره الكريم نفذ بعمل القنطرة (55)، من الوادي (56) لمصالح الناس، وإجازة العاكر عليها، ومرافق أهل اشبيلية، وأهل الشرف والأنظار، فابتدأ العرفاء والصناع العمل فيها والنجارة والهندسة لوضعها على الوادي، فاتصل العمل فيها، وزاد بحضوره الاجتهاد، والنصح والاقتصاد، فكملت في اليوم السابع من صفر من عام 567 هـ وحضر

54) المقتبس لأبي حيان كما ينقله عن المقرئ في النسخ ص : 2/26.
55) قد تحدثت عن هذه القنطرة (حوليات تاريخ إسبانيا) التي أمر بتأليفها الملك «الفونسو العاشر» المعروف بالحكيم ص : 760 - 762... وأورد الأستاذ «ميلشور أنطونيو» وصفا دقيقا لهذه القنطرة الموحدية مأخوذا من كتاب تاريخ اشبيلية. للمؤرخ المسيحي «مورجادو» وهو وصف يتفق تماما ما ذكره ابن صاحب الصلاة.
56) الوادي : هو وادي اشبيلية، وهو الوادي الكبير الذي ينبع من شقورة من الجبال الوسطى في إسبانيا، ويصب في المحيط الأطلسي جهة قانس غير بعيد عن مصب وادي «آنة».

50) «كتاب الوجيز» لمحمد بن محمد بن محمد الدكالي السلوي عن مجلة «الإيمان» عدد : 136.

51) «وصف افريقية» للحسن بن محمد الوزان الزياتي (ليون الإفريقي) ص : 227.

52) كتاب الموحدين ص : 129.

53) «وصف إفريقيا» للحسن الوزان ص : 622.

الخليفة أبي يعقوب المنصور في الداخل مانصه : «وأمر
الخليفة أبو يعقوب ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي
أحدثها الإمام أمير المؤمنين، وفي هذه المدينة المحدثه...
مياه مطردة، وسقايات ومنتافع أعدت لورود المحلات عليها،
إذ وضعها على المجاز والمعبرة (61) إلى حضرة مراكش
كلاها الله، وعلى هذه المعبرة قنطرة مركبة على ثلاثة
وعشرين معدية مدت عليها أوصال الخشب، وصلبت عليها
الألواح والقرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر، تجوز
عليها العساكر والمسافرون، وحولها يتصيد أنواع السمك
والشابل، ويمد البحر، فترتفع القنطرة، فتغطي الجسر،
فتعوم عليه المراكب، وترسى دونها الأجنان الكبار، وقلما
تسلم عند دخولها وخروجها لصعوبة المدخل» (62).

وقد جدد السلطان المولى أبو العباس أحمد المنصور
السعدي سدّ الوادي وجسره، بمال أكثره من القرويين
الوقفية، وفرح الناس بذلك... وقال أدباء وشعراء البلاط
الملكي في ذلك الوقت فيها قصائد، منهم عالم فاس،
وحافظها أبو العباس أحمد المقرئ، وأبو عبد الله الوجدي،
وأبو العباس ابن القاضي، وأبو القاسم الوزير (63)...

ومن نظم أبي القاسم الوزير الغساني في السد الذي
هو من مآثر المنصور السعدي :

سد بفاس، أبو العباس سده
مولي الملوك، ونجل خاتم الرسل
الفاطمي الرضا، المنصور ذو أثر
الطاهر المرتضى في القول والعمل
فصار متوثق الأرجاء في رصف
قد خلته صدفا، أو شاهق الجبل
جزيت خيرا، أيا أندى الملوك يدا
وواضع الخير من حراف ومنتعل

(61) لا أثر لها الآن.

انظر تعليق رقم : 97 الأتي...

(62) نقلا عن مقدمة الفتح من تاريخ «رباط الفتح» لابن عبد الله محمد
بوجندار ص: 76 - 77.

(63) نشر المثالي ص: 179.

أمير المؤمنين يوم كمالها، حتى عقد الجسر منها، ووضع
على الوادي، وكان يوما حفيلا من قرع الطبول، وكمال ما
أمر فيها من المامول، من حضور الكتاب والجنود، وعقد
الألوية والبنود... فحضر العسكر المبارك عند الأمر العزيز
إليهم. وجازوا على القنطرة المصنوعة الموضوعه على
الوادي إلى «أطريانة» (57)، وهذا العسكر أول عسكر جاز
عليها...

وإن القنطرة المصنوعة مما تمصرت بها اشبيلية،
و«أطريانة»، وحصل للناس بتسهيل العبور عليها غبطة
واتصال، وأمنة وأمال، كما حصل لأمير المؤمنين رضي الله
عنه من الأثر الجميل، والأجر الجزيل على اتصال الأزمان،
ومرور الحدثان، ما لم يتقدم قبله من أهل الطوائف، ولا
من الخلاف، إذ سبق إلى هذه المنقبة الكريمة في موافق
جواز الناس عليها، والعساكر بتيسير الإيتاس إلى ما أنعم به،
وتم من عدله وفضله بتبيل المرور عليها للسابلة دون
قبالة توخذ منهم فيها، أو جعل يستوفيهها (58)، فجعل الله
هذه الحسنه الباقية إلى يوم القيامة في ميزانه، وأنتها في
الدنيا والآخرة في ديوانه ورفع الله عن الجائزين قبل من
أهل اشبيلية إلى الشرف، وإلى الأنظار مشقة عظمى،
وأناهم بهذا النظر الدقيق الرحمة والرحمى (59)...

وذكر المؤرخ «يوسف أشباخ» قنطرة نهر الوادي
الكبير بأشبيلية، وقال : «إن يوسف هو الذي أنشأها من
السنن، وأنها تثبت فيها السفن بالسلال» (60).

☆☆☆

قال صاحب الاستبصار، في عجائب الأمصار منجزات

(57) «أطريانة» أو طريانة «TRIANA»، حاضرة من حواضر إشبيلية
ينسب إليها الفقيه عبد العزيز الطرياني والشاعر الأديب أبو عمران
موسى الطرياني، والفخار الطرياني، ويوجد زقاق بفاس يحمل اسم
طريانة قرب المدرسة العنانية، (الحلل السندية ص: 1/919، «المن
بالإمامة لابن صاحب الصلاة» الهامش : 462).

(58) لا كما هو الحال اليوم في البلاد الأوربية التي يقطع المسافر طرقها.
وهو يؤدي في محطات متعددة رسوما وفي كل مسافة معينة كي
يسمح له بالمرور.

(59) «تاريخ المن بالإمامة» لعبد الملك ابن صاحب الصلاة، تحقيق
الدكتور ع. التازي.

(60) «تاريخ الأندلس» ص: 2/254.

ولما فرغ هذا القائد من أمر هذا السد، أشار على فقهاء وبلاط الحضرة الفاسية باختراع قطع في مدح مولانا، فأجابوه مسرعين... فمن ذلك قول شيخنا الإمام أبي العباس سيدي أحمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي :

وجب الثنا للقائنين بفاس
شكرا لمولانا أبي العباس
إذ سد سدا من سيد صنيعة
كم مجسد أحياء، وكم أغراس

كم منزل، بالحال، أضحي منشدا :
الملك أصبح ثابت الآس
إذ ساسه مولى الملوك وتاجهم
نجل النبي الطاهر الأنفاس
لما تأس جاء في تاريخه *
«سد. مر» ما به من بأس (67)

وقال في ذلك الأديب سيد محمد الوجدي قصيدة يقول فيها :

وحين طغى يا جوج ماء على الثرى
ولم يستطع ردع لـذاك ولا رد
أقمت له السد الحصين وشدته
فطاب لفس، بعدما طمئت، ورد

ولأبي الحسن علي بن الزبير السجلماسي الملقب بين الأصحاب بالعضد نظم، منه قوله في السد الذي أنشأه المنصور يقول :

قال للإمام جزاء الله مكرمة
حيث اعتنى بانسداد السد للآم
كهف الأنام، وغوت المسلمين، لقد
أضحت مآثره، نارا على علم

في عام تسع وألف تم سائرته
في مدة نزلت قريبة الأجل (64)
ولمحمد بن يوسف بن رضوان النجاري في السد الذي أنشاه أمير المومنين المنصور بالله السعدي، ووقفه على المارة والسابلة :

شئى مكارم لم تعد لقياس
حاز الفخار بها أبو العباس
شمس الخلافة قطبها وإمامها
وجمال مفرقها، وتاج الراس
سبط الرسول المصطفى، وإمامنا
ذو الفخر، والآلاء، ملك الناس
فأقلها تأييه وهداده

سدا تعاطم أمره من فاس
حتى غدا من عزمه متكملا
متوعبا متوثق الآس
من بعد تعطيل المساجد جملة
من فاس أندلس على أجناس
وغدا الرياض لأجل ذاك مواصلا
من بعد غضتها وحن كأس
لله هزته إذا ذكر الندى

فتسح أنمله على الجلاس
فتخالها وكاف مزن مبل
كم معسر أغناه من افلاس (65)

وقد أنفق أحمد المنصور السعدي في بناء السدين العظيمين بواد «بو طوبة» أموالا كثيرة... قال أحمد المقرئ : (66) «كنت إذ ذاك بفاس حين بعث نصره الله لبناء السد الأعظم منهما، قائده الفقيه الأسني الماجد السري النحيري، صاحب القريحة الوقادة سيدي إبراهيم بن محمد الآسي، أبقى الله علاءه، وشكر لي أياديه وآلاءه، فهو الواسطة بيني وبين أمير المومنين، كنت حينئذ بفاس، فلما فرغ من بناء السد، ذهب بي في صحبته إلى الحضرة المراكشية، وأدخلني إلى أمير المومنين...»

(64) روضة الآس : للمقرئ ص : 218.

(65) روضة الآس : للمقرئ ص : 338 - 339.

(66) روضة الآس / ص : 23.

(67) روضة الآس - ص : 23.

وكيف لا يتنقضي سد فاس وقد
توجه الأمر من مولاي ذي الهمم (68)
وقال أحمد المقرئ :

سعد الزمان بدولة المنصور
وغدا السورى في غبطة وسرور
فخر الخلائق من ذؤابة هاشم
سيط الرسول، فحسب كل فخور
أنشأ، وأتقى سد فاس محكما
قصرت مرين عنده أي قصور
وذكر الحافظ الإمام أبو العباس أحمد المقرئ في
كتابه (69)، فيمن له من الأدياء والأعلام : ان من مآثر أبي
العباس أحمد المنصور بناء القناطر المتعددة، كقنطرة
«تانيفت» قال : «كنت بمراكش حين ذهب الليل بنحو
الأربعة أقواس منها، فبناها احتسابا، وكذا قنطرة وادي أم
الريبع السفلى، وكذا قنطرة «بين المدن» بحروسة فاس
بناها، أيضا، في هذه السنة، وأخبرت، أيضا، أنه مشغل
هذه الأيام ببناء القنطرة العظيمة التي على وادي سبو،

وهي من مفاخر والده مولانا أمير المؤمنين المهدي بالله
رضي الله عنه، وهي قنطرة لا نظير لها، عظما...

قال القادري (70) تعليقا على قول المقرئ : «قوله
احتسابا، أي في أداء ما وجب عليه، إذ بناء القناطر، وما
في معناه على بيت المال، فهو في ذلك كالوكيل في تتبع
المصالح، والعمل بالراجح، وذلك مما يجب (71)... وأما
قوله من مفاخر والده، ظاهره أن والده محمد الشيخ
المهدي هو الذي أنشأها، ولم أقف على هذا، إلا أن يكون
لها بناء قبل ذلك وتهدم...

وقد بنى أبو الحسن المريني القنطرة التي يعجز عن
ملها، وتحبسه عليها محفوظ عن الأصاغر والأكابر (72)...

وقد تحدث محمد بن مرزوق التلمساني (73) عن
إنشاء أبي الحسن المريني القناطر والجسور، التي يتهمها
عليها العبور، فقد عمل فيها الأعمال العجيبة، فقنطرة «وادي
ردات» وقنطرة بني بسيل، وقنطرة الوادي بداخل فاس،
وقنطرة الرصيف، وقنطرة «وادي سطنيف» بتلمسان،
وقنطرة باب الجياد، وسد سيرات، وقنطرة ميناء، هذه
القناطر كلها من إنشائه وفي حسناته، ولا يحيط الوصف
بها، ولا يقدر قدر ما انفق من الأموال الطائلة فيها... ثم
قال ابن مرزوق تعليقا على هذه الوقوف : وهذه الأمور هي
التي يشترك في الانتفاع بها القوي والضعيف والبادي
والحاضر... وهذه الآثار المتعددة لم تعهد لملك قبله في
سالف الأزمان...

قال في المنتقى : «وأنشأت الحرة مسعودة أم المنصور
السعدي المسجد الجامع، بحومة باب ذكالة، داخل مدينة
مراكش، ووقفت عليها أوقافا عظيمة، وكان ذلك في عام
995 هـ، وهي التي بنت جسر وادي أم الربيع وغير ذلك».

(70) نشر الثماني ص : 1/106.

(71) انظر : «النتف في الفتاوى ص : 1/526.

(72) «السند الصحيح الحسن» لابن مرزوق التلمساني ص : 122، تحقيق
«ماريا خيسوس».

(73) المصدر السابق ص : 418.

(68) «روضة السرين» لأحمد المقرئ ص : 340.. أولئك هم شعراء البلاط
الملكي الذين كانوا يخلدون المآثر والمفاخر لأمتهم، وينشرون ما
تقوم به من منجزات عمرانية باقية على الدهر... وهم في ذلك
كغيرهم من الأمم قديما وحديثا.. وقد صدر في ماي 1984 قرار
بريطاني بتعيين «تيدافيتوز» الشاعر الإنجليزي المعروف شاعرا
للبلط الملكي البريطاني خلفا للسرجون بيتجيسان الشاعر
السابق الذي توفي في ماي.. وقد سعدت زوجته السيدة «كارول»
بهذا التعيين، والواقع أن شعر المديح موجود في الشعر الأروبي، كما
هو موجود في الشعر العربي..

شعراء البلاط وظيفته كانت موجودة في كل بلاط أروبي، ولا تزال
قائمة في إنجلترا كما رأينا.. إلى اليوم.. وكبار شعراء فرنسا
الكلاسيكيين كانوا موظفين في البلاط، فقد كان «بيير دو رونار -
(1585 - 1524) Pierre de Ronsard» في القرن السادس عشر، شاعرا
للبلط تحت اسم : «مستشار الملك ومرشده العادي» وكان «فرانسوا
فينيلون» (1715 - 1651) Francois Fenelon - في القرن السابع عشر
مؤدبا لدوق بورجوني Duc de Bourgogne ومن أجله كتب «محوارات
الموتى»، Dialogue des morts وتيليماسك les aventures de
Telemachus ويبدو غريبا أن نعرف عن الشاعر «فيكتور هوجو» أن
مجموعته الشعرية الأولى تضمنت بابا لأما ديحه في أسرة
«البوربون» Bourbon المالكة في فرنسا وأن «لوي فليب» (Louis
Philippe) الذي تسلم العرش عند عودة الملكية بين عامي
1830 - 1848، أجرى عليه نقعة دالمة؛ قد يبدو غريبا أن نعرف
هذا، لأنه قد يتناقض مع البيئة الثورية التي نشأ عليها الشاعر، ومع
مواقفه السياسية، وأشهرها مقاومته للامبراطورية الثانية في فرنسا،
وعداؤه للامبراطور نابليون الثالث..

(69) روضة الآس ص : 22.

وتحدث المقري (74) عن القناطر التي بنتها، أيضا. مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد بن عبدالله الوزكيتي والدة السلطان أحمد المنصور السعدي (ت 1000 هـ)، فقال: «وأفعال برها لا تحصى كثرة، كبناء القنطرة العظيمة على وادي أم الربيع، وقنطرة أخرى أيضا، وغير ذلك، ولولا الإطالة لذكرت جملة منها...»

ونهر أم الربيع نهر كبير جدا يتولد في الأطلس بين شاريخ الجبال على تخوم تادلة، ويجتاز خوانق ضيقة حيث يظهر جسر جميل في هذه الفترة، بناه أبو الحسن على سادس سلطان مريني - حكم بين 1331 - 1348 م - وقد تخرّب هذا الجسر عند دثرة الواد عام 1545، بعد أن ألحق الشريف أبو عبد الله محمد الشيخ سلطان المغرب هزيمة بسلطان فاس أحمد الوطاسي على وادي درنة، الذي سقط على يده أسيرا، وبعد خمسة عشر عاما قامت أرملة السلطان محمد الشيخ، وهي مسعودة المذكورة آنفا وأم السلطان الشهير أبي العباس أحمد المنصور الذهبي ببناء جسر آخر يبدو أنه هو الذي تقع أطلاله على مسافة بضعة كيلو مترات في سافلة الجسر السابق قرب زاوية الشيخ (75).

وقد كتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالي (76) في مرمر عن قبر السيدة مسعودة بنت أحمد الوزكيتي ما يلي: «الأوبة إلى الله بقلب خاشع، وعمل في سبيل البر والزلفى شائع، والمتقربة إليه بحسن الأثار التي منها الجسران والمسجد الجامع...».

وقد جدد السلطان أبو العباس أحمد الوطاسي بناء قنطرة الرصيف بحضرة فاس، وذلك منتصف عام 951 هـ، وفي ذلك يقول الفقيه أبو مالك أيضا:

(74) روضة الأس ص: 67. - الإعلام، للمراكشي ص: 1/90، ومن العجيب أن المؤرخ الأفراني الذي سجل في كتابه «تزهة الحادي» المعلومات التاريخية التي يشتمل عليها المنتقى المقصود لم يشر إلى نص الحوالة العيسية التي تتعلق بالوقف الذي خصصته أم المنصور السيدة مسعودة الوزكيتية (ما زال قبر هذه السيدة معروفا بقبرة السعديين في مراكش) لصالح مسجد أقامته بمراكش قرب باب دكالة، وقد حرر تلك الحوالة الكاتب عبد العزيز الفشتالي وصادق عليها المنصور.

(75) «وصف إفريقيا» لبون الإفريقي: ص: 622 ط: السعودية.

(76) روضة الأس، ص: 155.

أيأ أهل فاس سد الله سدكم
برأي أبي العباس حامي حمى فاس
وأحيا به أشجاركم وثماركم
على رغم قوم منكربين من الناس
فدام، ودام السعد، يخدم مجده
وفاز من الشكر الجميل بأجناس
وقال الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج:

الا سدّ الله رأي السدي
بتديده، سد سدا حصينا
وخلد في عزه ملكه
وأولاه فتحا ونصرا ميننا
إمام الهدى أحمد المرتضى
مبيد العدا، عدا المسلميننا
وقال الإمام أبو الحسن علي بن هرون:

لقد سدّ الله رأي العماد
وأبطل في السد رأي الجهول
وقرب ما رامه من عماد
بمولاي أحمد مدحي بطول
فطردا، وعكسا، لاني ينادي:

«عقول الملوك، ملوك العقول» (77)

☆☆☆

وقد بنى السلطان الرشيد العلوي متأثر في مصالح المسلمين جليلة، واستطاع إقامة بعض المؤسسات، رغم قصر أمد إمارته الملاي بالحرب؛ من ذلك بناؤه عام 1079 هـ قنطرة على نهر سبو المعتبرة التي لا يعرف في المغرب مثلها في وقتها، و«قلما اتفق في المعمور شكلها» وهي على أربعة كيل من مدينة فاس طولها مائة وخمسون مترا، فأنتق في بنائها إثنين وخمسين قنطارا، كان تجار فاس، كما في «الدرر الفاخرة» استقرضوها منه في ذي الحجة من العام المذكور، ولما قضوا الذين ضرب العدة في البناء المذكور.

(77) الاستقصا للناصري ص: 4/155.

وكان ابتداء العمل في حفر أساسها 5 جمادى الثانية 1081 هـ، وذكر الحافظ المقرئ في نفع الطيب أن عدد قسي قنطرة قرطبة سبعة عشر قوسا، سعة كل قوس خمسون شبرا، وبين كل قوس والقريب منه خمسون شبرا (78).

قال محمد بن الطيب القادري في نشره: وعدد قسي قنطرة سبو ثمانية، وواحد صغير، والكبير من أقواسها تماثل سعة الواحد من قسي قنطرة قرطبة، وكذلك بين القوسين منها، وربما زاد عليه على ما ذكر المقرئ، فهي في الجملة على النصف من قنطرة قرطبة أو أقل أو أزيد بتقريب...

وقد تبارى شعراء الدولة في وصف تلك القنطرة، وضبط تاريخ البناء، وأبدعوا في ذلك ماشاؤوا، فمما قاله الامام أبو علي اليوسي:

انظر إلى هذا الجمال الباهي

العماد الأمثال والأشباه

إلى أن قال مشيرا إلى التاريخ، ومنها بأعمال

المؤسس:

وأشادها حسناء ترفل في حلا

ورق على در من الأمـوال

عاما «شفا 1081» فيه النفوس من العنا

وأجارها من جائر مجباه

من غير ما عجب، فما تشييدها

في جنب ما صنع الرشيد وما هي

إن الصنائع منه ينسي بعضها

بعضاً، فهي على النحوود دواهي (79)

وقال أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في

القنطرة المذكورة:

هذه قنطرة قـد بنيت

عام (إحدى وثمانين وألف)

أكملت في سنة مع ربع

ومدى الأعمال فيها نحو نصف

(78) إن جسر الأقواس، «Viaduc» هي الجسور التي تعتمد على أقواس قوية، وقد بنى الرومان جسر الأقواس على نطاق واسع، وغالبا ما استعملوها تقنية لجر الماء، ويعتبر جسر لندن، ومنه القديم الذي أنشئ عام 1209 والحديث الذي بني سنة 1831، في طليعة جسر الأقواس الحديثة.

(79) «مفاخر الدولة العلوية» ص: 15.

بدت ثاني وعشرين لذي

حجة قبل مضي فصل خرف

وأتى فصل الشتاء وهي على

اسها حتى بدأ الفصل الموف

فانبتت في فصلي الصيف معا

وبدت في الحسن فوق كل وصفا

شادها المولى «الرشيد» الحسني

الذي قوَّى الورى من بعد ضعف

والذي أطعمهم من جوعهم

والذي أمنهم من بعد خوف

زاده الله علا فوق علا

وسخاء للورى أغنى وكف (80)

وقال في ذلك أيضا:

برزت كالحق محمود اتصاف

لائح الأنوار ما فيه اختلاف

فقدت من حسنات ابن الالى

شرفوا من حن بين الشراف

شادها من شوهدت آياته

للورى بينة غير خوفا

خير من ألقى على القوم الهنا

والذي مهد للسبل العواف

والذي أطعمهم من جوعهم

والذي أمنهم مما يخاف

ملك حاز الذي ما حازه

ملك في الفخر من عبد متاف

بالرشيد ابن الشريف شرفت

وبدت بين سماح وعفاف

قد «شفا 1081» تاريخها فهو «شفا 1081»

وهدى للمومنين فهو «شاف 1081»

ونلاحظ في الآيات الأخيرة والتي قبلها أن

الشاعرين المغربيين أبا علي اليوسي وعبد الرحمن الفاسي

وغيرهما من الشعراء المغاربة كانوا يتعملون «حساب

الجمال» في الحساب لتسجيل تاريخ الوقائع والأحداث

(80) المصدر السابق ص: 16.

والوفيات فما هذه الظاهرة ؟ ومن أول من استعمل الحروف الأبيجدية دالة على الأرقام ؟؟

لقد كان العرب يستعملون حساب الجمل في الحساب، قبل استخدام الأعداد الهندية أو الأرقام التي نستعملها اليوم في حسابنا... وكذلك السريان والعبرانيون يفعلون، فلما عرف العرب الأرقام الهندية، استعملوها لسهولتها، كما ظلوا يستعملون بجانبها القيمة العددية للحروف الأبيجدية...

ويظهر أن أول من استعمل الحروف الأبيجدية (81) دالة على الأرقام ما عثر عليه من لوح تذكاري من الحجر على «سبيل الماء» مقام في قرية صغيرة ببلنان قرب مدينة عالية كتب عليها النص الآتي : «أنشأ هذا السبيل المبارك العبد الفقير صالح بن محمد الحلبي الشهير نسبه، ثبت الله حسنته، وجزاه جزاء الآخرة وبخلود دولة مولانا السلطان مراد حفظه الله كل حفظ، وكتب في شهر شعبان المبارك سنة : «صفت» أي 900 هـ. أي السنة التي انشئ فيها ذلك السبيل...».

وقد استطاع الناقد اللبناني «مارون عبود» أن يقع على نص أقدم من هذا يرجع إلى 872 هـ، وبعد قول بعض الشعراء مؤرخا وفاة الشيخ تاج الدين بن البخشي (ت 872 هـ) :

انتقل الشيخ وتاريخه :

«قدسك الله بسر رفيع»

ومجموع حرف الشطر الثاني الواقع بعد كلمة، «وتاريخه بطريقة حساب الجمل يساوي 872 هـ، وهو عدد يطابق السنة الهجرية التي توفي فيها المؤرخ...

وقد سرت بدعة : «التاريخ الشعري» الذي نراه في أكثر ما نظمته شعراء القرن التاسع عشر في الأقطار العربية كلها، وتهافت الشعراء على استعماله، وتنافسوا في التكثر بقوله في كل مناسبة صغيرة أو كبيرة من مناسبات الحياة

(81) قيل إن أول من اخترع اللغة العربية وألف حروفها ستة أشخاص من طم، كانوا نزولا عند عدنان بن أدد، وكانت أسماؤهم : أبجد. وهون. وحطي. وكلسن. وسعفض. وقرست، فوضعوا الكتابة على أسماؤهم (تحفة أولي الألباب، في صناعة الخط والكتابة» ص : 3، لابن الصالح (ت 845).

حتى لقد اجتمع على ضعف الشعر وابتذاله حساب الحوادث «بالجمل»، فكان من ذلك الاجتماع عون على القضاء على المعاني الجادة الشريفة، والأغراض السامية الكريمة التي يفترض في الشعر أن يكون سباقا إلى القول فيها...

فإذا جدد الأمير بشير الشهابي بناء «سبيل للماء» عام 1229 - 1814، نرى الشاعر بطرس كرامة الحمصي المولد، اللبناني الإقامة يؤرخ لهذا التجديد بيتين متهافتين :

أنشاء ذو المجد البشير مجددا

وثواب تجديده الدوائر أوفر

فشد الثواب : ردوا لأعذب مورد

يجري به، أرخ : «شرب كوثر»

وتدور أكثر تواريخ السيد علي درويش (82)

الشعرية حول المدح، وإقامة القناطر، ويجب أن لا ننسى تاريخه الشعري للقناطر الخيرية، ولقناطر «فم الخليج»، والحمرا، «وسرياقوس» التي أنشأها محمد علي...

ولا يقل الشاعر المصري السيد علي أبو النصر

(ت 1880م) عن زملائه الشعراء من القرن التاسع عشر ولوعا

بالتاريخ الشعري، ولا معاناة له، ولا انشغالا به، فهو يؤرخ

شعرا في تشييد دار، وإقامة قناطر، كتاريخه للقناطر

الابراهيمية «بديروط» عام 1288 هـ 1871م وهي القناطر

التي أشرف على إنشائها المهندسون المصريون : اسماعيل

الفلكي، وسلامة بك وبهجت باشا وغيرهم (83)...

☆☆☆

وعود على بدء، ولما تكلم الشيخ أبو الحسن علي

اليوسي في المحاضرات على الحديث الصحيح : «إن أخنع

الناس عند الله رجل تسمى بمالك الأملاك» قال ما نصه :

«ومن البشع الواقع في زماننا في الأوصاف، أنه لما بنى

السلطان المولى الرشيد بن الشريف قنطرة نهر «سبو» صنع

بعضهم (84) أبياتا نقشت بالبناء في القنطرة، أولها :

(82) السيد علي الدرويش المصري (ت : 1270 - 1853م) انظر ترجمته

في «شيخوخة». ص : 1/84، و«أعيان البيان» للسندوبي : ص : 46 :

و«أعلام من الشرق والغرب» لمحمد عبد الفني حسن ص : 56، ط :

دار الفكر العربي بالقاهرة.

(83) انظر «عبد الله فكري»، بقلم : محمد عبد الفني حسن «أعلام العرب».

(84) هو العلامة القاضي أبو عبد الله المجاصي...

صاغ الخليفة، ذا المجاز

ملك الحقيقة لا المجاز

قال : فحمله اقتناص هذه السجعة، والتغالي في المدح، والاهتيال بالاسترضاء، على أن جعل ممدوحه ملكا حقيقيا، لا مجازيا، وإنما ذلك هو الله وحده، وكل ملك دونه مجاز الممدوح وغيره (85).

ونبة الألوهية إلى غيره تعالى كفر صراح، وهذا مقتضى اللفظ، وقائله يتأوله بحقيقة دون حقيقة لأنه موحد، ولكنه في غاية الإبهام، وغاية القبح والبشاعة... وقد انكر الاشبيلي وغيره ممن ألف في لحن العامة ما هو أخف من هذا بكثير (86)...

وأجيب بأجوبة، منها أن الحقيقة تنقسم إلى عقلية وشرعية ولغوية وعرفية، والملك بمعنى العقلية لا يكون إلا لله، وفي غيره استحيل، فيحمل على إحدى الحقائق الباقية، والاقرب مثله حمله على الحقيقة العرفية، بمعنى أنه لا يقال في العرف ملك الحقيقة إلا له، أما باعتبار الحاضرين في زمانه فلا إشكال، وأما باعتبار من مضى، فهي على طريق المبالغة، وذلك شائع في باب المدح (87)...

☆☆☆

وقد جدد المولى الرشيد أيضا، «قنطرة الرصيف» الممرور عليها إلى جزاء أبي برقوق من عدوة الأندلس، وجدد «قنطرة وادي فاس»، وهي المعروفة اليوم «بالقنطرة الطويلة»... وأسس القنطرة الشهيرة خارج باب البوجات، وهي بداخل مشور الباب المذكور، أدخلها إليه السلطان المولى الحسن لما سورة...

كما أسس السلطان هذا، «قنطرة وادي النجا» وقنطرة «باب الجديد» أحد أبواب فاس (88)...

وفي إحدى هذه القناطر يقول أبو زيد عبد الرحمن القاسي :

انظر إلى فضة يضاء قد بطت
جرا على نهر يجري مع الدرر
كغرة فوق أشكال الدُّمَّامعت
أو يارق لامع في ليلة القمر
أو لجة من لجين إن بدت دررا
بها يد البحر قد جادت على النهر
لا تعجبوا لنشر الدرر كيف جرى
فـالبحر يجري بمنظوم ومنتشر
هذي مآثر مولاي الرشيد بدت
عن سيرة سار فيها أحسن السير
من رام تعريفه ينظر مآثره
فما العيان، كمن قد جاء بالخبر
تاريخها (ظفر 1081) لما تلا (ظفر 1081)
جاءت ترى (شما 1081) من ذلك الظفر
ابقاء رب العلا دخرا يزيد علا
لجلب منفعة أو دفع ذي ضرر (89)

ومن مآثر المولى إسماعيل وتحيياته اتمام قنطرة «وادي النجا» كما جدد عام 1115 هـ «قنطرة الرصيف».

ومن ذلك قنطرة الشيخ علي بن منصور الشهير، وكان تأسيسه لها عام 1104 هـ و«قنطرة دردورة» الشهيرة المعروفة فيما سبق بقنطرة «ابن يشو» وكان تأسيسه لها عام 1101 هـ، على ما في بعض التقايد الموثوق بها، والقنطرة الكبرى على الوادي الواقع خارج الزاوية الإدريسية بزرهون، وقنطرة أخرى على الوادي المذكور من ناحية قصر فرعون المعروفة اليوم «بقنطرة سيدي صابر» (90).

89) الدرر الفاخرة ص : 18.

90) «المنزح اللطيف، في التلميح لمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف لابن زيدان ص : 384، مخطوط.. وعين دردورة، أو عين دورة جعلوا موقع هذه العين بين رأس عين علون، وعقبة الصعتر، ولا تعرف اليوم عين هناك، بفاس بهذا الإنم، ويرجع الأستاذ السيد عبد الوهاب بمنصور أنها عين الخيل الحالية أشهر عينون تلك الجهة وأغزرها ماء.

85) «الاستقصا للناسري ص : 7/40.

86) المحاضرات للحسن اليوسي ص : 18 - مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط 1396 - 1976.

87) نشر المثاني ص : 2/193؛ الاتحاف ص : 3/316.

88) وذلك في العام المذكور حسبا في «التقاط الدرر» وقد بنيت قنطرة «وادي النجا» وقنطرة ماريج» في عام 680 في عهد الدولة المرينية (الاستقصا للناسري ص : 3/79).

ومن مآثر المولى سليمان أنه أصلح القناطر التي بين فاس ومكناسة وجدد قنطرة الرصيف مرتين، وأصلح قنطرة على وادي سيدي احرازم بخولان، وبنى «قنطرة وادي حصار» بتامنا، كما بنى «قنطرة وادي أم الربيع»، و«قنطرة تانسيفت» بمراكش بعد سقوطها (91).

وقد جدد المولى محمد بن عبد الله بعض حنايا «قنطرة سبو» (92) العديمة النظير عظمًا وضخامة ومتانة وإتقانًا، وقد نقش شعر في زليج أسود بأعلى أحد أقواسها، ودونكم لفظ البقية من هذا الشعر :

شيــــــــــــــئــــــــــــــي مــــــــــــــدني مــــــــــــــعظم وودود

إمام غرب، فضله معــــــــــــــدود
محمد ابن من لــــــــــــــه صعــــــــــــــود

عبد الإلاه الملك السعيد
ونشأتــــــــــــــي تاريخها المعــــــــــــــدود

تكراره أدت بــــــــــــــه شهــــــــــــــود (93)
وبنى المولى عبد الرحمن بن هشام «قنطرة وادي مكس» بسفح جبل زهرون، وذلك عام 1273 هـ... (94).

ومن مآثر السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل ووقوفه، القنطرة من الحديد باكورة ما اخترع في عصره، كان رام نصبها على وادي أم الربيع، وكان المرشح للوقوف على اصطناعها وجلبها من أوروبا هو التاجر ولد مصطفى الرباطي، وقد صرف في سبيل تحصيلها وجلبها أموالاً عظيمة، ومع الأسى والأسف، فإن هذه القنطرة لما وردت على حضرته السلطانية، سعى بعض الحدة، ومن في قلبه مرض من أهل الوجاهة في إبطال العمل بها، وقالوا: إنها لا تصلح ولا تناسب، وإنها يختل نظامها في أقرب مدة، فحمل المولى محمد بن عبد الرحمن كلامهم على الحقيقة، فألقاها في زوايا الإهمال، وصمم على بناء قنطرة، وأمر من زعم أنه

(91) في عام 566 أمر أمير المومنين يوسف بن عبد المومن ببناء قنطرة تانسيفت وكان الشروع في بنائها يوم الأحد 3 صفر (الاستقصا ص 2/133) وجاء في كتاب الروض المعطار: أن علي بن يوسف ابن تاشفين اللمتوني كان قد بنى قنطرة تاشفين، وأن السيل أتى بعد ذلك فهدمها.

(92) «الاستقصا للناصري ص: 8/69»

(93) «الدرر الفاخرة» ص: 65.

(94) «الاتحاف» ص: 5/237.

يحسن النظر في ذلك بالتوجه لاختبار المحل الصالح لما ذكر، وتبيين ما تدعو إليه الحاجة من الإنقاض والمقومات، وتقدير ما تحصل به الكفاية، وأعلام جنابه بذلك ليأمر بتنجزه؛ والحال أن ذلك الموجه كذوب خؤون سيء النظر، فلم تنجح ساعيه... (95).

ومن تأسيات السلطان المولى عبد العزيز بناء ووقف القنطرة ذات الأقواس التي يمر فوقها الماء المجلوب من «عين شانش» النابع، أصلها قرب مدشر «موساوه» أحد مداشر جبل زهرون ليزداد ذلك الماء على ماء عين خيبر الداخل للحرم الإدريسي وغيره من الأماكن التي يجري بها الماء من تلك الزاوية (96) وكان المولى عبد العزيز آخر من جدد قنطرة الرصيف الممرور عليها لحومة المخفية بفاس...

ومن مآثر المولى محمد بن يوسف ترميمه وإصلاحه لقنطرة وادي أبي رقرق (97)، التي تمر عليها السيارات، وتداركها بالإصلاح بعد أن انشأ الخراب فيها أظفاره، وبناء قنطرة أخرى على النهر للمارة على الأرجل والدواب

(95) «الاتحاف» ص: 3/563.

(96) «الاتحاف» ص: 1/218.

(97) يسمى بعض المؤرخين هذا النهر الفاصل بين مدينتي سلا، والرباط بحرا... ويسميه البكري: «وادي وانسفين» وعند الإدريسي والفراري يحمل هذا النهر اسم «وادي سمير» (راجع إفريقيا والمغرب، المسالك ص: 106، وكتاب: الجغرافية لمحمد بن أبي بكر الزهري / دمشق 1968، ص 192) ونجده عند المراكشي يحمل اسم: وادي الرمان» ص: 222، حيث يقول: أن السوحدين بنسوا على وادي الرمان قنطرة من ألواح وحجارة، يمر الناس عليها حين يجزر النهر، فإذا مد عبروا في القوارب، أما ابن حوقل فيسميه «بوادس سلا»، وعند ابن عذاري: «بحر سلا» أما ليون الإفريقي فيسميه «نهر أبي رقرق» ص: 623، حين قال: «يتولد هذا النهر من أحد جبال تتفرع عن جبال الأطلس ويمر عبر أودية وغيابات عديدة، ثم يبرز من بين التلال في سهل يمر منه إلى المحيط» ص: 623 - 207، ط: السعودية؛ واقتضب المراكشي وصفا في آخر كتاب حيث قال: «وقد بناوا على هذا النهر الكبير قنطرة من ألواح وحجارة يعبر الناس عليها حين يجزر النهر، فإذا مد عبروا في القوارب» ص: 507، المعجب في «تلخيص أخبار المغرب» ط: دار الكتاب - الدار البيضاء؛ وتبسط في وصف القنطرة صاحب الاستبصار حيث ذكر أنها مركبة على ثلاث وعشرين معدية، مدت عليها أوسال الخشب، وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر تجوز عليها المساك والمساغرون... ويمد البر فترتفع القنطرة، فتغطي الجسر فتعوم عليه المراكب، وترسى دونها الأجناف الكبار. وقد حاول الأستاذ الصديق عبد الهادي التازي أن يجد أصلا لتسمية هذا النهر بأبي رقرق، ويمكن أن يكون النهر منسوباً إلى قبة «لا ركراكة التي توجد بأطلال مدينة شالة المشرفة على الوادي،

إلى الله زلفى، ينعم بها الواقف لينال الثواب الجزيل،
والجزء الأوفى، وليسهم في بناء مجتمع راق يبلغ يفاع
المجد، وذرى التقدم والحضارة...

وتلك هي أحكام هذه المبرات الاجتماعية الوقفية
ذات الحس الحضاري التي تسجل للإنسان ثوابا واجرا في
الدارين.. فبناء القنطرة كبناء المسجد، أو كجعل الأرض
مقبرة للمسلمين.. أو كجعل الندار رباطا ثغر من الثغور
ينزل فيه الغزاة والمجاهدون.. فهي رحمة لا تخلو من أن
يجتاز عليها الأطفال والضعفاء والنساء والبهائم..

فكم من مِحْسَانِ كريم، سخا يمال حلال، أنفق على
أهل الفضل والدين، والعاجز والمسكين فعمل على بناء
القناطر والجور، وعمارة المساجد، وتشييد المؤسسات
الخيرية أو غير ذلك مما يتنافس فيه المتنافسون، ويعنى
بتحضيره وإنعاشه حتى تكون حسنة موقوفة إلى يوم
الدين..

وقد تحدث ابن تيمية (103) عن المصارف التي
يجب أن يبدأ بالأهم فالأهم من مصالح المسلمين العامة،
لما يعم نفعه من سداد الثغور بالكرع والسلاح وعمارة ما
يحتاج إلى عمارته من طرقات الناس كالجسور والقناطر،
وطرقات المياه كالأنهار...

فبناء القناطر والجسور وترصيف الطرق من المصالح
العامة، والمرافق الحيوية التي توقف وتسهل لفائدة
المواطنين، فهي ملك الوطن، لا الأفراد؛ وملك للبلد،
وليست وقفا على طائفة دون طائفة، أو منظمة دون
منظمة؛ فلا يسوغ مسها، ولا إتلافها، ولا الاستفادة من
عبورها ومرور الناس عليها كيفما كانت الظروف والأحوال،
كما أنه لا يجوز إتلافها وهدمها لستراتيجية حربية عابرة...
ولقد قرر «هتلر» الألماني في الأيام الأخيرة من الحرب
العالمية متابعة الحرب حتى النهاية، وجعل من مبنى
المستشارية في برلين وأقيمتها المنية مركزا لقيادته، اتخذ
عدة قرارات هامة، منها نسف الجسور والقناطر والطرق

(103) «السياسة الشرعية، في إصلاح الراعي والرعية» ص: 65، لابن
تيمية تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم البنا - محمد أحمد عاشور.

والدراجات، وكانت مجازا خشبي المنشأ، وإصلاح القنطرة
على الوادي المذكور (98)، وقد تهدمت واستعوض عنها
بقنطرة عصرية راقية...

ولقد ألقى المنصور الموحد هذا الجسر الذي كان
قد نصبه أبوه ما بين الرباط وسلا على البر لإجازة الناس
عليه، قد خرقتة البحور، وهدمته الدهور، فأمر بنصب جسر
آخر إلى جانبه (99)، أعظم منه بناء وأسا واعتلاء من
الحجر العادي والجيار الثابت لأمواج البحار، فضع في
أقرب مدة، بأعظم الآلة وعدة، ووصله بالقوارب
والخشب (100)، حتى جاء في أمن له من الأزمان
والحقب.. (101).

كما أس المولى محمد الخامس القنطرة الفخمة
على وادي بهت بقبيلة «زموال الشلح» المرور عليها للرباط
وما وراءه الآتي من فاس ومكناس وما وراءهما (102).

☆☆☆

هذه نماذج حية للوقوف التي كانت تخصص من
طرف الفاتحين ذوي النظرة البعيدة، والرؤية القاصدة لبناء
حضارة إنسانية عالمية، وتنمية اقتصادية متحركة، وخلق
روح اجتماعية تتغيا إسعاد الفرد، وترفيه الجماعة البشرية
بتقريب المسافات البعيدة، وطبي المراحل الشاسعة.. إذ
بناء القناطر، وتشييد الجسور، بالإضافة إلى أنه كان سببا
للتنمية الاقتصادية، والتواصل الاجتماعي، وخلق جور مع
الآخرين، وتقريب المسافات، فقد كان قرية يتقرب بها

وقد أشار بعض الأدباء المغاربة إلى أن أصل التسمية من رققة الماء
وصفائه. (الإدرسي في نزهة المشتاق ابتداء من ص: 7؛
الاستبصار: ص: 141 - 185 / المراكشي 507 / ابن عذاري ص:
26).

انظر: العلاقات مع الخارج أيام «ديوان أبي رقراق» «بالموجز، في
تاريخ العلاقات الدولية، للمملكة المغربية» ص: 97، للدكتور عبد
الهادي التازي «وتاريخ رباط الفتح» لابي عبد الله محمد بوجندار.
الدرر الفاخرة ص: 195.

(99) «الغصن النهصور» للعلامة محمد السائح، مخطوط ورقة 16.
(100) يذكر صاحب الاستبصار ص: 1/141 القنطرة مركبة من 23 معدية
كما قدمنا في النص.

(101) «المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة» ص: 449 - 450.
(102) الدرر الفاخرة: ص: 194.

ولكن لا يمرُّ عليه إلا
كما مرَّت يدها بعارضيه
ومن عجب هو الجبرُّ المعلى
على البسفور يجمع شاطئيه
يفيدُ حكومةَ السلطان مالا
ويعطيها الغنى من معدنيه
يجود العالمون عليه، هذا
بعثرتُه، وذاك بعثرتيه

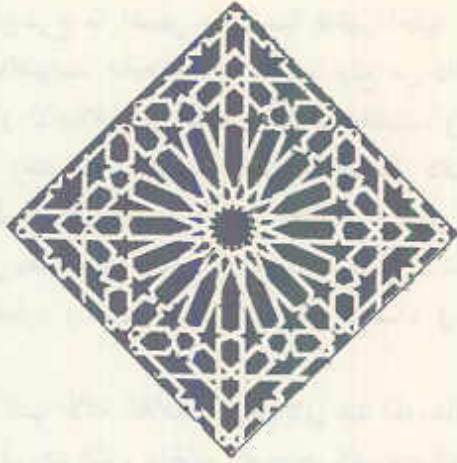
وغايةُ أمره أننا سمعنا
لسانَ الحال، ينشدنا لديه :
«أليس من العجائب أن مثلي
يرى، ما قلُّ ممتنعاً عليه
وتوخذُ باسمه الدنيا جميعاً
وما من ذاك شيء في يديهِ !!»
الرباط : محمد بنعبد الله

نداء إلى أساتذتنا وعلمائنا

مجلة دعوة الحق مقبلة على تطوير موضوعاتها وتجديد شكلها
استجابة للدور المسؤول والهام الذي تضطلع به بلادنا نصره لقضايا
الامة الاسلامية ودفاعا عن توجهاتها المصيرية.

وإذا كان الفكر الاسلامي الذي انشأ حضارة انسانية اعطت للعالم
ينابيع متدفقة لا ينضب معينها ارشدته الى الطريق الضامن لتقدمه
وتطوره في اجواء يهيمن عليها الهدوء النفسي، وتطبعها الفضيلة
والاخلاق المثلى، فان من اكاد الواجبات على مثقفينا ومفكرينا ان
يوالوا الاسهام الجاد والمبدع في المسيرة التي تنهض بها امتنا
الاسلامية في مختلف اصقاع العالم لكي يبقى عالمنا الاسلامي عالما
تظله الحكمة والفضيلة والتعاون والوئام.

ودعوة الحق وهي توجه هذا النداء الفكري الى اساتذتنا وعلمائنا
لنتنظر منهم المشاركة المتواصلة على صفحاتها في مجال الفكر
والثقافة الاسلاميتين.



2

مآثر جَلالة المَلِك الحَسَن الثاني

للدُّستاد البلمهشي أحمد يَكْنُ

أقدم للقراء الكرام الحلقة الثانية من مآثر جلالة الملك الحسن الثاني في نشر الفكر الإسلامي وحياء تراثه الخالد بهذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي بمناسبة ذكرى 3 مارس 1985. لتربيع جلالته على عرش أسلافه المنعمين.

في نشر الفكر الإسلامي وإحياء تراثه الخالد

تعالى للبحث عن هذا الكنز المدخر، وإبرازه للعيان بعدما حجب واستتر، جلالة مولانا الإمام أمير المؤمنين السلطان مولانا (عبد الحفيظ) رحمه الله فجاء وارث سره، السلطان العالم، أمير المؤمنين، وحامي حمى الملة والدين، جلالة الملك الحسن الثاني إدام الله نصره، وخلد في صحائف العلم واتخذ ذكره، فامر وزارته في الأوقاف والشؤون الإسلامية بطبع (المشارك) للقراء وتيسيره للباحثين والطلاب، من مشارق ومغارب، بعد أن عز وجوده، وتعالى عنه البحث في الأسواق والمكتبات فلم يوجد، سيما وقد نفذت الطبعة الوحيدة الموجودة منه، وباتت في حكم الخطوط تماما، فهذا هو اليوم (المشارك) يزف إلى القراء الكرام، كتابا جمع بين الاتقان والتقويم، وبين الشوارد وسدد مقاصدها، ووضبط ما ليس أو اشكل من معانيها، كما نص على اختلاف

30 — كتاب (مشارك أنوار، على صحاح الآثار).
للإمام الشهير، والحافظ الكبير، علم الأعلام، وشيخ مشايخ الإسلام، وعمدة أرباب الخبايا والأقلام، ومفخر علماء الإسلام، وجمع الفضائل التي استقلت رسومها فلم تحتج إلى أعمال الأعلام، القاضي أبي الفضل، عياض بن موسى، بن عياض، اليحصبي السبتي المالكي، المولد سنة (476) والمتوفى بمراكش سنة (544) رحمه الله تعالى ورضي عنه، ونفعنا به، وهو كتاب قيل فيه (لو وزن بالجواهر، أو كتب بالذهب، لكان قليلا في حقه) وقد اشتمل على تفسير غريب حديث الموطأ، والصحيحين، و ضبط اللفاظ والتبويب على مواضع الإزهام والتصحيقات، وضبط أسماء الرجال، غير أنه لرفعة قدره، وفيخامة أمره، عز مناله، حتى كاد أن يدعم مثاله، فوفق الله

وما هو الصواب من غيره.

الفصل الثاني : ما في الحرف من اسماء البلدان والاماكن من الارض وضبطها، وما وقع فيها من اختلاف، او وهم او تصحيف بالنسبة للكتب الثلاثة المعتمدة.

الفصل الثالث : في الاسماء والكني، مع ضبط ما التبس منها، او وقع فيه اختلاف او وهم.

الفصل الرابع : ما في الحرف من الانساب، وما استكمل منها او التبس حرفا او وهما ثم ما هو خارج عن هذه الفصول مما لا يدخل في باب من ابوابها لخلل وقع فيه او وهم او التباس، او تقديم او تاخير، ذكره او ضبطه في باب من ابواب الكتاب الاخرى، او في فصل من فصوله السابقة او للاحققة ذلكم هو كتاب المشارق، الذي تخرجه وزارة الاوقاف والشؤون والشؤون الاسلامية، في طبعته الثانية، بعد مراجعته وتصحيحه وطبع بمطبعة فضالة احمدية الجزء الاول بتاريخ 1402 — 1982 والثاني بتاريخ 1403 — 1983 والثالث تحت الطبع والرابع قيد التحقيق.

31 كتاب (دليل الرفاق على شمس الاتفاق) : للشيخ العلامة ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين فيما اتفق عليه من الاحكام الجائبة على طريقة الامام حفيد ابن رشد في كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) والامام الصدفي في كتابه (رحمة الامة) والامام الشعراي في كتابه (الميزان الكبرى) فهده الكتب القيمة الثلاثية في الاصول مع بعض الكتب الاخرى عند الائمة الاربعة رحمهم الله هي التي اعتمدها المؤلف رحمه الله اساسا لنظام كتابه (شمس الاتفاق) وجعلها منطلقا رئيسيا لشرحه (دليل الرفاق) الذي هو لون من المعاف الفقهيّة المركزة والمعروفة عند الفقهاء (بالخلاف العالي) فهو قلادة ثينة ومفخرة من المفاخر المغربية العربية الاسلامية التي عملنا على اخراجها من الظلمة الى الضياء بعد ان كانت مطبوعة طباعة حجرية لا يستطيع القاري الماهر قراءتها بسهولة على هذا النمط من الكتابة الحجرية الفاسية وكانت نسيا منسيا فاخرجناها بكتابة مقروءة ومتداولة بين كل الناس ومتعارفة لدى جميع القراء في المشرق والمغرب على عكس ما كانت عليه في الاصل، الغرض الاول والاخير من ذلك ازالة اللثام عما اشتملت عليه هذه الاجزاء من النفاثس وما جاء فيها من غرر الفوائد النادرة ومسائل الاحكام المتفق عليها بين الفقهاء المجتهدين والتي ابرز المؤلف

الروايات وشرح ما اغمض وابهم منها فظاهر احقها بالحق، واولاها بالصواب، جامعا ومحورا لكل ما وقع من ذلك فيه الخلاف او الاختلاف، في مختلف مصنفات الحديث، وامهات الاسانيد، ومنشورات اجزائها، معتمدا بالاخص في ذلك على تحصيل ما وقع في الامهات الثلاث، الجامعة لصحيح الآثار، المجمع على يتقدمها في الماضي والحاضر، والمستقبل ان شاء الله من الاعصار، والمقبولة اساسا عند كافة العلماء في سائر الامصار.

وهي كتب الائمة الثلاث، (الموطأ) لابي عبد الله، مالك بن انس، المدني رحمه الله و (الجامع الصحيح) لابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، رحمه الله، و (الجامع الصحيح) لابي الحسين مسلم بن الحاج النيسابوري، رحمه الله، اذ هي اصول كل اصل، ومنتهى كل عمل، في هذا الكتاب المرتب ترتيب حروف المعجم عندنا، بدأ من الالف، وختما بالياء، مع ترتيب ثاني الكلمة المتوخاة، فكلما وقفت على كلمة مشكلة، او لفظة مهملة، رجعت الى الحرف الذي في اولها، ان كان صحيحا، فإن كان من حروف الزوايد او العلل، تركته وطلبت الحرف في الصحيح، فان اشكل عليك، وكان مهملا طلبت صورته في سائر الابواب التي تشبهه، فنقع عليه هنالك ان شاء الله، وكذلك بدا المؤلف رحمه الله كتابه هذا، عند اول كل حرف من هذه الاحرف، بالالفاظ الواقعة في المتون، المطابقة للباب على الترتيب المضمون، وتولى اتقان ضبطها، بحيث لا يلحقها تصحيف يظلمها، ولا يبقى بها اهمال يبهما، فان كان الحرف مما اختلفت فيه الروايات، نبه عليه، و اشار الى الأرجح منه والصواب فيه، بما يوجد في حديث اخر، رافعا للاختلاف ومزيلا للشك، ومربحا من حيرة الابهام والاهمال، ثم بعد ذلك بين اسماء بعض البلاد والامان من الارض، مما يشكل على الكثير تقيدها، ويقل من بين الناس متقن اسمائها ومجيدها ويقع فيها لكثّر من الرواة التصحيف، فوضحها ونبه على اشباهها.

وعليه فالكتاب ميوب على حروف المعجم كما اسلفنا، وكل باب من ابوابه ينقسم الى اربعة فصول رئيسية، في كل فصل من فصول الباب الاول منها يورد ما في الحرف من الفاظ قد تحتاج ال بيان او ضبط او شرح او ايضاح مثلا :

الفصل الاول : في ضبط الالفاظ والحروف الواردة في الاصول الثلاثة، وشرح ما وقع فيها من خلاف او وهم، وبيان

رحمه الله مواضع ادلتها ونبه عليها وعلى نقاط الخلاف فيها وما جرى ويجري من كل ذلك مجرى الاصول والفروع والقواعد والتسيبات والاسرار والفوائد مما قد يحتاج اليه الطالب والسامع والمعلم والامام واغتنق حيناً ولما يعرض لهما او يعترضهما من اختلاف في الرأي والفكر احيانا اخرى.

فالكتاب بحق يتناول في شتى موضوعاته فهما فقهما دقيقا لكثير من المسائل الفقهية التي احاطت احاطة كلية بالاقوال والافعال والتقريرات الشرعية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدونة في كثير من كتب السنة المطهرة، عرضت بوضوح وجلاء ويسر وسهولة واستيعاب في سائر ابواب الكتاب وفضوله مكونة بذلك معلمة فكرية من المعالم الفقهية الاسلامية التي لا يستغنى عن معرفتها في عصرنا الحاضر لما اشتملت عليه من الاحكام مكتملة ومتكاملة في الاجزاء الاربعة التي ستكون منها اسفار الكتاب في طبعته الجديدة معطية بذلك صورة واضحة الجوانب والمعالم للفقه الاسلامي في الصحراء المغربية، وكما عرفه المغاربة منذ القدم وفتحاً للامة بابا من ابواب الاجتهاد للفهم الصحيح المتكسب عن كل الخلافات والبدع الناشئة عن التعصب الاعمى الغير المتأشي مع الشرع والمنطلق والعقل وذلك بالضبط ما اراده المؤلف رحمه الله وسعى جادا كل الجد الى ادراكه سعياً حثيثاً في كتابه هذا، جاعلاً نصب عينيه ما ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال:

«اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له»، وان هذا العمل الصالح ولا ريب داخل فيما دل عليه هذا الحديث ومنطبق عليه تمام الانطباق، فهو علم ينتفع به ومستمر وخالد له توابه عند الله الى يوم القيامة بحول الله.

وقد طبع هذا الكتاب على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية وزارة العدل والشؤون الاسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة بايو ظبي وطبع الجزء الاول منه بمطبعة فضالة المحمدية بتاريخ 1402 م 1982 والجزء الثاني تحت الطبع.

32 كتاب (الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون واحوازها، خلال القرن العاشر الهجري (السادس الميلادي) اعده لنيل دبلوم الدراسات العربية الاسلامية العليا من دار

الحديث الحسينيو بالرباط الامام عبد القادر العافية والكتاب يعد من خيرة البحوث والدراسات القيمة النادرة التي اهتمت اهتماماً بالغاً بموضوع العمران في فترة معينة من تاريخ امتنا العربية الاسلامية بالمغرب، وفي ناحية مهمة ومعلومة من هذا المغرب بالشمال على الخصوص هي : اقليم شفشاون العزيز الذي تناوله الامام الباحث العافية بالدرس والتحقيق متحدثاً عن حضارة جبال غمارة وما فيها من آثار عمرانية وتاريخية وجغرافية الى جانب حديثه عن الأوضاع السياسية التي عاشتها مدينة شفشاون منذ نشأتها على عهد بني راشد الذين كانوا يحكمون المنطقة بكاملها وبالاخص في الحقبة الاخيرة التي تولى فيها الحكم الامير المنك الشجاع علي بن راشد مؤسس تفر شفشاون ومدنيتها التي يشهد بها القريب والبعيد والقاصي والداني على السواء، هذه المدينة التي سيشهد القاريء الكريم في هذه الدراسة المتمكنة صوراً واضحة المعالم عنها وعن وصفها ويلمس لمس اليد من خلالها آثار تلك الحضارة التي مرت بها عبر القرن العاشر الهجري السادس الميلادي بما يقرأ عنها وهو يجول خلال سطور البحث في مواضع قلما يجدها مكتملة او متكاملة في غير هذا الكتاب الذي ربط في ايجاز واختصار هذه الفترة من الماضي البعيد بالحاضر القريب ومزج بين الحاضر والماضي عبر مسار تاريخي قوي متناسك البناء لحقبة كانت من احلك واصعب الحقب التاريخية للمنطقة التي ضاعت جل حلقات رسوم تماسكها فخر وجودها بين الدارين وعرت مصادرها وتبددت في زحمة المهجمات الصليبية المتكررة على العالم الاسلامي قاطبة ومن ضمنه المغرب وبذلك تظهر اهمية العمل في هذا الكتاب الذي قسمه الى ثلاث اقسام رئيسية.

قسم عن شفشاون واحوازها، وآخر عن الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية وثالث عن الاعلام والشخصيات البارزة المنتسبة اليها، وطبع على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية بمطبعة فضالة المحمدية سنة 1403 - 1982.

33 كتاب (المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب) لفصيلة العلامة الشيخ ابي العباس احمد الونشريسي وموضوعه اجتهادات فقها، فاس ومراكش وسبتة وقرطبة وغرناطة وتلمسان وبجاية والقيروان وغيرها من عواصم المغرب الاسلامي، فالكتاب موسوعة فقهية كبرى تعرضت لقضايا ومشاكل لم تجد حلولاً وقتية ملائمة لها انذاك فكان ذلك

مدعاة الى اجتهاد الفقهاء لاستنباط الاحكام الشرعية للنوازل المطروقة عن طريق استقراء النصوص الفقهية القديمة ومقارنتها وتاويلها بما استجد لحل تلك المشاكل والقضايا التي تناول منها الكتاب العدد العديد اضافة الى قضايا اخرى تناولت التاريخ والاجتماع والسلم والحرب وقام بهذا العمل في تحقيق النصوص بعد ان كانت مطبوعة طباعة حجرية فاسية لجنة من الاساتذة مكونة من محمد العربي بن احمد حجي ومحمد عبد القادر العرائشي، ومحمد التاودي ابن سودة، واحمد الشرقاوي اقبال، وسعيد اعراب واحمد الخطاي، وادريس الاشهب طبعت هذه الموسوعة الفقهية بعد التحقيق على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربي في اثني عشر مجلدا كما طبع بعدها وعلى نفقة نفس الوزارة الجزء الثالث عشر في مجلد واحد للفهارس قام باعداد الدكتور محمد حجي والاساذ احمد الشرقاوي اقبال والاساذ محمد العرائشي لفهرسة الموضوعات العامة التالية للكتاب : فهرس لجرد المفردات الالجبدية فهرس للموضوعات الفقهية فهرس للاشارات فخرس للاعلام والاشخاص والقبائل والامم والفرق فهرس للاماكن فهرس للكتب الوارد في المتن واخيرا استدراقات وتصويبات على الكتاب تعطي كشفا صادقا وترسم سيلا واضحا لمعالم للموضوعات التي جاءت في الاجزاء الاثني عشر وما حوته من فتايا واجوبة تنطرق في عامتها الى كثير من الشؤون وفق الكتاب والسنة والاجماع والقياس وما تدعو اليه مقاصد الشريعة السمحة من يسر وتسهيل على طريقة المذهب المالكي المتبع في المغرب وكافة افريقية، وهذا هو الكتاب والفهرس الذي طبع على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بمطبعة فضالة المحمدية بتاريخ 1403 - 1983

34 كتاب (اضاءة الراموس واضاءة الناموس على اضاءة القاموس) مؤلفه العلامة اللغوي الشهير شمس الدين ابي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الشركي الفاسي الصملي اصلا وولادة المدني وفاة المولد سنة 1110 هـ موافق 1099 م بفاس، والمتوفى سنة 1175 هـ موافق 1761 م بالمدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة وازكى السلام.

تناول فيه مؤلفه ابن الطيب الشركي، وهو من هو توثيقا، اتقاناً وفصاحة في اللفظ وجزالة في الاسلوب، موضوعات لغوية مهمة قيد فيها غرر ما تفرق من الفوائد وندر من الأوابد

والشوارد والشواهد باوضح معنى واقصر عبارة فاذا افصح عن ذلك اغرق في التصريح واذا كنى عنه اغنى عن الايضاح والتلويح ولم يكتف بذلك فحسب، بل اضاف مسائل اخرى يحتاج اليها كافة اهل العلم باللغة من حاضر وباد، وفي كل ملتقا وناد، لا مزيد عليها في الاتفاق وكثرة الفوائد سابكا اياها سبكا ومينا اصوها من فروعها مرشدا اليها في مصادرها من كتب اللغة الصحاح مثل القاموس للفيروزا بادي الشيرازي، ومعجم البلدان لياقوت الحموي البغدادي وصحاح الجوهري لاسماعيل بن حماد الجوهري ولسان العرب لابن منظور الافريقي وغيرها من امهات كتب اللغة والقواميس المعروفة، هذه هي الحاشية وما امتازت به عن غيرها من كتب اللغة المشهورة، فهي كثر نادر من الكنوز المغربية التي ظلت مطمورة بين الرفوف مغمورة وسط المخطوطات حتى وفق الله وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية لاجراجها مضيئة بذلك الامكنة العربية والاسلامية كتابا من انفس واغلى كتب اللغة واشملها احاطة في بابها، ظل بعيدا عن اعين الباحثين والدارسين والقراء.

فحاشية ابن الطيب كما تعرف لدى المغاربة هي : اصل من اصول (تاج العروس) الا انها اطول منه فتاج العروس عشرة اجزاء، والحاشية ست وعشرون جزءا حسب تقديرانا لها عدا الجزئين اللذين تكفل الدكتور التهامي الراجحي باخراجهما الاول عن ابن الطيب الشركي ومؤلفاته العديدة، والثاني عن فهارس الحاشية هاته وقد صدر من هذه الحاشية وعلى نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية الجزء الاول والثاني وهما من تحقيق فضيلة العلامة المرحوم الاستاذ عبد السلام الفاسي والجزء الثالث على وشك الصدور بتحقيق نفس الاستاذ والدكتور التهامي الراجحي وطبع الجزء الاول بتاريخ 1403 - 1983 والثاني بتاريخ 1404 - 1984 بمطبعة فضالة المحمدية والدكتور الهاشمي الراجحي على عهده.

35 (كتاب مظاهر النهضة الحديثة في عهد يعقوب المنصور الموحد)

اعده والقه لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم الاسلامية من دار الحديث الحسنية بالرباط. الاستاذ عبد الهادي احسين. والكتاب يعد بحق مظهرا من مظاهر النهضة الحديثة وقد عاج فيه مؤلفه بذكاء وروية وصدق العصر الموحدى والارضاء

زيادة على جانب ما يتصل بالنظم الاجتماعية والمعاملات بين الناس، هذا هو كتاب تحت الظلال، الذي طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية على نفقة الصندوق المشترك بينها وبين وزارة العدل والشؤون الإسلامية بابوظي وطبع بمطبعة فضالة احمدي بتاريخ 1403-1982 .

37 كتاب النوازل كتاب فقه للعلامة الحافظ الشريف الشيخ ابي الحسن علي بن الشيخ عيسى بن علي الحسيني العلمي عرفت بنوازل العلمي حيث سلك فيها رحمه الله رحمة واسعة مسلك من سبقه في هذا الميدان من المتقدمين والمتأخرين ممن كتبوا والفوا في النوازل والاجوية الفتاوى والمعابر امثال سحنون وابي عيسى بن دينار وابن ابي زنين وابي القاسم البرزلي وابي عبد الله بن الحاج وابن عريضون ويحيى المازوني وابن هلال والعباسي والمساوي والمهدي الوزاني والونشريسي وغيرهم هذا هو كتاب النوازل الذي عالج فيه مؤلفه بدقة متناهية موضوعات مختلفة من الفقه الاسلامي جد خطيرة مستتبها اصولها من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة والاجماع والقياس وما تفرغ عنها مما يصح ان يدخل في باب الاجتهاد بشروطه جريا على النسق المتبع في السؤال والجواب وتلك طريقة سهلة الاخذ عاجلت بها النوازل شؤون كثيرة ومختلفة مما تتعلق بالدنيا والدين من فقه النوازل والاحكام والمعاملات على ضوء مذهب مالك وما قرره الفقهاء واستتبوه من احكام وحلول للمشاكل واجوية للمتسائل وما اقره كذلك الاسلام سلفا وجاء به كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في ضيغة يسألونك التي ردها القران عدة مرات وفي مواضع مختلفة منها قوله تعالى :

يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات .

يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول .

يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس .

ويسألونك عن الخيصر قل هو ادى فاعتزل النساء في الخيصر .

ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تحالطوهم

فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح .

يسألونك عن الساعة قل انما علمها عند ربي لا يحيلها لوقتها

الا هو

يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيما اتت من ذكرها الى

ربك منتهاها . الى غير ذلك من التساولات والامتقنات

السياسية والاجتماعية والثقافية السائدة في هذا العصر ثم تناول في الفصول الاولى منه يعقوب المنصور الموحدى من خلال تلك الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية مبرزا انتشار الثقافة وشمولها على عهده وبالاخص علم القراءات والتفسير واللغة والنحو والبيان والعروض والادب والبلاغة وعلم الكلام وعلم الاصول والفقه والسيرة والفلسفة والرياضيات وعلم التنجيم والطب الخ ..

كما تناول في الفصول الاخيرة من الكتاب موقف يعقوب المنصور الموحدى من الظاهرية والمهدوية وعلم الفروع وعدم تحمسه وانتصاره للمذهب المالكي رغم صمود هذا المذهب ضد هذه المظاهر متحدة ومتفرقة مما ساعد على دخول علم الحديث الى المغرب والاندلس وشجع المؤسسات التي تهتم بهذا الفن في المغرب وقوى وزاد في عدد انتشار الكتب التي تدرس بهذه المؤسسات على هذا العهد وهكذا ينتهي الجزء الاول والثاني من كتاب مظاهر النهضة الحديثة في عهد يعقوب المنصور الموحدى 595 هجرية موافق 1159 - 1189 ملادية وطبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ووزارة العدل والشؤون الإسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة بابوظي وطبع بمطبعة فضالة احمدي الجزء الاول سنة 1402 - 1982 والجزء الثاني 1403 - 1983 وهما نهاية الكتاب.

36 كتاب تحت ظلال القرآن والسنة : تأليف عبد الحى

العمرائى خريج جامعة القرويين بفاس اخرج في حلة ظريفة وباسلوب ممتع اخاذ مقتبسا من يتابع كتاب الله تبارك وتعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي فيه نباء ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم الخ ..

ومن سنة رسوله المطهرة بكل ما اشتملت عليه من الاقوال والافعال والتقريرات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن هذين المصدرين الصحيحين اللذين سير اغوارهم المؤلف ليقدم لنا من خلالهما هذه الدراسة التي غاص من اجلها في بحر القرآن وحياض السنة يطوف في جنايتها ويحول في ارجائتها مستعرضا بدقة كل الجوانب التي يراها صالحة لهذا البحث ومتماشية معه وبالاخص الجانب المتعلق بجوهر الايمان فيه والمرتبط ارتباطا بالنفس الانسانية في كشف اسرارها المترامية الاطراف والمختلفة الاطوار والانفعالات رافعا النقاب عن الجانب الروحي واثره العظيم في تحقيق السعادة الدنيوية والاخروية لبني الانسان،

كما انه العروة الوثقى التي لا انفصام لها، الرابطة بين المسلمين في الماضي والحاضر والمستقبل، والموحدة بين صفوفهم، والمزجعة العراقيل عن طريقهم، والقاضية كل القضاء على الضغائن والمشاحنات المتواجدة بينهم، والتي عرفها مجتمعاتهم الحين بعد الحين فأزالتها القرآن عنهم ورد عليهم جميل اعتبارهم كمسلمين على صعيد واحد فلا عنصرية، ولا لونية، ولا عرقية، ولا طائفية، بينهم، كلكم من ادم وادم من تراب، لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى، مصداقا لقول الله تبارك وتعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله تقاكم) .

هذا هو هدى القرآن ودلكم هو كتاب (هذا القرآن) وقد طبع على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية ووزارة العدل والشؤون الاسلامية بابوظبي وطبع بمطبعة فضالة الخمدية سنة 1403 - 1983 .

39 كتاب (ابو علي القالي واثره في الدراسات اللغوية والادبية بالاندلس) ألفه الاستاذ عبد العلي الودغيري وتقدم به لنيل دبلوم الدراسات العليا ألسلك الثالث) من كلية الاداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس وهو يحق يعد من الدراسات الهامة التي تناولت جانبا من جوانب حضارتنا الاسلامية بالاندلس وارتخت لعلم من اشهر الاعلام الذين اثروا فيها بانتاجهم ومناهجهم، الا وهو ابو علي القالي البغدادي المتوفى سنة 356 الذي وفد من المشرق بعد ان طارت شهرته في الافاق حاملا معه ذخائر من الكتب والعلوم اللغوية والادبية، فلقني المكانية التي يستحقها في دولة بني امية، وجلس للتدريس ونشر المعرفة والتأليف، فكثرت تلاميذه وعظم تأثيره، وقد تتبع مؤلف هذا الكتاب حياة الرجل منذ نشأته بديار بكر، ولاحقه في تنقلاته من موطنه الى الموصل فيبغداد فقرطبة بعد ذلك، ثم درس شيوخه وتلاميذه دراسة مستفيضة، ووقف طويلا عند مؤلفاته اللغوية والادبية، ورأى ان تاثير القالي في الاندلس قد تم جملة بثلاثة وسائل هي : تاثيره بواسطة مؤلفاته، ثم بواسطة تلاميذه، ثم بواسطة ما ادخله معه من الكتب المقروءة واخفقتة فوقف عند هذه الامور ووضحها بما يلزم من الادلة ويقتضيه من الاطلاع على المكتبة الاندلسية الواسعة. فجاء الكتاب ثمرة جهد طويل وعمل مشكور، ولينة من اللبنة التي تبذل في سبيل

المتالية التي اوضحنا بعضا منها في الجزء الاول من كتاب التوازل للعلمي المطبوع على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية بتحقيق المجلس العلمي الاقليمي بفاس والذي طبع بتاريخ 1403-1983 بمطبعة فضالة الخمدية .

38 كتاب هذا القرآن كتاب الفه العلامة عبد الحي العمراني احد علماء فاس وخرج جامعة القرويين بمناسبة احتفال المملكة المغربية بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم على سيد المرسلين محمد بن عبد الله عليه افضل الصلاة وازكى التسليم، تلك المناسبة الكريمة التي خلدها المغرب سنة 1387 هجرية موافق 1968 ميلادية، ودعى اليها نخبة من جهابذة العلم والفكر والتفسير من كافة اقطار العالم الاسلامي، فكانت مشاركة هذه النخبة مشاركة فعالة في هذه المناسبة بعيد من المقالات والابحاث والدراسات القرآنية، نشرتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في حينها، بالعدد الخاص من دعوة الحق بذكرى نزول القرآن .

هذا هو موضوع الكتاب الذي تناول فيه مؤلفه نماذج خاصة من اخلاق القرآن وفضائل النضال والتضحية من اجل العقيدة والايمان وموضع العلم والعمل والشورى والحكم والمساواة في شريعة القرآن ومنهجية الاسلام مما يعين القارىء على فهم القرآن الكريم فهما حقيقيا ودقيقا لموضوعات تتضمن تسجيل لمسات تبدد حيرة المسلمين، وتهديمهم في عصرنا الحاضر سواء السبيل في دنياهم واخرتهم .

(ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم، ويشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) فهو حبل الله المتين الذي لا يتلصق به الا لسن، ولا يخلخلف على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، ولا يشيع منه العلماء، من قال به صدق ومن عمل به اجر، ومن حكم به عدل، ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم، ومن تركه من جبار قسمه الله ومن اتبع الهدى في غيره اضله الله قال تعالى : (فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معية ضنكا وتحشره يوم القيامة اعمى، قال ربه لم حشرتي اعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك اتيك اياتنا فنيستها وكذلك اليوم تسي)

فالقرآن رسالة دائمة ومستمرة وخالدة مدى الحياة، هداية البشر، وغاربة الشرك والوثان ولتكريم الانسان، وتحريه من الرق والعبودية، الا الله الواحد الاحد .

احياء نهضة العروبية والاسلام، وبعث علومها وتراثها وتحليل رجالها العظام.

ذلكم هو كتاب ابو علي القالي الذي طبع بمطبعة فضالة سنة 1404 1984 على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية ووزارة العدل والشؤون الاسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة بابي ظبي.

40 كتاب (دستور الاخلاق في القرآن للدكتور محمد عبد الله دراز وضعه باللغة الفرنسية وهو الرسالة اساسية نال بها درجة دكتوراه الدولة في السربون بفرنسا وقد طبعت على حساب مشيخة الازهر سنة 1950 وقام بتعريبها فيما بعد وتحقيق نصوصها والتعليق عليها الاستاذ عبد الصبور شاهين وراجعها الدكتور محمد بدوي تناولت كهدف رئيسي فيها ابراز الطابع العام للاخلاق في القرآن من الناحية العلمية والنظرية فقد وضع المؤلف نفسه منذ اللحظة الاولى على ارض الاخلاق واخذ يعالج المسائل الاخلاقية الواحدة بعد الاخرى بحسب المفاهيم والمعايير التي تعالج بها عند علماء الاخلاق المحدثين هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى نجدته اعتنى بمناقشة الحلول التي جاء بها المفكرون في الشرق والغرب متخذاً من آرائهم ومبادئهم وسيلة للمقارنة، وهو في اتنا ذلك كله يجعل القرآن دائماً نقطة ارتكازه، ويعتمد في استخلاصه للاجابة الشافية على المسائل المطروحة اعتماداً مباشراً على النصوص القرآنية. باحثاً عن سمات (الواجب) وعن طبيعة (السلطة) التي ينبعث عنها (الالزام) والتكليف وعن درجة (المسؤولية) الانسانية وشروطها وعن طبيعة (الجهد) المطلوب للعمل الاخلاقي، والمبدأ الاسمي الذي يجب ان يحفز (الازادة) للعمل فمن هذه المسائل استطاع المؤلف ان يستخلص عدداً من الصيغ العامة التي تحدد رأي القرآن وتستوفي الناحية النظرية، فكان هدفه منها الاجابة عن كيف يصور القرآن عناصر الحياة الاخلاقية هذا هو موضوع الكتاب وتهيمن عليه من اوله الى آخره فكرة الحاسة الخلقية انبعثت داخلي فطري وان القانون الاخلاقي قد طبع في النفس الانسانية منذ نشأتها «ونفس وما سواها فاقمها فجوهرها وتقواها» والواقع ان الانسان العادي يستطيع ان يميز الى حد ما كل ما يقوم به من انواع السلوك وما هو (خير) وما هو (شر) الى غير ذلك من الموضوعات التي تناولها الكتاب وقد قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية بطبع طبعته الفرنسية مرة اخرى نظراً لنفاذها من السوق

وعدم تواجدها فيه وطبع بمطبعة فضالة الخمدية بتاريخ 1403 — 1983 .

بعد الطبعة الصادرة بدار النشر (بوف) بباريس سنة .
41 (دورة القاضي عياض) هي : مجموعة جديدة من الابحاث والدراسات القيمة التي شاركت بها نخبة طيبة من علماء الاسلام ومن خيرة رجالات العلم والبحث والفكر داخل المغرب وخارجه متتالة فيها بعمق واصلة علماً شهيراً من اعلام المذهب المالكي. ذلكم هو القاضي عياض اليحصبي السبتي رحمه الله ولقد كانت هذه الدورة المقامة بمراكش في اطار (ندوة الامام مالك، بن انس رحمه الله) امام دار الهجرة التي امر امير المؤمنين وحامي تراث المسلمين بهذا البلد الامين جلالة الملك الحسن الثاني الخروس بالسبع المثاني والقرآن العظيم ان تقام بقصر المحاضرات بفاس في 9-10-12 جمادى الثانية سنة 1400 موافق 25-26-18 ابريل عام 1980م وان تبقى مفتوحة امام المشاركين كل ما كانت الظروف سانحة بذلك. فجماعات دورة القاضي عياض لتكون اولى دورة في هذه الندوة وامثالاً للامر السامي واعترافاً بما لعياض من قدر مكي، ومكان رفيع وسط المغاربة وفي بلد كالمغرب ولقد اقيمت دورة القاضي عياض بنزل سوفيل بمدينة مراكش التي تضم رفاقه الطاهر تكريماً له واعترافاً بفضله واحياءاً لذكراه وكانت اجمها 13-14-15 جمادى الاولى سنة 1401 هـ موافق 20-21-22 مارس 1981م تلكم هي دورة القاضي عياض في ثلاث مجلدات مقسمة كالتالي :

- 1) المجلد الأول : عياض حياته وعصره
 - 2) المجلد الثاني : عياض : الحدث والفقير
 - 3) المجلد الثالث : جوانب من شخصية عياض
- وقد طبع الجزء الأول والثاني منها سنة 1404-1983 والثالث سنة 1404. 1984 بمطبعة فضالة الخمدية وعلى نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية.
- 42 كتاب : (في موكب المسيرة النبوية او بيوتات الرسول صلى الله عليه وسلم) تاليف الدكتور محمد المختار ولد اياه وهو من الكتب القيمة التي تناولت بإيجاز وعمق في آن واحد، وبصورة مركزة جانباً من جوانب شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهجرته وازواجه امهات المؤمنين رضي اللع عنهن اجمعين، والظروف التاريخية التي احاطت بدخولهن في

بيواته الطاهرة، وما كان لمن رضي الله عنهن من أثر عظيم في الحياة الاسلامية جميعا واختيارهن حب الله ورسوله والدار الآخرة عن حب الدنيا ونفوسها وحطامها وزينتها وما في ذلك من الاجر العظيم لمن بشهادة القرآن الكريم اذ يقول :

(يا أيها النسيء قل لزوجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعنن واسرحكن سراحا جميلا، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة، فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما).

كما عالج الكتاب دور السابقين الاولين للاسلام من الفقراء والمهاجرين (للفقراء والمهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يتبعون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون) ومن الانصار (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون).

ومن الذين حاؤا من بعدهم (والذين حاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رؤوف رحيم).

فمن هؤلاء واولئك جميعا من الذين حملوا راية الاسلام في اول امره عالية خفاقة، فراحوا يثبته في الاقطار والامصار بين العرب والعجم ليقيم خالدا خلود الزمن الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

تحدث الكتاب ويتحدث واصفا استرسال دعوتهم الى سبيل زهم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن والاستقامة في استمرار الدعوة الى الله على كلمة سواء بينهم وبين غيرهم من الامم لا يعبدون الا الله (قل يا اهل الكتاب تعلقوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا واينا مسلمون).

فعلى هذا المنوال سار المؤلف في كتابه موكب السيرة الحمديّة، جامعا شتات ما تفرق من هذه السيرة هنا وهناك، ومنظما اطراف ما تآثر منها من حلقات غالية مفقودة، فضم عسير مسائلها ودقيق فوائدها الى بعضها بعضا، فلم يدع آيدة الا قيدها ولا شاردة الا ردها ردا جميلا الى اصلها الاصيل، ومصدرها المتين من مراجع كتب السير والطبقات والحديث،

متبعا في مسار سيره الطويل مراحل السيرة منذ بعثه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وابتداء اول امره في رسالته وهجرته ومعانيه حاديا حدو النعل بالنعل اثره الرعيل الاول من صحبه الاخيار من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه.

هذا هو كتاب (في بيوات الرسول) او في موكب السيرة النبوية الذي طبع على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية وشقيقتها وزارة العدل والشؤون الاسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة بابي ظبي وطبع بمطبعة فضالة احمدية بتاريخ 1405-1984.

43 كتاب (التعريف باختلاف الرواة عن نافع) للامام الحليل ابي عمرو عثمان بن سعيد الداني رحمه الله تحقيق الدكتور النهامي الراحي الهاشمي وموضوعه القراءات الواردة في القرآن الكريم مع التعريف بالاختلاف الوارد فيها بين اصحاب الامام نافع الاربعة : اسماعيل بن جعفر بن ابي كثير الانصاري، واسحاق بن محمد المسيب، وعيسى بن ميناقلون المدني، وعثمان بن سعيد ورش المدني صاحب الرواية المغربية المعروفة برواية ورش هؤلاء هم الائمة الاربعة الذين اخذوا مباشرة القراءة عن نافع وادوها الى الناس حكاية فالكتاب يتطرق كذلك الى الاسانيد التي ادت الى الرواية كل واحد من هؤلاء الائمة الاربعة على حدة مستخلصا في نهاية المطاف ان كل قراءة من هذه القراءات المذكورة وافقت المصحف العثماني ولو احتمالا وصح سندها عن الائمة فهي القراءة الصحيحة المتواترة وكذلك بالنسبة لكل قراءة توافق اللغة العربية بوجه من الوجوه زيادة على الضابطتين المذكورين اعلاه، فهي عند الائمة قراءة صحيحة لا يجوز ردها ابدا ولا ينبغي انكارها، وذلك لموافقتها على الاقل لحرف من الحروف السبعة التي نزلت لقرآن الكريم بها على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فوجب من ثمة على الناس قبولها، وسواء كانت هذه القراءة فعلا عن الائمة الاربعة او العشرة او غيرهم من الائمة المقبولين في هذا الفن فهي عندهم مقبولة كذلك ما لم تكن قراءة ضعيفة جدا ومن القراء الشاذة والباطلة بالمره هذا من جانب ومن جانب آخر فان التعريف في اختلاف الرواية قد اعطى لهذه الموضوعات في بحوثه المتعددة ما تستحقه من تمحيث ودراسة ونقاش ولم يسبق اليهما في كتاب مثله من الكتب التي عالجت هذا الجانب من قبل وباختصار فان

من استدلال للعرف، وتغير الاحكام بتغير العادات مبرزاً ان المذهب المالكي قد اوغل في الاعتماد على هذا المصدر اكثر من غيره، رابطاً بين العرف الشرعي والاعراف المغربية، متبعاً نشأة هذه الاخيرة وتطورها وتأثيرها في التنظيم القضائي المغربي في مرحلة ما قبل الاستقلال وما بعده، ومستعرضاً رأي علماء المغرب فيها.

كما تناول في القسم الثاني : مفهوم العمل، والاسباب الداعية الى الاخذ به، ونشأة عمل اهل المدينة وتطوره والدليل على حجته من الاحاديث والآثار ورأي الائمة المجتهدين مستعرضاً وجهة نظر الفقهاء الذين وقفوا من هذا العمل موقف الرد والانكار، مناقشاً رأيهم مبيناً ان هؤلاء لم يدركوا سر ما قصد اليه الامام مالك في اعتباره لهذا الاصل. موضحاً ان الاخذ بالعمل قديم يرجع الى عهد الصحابة والتابعين، وهكذا افاض القول في عمل اهل المدينة ووجهة نظر المالكية فيه، وكيف فهموه، واستدلوا عليه، ثم انتقل الى بحث العمل عند المغاربة من حيث نشأته وتطوره ومنهج علماء المغرب في اثباته، ومدى صلته بعمل اهل المدينة، والشروط التي اشترطوها فيه وتنوعه بالمغرب وموقف الفقهاء منه، والماخذ التي اخذت عليه، مبرزاً تطور الفقه المالكي من خلال ما جرى به العمل ليصل في النهاية الى استنتاج ان ما جرى به العمل اصبح مصدراً رسمياً للتشريع مما دفع المغاربة للاقبال عليه، واكتناهم منه، وتنافسهم في الاخذ به حتى صار لكل قطر عمله، وغدا الحكم يجري طبقاً لما جرى به العمل ولو خالف المشهور، موضحاً العلاقة بينه وبين العرف، مبيناً ان العمل ما هو في الحقيقة الا العرف في شكله المتطور، وان هذا الاخير كان السبب في قيامه.

ثم قدم في الاخير فصلاً مسهباً عن تأثير العرف والعمل في الاحكام الشرعية منها البحث بدراسة تطبيقية لتأصيل نظرية الاخذ بما جرى به العمل، خاتماً بخاتمة اجمل فيها القول عن قيمة العرف والعمل وتأثيرهما في التشريع مذيلاً البحث بفهارس للآيات القرآنية والاحاديث النبوية والمراجع والمصادر والموضوعات وطبع هذا العمل على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية ووزارة العدل والشؤون الاسلامية بابو ظبي. ومطبعة فضالة احمدي بتاريخ 1404 . 1984 . انتهت الحلقة الثانية من هذا التراث في الغرب الاسلامي وتليها الحلقة الثالثة استقبالا بحول الله مع قوته

الكتاب في وضعه الحالي ينقسم الى قسمين رئيسيين تناول المؤلف فيهما ما يختص بالقراءات محتماً القسم الاخير منها بسور القرآن الكريم بدأ من سورة البقرة الى نهاية المصحف الشريف وطبع على نفقة الصندوق المشترك بين وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية ووزارة العدل والشؤون الاسلامية بابو ظبي بمطبعة فضالة احمدي، بتاريخ 1043 — 1982 .

44 كتاب (متن الرسالة) للعلامة الفقيه ابي محمد عبد الله بن ابي زيد عبد الرحمن القيرواني رحمه الله.

والرسالة هي عبارة عن كتاب من كتب الفقه المختصرة في امور الديانة مما تنطق به الالسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح وما يتصل من ذلك بالواجب من السنن مؤكداً ونوافلها وغرائبها على مذهب الامام مالك ابن انس رحمه الله وهي : صالحة للكبار والصغار على السواء من طلاب ووعاظ وأئمة وخطباء ومرشدين ومدرسين باسطة لهم مواضعها لكل البسط فيما يتعلق بمسائل التوحيد والعقيدة والعبادات والمعاملات وبعبدة كل البعد عن التطويل الممل وعن الاختصار الخجل وعن الخلاف الذي لا طائفة من ورائه لها ولاء واولئك كتيب بطريقة واضحة العبارة قريبة المعنى لسلسلة الاسلوب وقد اعيد طبعها على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية وطبعت بمطبعة فضالة احمدي بتاريخ 1405 — 1984 .

45 كتاب (العرف والعمل في المذهب المالكي) ومفهومه لدى علماء المغرب وهو عبارة عن دراسة اصولية مركزة تقدم بها الاستاذ عمر بن عبد الكريم الجيدي لنيل دكتوراه في العلوم الاسلامية من دار الحديث الحسنية وتنقسم الى قسمين رئيسيين تتخللهما ابواب وفصول ومباحث :

القسم الأول : مخصص لدراسة العرف
القسم الثاني : مخصص لدراسة العمل
وهكذا تناول الاستاذ الجيدي الباحث بالدراسة والتحليل في القسم الأول مفهوم العرف في المذهب المالكي من حيث تحديده لغة واصطلاحاً، موضحاً العلاقة بينه وبين العادة، والادلة الشرعية من حيث تحديده لغة واصطلاحاً، موضحاً العلاقة بينه وبين العادة، والادلة الشرعية لتحكيمة من الكتاب والسنة وآراء الصحابة وائمة الاجتهاد مبيناً شروطه وانواعه وسلطانه وقوته، واثره على النصوص ومنزلته بينهما، وعلاقته بغيره من المصادر الاخرى — مناقشاً الادلة ومستدركا ادلة اخرى اغفلها

عيد العرش المجيد

الذكرى الرابعة والعشرين لجلوس
جلالة الحسين الثاني
على عرش أسلافه المنعمين

للأستاذ الحاج احمد معنيو

سيشاهدون مراكز الشبيبة والرياضة، مراكز التعاون الوطني مراكز الهلال الاحمر، مراكز الصناعة التقليدية، مراكز التشغيل، والقطاع الفلاحي، والمؤسسات البنكية المصرفية، الفرق الرياضية، مبهجة ومنشرفة؟ سيشاهدون البنائات الشاعحات والمؤسسات الحضارية، تجمع بين احضانها طبقات السكان البررة، سيرا بالامة سيرا محكما، والمنديات والتجمعات تنفجر فيها ينابيع الحكمة ونور المعرفة، فتضيء تلك الجوانب نور النور والتقدم والازدهار، ان الزائر لهذه المناطق الصحراوية المسترجعة بعد عشر سنوات، سيشاهدون فيها من التقدم والازهار ما يثلج الصدور ويقر العيون، كل هذا تحقق بارادة وحكمة صاحب الذكرى ملك البلاد البار بأمنته، الخامي لها ولانائها بالحب والكرامة.

ونحن ندورنا اثناء شعبه، وجنود ملكه، بهذه المناسبة نرفع لجلالته اكرم الثباتي، واعز الاماني، تبارك لجلالته هذه الذكرى المحيدة، سائلين الله ان يجعل على جلالاته باليمن والعافية والتوفيق والرشاد، وعلى ولي عهده سمو الامير سيدي محمد وشقيقه سمو الامير مولاي رشيد والاسرة الكريمة بكل خير وسعادة وهناء وعافية.

تحل هذه الذكرى العزيرة، وقد صدر القرار الملكي الشايع باقامة حفلات هذه الذكرى بمدينة العيون الحبية وسط صحرائنا العظيمة:

فرصة العمر تعيد ذكريات حميدة، قعد عشر سنوات من سير (المسيرة الحضراء) لزيارة الاحوان الاوفياء بالصحراء المغربية، وتجديد الاتصال بالمواطنين الكرماء سلاح تبار! رفع المصاحف القرآنية والراية المغربية الوطنية وادخلوها سلام آمين.

تأتي هذه المناسبة السعيدة وتحقق مسيرة اخوية ثانية لاقامة حفلات عيد العرش هاته السنة وسط الصحراء وبين جنابها فيهرول المغاربة اجمعون ومن كل اطراف المغرب للمساهمة بالحضور والتشرف باداء الطاعة والولاء لصاحب السؤدد الملك المقدي الحسن الثاني بمناسبة ذكرى تشريفه عرش المغرب العظيم.

انها مناسبة كريمة سيقف فيها الزائرون على تقدم هذه المنطقة الجنوبية من الوطن العزيز، وسيشاهدون المساجد والمعابد لاداء الفرائض والسنن، يشاهدون المدارس والمؤسسات العلمية للتكوين العلمي والثقافي. سيشاهدون المستشفيات والملاجيء للعلاج الوقاية، يشاهدون المؤسسات الاجتماعية لتكوين الاطر المهنية،

شذرات من الفكر

الحسيني

للأستاذ مبارك الريبوني

حول رمز الامة، وباعث النهضة، ومستكمل الوحدة الترابية، والوحدة بهذا المفهوم هي الحياة. إذا لا حياة بلا رمز. ولا حياة بلا قيادة رشيدة.

إن جلالة الملك هو رمز الامة والضامن لوحدها، وهو القيادة الرشيدة منذ ان اعتلى على عرش اجداده وهو يوالي جهودا تلو جهود لاقرار الحق واستتباب الامن واشاعة الطمأنينة، وتحقيق العدل واقصد بالعدل العدل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وذلك بتوزيع الثروات دون ميز ولا حيف، والعدل السياسي بتشريك كل الفئات الشعبية في القيام بالمسؤولية على الصعيد الاقليمي والوطني، وفي هذا الموضوع خاطب جلالاته اعضاء مكتب مجلس النواب يوم 15 نونبر 1984 قائلا : «اعلموا رعائكم الله كما قلت لكم : إن باننا مفتوح دائما أمامكم للتشاور والتذاكر والاختذ برأيكم فأنتم وزرأونا، ووزرأونا من نوع آخر ومن صنف آخر. الوزير هو الذي يعين على حمل الاثقال وحمل الوزر. والوزر ليس معناه الذنب ولكن المسؤولية» معناه وهذا هو معنى الشورى التي جاء بها الاسلام الخفيف تشريك ابناء الشعب من كل الفئات الاجتماعية حتى تكون الاختيارات الاساسية محل اجماع، واذا نحن واصلنا استقراء الفكر الحسيني من خلال خطبه وندواته ومراسلاته التي تجمعها موسوعة انبعاث أمة التي يقوم على جمعها واعدادها وتبويبها والاشراف عليها استاذنا الاكاديمي الجليل السيد عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة فسنجد الحديث الملكي يلخص جملة من المبادئ والقيم والاهداف التي يدعو شعبه الى التمسك بها والحفاظ عليها لكونها مصيرية في حياة الامة المغربية، وقال جلالة الملك في خطابه الافتتاحي لمجلس النواب الآنف الذكر:

يحتفل الشعب المغربي بذكرى عيد العرش المجيد يوم ثالث مارس من كل سنة تنويجا لكل الاحتفالات الوطنية وتحليدا للذكرى الرابعة والعشرين لتربع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على عرش اسلافه المقدسين. إن الاحتفال بهذه الذكرى العزيزة هو احتفال بالنضال والنصر، واحتفال بالقيم والاصالة، واحتفال بالحرية والديمقراطية، واحتفال بالظفر والثورة البيضاء ضد كل اشكال التخلف التي قادها جلالة الملك بتجاح استهدفت رفع مستوى المغرب سياسيا واقتصاديا وفكريا واجتماعيا وحضاريا.

فالانسان المغربي في التصور الفلسفي الحسيني هو الغاية والوسيلة معا، هو الوسيلة لتحقيق الرفاهية للجميع وذلك بتفجير خيرات البلاد وجعلها متدفقة غزيرة، وهو الغاية لجعله ينعم بثمرات الجهود في ظل الحسنية الانسانية السمحاء.

إن جلالة الملك عمل وما فتي يعمل — منذ ان بوأه الله قيادة الامة المغربية — على توحيد صفوفها بالتضامن والتعاون الجماعي، وقد بلغ في ذلك غاية بعيدة بفضل ما سنه من سنن حميدة، كسكران الذات، والايثار، والغيرة، واشاعة الصدق، وبفضل سنة الاتصال المباشر كذلك التي عود بها شعبه قضى جلالاته في حقبة وحيزة على نعرات، واجتث رواسب الاستعمار المقيتة، وجعل من الشعب المغربي امة واحدة مثلها كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى عملا بالآية الكريمة «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغير وما بانفسهم» وبذلك يكون القائد الرائد قد كرس فترة من نضاله في غرس مجموعة من القيم والمبادئ، والمثل العليا ايماناً من جلالاته بانها اساس للتضامن الاجتماعي والوحدة الفعلية.

إن الوحدة الحقيقية في الواقع لا يمكن ان تتم الا بالالتفاف

عصره وفريد زمانه من حيث استنباط كل الاحكام من الكتاب والسنة والرجوع الى الاصل اصل « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ».

ويؤكد جلالة الملك هذا المسار بقوله اثناء افتتاحه لمجلس النواب كذلك فيقول «مدرستنا الخارجية هي عدم التناقض، فالمغرب منذ زمن ومنذ قرون اختار معسكره. ان معسكره هو التثبيت بالدين الاسلامي. إذ يستحيل ان تكون ملحدين أو ماركسيين اخترنا هذا وسبقى على ديننا الاسلامي إن شاء الله الى ان يرث الله الارض ومن عليها».

ان جلالة الملك حفظه الله ورعاه يدرك بثاقب فكره ان الامعان ليس دعوة الى الانعزال عن الحياة، وانما دعوة الى التوازن ودعوة الى الاحتفاظ للانسانية بانسانية وبشريته وحرية وكرامته وامنه وطمأنينته، والامة التي آمنت بالله هي الامة الحرة، والمجتمع المادي الملحد هو المجتمع الذي يجعل من رهبة السوط بديلا عن دفع الضمير.

ولذلك نرى ان المغرب اختار الاسلام كدين ودولة، انه وجد فيه حلا لجميع المشاكل المستعصية منها والسهلة حلا يرتاح اليه الانسان ويطمئن، وفي اطار الخبرة العملية والتجربة الممارسة تعرف على جميع التيارات السياسية منذ الطلائع الاولى للفتح الاسلامي التي انتقلت اليه عبر قنوات مختلفة لاسباب شتى. واغراض متباينة، وليس مجال بحثنا هنا تفصيل ذلك. أجل، وخلال هذه الفتوحات تعرف المغرب على تنظيمات سياسية في اطار اسلامي كالشيعة والخوانسار وما انتبى عن هاتين الحركتين المعارضتين المناهضتين للحكم الاموي وانتشاره في بلاده المشرق وتغلغله في بلاد المغرب.

وتعرف المغرب كذلك على جميع التيارات الفكرية التي وفدت الى الشمال الافريقي وتصارعت فوق ارضه بمحدة وعنف كالاشاعرة والمعتزلة وغير ذلك من التيارات الفكرية. اذ يبدو ان واصل ابن عطاء بعث اصحابه للاهصار لنشر الفكر المعتزلي وكان من بينهم عبد الله ابن الحارث الذي بعث الى افريقيا، ورغم كل ما عرفه المغرب من تنظيمات سياسية وتيارات فكرية اصطفى من بينها مذهب الامام مالك الذي عايش كل تلك التيارات واحتك بها واصطدم قبل ان يحرز انتصارا عليها ويصبح المذهب الذي اجمع المغاربة عليه مقنعين بمجداه في حسم كل المنازعات واستئصال شائفة كل الخلافات فيما بينهم، اذ جمعهم

«مدرستي بكل تواضع هي مدرسة محمد الخامس، ومدرسة محمد الخامس هي مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم، الجل فينا لا يعرف من النبي (ص) الا حياته كرسول وداعية ومشرع، اما الحياة الدبلوماسية والسياسية له ما زالت مجهولة، والمدرسة الحقيقية للمغرب هي لا تسامح في مقدسات الدين الاسلامي، ووحددة المذهب، ولغة الضاد، والوحدة التربوية، هذه امور لا يمكن مناقشتها ولو ثانية».

أجل فقد ضمن الله لنا في الدين الاسلامي العصمة لأن الاسلام وحي من الله، ولم يضم العصمة في الآراء العقلية، فالدين الاسلامي عقيدة وشريعة، دين ودولة منزه عن النقائص في كل ميدان، لكونه وحيا من الله منزلا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذلك نحن المسلمين لا نلتمس حلول مشاكلنا الاجتماعية والسياسية والحاضرة والمستقبلية خارج التشريع الاسلامي، وبعبارة فنحن في غنى عن الباطل الذي يزجي بمن استصاغه وسار في ركبته في دوامة من الصراعات تقتضيه عما هو مؤتمن به ومطوق، ام التماس الحلول للمشاكل على اختلافها من غير كتاب الله خدمة صريحة للشيعوية والصهيونية والامبريالية والاستعمار الجديد، «انما المشركون نجس» فالاسلام يضمن للمسلم الرخاء والنعم والطمأنينة لكونه يكون مشمولا لا محفوقا تكلاه العناية الربانية، ويقول جل جلاله في كتابه العزيز :

«ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض»، وإن منحه الاتباع ينفي عن المسلم كل شكل من اشكال الانحراف، والاسلام هو المصدر الاوّل لكل اصلاح وانحور الاساسي لكل الفضائل، وهو ينبوع متدفق بالرحمة والرفقة والحب، ففي رحابة يشعر الانسان بانسانيته وكرمه «ولقد كرمتنا بني آدم» والاسلام في جوهره عصمة من الزلل «ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم».

ومن بركات الله على هذا البلد الطيب ان استخلف عليه ملكا عادلا حكيما مؤمنا حق الايمان سبط النبي محمد (ص) يواصل الليل بالنهار خدمة للوطن شغله الشاغل ان يرق بشعبه ليسمنه الدرجات العلا الى مصاف الأمم الراقية. إن جلالة الملك وهو يتحدث الى شعبه نجد ان احاديثه كلها تتمحور حول آية قرآنية يستلهمه منها كل المعاني او ترتكز على حديث نبوي شريف، وهذه ميزة يتميز بها عما سواه، وخاصية ينفرد بها جلالته عن بقية الملوك القادة والرؤساء ولذلك فجلالته وحيد

في وحدة ساعدت على حفظ كيانهم الديني، فتمسكوا بالكتاب والسنة وترفعوا عن كل الخلافات الهامشية التي كثيرا ما تؤدي الى الانزلاق فيما لا تحمد عقباه، وتؤدي كذلك الى الزيع والزلل، كما ساعد هذا المذهب على حفظ كيانهم الوطني فشدوا العزة لبلادهم والرفعة والحرية والكرامة له، منها الحد الاقصى ذلك بفضل التضامن والاتحاد ووحدة الرأي ووحدة المصير، ووحدة الدين ووحدة التاريخ ووحدة اللغة ووحدة المذهب الذي نحن بصدد تحليله بعيدا عن النزاعات الطائفية التي كثيرا ما تكون سببا في تفكك اوصال الشعب الواحد.

وبعد هذا نتساءل لم تمسك المغاربة بالمذهب الملكي رافضين بقية المذاهب ؟

إن مالكا ينتمي للمدينة المنورة مركز الاسلام الاول وعاصمة الرسول، وقد اقتنع المغاربة بزهده وورعه وتقشفه وفضله، وهو اقرب الائمة الى روح الشريعة امانة علمية، ولذلك نال تقديهم ومحبتهم وفاز برضاهم، فهو قدوة لهم بدون منازع، وبعد كل هذا فالحديث النبوي الشريف يطابق كل المطابقة اوصاف هذا الامام العظيم «يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل في طلب العلم فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة».

ان المذهب المالكي يتميز بخصائص تجعله منسجما وطبيعة اهل المغرب الذين يوثرون البساطة والوضوح وينزعون الى العمل الجاد البناء ولذلك لم يلتصقوا غيره من المذاهب، واشير هنا الى ان بعض المذاهب كثيرا ما تقذف بالناس في اتون خلافات متأججة هامشية، وفي غالب الاحيان تقضي بهم الى صراع مسلح يهلك الحرث والنسل، وهذا يقصدهم عما هم مؤمنون به ومطوقون من اعمال تستوجب منهم تعبئة جهود لبناء حاضر الامة ومستقبلها على اسس متينة.

ان المولى ادريس رغم انتائه الى حركة الشيعة نراه يسلك السبيل السني في المغرب، ويحجم عن نشر الشيعة بهذا البلد ايمانا منه بان وجود كيانه ينطلق من السنة، ويتضح اتجاه الادارسة السني وفيما بعد المذهبي، مذهب الامام مالك من خلال الرسالة التي وجهها المولى ادريس لدى قدومه الى اوربة دعاهم فيها الى التمسك بالكتاب والسنة مستغزا غيرتهم الاسلامية لمواجهة الظلم ونيد الخلاف ومما جاء فيها... ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه (ص) والى العدل في الرعية والقسم بالسوية، ورفع المظالم...» وبعد ذلك اخذ الادارسة ينشرون المذهب المالكي ايمانا منهم ان المغاربة بميولهم السنية القوية رفضوا

ويرفضون المذاهب الاخرى وقاوموها بشدة وعنف، والتاريخ يحدثنا عن موقف تحالف الفقهاء والعلماء والجمهور عامة ضد تسرب كل التيارات فيقفون منها موقفا معاديا ويقبرونها في المهدي، فلا يكتب لها البقاء.

ان المغاربة لم يكونوا مستعدين ولا مهيبين ذهنيا بعد ان وجدوا يعيتهم في اتباع الكتاب والسنة والاقتداء بكبير الائمة. وفي عصرنا هذا تمسك المغاربة بالمذهب المالكي، فضلا عما ذكرنا هناك اسباب عملية اخرى واضحة، ان زيارة المغاربة لبلاد المشرق عامة اما لاداء فريضة الحج واما لامور اخرى جعلتهم يقفون بانفسهم على خلافات الامة الاسلامية وصراعها وسببها ما يتمذهبون به من مذاهب وما يؤمنون به من افكار لحركات دينية وغيرها، ومثل هذه الخلافات التي لها اكثر من سبب ولون زجت بجماعات في صراع دموي مرير، وجماعات اخرى في خلافات لاخلاص لهم منها سوى بحمل السلاح، والتاريخ يحدثنا عن الاقطار التي حافظت على الوحدة وعلى الحرية وعلى استقلال بلادها كالمغرب، والسبب هو وحدة المذهب، ولذلك نجد صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يؤكد على استمرارية المذهب المالكي، لانه يدرك ان هذا المذهب كان وسيبقى على الدوام يحارب كل صور الانحراف، ويقاوم كل اشكال البدع والزيع، وانه شوكة في حلق من سولت له نفسه نشر ايدولوجية هدامة من شأنها ان تشوش على العقيدة، ونذكر هنا موقف يوسف بن تاشفين من البرغواطيين والقضاء عليهم، وموقف المولى اسماعيل من العكاكرة المنحرفة، وموقف جلالة الملك الحسن الثاني من البهاين.

كما ان هناك وسائل الاعلام على اختلافها المرئية منها والمسموعة والمكتوبة تنقل لنا اخبارا مؤلمة تسيء الى سمعة المسلمين تلتخص في الصراع المذهبي المزمع القائم، والتناحر الطائفي بين افراد القطر الواحد في منطقة، وبين امتين تجمع بينهما وشائج كثيرة وعلاقات مختلفة من وحدة الدين والحضارة والتاريخ والفكر والحوار الى غير ذلك من العلاقات والصلات، ان هذا التناحر الطائفي والمذهبي يعكس بصورة واضحة ولا تقبل الجدل استحالة تعايش مذاهب مختلفة في امة واحدة وخاصة اذا طمعت هذه المذاهب بايدولوجيات غريبة عن بيتنا وهذا ما حدث ويحدث، ودست بافكار لا علاقة لها بالاسلام، فتصبح اذ ذاك المذاهب معولا من معاول الهدم والتخريب والفرقة والصراع، وتصبح كذلك اذى على افراد الامة الواحدة وبالا على كثير من الاقطار، ونقمة على

ان جعل اللغة العربية كاساس في كل الميادين لابد وان يؤدي الى نتائج جد ايجابية، فالتمسك بها يعني نبذ كل اوجه الخلاف للوقوف على صعيد واحد من اجل النهوض جنبا الى جنب بوطنتنا العزيز الى اعلى الدرجات.

وقد اشار جلالة الملك كذلك في الكثير من خطبه الى الوحدة الترابية باعتبارها احدى المقدسات.

ان الوحدة الترابية والدفاع عن حوزة الوطن لمن المبادئ الاساسية الوطنية المقدسة التي لا هواده فيها. فالحفاظ على الوحدة الترابية التي هي اختيار من اختيارات العرش والشعب معا حفاظ على الكرامة الانسانية والحرية البشرية، اذ لا كرامة لمسترق ولا لمسعد، كما لا حرية هما كيفما كان نوع هذا الاسترقاق او الاستعباد فكري او حضاري او اقتصادي.

ان حدث المسيرة الخضراء يجسد بصدق الروح الوطنية والغيرة على وحدة البلاد وحرمتها وكرامتها، ومن معاني عظمة هذا الحدث التحام العرش بالشعب وتحاورهما كالمعتاد، ذلك التجاوب التلقائي العفوي الذي جاء ليجسد الحب الصادق بين ملك عظيم حكيم وبين شعب كريم ابي.

ان المغرب حافظ على الدوام وسيحافظ استقبالا — ان شاء الله — على كيانه كدولة اصيلة ضاربة جذورها في اعماق التاريخ كحضارة وتاريخ.

وبفضل هذا التلاحم الذي كان وسيظل سدا منيعا امام كل غزو اجنبي يستهدف بسط الهيمنة ومد النفوذ.

ان القائد الرائد وهو يعيب بشعبه ان يكون حذرا من كل المناورات والدسائس التي تحاك ضده سرا وعلنا، يعني جلالاته من هذا التذكير الى ان المغرب بلد محسود لما ميزه الله عن كثير من الامم والشعوب بمميزات كثيرة بشرية وطبيعية جباه بانعم لا حصر لها، والحفاظ على استمرارها يستلزم منا جميعا التعبئة واليقظة والحذر والتصر والوعي، لكي لا نقع في فخ نصبه لنا اعداء الوحدة الترابية للايقاع بنا، تمهيدا لبسط الهيمنة، وهكذا على كل حال يستحيل حدوثه ابد الدهر.

ان الحفاظ على الوحدة الترابية للبلاد لمن اقدس المقدسات لدينا كعرش وشعب سنفديها بدمائنا الزكية دفاعا عنها وسنسترخص من اجلها ارواحنا. انا جلالة الملك سنظل على الدوام والاستمرار اوفياء للعهد وللقسم، وملتزمين ومستجيبين لما تنصح به عبقرية جلالكم من نصائح غالية، ومن اعلى هذه النصائح الملكية الحفاظ على الوحدة الترابية، وفي هذا الموضوع يقول جلالة الملك يوم 14 نونبر 1984 بمناسبة استقبال جلالاته للوفد المغربي العائد من اديس

الجبران، ومصدرا من مصادر الشر والبغي. وامام هذه الصور المؤلمة المعاشة فلا يمكن للمغاربة اطلاقا ان يعدلوا عن مذهبهم المالكي الذي اختاره بمحض ارادتهم بعد ان خبروه وجربوا فعاليته كان وسيظل — ان شاء الله — على الدوام والاستمرار مصدرا من مصادر الوحدة والتمام الشمل، ومصدرا للعصمة من الزلل، ان اختيار المغاربة لمذهب المالكي الذي يؤكد جلالته الملك في كثير من الخطب اختيار نابع من صميم قلوبهم، وذلك بعد ان اقتنعوا به عمليا لكونه كان وسيظل درعا واقيا، وقد ثبت ثبوت الرواسي الشائخة يتحدي كل اعصار مدمر. ان تلك الكوارث والاحطار المحدقة بالامة المثبثة بروح مبادئ المذهب المالكي واهدافه وغاياته لم تزدها سوى ثبوت على المحجة البيضاء ومقاومة لكل انواع الطاغوت والبغي، ولم تزدها كذلك سوى تماسك بالكتاب والسنة والتفاف حول العرش الذي هو رمز الوحدة.

وبفضل تمسك المغاربة بالمذهب المالكي دابت جميع الخلافات والحساسيات والنزاعات العرقية والطائفية والسلالية والقومية والمذهبية وانصهرت في بوتقة واحدة واستحالت الى امة موحدة متساكنة اصلها ثابت وفرعها في السماء.

ويؤكد جلالة الملك كذلك على لغة الضاد — كما اوصانا في خطابه — التي هي لغة القرآن الكريم والحديث وهي اللغة التي كتب بها تراثنا الفكري والحضاري، ام جلالة الملك وهو يتحدث عن لغة الضاد باعتبارها اللغة الرسمية للمملكة المغربية يعلم انها غنية جدا وخصبة للغاية.

ولا ادل على ذلك من موسوعات اللغة التي نلمس فيها ثراء يعز نظيره في معظم لغات العالم. ولا حاجة بنا الى الحديث عن مصنفات كل فنون المعرفة لتؤكد ذلك، يكفي الرجوع الى كتب علمية او فلسفية لادراك مدى هذه الغزارة وتلك السعة. وان الحديث الملكي عن لغة الضاد ليهدف منه جلالاته الى امور شتى منها تدعيم وحدة البلاد، ففي رحابها يتحقق التمازج والانصهار والتجاوب والوثام والتعاون والاتحاد كتوطئة للتفاهم والتساكن وكضمان لاستمرار الوحدة.

ان حكومة جلالة الملك قامت بمجهود مكثفة في ميدان تعريب كل المواد الدراسية وعلى الاخص المواد العلمية التي شرع في تعريبها بالنسبة لاقسام التعليم الثانوي منذ سنتين غير ان بقية المواد فقد عربت منذ مدة، اما في الميدان العلمي لا بأس من الاشارة الى ان معظم المصالح الحكومية اصبحت بها لغة التخاطب والتراسل تتم بلغة الضاد دون سواها.

ابابا « كل شيء يمكن ان يكون فيه انتهاون الا الامانة، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له، والامانة الغالية المقدسة التي هي الان على عاتقنا ونحن مطوقون بها كلنا هي وحدة التراب الوطني وسلامة السيادة المغربية، يجب ان يتعلم ابناؤنا وبناتنا منذ صغرهم، ان هذه المسألة لا مفاوضة فيها ولا مهادنة».

انا نعاهد الله على الوفاء على ان لا نفرط في شبر منها مهما تكالبت قوى الشر والبعي من اعداء وحدتنا الترابية الذين ساءهم التام الشمل، وحزقي نفوسهم ان يظفر المغرب بامنية طالما جد في طلبها، فكادو له ويكيدون فناهضونا وما زالوا يتهاضنونا في حق مشروع مسلم به. انا في ارضنا بديارنا سنذود دفاعا عنها مسترخصين وقد لقنا هذه الروح الوطنية والغيرة على البلاد كل غال ونفيس، هذه كلمة يرددها الناس اجمعون بدون استثناء لابنائنا وحفدتنا من بعدنا ليواصلوا الدفاع عن حوزة بلدهم، انا اقسمتنا جميعا على الحفاظ على وحدة التراب والدفاع عنه من طنجة الى الكويرة والمؤمن الحق هو الذي يير بالقسم «اقسم بالله العظيم ان ابقي وفيا لروح المسيرة الخضراء مكافحا عن وحدة وطني من البوغاز الى الصحراء.

اقسم بالله العلي العظيم ان القن هذا القسم اسرتي وعترتي في سري وعلايتي، والله سبحانه هو الرقيب على طويتي وصدق نيتي»

واؤكد انا لقنا هذا القسم لابنائنا الذين نعيش وايامهم تحت سقف واحد واعدنا تلقينه لهم ورددوه على مسامعنا، ثم شرحنا لهم شرحا مستقيضا ما يتضمنه من معاني وابعاد واهداف وغايات، فكان شعورنا بعد ذلك شعور ارتياح بعد ادراكهم بمعانيه تحلي ذلك في غيرتهم وحماسهم ثم اثلج صدورنا كأباء اولا لهم رسالة، وكمواطنين لهم غيرة على بلدهم ثانيا. ويؤكد جلالة الملك على الوحدة الترابية في حديثه لصحيفة لوموند يوم 7 نونبر 1984.

سؤال : هل تعودون اليوم لمقولاتكم المشهورة اتركولي طابع البيد والعلم، وكل ما عدا ذلك فهو قابل للتفاوض ؟
جواب جلالة الملك : «.. انني لم انظر الى الصحراء ككيان مستقل او ذي سيادة، فهذا غير وارد، ولن يرد الى ان يرث الله الارض ومن عليها، وفيما خلا ذلك شيء يجوز تصور». اما بخصوص الاصلية فان جلالة الملك حفظه الله كثيرا ما يؤكد على التمسك بالاصالة، وهو يسلم رسائل اعتماد الى سفراء جلالته في بعض الاقطار او هو يعين عمالا على الاقاليم او هو يخاطب شعبه، والاصالة التي يعينها جلالته تتضمن معاني وابعاد

شئ منها التجديد في الفكر والعمل بدلا من التقليد او التبعية، وكلمة اصالة مشتقة من كلمة اصول، والمرء لا يكون اصيلا الا اذا كان هو اصل ذاته بحيث لا يصدر الا عن نفسه في كل مظاهر سلوكه، وبناء على ذلك فالاصالة تعتبر عن استناد الفرد الى ذاته بحيث يكون هو المبدأ المبدع لكل ما في ذاته من جوانب شخصية فريدة، وكل ما في سلوكه من مظاهر حيوية ذات اهمية، والاصالة ظاهرة مصاحبة للابداع او بالاحرى شهادة حية تنطق باسم الحرية الابداعية، وهي مبدأ سيكولوجي مهم لانها تعبير عن ضرورة الانطلاق من الذات بحيث يصبح المرء عين ذاته من خلال افعاله الحرة وانجازاته الابداعية، وان تردد كلمة اصالة في احاديث جلالة الملك وخطبه تتضمن ايضا معاني الخلق الحر الذي هو اساس الارتقاء بالشعب الى مستوى الجماعة الانسانية المتقدمة، والاصالة لا تعني الشذوذ او القطيعة او السلبية او الرجعية او الارتباط الصوفي بالماضي او ... كما يتوهم البعض، فالاصالة هي التفاعل الابحاثي بل واكثر من ذلك هي قطع الطريق امام كل الابداعات الهدامة التي تحاول نقل افكار تخريبية للبلاد او تحاول نسف عقيدتنا وقيمنا، والتمسك بالاصالة يجعل الانسان يتحرر من غوائل الزمان ونوابه فالشعب المغربي شعب اصيل لذلك تتجسم فيه كل معاني السمو من ابناء وشهيم وشجاعة وكرم ونكران ذات، وهذه المعاني الواردة في موضوع الاصلية غيض من قبض مما يقصده صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

ماذا يمتاز المغرب عن غيره في العواصم الاخرى وخاصة في العالم الثالث ؟

في المغرب تيارات سياسية نشيطة وحركات نقابية ذات فعالية على المستوى الوطني والدولي معا، وقد قامت هذه التيارات ايام الكفاح الوطني بدور طلائعي بقيادة باعث النهضة ومحرم الامة المغربية صاحب الجلالة الملك العظيم سيدي محمد ابن يوسف تغمده الله بواسع الرحمة والمغفرة والرضوان والى جنبه وارث سره في الكفاح والنضال وساعده الايمن صاحب الجلالة الملك الهمام مولاي الحسن نصره الله.

ولقد برهنت هذه الحركات السياسية الوطنية في شتى المناسبات عن وطنيتها الصادقة وایمانها بعدالة قضيتها ووعياها الكامل بالرسالة المؤكولة اليها خدمة للوطن العزيز، وبذلت كل جهودها غير مقصرة ولا متوانية الى ان استعاد المغرب حرية الكاملة.

غير ان المغرب ولله الحمد يتمتع بكامل الحرية في ميدان النشر وابداء الرأي شريطة التزام بالقانون الذي هو فوق الجميع فثعب الحسن شعب القانون والمشروعية يتمتع بالديمقراطية النزبية، وهذا القول لا يحتاج الى اقامة الدليل او تعريزه بحجة او تأكيده ببرهان يكفي ان يتصفح العدد الضخم من المجلات والليل العزيز من الصحف والمطبوعات التي تصدر يوميا للتأكد من كل ما أومأنا اليه في هذا البحث. وهذه الميزة الحسنية مفخرة اخرى من عشرات المفاخر التي توج بها جلالته هامة القرن العشرين من بين القادة العظام القلائل في القارة الافريقية، ناهيك باعمال اخرى سجلها التاريخ لجلالته بمداد الفخر والاعتزاز طوال حياته في الكفاح النضالي لتحرير اقطار القارة السمراء وغيرها من قيود العبودية.

ان صفحات التاريخ غنية كل الغنى بجليل اعمال جلالته في كل ميدان، ويقول جلالته في افتتاح الدورة البرلمانية الاولى 12 اكتوبر 1984 موضحا ما سبق ان تحدثنا عنه:

«اياكم ان تسوا انكم مغاربة، وان لكم اصالة، وانكم تمتازون في العالم الثالث بتعدد الاحزاب والنقابات والتيارات السياسية وبكلمة اوضح تتمتعون بأثمن كنز الا وهو الحرية، وتتمتعون بأثمن رصيد الا وهو الكرامة البشرية».

وختاما فليس بمقدور احد الالمام بالفكر الحسني جملة ولا تفصيلا مهما كانت القدرة الاستيعابية للانسان اذا اصبح هذا الفكر في الواقع مدرسة رائدة قائمة الذات، تتضمن مفاهيم عدة منها النضال الوطني باعتباره اساسا للتغيير والتطور واعتبار الديمقراطية والحرية اساسا للبناء والتقدم والحضارة والتنظيم، وجلالة الملك رؤية خاصة في القضايا الوطنية والدولية، ونظرة متميزة في علاج المشاكل المطروحة على الصعيد الوطني، وكذا الدولي لذا نرى اقبال الباحثين والدارسين المنقطع النظر في السنين الاخيرة على موسوعة انبعاث امة باعتبارها مصدرا مهما ومرجعا وثائقيا مفيدا يلقي المزيد من الاضواء لمعرفة الفلسفة الحسنية في كل القضايا المختلفة، ومن خلالها يتعرف هؤلاء بعمق على المشاكل الحقيقية المطروحة على الساحة الدولية.

إن حكمة جلالته الملك وتعمقه في فهم كل القضايا السياسية والاقتصادية. باتت هذه كلها امور في عصرنا هذا بديهية لا تحتاج الى تأكيد، ان كل وسائل الاعلام تشيد بهذه الخصائص والمميزات التي يتحلى بها جلالته اطال الله عمر جلالة الملك الحسن الثاني سنين طويلة حتى يحقق لشعبه المزيد من العزة والنصر انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير.

ان تعدد الاحزاب بالمغرب لدليل اخر على الحريات العامة التي تتمتع بها كل الفئات الشعبية. ان كل مواطن مغربي يتمتع بكامل الحرية في ان ينتمي الى الهيئة السياسية التي تتفق وميله، وهذه ظاهرة متميزة في بلادنا، وكثيرا ما تعلق هذه الظاهرة خصوم التفتح وخصوم الحرية، وخصوم الديمقراطية، وبعبارة كثيرا ما تغضب خصوم وحدتنا الترابية. ان هذه الحرية تحز في نفوسهم، بل تزرقهم وتزعجهم لذلك هم على الدوام يكيدون له كيدا، ويثبون في طريقه المصاعب والعقبات، ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه، غير ان الباطل والبهتان والتضليل فمأثم الحسران المبين.

وان في تعدد الحركات السياسية كثرة البرامج الهادفة الى تطوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلاد، وفي جو التنافس البريء والبناء يكمن سر عظمة المغرب، ولا ريب ان بلادنا قطعت اشواط طويلة في بناء صرح الديمقراطية الحققة على أسس متينة، سل تاريخ المغرب السياسي تجد اجوبة شافية لذلك، وان حرص جلالته الملك على تعدد الاحزاب لتدلي كل هيئة برأيها وتبدي بوجهة نظرها في قضية وطنية (وامرهم شورى) وليذلل كل مواطن مغربي جهودا تلو جهود لرقى البلاد لدليل آخر صادق من جلالته على ما يضمنه لشعبه من روح الحجة الصادقة، والحب المكين.

فالخزب الوحيد معناه كبح جماح فئات من الشعب، وبعبارة فالخزب الوحيد معناه القهر والغلبة والغدر، ومعناه تطبيق قانون الغاب، ومن معانيه القمع وسلب الحرية، والحرمان من ابداء الرأي بحرية، فالخزب الوحيد صفة صريحة للحرية والديمقراطية، وفي جو الخزب الوحيد يشعر الانسان بالازهاب وانعدام الامن وانعدام الطمأنينة وفي هذا الجو المشحون تنشأ الكثير من الامراض الاجتماعية الخطيرة غير ان الازهاب والاستبداد كظاهرتين ساندتين يحاول النظام القائم اخفاء هذه الامراض وطمسها بالتسلط والتشرد والنفي والسجن والتعذيب والتصفية الجسدية، في هذا الجو القائم المظلم يعاني كل من يستسلم للامر الخزب الوحيد، ان فئة قليلة من رجال البغي المتسلطة على رقاب الناس لها القرار والتنفيذ تفعل ما تشاء، وفي هذا الجو لا تصدر سوى صحيفة واحدة يكفيها النظام القائم ويؤطرها خدمة للادبولوجية التي تستهدف استرقاق الناس واستعبادهم خدمة للاغراض الشخصية.» يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينهم محرما فلا تظالموا».

جَلالَة الملك احسَن الشان

للأستاذ
عثمان
بن خضراء

مُوَحِّدُ الْبِلَادِ

وَصَاحِبُ

الْأَمْجَادِ

يحتفل الشعب المغربي بالذكرى الرابعة والعشرين لجلوس جلالة الملك الحسن الثاني على عرش اسلافه المنعمين.. فيحتفل بالعهد الذي لا ينشكث ولا ينتقض والوفاء الذي لا ينقسم والوفاء الذي لا يتضاءل.. والاستشارة الذي لا يبرح والمسرة بما كان والثقة بما سيكون والاعزاز بما يوضع من خطط ويمارس من اعمال جليلة.

اربعة وعشرون سنة مليئة بجلالات الاعمال وصور التحدي الشاخص.. فمن تاسيس كتلة الدار البيضاء لاستكمال تحرير افريقيا الى معركة التسمية والمليون هكتار.. ومن معارك الحدود في سنة 1963 الى حرب يونيو 1967 المؤتمر القمة الاسلامي الاول.. ومن مؤتمر افريقيا الذي انبثق عنه ما يعرف في السياسة

الصراط المستقيم واخجة البيضاء التي كانت سبيلا في ظلمات
الامل ايام الكفاح التحرري.

نعم، فعيد العرش محل بنا ونحن نخوض اوج معركة نضجت
افكارها ووضحت اهدافها وتيسرت طريق الوصول الى مبتغائها
والمرتحي منها.. هناك معركة التنمية الاقتصادية.. معركة التقدم
الاجتماعي.. معركة العدالة الاجتماعية.. معركة الحرية، الحرية
الحقيقية التي تنعكس في حياة الانسان فكرا وعاطفة ومادة
والتي تدخل حياة الانسان فتفتح بيته وطرق حياته واسلوب
تفكيره، فبسط بين يديه رداءها خيرا ونعمة ورفاهية — خبزا
وبينا ومدرسة ومستشفى وعدالة، نعم بهذا كله تحت سماء
بلادنا الحرة وفي مجتمع متماسك تتحكم فيه نوازع الخير
والفضيلة.

ان عهد الحسن الثاني حافل بالعباءة والبطولات والامجاد،
مليء بجلائل الاعمال ودلائل التوفيق.. وان الحماس الوطني
والايمان الصادق هو الحافز الذي يحرك ابناء المغرب قاطبة
لتحقيق المزيد من المكاسب والكثير من الانتصارات مثل ما
حدث اثناء المسيرة الخضراء المظفرة حيث تحول المغاربة الى
شخص واحد يحس بنفس الاحساس ويعيش نفس المواقف،
وتوجت باسترجاع الصحراء المغربية الى حظيرة المملكة بفضل
كفاح ملك شهم وشعب بطل، وذلك بالرغم من الروح القبلية
التي كان الاستعمار واذنابه يذكونها من بعده، لان سكان
الصحراء كانوا يعتبرون مستقبلهم في الانضمام الى باقي تراب
المغرب المحرر لثرايتهم به روحيا وتاريخيا.. وهب ابناء الصحراء
من كل فج عميق لتأكيد الولاء وتجديد الطاعة والبيعة لأمير
المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، ورفعت اعلام النصر مرفرفة
فوق ربوع الصحراء، وسبقي خفاقة منيعة رغم كيد الكائدين
ومناورات الحاسدين الضالين الذين وقفنا بجانبهم ايام الشدة
فكانوا من اول المتكرين لنا والناقمين علينا.

والتاريخ قد سجل كفاح الملوك العلويين والشعب المغربي من
اجل وحدة التراب عموما والصحراء على الخصوص، الشيء
الذي اكدته الوثائق التاريخية والمستندات الوطنية والاجنبية..

الدولية ب«روح الرباط» الى حرب رمضان على الجبهتين المصرية
والسورية.. ومن معركة التحرير الوحدة المتوجة بالمسيرة الخضراء
المظفرة الى مفاوضة مؤتمرات الحيانة والعدر واسترجاع اقليم
وادي الذهب، ومن تدعيم الوحدة الوطنية وترشيد الحياة
السياسية دستوريا الى تقوية الاقتصاد الوطني والاهتمام بالتصنيع.

وعمل الحسن الثاني في كل ذلك يتميز بالجدية والنضحية
والفطنة والذكاء وحب الصالح العام، وهي العوامل التي جعلته
يخيا بحياة امته ويسعد بسعادتها.

ولا عجب، فعروش ملوكنا كانت ولا تزال قلوب شعوبهم،
وان تيجان ملوكنا اعمالهم ومنجزاتهم، وان صولجائهم افكارهم
وتوجهياتهم، فالعرش المغربي من اول تاسيسه كان تصحيحا
للاوضاع والتزاما بجمل مشعل رسالة الاسلام، وقد استطاع ان
يقف في وجه كل الاعاصير منذ المولى ادريس الاول رضي الله
عنه الى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله تعالى.

ان من يدرس طبيعة العرش المغربي وحقيقته منذ انشائه يجد
اكثر القائمين على هاته العروش والجالسين عليها كانوا نخبة
اعدتهم آباؤهم احسن عدة ليكونوا جديرين بقيادة امتهم
وزعامتها، ويكونوهم تكوينا شعبيا ويريونهم تربية قاسية ليكونوا
اهلا لقيادة شعوبهم، ففي حياة الملك المغربي الخاصة يكون دائما
محفوقا بالعلماء والحكماء ورجال الشورى وهمته تحقيق المآثر
بالعمل المتواصل لبناء التاريخ وارساء قواعد التواصل ومماراته
لخير الاجيال المغربية ولخير الحضارة الانسانية التي كان المغرب
دائما ركنا قويا من اركان انبعاثها واشراقها وانتشارها.

وفي كل سنة يستمع الشعب المغربي بقلبه وفكره الى ملكه
وقائده وزعيمه جلالة الحسن الثاني المعظم وهو ينشر صفحات
الامجاد ويقرأ من كتاب المنجزات والانتصارات ويعيد من
صحف المواقف والنضال والصمود والمآثر والانتصارات ويعيد
من صحف المواقف والنضال والصمود والمآثر والانتصارات مما
يتلج صدره وصدر شعبه، ويلقي جلالته الاضواء على طريق الغد
وما يتطلبه العمل من اجل المستقبل، محددا الاهداف مستعرضا
الوسائل باسما في أفق الامل نور الثقة والارادة داعيا شعبه الى

فقد وصل الى تخوم السينغال السلطان العلوي مولاي اسماعيل وصاهر أهل شنقيط حيث عقد على الملكة خنائة ابنت الشيخ بكار المغافري، هذا البيت المشهور بالصلاح والاستقامة.

ورحل السلطان مولاي الحسن الأول بدولة الى تخوم شنقيط واوغل فيها الى ان نزلت جيوشه بالساقية الحمراء متفقدًا احوال الراعية.

ثم ارسل السلطان مولاي عبد العزيز وفدا الى شنقيط لينصب بعض القواد والموظفين ويسلم لهم ظهائر تعيينهم، ويتفقد الاحوال ويصلح من شأنها، فقصدت هذه البعثة مدينة «اسمارة» بالساقية الحمراء واجتمعت بالشيخ ماء العينين وادت مهمتها احسن اداء.

هذا وان من جملة الوثائق التاريخية التي ادلى بها المغرب حول مغربية الصحراء انه في سنة 1911 عندما تمت المعاهدة الفرنسية في شأن المغرب وضعت خريطة لتحديد البلاد المغربية.. فكانت تحد بالجزائر وافريقيا الوسطى والسينغال، وتوجد الصحراء المغربية داخلية في هذا الحدود.. وقد عمدت فرنسا الى ادماج الصحراء المغربية في افريقيا الغربية سنة 1920 بدون استشارة الدولة المغربية وملكها، مما يجعل هذا الامر ملغي ومناقضا للقوانين الدولية.

واستطاع الشعب المغربي بفضل كفاح طويل بقيادة ملكه المنعم محمد الخامس ونجله الملك العقبري الحسن الثاني من تحرير جزء من الاراضي المغربية سنة 1956، وقد آثر المغرب وهو يوقع وثيقة الاستقلال على ان يحتفظ فيما يخص الاجزاء غير المحررة منه، ويسجل حقه الكامل في تحريرها واستعادتها الى حظيرة الوطن المحرر.. وواصل الكفاح بعد ذلك فاسترجع طرفاية المخاورة للصحراء المغربية سنة 1958 بعد مفاوضات مباشرة مع اسبانيا، ثم بعد عشر سنوات من مفاوضات مضنية مع اسبانيا استعاد المغرب منطقة ايفني في 1969.

واخيرا جاء دور الساقية الحمراء.. واهم الرأي العام الدولي بالمواقف البطولية والدهاء السياسي والحيرة القانونية التي

استعملها الملك الحسن الثاني لمعالجة هذه القضية سواء مع اسبانيا، او هيئة الامم المتحدة، ومحكمة العدل الدولية.. واثبت حفظه الله مغربية الصحراء تاريخيا وسياسيا واجتماعيا ودينيا وقانونيا، فاعترف الجميع بمشروعية مطالب المغرب في الوحدة الترابية وتحرير الاراضي من الاحتلال الاحسني ما عدا الذين اعمى الله بصيرتهم وفي قلوبهم مرض.

نعم، يعد النطق بحكم المحكمة الدولية بلاهاي، قرر الملك العقبري القيام بمسيرة سلمية والدخول الى الصحراء في موكب سلام، وايدت جل دول العالم، وفي مقدمتها الدول العربية والاسلامية موقفا، مباركين هذه المسيرة الشعبية وهذا الزحف المقدس، الشيء الذي دفع بالحكومة الاسبانية التفاهم مع المغرب والاستجابة لارادة الشعب وملكه وقرار محكمة لاهاي.. ورفعت الاعلام المغربية مرفرفة على ربوع الصحراء وتعالق هناقات الغبطة والنصر والحب والولاء تغمر ارجاء الوطن.. وهب ابناء الصحراء من كل فجح عميق لتأكيد الولاء وتجديد الطاعة والبيعة لجلالة الملك.. وتحقق العالم مرة اخرى من شعبية الحسن الثاني، ومن مغربية اهل الصحراء الذين رفضوا رفضا مطلقا كل محاولة لتزييف واقعهم ومحاولة فصلهم عن تاريخ اجدادهم مهما كانت التضحيات فليطمئن الخصوم او المستعمرون الجدد الذين يسعون في فرقة الشعب الواحد ليسودوا او يهيمنوا.

وجاء انسحاب موريتانيا من ملف الصحراء الغربية ليؤكد الحقيقة الواضحة التي تتجلى في كون المغرب هو الطرف المعنى اولا واخيرا.. فنخرجت مدينة الداخلة برجالها ونسائها وشبابها واطفالها الى الشوارع هاتفة بمغربيتها ورافعة للعلم المغربي وللشعارات التي تؤكد صدق الولاء. فكان يوم 17 رمضان 1399 موافق 11 غشت 1979 عيدا بالنسبة لسكان المنطقة ودعوة الحكومة المغربية الى بسط السيادة الوطنية على اقليم وادي الذهب وكان تنويج الانتفاضة الشعبية الرائعة في الداخلة هو ايقاد وفد من سكان الاقليم المحرر لتمثيل السكان في تجديد البيعة الى جلالة الملك الحسن الثاني، طبقا للتقاليد المرعية وتأكيدا لتمسك السكان بالوحدة وبعد استكمال الوحدة الترابية ها هو المغرب، ملكا وحكومة وشعبا، يبذل جهدا كبيرا وتضحيات غالية لاستعادة عظمة المغرب بعد تحقيق الوحدة، وقد هيا جلالة الملك بتعاون مع حكومته البرامج الواسعة والدراسات الجوهريّة للعناية بالصحراء اقتصاديا واجتماعيا ودينيا، فتصبح جنة خضراء باذن الله تعالى وحسن عونه، وكل

بالنظر لجوهر تلك العبادات ودلالاتها الروحية وانعكاساتها العملية على السلوك والتعامل.

ويعتمد جلالة الملك الحسن الثاني في رسم طريق الفلاح بالدعوة للعودة الى ينبوع العقيدة الاسلامية كدين ومنهج وسلوك ينظم العلاقات داخل المجتمع الاسلامي ويركز على مبدأ المسؤولية بالنسبة للفرد والجماعة. وبالنسبة للراعي وافراد الرعية بحيث تحصى الجميع ولا يستثنى احد، ومن هذا المنطلق فان الدعوة الرائدة لأمير المؤمنين لمواصلة الدور الحضاري للأسلاف تعني استيعاب المضمون الروحي للعقيدة الاسلامية وترسيخ المضمون الفكري والسياسي والاقتصادي للإسلام.. وان توجيه هذه الرسالة التاريخية لامة الاسلام نابع اساسا من الالتزام بروح العقيدة السمحاء.

نعم.. ان الخطوة التي يسير عليها الحسن الثاني تتسم بسمعة الخلق والاداء، وتقوم على استيفاء المناهج والاساليب المتولدة على الدراسة المحكمة والاستيعاب الرزين لتجنب مواطن الزلل والزيغ وتسلم المشاريع من مغبات الاختلال والارتجال.

هذا واذا كان العصر الذي نعيش فيه يتميز بتقدم العلم وطغيان المادة، مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فان ارشد الحكومات في نظر الملك المسلم الحسن الثاني هي تلك التي عرفت كيف تحسن الاختيار وسط الآراء والنظريات المختلفة تحط للشعب المسلم سياسة مستمدة من حقائقه الدينية وشخصيته الاجتماعية مرتكزة على مقوماته، ملية لعقيرته واحتياجاته سواء فيما يخصه كشعب له مميزاته او فيما ينوبه كعضو مسؤول في الاسرة الانسانية الكبرى!

وامام هذه التيارات المختلفة، فان جلالتة يرى ان الشعب المغربي المسلم يجد نظاما اقتصاديا واجتماعيا في كتاب الله العظيم الذي يقول : «وكذلك جعلناهم امة وسطا» فتكون تلك الامة الوسط التي ليست بالرأسمالية ذات النظام الاهوج التي لا تترك حرية لاي ضعيف، ولا بالاشتراكية التي دلت الارقام والحوادث على ان نظرياتها يمكن ان تكون اخطر من تطبيقها.. نريد ان تكون تلك الامة التي يمكنها ان توفق بين النظامين، وذلك بان تعطي لكل الميادين مدلولها ومفهومها.. ففرق جلالتة بين الميادين التي يجب ان تبعد منها الدولة وأن تبقى تلك الميادين في قبضة المبادرات الحرة.

اما ميادين التأميم، فباختصار كل ما يجعل للدولة سلطات على القطاعات الاستراتيجية للاقصادي وللاستثمار في

من تحول اليوم برُبوع صحرائنا المغربية من المواطنين والاجانب تاخذ لا الدهشة للتطوير السريع الذي يتجلى للعيان في جميع الميادين وفي هذه المدة الوجيزة.

فالمعركة مستمرة من اجل عظمة البلاد، وهي كما يريدنا الحسن الثاني عمل مستمر للتجديد، للتفكيح، للانتاج، لانه عمل كل شهر، كل سنة، كل جيل فهي معركة ايمان في القلب وفي التفكير والاداء والانتاج، والمغاربة الذين فتحوا الامصار وطبعوا دولا اخرى بالطابع المغربي، لن يقبلوا التكرار لاصالتهم ولن يتسوردوا انظمة غريبة عنهم لان مجتمعهم يرفضها، فليطمئن الحاقدون والحاسدون فالشعب المغربي المسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

والامة التي يقودها ملوك من طراز الحسن الثاني تستطيع حقا الاستفادة من تضامنها وقوتها ووحدة ابنائها لتشق طريقها نحو العظمة والبناء والازدهار ! وعيد العرش كان دائما يرمز الى هذه المعاني ويجسد تجاوب الملك المسلم والشعب المؤمن والتحامها في معارك النضال والكفاح في جميع فترات تاريخ بلادنا.

فبلادنا تدفع عجلة التقدم الى الامام، والشعب يعطي كامل قدرته في الانتاج والحجم الكلي للانتاج يعطيه كل مواطن ويقدمه من مجهوده ومن بذل ومن كفاح استجابة لنداء ملكه العبقري الملهم، واستجابة لنداء التاريخ والاجيال فالحسن الثاني سليل العزة والنبوة الشريفة يعتبر من المجددين لمعالم الاسلام في هذا القرن.. اذ ما خلا قرن من القرون من قيام داعية يدعو الى الله تعالى على هدي وبصيرة ويحيى باقواله واعماله ما يكاد يندرس من معالم هذا الدين، وقد شرح امير المؤمنين في رسالته السامية الموجهة لامة الاسلام بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري فضائل ومميزات الدين الاسلامي الذي يعتبر دين العلم والحرية والكرامة والوفاء بالعهد وحسن الجوار.

وقد رعى المسلمون حضارتهم العظيمة على مبادئ العلم والمعرفة، فاثروا الفكر الانساني في مختلف المجالات، واغنوا الفكر البشري والعقل المتصور بفتوحات علمية واسعة. وتحدث جلالتة في رسالته التاريخية عن الامة الوسط التي هي الامة التي تركز كل مظاهر حياتها على تحقيق التوازن حيث لا افراط ولا تفريط، وانما الانسجام والتكامل والالفة والتوفيق بين الدين والدنيا باعتبار ان العقيدة السمحاء تنظم تلك العلاقة الشمولية التي تخلق ذلك الانسجام المتواصل والذي يجعل من الالتزام العقائدي على مستوى العبادات التزاما دينويا في نفس الوقت،

الوقت.. كما كان المولى عبد الرحمن السلطان المنتور، مصرا اشد الاصرار على تعميم التعليم الابتدائي في الخواصر والبيوادي واستخدام للوصول الى هذه الغاية جميع الوسائل التي رآها كفيلة، بتحقيق برامجهم، تم توالت الملوك العلويون على اريكة العرش وتمموا الحلقة التي بدأها اسلافهم منيرين بذلك لرعاياهم طريق الهداية والرشاد.

اربعة وعشرون سنة قضاهها جلالة الملك الحسن الثاني متربعا على عرش القلوب حافلة بالعطاءات والبطولات والامجاد، مليئة بجلائل الاعمال ودلائل التوفيق.. فلا غاربه، وهذا الملك العلوي الشهم يحى بحياة امته ويسعد بسعادتها، وهو سر الصلة الوثيقة الثابتة المتمكنة بينه وبين شعبه، والعرش المغربي كان دائكا مركز القيادة، معبرا عن ضمير الامة ومعربا عن شعورها ومنفذا لرغباتها وتطلعاتها واشوقها، عالما بمواقع الخير منها وفاهما لمعنى المجتمع الحديث الذي تعيشه !

فالذكرى الرابعة والعشرون لتربع جلالته على العرش العلوي انجيد لتذكرنا في فخر واعتزاز بالكفاح البطولي الذي خاضه ضد القوي المعادية للحرية ووحدة الشعوب، فهو حفظه الله تعالى من ذوي الايمان الراسخ الذين يدركون ادراكا واعيا حقيقة الخطر القائم على الانسان ويلعبون دورهم البطولي غير عابئين بما يلحقهم من مكروه واذى ! وان التاريخ الذي يسجل حياة الائم واعمال رجالها لفخور بما يضمه اليه من صفحات لامعة ووقفات مشرفة للملكا الذي تعز به العروبة وينتظم به الاسلام جلالة الملك الحسن الثاني.

فالشعب المغربي وهو يحتفل بالذكرى الرابعة والعشرين لجلوس جلالته على العرش فانما يحتفل بالعهد الذي لا ينكث ولا ينتقض والوفاء الذي لا ينقصم والولاء الذي لا يتفائل والاستبشار الذي لا ييرح والمسرة بما كان والثقة بما سيكون والاعتزاز بما يوضع من خطط ومشاريع ويمارس من منجزات واعمال !

والشعب المغربي البطل وهو يحتفل بعيد العرش انجيد يكرم عبقرية فذة من تلك العبقريات التي لا تزور العالم الا نادرا. والوطن العزيز يدين لشعبية الحسن الثاني المتفتحة، وحديه المتواصل وابوته المتعالية، ويمتن لجهاده الصامت وكفاحه المستمر والطافح باسمي بطولة.

وان شعبا كالشعب المغربي يؤمن بان مجد ملكه من مجد شعبه جدير بتاريخه في الماضي وخليق بتاريخه في المستقبل المشرق الوضاء يارك الله في عمر سيدنا الهمام واهمنا تعالى لرضاه وشكر نعمه التي اسبغها علينا وزادنا منها كما وعد : «لئن شكرتم لأزيدنكم» انه سميع مجيب.

التمو» مثل الطاقة، والصناعة الثقيلة.. والمواصلات بجميع انواعها.. والقروض ووسائل القروض، ودور القروض ذات الصبغة الاقتصادية المنتجة، والخيرات الباطنية برا كانت ام بحرا.. هذه القطاعات لاستراتيجية ذات الطاقة مائة كانت ام كهربائية او نووية ان شاء الله تعالى، اومعدنية او مالية.

وهناك ميادين اخرى، وهي ميادين المبادرات الخاصة، وهي كل ما يمكن المواطن من رفع مستواه الخاص وخلق الرواج والنيابة عن الدولة التي لا يمكنها ان تخوض جميع الميادين.. فبرى الصناعة، والصناعة الصغيرة، والسياحة، والفلاحة بجميع انواعها، والتجارة، وخلق شركات مغربية خارج البلاد بجميع القارات حتى يمكن للمغرب ان لا «يتزوج» دائما بخلاياه وسلالاته الخاصة.. بل ان ياتي بدم جديد وتلقينات جديدة، ويعرف بنفسه وبناتجاهه.. ويمكنه كذلك ان يصدر للخارج ادمغة ومفكرين ونخبة طيبة من شبابه.

ومن اجل تهيء الاطر الضرورية لهذا التطور الاجتماعي والفكري، فان المياديء الاساسية التي تعطي لتعليمنا ميزته الخاصة تلخص في التعريب والمغربة ومجانبة الدروس.. وقد قررت عزيمة ملكنا المثقف ان تتحمل الدولة اثقل عبء لتوفر اكبر عدد من المنح لشبابنا الذين يطمحون بمجد وعزيمة في استكمال تكوينهم في مدارسنا العليا وكلياتنا وفي غيرها في الخارج، وبذلك تقييم شر المشاكل المادية التي يمكنها ان تكون عائقا وحاجزا بينهم وبين مواصلة التكوين الذي ينتظرونه، والذي يمكنه وحده ان يفتح لهم افسح الافاق واجداها ويحقق النتائج التي تنتظرها الامة.

ويعمل جلالته على تشجيع العلم والادب بصفة عامة واتاحة الفرصة لذوى المواهب لانطلاق قرائمهم حرة كريمة تنتج كل ما نستطيع انتاجه في ظل الرعاية الكريمة.. ولا غاربه في ذلك فان اهتمام ملوك الدولة العلوية بالحركة العلمية تسمية من شيم عصورهم الذهبية الزاهرة.. لقد كانوا يعفون العلماء من الاداءات المفروضة تكريما لهم وتشجيعا، وكانت المنح تنال على المؤلفين كالجوائز التي توزع اليوم في مختلف الاقطار الأوروبية على العلماء والباحثين والكتاب، وكانت الخزائن تقام في كل مدينة، لقد كان السلطان سيدي محمد عبد الله من اشهر مؤلفي عصره، فاسس مدرسة حرة لتلقين ضباط الجيش المغربي القراءة والكتابة واصول الفنون العسكرية.. فتخرج من هذه المدرسة قواد مهرة ادخلوا اصلاحات كثيرة على الاساليب العسكرية واستفاد المغرب من مواهبهم افادة كبرى، وكانت الدراسات تسير على مقتضى اساليب المدارس العصرية في ذلك

صَوْتُ الْجَامِعَةِ

للاستاذ عبد العزيز بغداد

اداء واجبه الديني والوطني وكان سدا منيعا ضد كل من شأنه ان ينال من عقيدة الامة او من تراثها الخالد. ولعل انشاء دار الحديث الحسنة جاء ليعزز هذا القصد ويقوي من عضده. ومعنى هذا ان الجامعات المغربية قد انبثقت من بصيرة اسلافنا ونهضت على اركان مثلهم العليا.

ولقد عرف امير المؤمنين الحسن الثاني المؤيد بالله، ما تمدنا به الجامعات من الهام وقوة فسعى وما يزال يسعى — فحمد التعليم الجامعي باسباب القوة والانطلاق، وخبر دليل هو هذا الزحف المبارك في الكليات الذي يكاد يغطي جميع جهات الوطن، وجميع انواع التخصصات وضروب المعرفة حتى يقرب ماخذها من طلابها وتكون مصايحها نورا يعم جميع الارحاء.

ان التقدم العظيم في مجالات الثقافة والتربية والعلوم قد بلغ حدا تلزمه صفة «التفجر» مما جعل الاستمرار في انشاء الكليات والجامعات قضية ترعرع في العقل والنفس رغبة عارمة ورجاء قويا من اجل تلبية حاجيات الشباب لمواجهة هذا الحضم من المعارف وفهمه والافادة منه ثم تطويره.

ومن هنا فان من يريد ان يتحدث عن الجامعات اليوم — في مغربنا الحبيب — يحس وكأنه واقف على قمة اكمة عند منعطف نهر عظيم يلتفت يسارا فيرى جداول وسواقي هذه الجامعة وهي متحدرة لتكون روافد تنظم الى انجوى العام، ثم تسير في ركب ذلك الخيط المعرفي الزاخر الذي له القدرة الفائقة على احداث تغيير كبير في هذه الاجيال التي تشرّب باعناقها نحو الافاق الارحب، ويلتفت يمينا فيرى المياه العارمة تتهادى في جلالها لتصب في ذلك الخيط الكبير ان هذه المياه وتلك الجداول والسواقي تمثل احدهما ما في الماضي التي جلتها الزمن وتمثل

ان اجمل ما يمكن ان نحكي به هذه الذكرى الخالدة ذكرى عيد العرش المجيد، هو هذا الحديث عما تصوع في العصر الحسني من شذا رياحين المعرفة، وخصوصا ما ينبثق من احشاء الجامعات العلمية المغربية التي اخترنا ان نقف عندها في هذه المناسبة الغراء، باعتبار ان الجامعات ساهمت وتساهم في الرفع من مستوى البلاد وفي وضع الحلول الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها مما له الاثر الكبير في حياة الامة المغربية بل والامة العربية كذلك.

فلقد عرف المغفور له محمد الخامس — طيب الله ثراه — ان استقلال الذي نلناه بعد كفاح مرير وبعد تضحيات حسام، ليس سوى ناحية واحدة من نواحي الحياة الاجتماعية المتكاملة الشاملة، ذلك ان في المجتمع حثا عميقا وحفزا جارفا لمواجهة ضرورات الاستقلال ومطالبة مهما تكن باهظة الكلفة والجهد، ومن ثم التحمت الجهود الى الاهتمام بالجانب المعرفي في صورته الشخصية العالية، فتأسست جامعة محمد الخامس لتكون مركز اشعاع ومصدر نور في جميع مجالات المعرفة حماية للاستقلال وصيانة للامة وتحصينا لفكرها الذي يمتاح جذوره من اصل اصيل.

ولم تلبث هذه الجامعة الفتية — التي تأسست في فجر الاستقلال — ان نضجت ثمارها وفتحت مواهبها فاخذت تشر في الحياة هذه الثار التي اغتمت بها الادارات والمعاهد والمؤسسات فكانت عاملا اصلاح وتأطير، وسبب ازدهار وتنبؤ.

اضف الى ذلك ان هيكلية التعليم الاصيل تشذبت فروعها وبرامجها وحقن بدماء جديدة فامتلك القدرة على الاستمرار في

الأخرى المنجزات الحديثة وآمال المستقبل.
وان احلام الامة جميعها تلتقي وتندمج في حضم هذا المحيط
الذي هو الجامعة وبين جدران ابنائها الموقرة.
وبعبارة اخرى فان هذا الزخم الثقافي والمعرفي الذي
تصطبغ به رحاب الجامعات المغربية يحتاج مصداقيته من معينين
ثريين:

فهو يرند من ناحية الى التراث الثقافي العربي واسهامه في
الحضارة العالمية، ويتطلع من ناحية اخرى - طموح منطقي
ومعقول - الى ان يصير مشاركا فعلا في سير الحضارة وتقدمها.
وهذا هو الازدهار الجديد لهذه الثقافة التي سمحت لروادها
ان يساهموا - وباقتدار - في تحريك دواليب الحياة الادارية
والتربوية والاجتماعية بل ان العديد ممن ارتوى من حياض هذه
الجامعات وتشربت روحه معارفها وعلومها وامتصت رحيقها،
شعروا - بعد تخرجهم وانهاء دراستهم بالخنين الى الجامعات
والعودة اليها - لاطلاب، ولكن كاساتذة يلقون من منابر
كراسيا محاضراتهم في شفة وشوق لانهم يحسون بدين كبير على
اكتافهم يريدون ان يؤدوه لهذه الجامعة، وهذا السمو في البرور
وخدمة الصالح العام.

وما تزال الدلائل تترى على ان خريجي الجامعات المغربية ما
فتنوا يرهون على مصداقية هذه المؤسسات التي كانت ملاصقة
لقلب هذه النهضة في بلاد المغرب، لان روادها كانوا ذوي
بصيرة وعزيمة يرون ان المارب الوحيد من وجودهم هو اعداد
الشباب وتحريرو عقولهم وطبع انفسهم واذهانهم بماديء التفكير
الحر والكشف المستقل، وهم لا يفعلون ذلك في فراغ، بل لقد
يرطوه بالحياة الواقعية وخدمة الجماعة.

وفي عرض هذه الافكار - التي هي خواطر واستنتاجات لا
يمكن ان نلجأ الى الاحصاء والى ما بلغت اليه الارقام في عدد
الوافدين او في عدد المتخرجين وعدد البناءات وغير ذلك مما له
طبيعة احصائية صرفة - لا نريد ان نلجأ الى ذلك لان طبيعة
هذه الكلمة ليست بصدد هذا الاتجاه، وانما هي تصور للآثار
التربوية والثقافية التي تفيضها الجامعة المغربية في قلب الحياة.
ولا بأس ان نشير الى ان الجامعة واعية ليست مؤسسات
للتعليم فقط وانما كذلك مؤسسات للبحث وتطوير المعرفة، وقد
تجلى ذلك في عدة مظاهر:

- ان ما ينشر في مختلف الكليات من مجلات ودوريات
وبحوث يعتبر مظهرها صحيا في الجامعة يعبر عن ان الجامعة لا بد
ان تساهم في توليد من العقول ونشر رياحين الفكر.

ان بعض ما قامت به كليات الاداب والعلوم الانسانية من
ندوات خلال السنوات الاخيرة اهتزت له كثير من الاساط
الثقافية داخل الوطن وخارجه، واعتبر مساهمة خلاقة في تزويد
المعرفة الانسانية بأساس البقاء والخلود.

- تشرف الكليات - بين الحين والاخر - على مناقشة
بعض الرسائل الجامعية التي كثيرا ما تتمتع بالحيوية وتنضح
بالفكر الخلاق الذي من شأنه ان يفتح الفرص امام احتكاك
الافكار واثراء المكتبة بكل ماهو جديد.

- تنبثق من قلب الكليات المغربية - وباستمرار - جمعيات
لتوسيع مجالات الخدمة والاستفادة من الخبرات عن طريق
النشاط الحر المتمثل في عدة مظاهر ثقافية ورياضية وفنية
وادبية...

هذا بعض ما تتحرك به كليات الجامعات في المغرب، وهو
نشاط لا تفتأ اثره تنعكس على مختلف جوانب الحياة، وهو ايضا
يضاهي كثيرا مما تقوم به انشط الجامعات في قلب العالم العربي
وغيره ولا نحب ان تكون سطور هذه الكلمة كلها اطراء
وتمجيد وسحب جميع وجوه الكمال على هذا الموضوع بل لا
نحب ان نفوتنا هذه الفرصة - ونحن نثير هذا الموضوع الدقيق
- دون ان نطرح بعض قضايا الجامعات المغربية وافاقها
المستقبلية، وذلك في اطار ازاحة الستار وتفجير الاحلام المرجو
تحقيقها في عوالمنا اليوم:

- ان الذين ارسوا اركان الجامعة في هذه البلاد كانت
تراودهم رغبة جامحة في ان تحافظ هذه الجامعة على المعنى
الجمهوري المضمن فيها، وهو الكثير الوجود يتجلى في:

ان تسعى الى استكشاف جوهر التراث الثقافي الانساني
الرائع وتصوغه في تعبير العصر الحديث صوغا يطابق حاجة هذا
العصر ومطالبه ثم تنقله خلاقا الى الاجيال التالية:

- ان تسعى لتوسيع افاق المعرفة الانسانية بالبحث سواء
كان ذلك في ميدان العلوم البحث وتطبيقاتها ام في ميدان المهن
العالية، ام في ميدان العلوم الاجتماعية والانسانية التي تتيح النفاذ
ببصيرة الى فهم ما يبذل من جهود.

ولعل من بين ما حرصت عليه الجامعات المغربية بالنسبة
للتراث يرجع الى انه اذا لم تستكشف التراث وتقييمه تقييما
جديدا وتنقله نقلا مجديا يستهوي النفوس والعقول انفصمت

الصلة بالماضي، وفي هذا خطر جسيم هو خطر التخلف.
- ينبغي على الجامعة ان تستشعر - في صميم ذاتها -
القضايا التي يعني بها المجتمع الذي تصبو الى خدمته ومن ثم فلا
يستحسن ان تحس الجامعة بالقناعة بان مهمتها هي فقط تخرج
الطلاب والطالبات الذين يستطيعون ان يؤدوا الخدمات العامة
المألوفة في مجتمعاتهم.

- ان على الجامعة ان تخرج شبابا عليه ان يكون قادرا بما
اوتيته من فضائل التربية الجامعية على ان يدرك انه قد قدر له ان
يكون اداة للضرورة التاريخية.

- جامعتنا تدرك - او ينبغي ان تدرك - ان عليها ان تمضي
بحكمة وافتتاح واخلاص في حوار مستمر مع الشباب، ما اجل
الشباب انفسهم، ذلك ان الشباب الذين اندمجوا في الحوار مع
القيمة الجامعية - في حرية كاملة اثبتوا انهم راشدون ومسؤولون
مخلصون. فالشباب الجامعي هم حقا مواطنون مميزون، فقبل
دخولهم الجامعة مروا بفترة سابقة طويلة من التربية اعدتهم لهذه
المرحلة، كل الطلاب الجامعيين يحق لهم ان يتوقعوا ان تتاح لهم
الوسائل الوافية اللازمة، ذلك ان التربية الجامعية لا تستهدف
ائماء مواهب الطلاب وشخصياتهم فحسب، بل انها تعددهم
ايضا للدور الذي ينتظرهم القيام به في قلب المجتمع في تحسين
ظروفه الاجتماعية والتربوية وغيرها.

- هناك قضية اساسية على الجامعة ان تعالجها، ذلك ان
العالم المعاصر يتصف بتباين الثقافات وعالمية العلم والتكنولوجية
ومما هو ملاحظ ان ثمة شبه الجفوة بين اصحاب الدراسات
الانسانية وبين اصحاب الدراسات العلمية، هؤلاء في ناحية،
والآخرون في ناحية اخرى.

ومن واجب الجامعة ان تدمج في ذواتهم القيم الحضارية
والثقافية العظيمة. وهذا متأت في الناحية الانسانية من التقاليد
المضمنة في الثقافات المتباينة المنحدرة الينا عن طريق الرسل
والفلاسفة والشعراء والفنانين (؟؟) المبدعين.

وهو كامن في الناحية العلمية بواسطة جوهرها الخلفي
وتطبيقها العمراني النافع فاذا لم يقع هذا الاندماج بين رجال
العلوم الانسانية ورجال الدراسات العلمية، او اذا لم تفهم
ضرورته على الاقل، فقد يميل الانسانيون الى الاشاحة بنظرهم

عن المعنى العلمي الحقيقي وقوته وضرورته التي لاغنى عنها
للائماء.

وقد يفتقد العلميون الاستفادة من القيم الانسانية التي
افرزتها تجارب ومواهب وانفعالات الانسان عبر الزمن، والتي
يستطيع العلم والتكنولوجية ان يكونا اداة فعالة لتحقيقها
وتشيبتها.

ان هذا - في واقع الامر - نجم يجب ان ترنو اليه الجامعة
وتشد اليه مواكبها فان لم يتحقق هذا التأليف الفكري والخلفي
على المستوى الجامعي في الطلاب والاساتذة على السواء، فقد
يغدو العلميون خطرا محيفا. وقد يظل الانسانيون على جلال
ماعندهم، منقسمين عن الحياة والمجتمع لايعتد بهم في تطويرها
وانمائها.

ونظن ان جامعاتنا ستمضي - لالتفتت - في تعزيز تضامها
الثقافي وتوسيع مجالاته حتى يفجر هذه الطاقات ويشمل
الجامعة كلها.

لعل هذا كان خواطر سكنت في بصرية مؤسسي هذه
الجامعات. وكان نداء هدف عظيم يتحدى البحر ويتحدى
الافاق. وان ما نراه في شباب الجامعات اليوم من روعة الخيال
الوثاب والاقبال على الاستجابة بروح المغامر الذي لا تشبه
العقبات، هو شيء يبعث مدفون الامال ويثير رغبات النفوس
واحلام العقول والقلوب، وكأتهم بذلك يشعرون انهم وارثون
لجميع ايات الفكر والفضيلة في تاريخ البشر على الارض وعسى
ان يكون هذا الارث الزاخر كالمشعل الموهج يسكون عليه الان
وفي عزمهم ان يشتد توهجه وهم ممسكون عليه قبل ان يسلموه
لمن يليهم.

هذه خواطر احببت ان اشارك بها في هذه المناسبة الجليلة
ميرزا بواسطتها هذا الجانب المعرفي الذي تشهده بلادنا في عهد
صاحب هذه الذكرى عاهل البلاد.

وكل ما اترناه لا يستحسن ان يجعلنا نحس بالقناعة في مضمار
التعليم العالي، بل انه مقدمة فقط، ولكنه مقدمة سارة تبشر
بالخير وتعلن ان المستقبل سيكون احسن مادام في القلوب
والعقول شوق ومطمح الى ماهو اروع واجمل.

عبد العزيز بغداد

النيابة الاقليمية لوزارة التربية الوطنية - مراكش

نهضة التعليم العالي في عهد جلالته الحسين الثاني

للككتور
آمال جلال
عميد كلية الحقوق
بفاس

بمستلزمات نفقاته التي تتزايد مع مر الأيام، الشيء الذي يبرهن بوضوح على العناية الفائقة التي يوليها صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله للنهضة التعليمية بهذه البلاد.

ومما يحسن الوقوف عليه ان الدولة تخصص للتعليم في بلادنا حصة هائلة في ميزانيتها تفوق بكثير ما تخصصه دول اخرى مصنفة على مستوى المغرب بل وحتى بعض الدول المتقدمة التي لا تخصص اكثر من 15% من ميزانيتها لميدان التعليم علما بان نظامها الجامعي ليس مجانيا حيث يطلب من كل طالب يريد الانتماء الى الجامعة اداء رسوم تتفاوت قيمتها من 100 الى 1500 دولار سنويا بحسب التخصصات وبحسب البلدان والانظمة الجامعية.

ونحن لن نتحدث في هذا الصدد عن التعليم الابتدائي والثانوي وانما سنكتفي بالاشارة الى تكوين الاطر والتعليم العالي الجامعي.

فتكوين الاطر اضحي بالغ الاهمية لكل بلد في مثل

من المسلم به ان المغرب منذ حصوله على استقلاله وهو يسير بخطى حثيثة في ميدان التحضير والتطوير لمخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

فانطلاقا من التصميم الانتقالي لسنتي 1958 - 1959 الى التصميم الخماسي الحالي 1981 - 1985 انجزت سبع مخططات كان من بين اهدافها الجوهرية التعليم وتكوين الاطر.

وان نظرة واحدة سريعة على منجزات الدولة في هذا المضمار المتعلق بمخططات التنمية لكفيلة بان تطرح امام اعينا مدى انجهدات الجارة التي بذلت وما زالت تبذل لصالح متطلبات النهضة التعليمية وما تقتضيه هذه النهضة من تكاليف ونفقات باهضة تتزايد وتتماي سنة بعد سنة.

ولكننا يعلم أنه على الرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التي تجتازها بلادنا، فإن النظام التعليمي في نطاقه الواسع ظل يحظى - شأنه شأن الدفاع الوطني - بكل الدعم المالي للدولة، بعيدا عن إجراءات التقشف أو الضن

وضع المغرب باعتباره من مستلزمات التنمية الاقتصادية، اذ لا تنمية بدون اطر، وقد امكن في هذا الصدد بفضل التوجيهات الملكية الحازمة لصاحب الجلالة نصره الله، وانطلاقا من تعليماته المتبصرة التي ما فتىء جلالته يعبر عنها ويدعو اليها في كثير من المناسبات من خلال خطبه السامية، ان يخطو المغرب خطوات جبارة في ميدان تكوين الاطر على مدى الاربع والعشرين سنة الاخيرة.

فاذا كانت الحاجة ماسة الى الاطر العليا للبلاد، فان حاجتها الى الاطر المساعدة لا تقل عنها ماسا، اذ لا يعقل ان تتحمل الدولة نفقات باهضة من اجل تجهيز الكثير من القطاعات كالسكك الحديدية والنقل الجوي والبحري واقامة المصانع والمختبرات المتخصصة وبناء السدود والمطارات دون ان نفكر في اعداد من يقوم برعاية هذه التجهيزات والحفاظ عليها وصيانتها.

وهكذا فمن البدء بمعهد واحد لتكوين المساعدين التقنيين بزوغ عهد الاستقلال ارتفع عدد المعاهد الى ما يقارب ثلاثين مركزا جهويا للتكوين المهني كما ارتفعت مؤسسات هذا التكوين من خمس مؤسسات الى ما يزيد على مائة مؤسسة تعطي تكوينا مهنيا في مختلف التخصصات، ومن المنتظر ان تقع زيادة عما قريب في عددها لكي تصبح قدرتها الاستيعابية في جميع انحاء المغرب 350.000 مقعدا، واذا كان المغرب يتوفر حاليا على ما يقارب 7000 مهندسا، فان تلبية حاجات الاقتصاد من الاطر التقنية المتوسطة قد دفعت بالدولة الى النهوض ببرنامج واسع النطاق لتكوين التقنيين بمعاهد التكنولوجيا التطبيقية التي يلاحظ انها بدأت تكون يدا عاملة متخصصة ابتداء من اكتوبر 1981 لتلبية حاجات مختلف قطاعات الاقتصاد الوطني.

وفي مجال تكوين الاطر المدربة على نوعية العمل الذي تتطلبه برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية لبلادنا، اعتنت الدولة بانشاء معاهد عليا جعلت كل واحد منها تابعا لوزارة مختصة حتى يتم تكوين الاطر تكوينا يتلاءم مع حاجيات مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية كالمدرسة الوطنية للإدارة العمومية والمعهد العالي للتجارة وادارة المقاولات والمعهد الوطني للإحصائيات والاقتصاد التطبيقي ومدرسة المعادن والمعهد العالي للصحافة ومدرسة استكمال تكوين الاطر والمدرسة الحسنية للاشغال العمومية الخ...

وقد تخرج من هذه المعاهد العليا منذ انشائها الى الان

الاف من الاطر المقتدرة هي التي يعهد اليها بمسؤولية التسيير والاشراف على كثير من المرافق والمصالح المركزية والجهوية التابعة لختلف الوزارات، بحيث يمكن القول ان معظم المسؤولين من رؤساء المصالح ورؤساء الاقسام والموظفين السامين بمختلف الوزارات بما فيهم رجال السلطة هم من خريجي هذه المعاهد الوطنية العليا التي يخصها صاحب الجلالة بعناية خاصة برأسه، حفظه الله، احيانا لاحتفالات تخرج افواجها.

وتضمن هذه المعاهد التي تصل طاقتها الاستيعابية الى 8000 مقعد تكوينا رفيعا لطلبها لا يقل عن التكوين المعطى في مثل هذه المعاهد في الدول المتقدمة كفرنسا وكندا وامريكا، ولذلك فلا غرابة اذا كانت بعض هذه المعاهد تقبل الطلبة لديها من بين حملة الشواهد الجامعية كمدرسة استكمال تكوين الاطر والمدرسة الوطنية للإدارة العمومية بالنسبة للسلك العالي.

هذا عن المعاهد العليا، فماذا عن الكليات والجامعات التابعة لوزارة التربية الوطنية؟

يمكن القول انه بالنظر الى المكانة المرموقة التي يحتلها المغرب في تاريخ الثقافة الاسلامية والعربية العريقة وانطلاقا من مقوماته الحضارية والادوار الثلاثية التي لعبها على مختلف مراحلها التاريخية، واعتبارا لاهمية الدور الثقافي الذي اضطلعت به جامعة القرويين منذ احدى عشر قرنا في تعميق المعرفة والفكر، فقد كان من اللازم التفكير في خلق تعليم جامعي وطني يستجيب لطموحات المغرب في بداية عهد الاستقلال.

فبعد الشهور الاولى لاستقلال المغرب بدأ التفكير جديا في بعث نهضة تعليمية شاملة تستقطب كل مراحل التعليم بالمراجعة والاصلاح لاستقبال جيل جديد منعطش للنهل من المعرفة والعلم في ثوبه الجديد لمواكبة روح العصر وتدارك ما فوته عليه عهد الحماية بما في ذلك التعليم العالي باعتبار انه من مقومات معركة البناء والتشييد للمغرب الجديد.

وقد كانت اشارة الانطلاقة نحو هذه المعركة على يد جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه بتدشينه اواخر سنة 1957 بالرباط اول جامعة مغربية عصرية تحمل اسمه الكريم. حيث ذكر جلالته بان العناية التي اولاهها لكليتي القرويين وابن يوسف والتي كان لها اثرها الواضح في ترقية اساليب التعليم بهما، لم تكن من شأنها ان تنسي جلالته ما يقتضيه العصر وما تتطلبه مقتضيات التطور من تأسيس جامعات عصرية كفيلة بسد حاجيات البلاد الى ما ينقصها من كفاءات واطارات في

شئى الميادين وقد قال رحمه الله «انه ما لم تتوفر بلادنا على مثل هذه الجامعات فسيظل ابناؤنا عالة على الغير وسيبقى التعليم عندا مبثورا».

وهكذا، ونظرا للتشجيع الفعلي الذي لقيه قطاع التعليم العالى على يد جلالتة، قدس الله روحه، ارتفع عدد الطلبة الجامعيين في المغرب من 1800 طالب سنة 1957 الى 4500 طالب سنة 1961 من بينهم 3000 طالب مغربي. ولابد ان تثبت الفصول اصولها.

فمنذ اعتلاء جلالة الملك الحسن الثاني العظيم عرش اسلافه المنعمين، لم يفتأ جلالتة يولي عنايته الخاصة لقطاع التعليم العالى والبحث العلمي علما واقتناعا منه، حفظه الله، باهمية هذا التعليم بالنسبة للمغرب الذي يسعى تحت قيادته الحكيمة الى مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي مع حرصه على الاستمرار في اغماظة على جوهر مقومات حضارته العربية والاسلامية التي ميزت تاريخه العريق عبر تعاقب الاجيال.

فانطلاقا من التوجيهات السامية المتوالية لجلالتة كرجل دولة مثقف ومكون تكوينا جامعا عاليا يقل نظيره حتى عند رؤساء الدول العظمى، استطاع المغرب خلال عهده الزاهر ان يقطع اشواطا هامة تحظى بها صعوبات همة متنوعة رغم حجم نموه السكاني المتفجر، وفي هذا الصدد تم انجاز اصلاحات تربوية تنسج عن الحصر، كما تم تحقيق منجزات هامة عبر مختلف المخططات، الشيء الذي طبع النهضة التعليمية العليا بزيادة ملموسة في عدد المؤسسات الجامعية وفي اعداد الطلبة وفي الرفع من مستوى التأطير التربوي والاداري مع تعميم المنح الدراسية على كل الطلبة الجامعيين.

على انه اذا كان استعمال الازقام قد اصبح مالوفا في علم الاحصائيات، فانه يمكن القول ان لغة الازقام قد اصبحت مع انتشار هذا العلم احسن ما يترجم بكل صدق وموضوعية مدى التطور الذي يطبع نموه وازدهاره او تقلص وتراجع قطاع او مرفق كقطاع التعليم العالى.

فكلنا يعلم ان العشر سنوات الاخيرة تطلبت من المغرب تضحيات مالية جبارة بسبب المجهود الحربي الذي فرضه ويفرضه الدفاع عن قضيتنا المقدسة منذ استرجاعنا لاقايمنا الصحراوية واستكمال وحدتنا الترابية بقيادة مبدع المسيرة الحضراء جلالة الملك الحسن الثاني سدد الله خطاه.

لكن بالرغم من هذه التضحيات، وبالرغم من الظروف

الصعبة التي يجتازها الاقتصاد العالمي وبالرغم من سنوات الجفاف المتلاحقة، فقد واصل المغرب، كما قال جلالة الملك في خطابه الاخير الذي القاها امام ممثلي رجال التعليم بمراكش يوم 7 فبراير 1985، سيره بخطى ثابتة في ميدان التعليم عموما والجامعي خصوصا، بحيث يمكن القول ان المسيرة الحضراء التي انشق عنها مغرب جديد قد افرزت مسيرة علمية ونهضة تعليمية عليا لم يسبق لها مثل مما يؤكد بوضوح، اذا كان الامر يحتاج الى تأكيد، ان قطاع التعليم العالى ظل ينمو ويزدهر بدون تعثر.

وبالرجوع الى الازقام يتضح ان عدد الجامعات المغربية ارتفع من جامعتين سنة 1961 هما جامعة محمد الخامس بالرباط وجامعة القرويين بفاس الى اربع جامعات سنة 1975 وذلك بانشاء جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء وجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس ثم الى ست جامعات باضافة جامعة محمد الاول بوجدة والقاضي عياض بمراكش.

كذلك ارتفع عدد الكليات من اربع كليات سنة 1961 الى عشر كليات في اكتوبر 1975 موزعة على كل من الرباط والدار البيضاء وفاس، ثم ارتفع عددها في اكتوبر 1979 الى عشرين كلية موزعة بالاضافة الى المدن السالفة الذكر على كل من وجدة ومراكش وتطوان واكادير، وقد اصبح هذا العدد في اكتوبر 1984 اربعا وثلاثين كلية وذلك بعد احداث كليات العلوم والاداب بتطوان ومكناس منذ ثلاث سنوات وياحداث كليات من نفس التخصص في احمديية واكادير واطافة كلية جديدة للاداب واخرى للعلوم في مدينة الدار البيضاء.

وتوزع مختلف هذه الكليات كما يلي:

10	- كليات الاداب
9	- كليات العلوم
5	- كليات الحقوق
2	- كلية الطب
2	- كلية طب الاسنان
2	- كلية الشريعة
1	- كلية اصول الدين
1	- كلية اللغة العربية
1	- كلية علوم التربية
	- المدرسة احمديية للمهندسين

تقدم السكن والتغذية لآلاف الطلبة بضمن ضئيل لازال عما هو عليه منذ ما يزيد على 13 سنة اي 1,40 درهم للوجبة بينما انخفض ثمن السكن على اثر الخطاب الملكي السامي القاضي بتخفيض الثلث من قيمة الكراء لكل ما لا يصل دخله الشهري الى 1500 درهما. وبهذا صار الثمن الشهري للسكن الجامعي 40 درهما عوض 60 درهما.

وتقدم الاحياء الجامعية في المغرب 50.000 وجبة يومية موزعة كالآتي:

الرباط	-	16.000
الدار البيضاء	-	8.000
فاس	-	13.000
مراكش	-	10.000
وجدة	-	3.000

ان وقفة تأمل بسيطة في الارقام المذكورة اعلاه تبين بوضوح انها تطورت خلال الاربعة والعشرين سنة الاخيرة في شكل تصاعدي. وان ما يسجله الانسان بارتياح وابتهاج ان الزيادة الكبيرة التي طرأت على عدد الجامعات والكليات والاساتذة والطلبة الجامعيين هي واقعة في العشر سنوات الاخيرة، مما يدل بوضوح، انه بالرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التي يمر بها بلدنا وبالرغم من الحرب المفروضة عليه، فان قطاع التعليم عموما والعالي خصوصا ظل يحظى بالدعم اللازم في سبيل تحقيق النهضة العلمية التي يتطلبها المغرب ما بعد مسيرته الخضراء. ولعمري، ففي هذا الامر دلالة كبيرة على عظيم العناية التي يوليها باعث نهضتنا ومحرر صحرائنا جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله لاسرة التعليم.

ويكفي الجامعة المغربية فخرا الثقة الموضوعية فيها وفي اطرها بوضع صاحب الجلالة لولي عهده صاحب السمو الملكي الامير سيدي محمد كطال بشفعة القانون العام بالقسم العربي بكلية الحقوق بالرباط. كما يكفيها فخرا انها اصبحت تحتضن ابتداء من الدخول الجامعي 1984 - 1985 اول دفعة لحملة البكالوريا في اقالمتنا الصحراوية الذين تلقوا تعليمهم الابتدائي والثانوي في مدارس مغربية.

ذ. امال جلال

ومن المقرر ان يرتفع هذا العدد من الدخول الجامعي المقبل الى ثمان وثلاثين كلية باضافة كلية الآداب واخرى للعلوم في كل من القنيطرة والجديدة في اطار تقريب التعليم العالي من المواطنين.

وإذا اضيفت لهذا الرقم المعاهد التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط وهي معهد التعريب والمعهد العلمي والمعهد الجامعي للبحث العلمي اتضح ان عدد المؤسسات الجامعية ارتفع في عهد جلالة الملك الحسن الثاني الزاخر بالمنجزات من اربعة سنة 1961 الى اربعين مؤسسة جامعية سنة 1985، دون ان يدخل في هذا الرقم المدارس العليا للاساتذة والمراكز البيداغوجية الجهوية ومدارس تكوين المعلمين.

وبالنسبة للطلبة الجامعيين فقد ارتفع عددهم من 4500 طالب سنة 1961 الى 120.000 طالب سنة 1985 يتابعون دراستهم بالسلكين الاول والثاني بالمغرب. هذا مع العلم ان ما يقارب 20.000 طالب جلهم من الممنوحين يتابعون دراستهم خارج المغرب علما بأن الرقم يتجه الى الانخفاض بسبب حصر المنحة مستقبلا خارج المغرب على التخصصات غير الموجودة في الكليات المغربية، فاذا اضيف الى هذه الارقام عدد الطلبة الذين يتابعون دراستهم بالسلك الثالث بمختلف شعبه داخل وخارج المغرب والذين يقدر بـ 5000 طالب يتضح ان عدد طلبة التعليم العالي قد بلغ سنة 1985 ما يقارب 145.000 طالب وهو ما يعادل 32 مرة الرقم الذي كان عليه عدد الطلبة سنة 1961 اي 4500 طالب.

هذا وتجدر الاشارة الى انه قد واكب نمو حجم الجامعات المغربية تزايد في عدد اساتذة الكليات على مختلف درجاتهم حيث ارتفع عددهم من 172 استاذ سنة 1961 الى 4131 استاذ سنة 1985 فيهم 3525 استاذ مغربي اي ان نسبة المغربية في الجامعات المغربية تبلغ الان 85% بصفة اجمالية علما بانها قد تصل في بعض الكليات كما في كليات الحقوق الى 95%. وبذلك يتضح ان عدد اساتذة الجامعة المغربية يعادل 24 مرة الرقم الذي كان عليه عددهم سنة 1961.

وإذا كان عدد الطلبة الممنوحين داخل المغرب يصل الى 83.000 طالب فيجب الا ننسى ان الاحياء الجامعية التي ارتفع عددها من حي جامعي واحد الى تسعة احياء جامعية

مَسِيرَةُ تِلْوِ الْأَخْدَرِ لِتَحْقِيقِ الْأَفْضَلِ

من أحداثه، واستقصاء المعالم الواضحة التي على هديها ستقدم القافلة، وعلى جادتها سيتطور مستوى الحياة، وعلى محبتها البيضاء سيسير العمل، والعلم.

وكل هذه الدلالات والمعاني العميقة، يخرزها احتفال الأمة المغربية الموحدة — نظاما ومذهبها وحضارة وسيادة وتاريخيا — بذكرى جلوس أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني المنصور بالله على عرش أسلافه المنعمين، وهو الاحتفال الذي يخلد هذه السنة الذكرى الرابعة والعشرين.

اربع وعشرون سنة كاملة مضت على ذلك اليوم — السادس والعشرين من شهر فبراير عام 1961 — الذي جددت فيه الأمة المغربية قاطبة، بيعتها التاريخية للمشروعية، وللإستمرارية، وللخلود الذي من خلاله، تتجاوب قلوب الشعب مع العرش، وتردد في ضمائرها ووجدانها اصدااء الوفاء والولاء التي جعلت منذ أربعة عشر قرنا من الزمن، شعب المغرب وعرش المغرب،

اعياد الامم وذكرياتها الوطنية، هي بمثابة مواقف لها تقفها في التاريخ وفي المسار العام لتطورها الحضاري، من اجل ان تحيي نبض الماضي في وجدان اجيالها وتجدد في ضمائرها المعنى الذي تحتزله هذه الذكريات والاعياد، ومن اجل ان تبعث في النفوس روح الحشد والتعبئة لمواصلة مسيرة الارتقاء قدما في مدارج العمل والتطور، وفي معارج الانتاج والعتاء، واخيرا، من اجل ان تحشد هذه الامم وتحشد عزيمتها الى الرفعة، وتشد سواعدها لمضاعفة العمل وتحقيق المزيد من الانتصارات والمكاسب، وتقوى طاقاتها على مواجهة التحديات والمصاعب، وبهذا العمل لا تصبح الذكريات والاعياد في حياة الامم والشعوب والدول مجرد ايام تنوالى وتتعاقب عليها كسائر الايام، ولكن تغدو مراحل لانجاز العمل، وللتأمل في التاريخ، وللمعان الفكرة الفاحصة في الماضي والحاضر، ولتمحيص الرؤية الثاقبة الى آفاق المستقبل، كما تغدو اشواطا لاستخلاص العبرة من التاريخ واستصفاء الدرس

كلا واحدا لا يتجزأ، وكتلة مترابطة من القيم والمبادئ والفضائل التي تشرها وتشجع بها شعب المغرب مستمدا إياها من العروة الوثقى والمقدسة الجامعة بينه وبين ملوكه الميامين عبر التاريخ. ان اربعا وعشرين سنة في حياة الدول والشعوب، ليست بالشيء الكبير الذي يعتد به، الا في القليل النادر من تاريخ بعض الامم التي حباها المولى سبحانه قيادة مؤمنة صالحة، تعمل وتكد، وتنصب وتجد، وتوالي البذل والتضحية آناء الليل واطراف النهار لكي تسعد فئات الامة وترفل في حلل الرخاء والرفق والتطور المادي والمعنوي والحضاري.

وأمة المغرب، هي من هذه الامم المحدودة التي اسبغ عليها المولى عز وجل تمام الرضى والاسعاد، فخص بلادنا — وله دوام الحمد والشكر — بقائد ملهم، وزعيم فذ، ومملك همام، لا يني عن العطاء والبذل، في كل وقت وحين، حتى يتقدم شعبه، ويريق وطنه، وحتى تستكمل السيادة وتحاط الوحدة الترابية والوطنية باوفى اسباب القوة والمناعة، وشروط العافية والحصانة...

إنه أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني الذي اجتمعت الامة، طائفة طائفة، وفئة فئة، وجماعة جماعة، وكلا كلا، على مبايعته ومعاهدته على السير وراءه، والولاء له، والالتفاف حوله، فكان اعزه الله وامد في عمره — على العهد الوثيق مع شعبه الوفي الخليل؛ يقود بالحكمة وصواب الرأي وسداد الخطوة، ويسوس بالشريعة ونفاذ البصيرة وتقواها، ويحكم الامور لتسق نتائجها مع مقدماتها، ولتتطابق مع الشرع والمشروعية — الاحكام والمقتضيات التي يوجبها نشوء القضاء ونحوها، سواء في كبير الامور او صغيرها، او في جليلها وهيتها..

وعلى هذا المنهج الواضح والسليم، تابعت خلال اربع وعشرين سنة مضت من الخلافة المنيقة لأهمل المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، خطوات السياسة والتدبير، والتفكير والتسيير، محكمة في جميع المجالات والميادين، ومتقنة مسددة في سائر الحقول والمضامير، خطوات يوجهها الايمان، ويلهمها التعلق باوامر الكتاب ونواهي، والالتزام بالسنة اقوى الالتزام واطهره واتقاه، ويحكمها ويضبطها السير على منهاج السلف الصالح من الخلفاء والملوك، والعلماء الاتقياء، وذريتهم التي على دينهم وشرعهم الذي انزله الله على نبيه المصطفى محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وكان هذا المنهج — ولا يزال — خير معوان يستمد منه

جلالة الملك الحسن الثاني مادة النظر والعمل والتدبير والتقييم لما فيه المصلحة العليا لامته الراعية لحقوق البيعة والعهد بينها وبين ملكها المجاهد، ويسترشد ويقتبس ما في المنهاج من كليات وجزيئات تعين جلالته حفظه الله على الصيانة والحفظ، والتعهد والتقدم، والتحقيق والانجاز؛ في هذا المجال او ذلك من مجالات التطور المعاشي والفكري والحضاري لامتنا.

وهكذا منذ اربع وعشرين سنة خلت، بدأت بلادنا بقيادة جلالة الملك الحسن الثاني طفرة في النمو الشامل، والتقدم المتكامل، ووثبة عالية لازمتها التضحية والتعبئة وتعلقت فيها اسباب ما يحمل على الرفعة، وتحصيل الانجاد، واكتساب المعالي، مترابطة متينة، مترابطة مكينة، يوثقها الايمان والجهاد، ويوطدها العمل والانجاز، وتقويها الثقة في الله ليضفي نعمه، ويسبغ الطافه، ويزيد من افضاله على امتنا..

فعلى هذا المدى الوجيز من الزمن، انصرف المغرب بجهده وطاقته وامكانياته، تحت القيادة المؤمنة لجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، الى البناء والتعمير، والتشييد والانجاز، محققا الامل والراغائب، ومنجزا الاهداف والبرامج، ومتشوقا في كل عام — بل في كل يوم — الى المزيد من المشروعات التي بها يتطور مستوى تقدمه في كل مجال وفي كل ميدان، وبواسطتها يرقى الانسان والارض، الى الافضل والاحسن والاهمل في سائر وجوه الحياة اليومية وفي كل نطاق، تنطلق مسيرة وتنبثق، يدعها ويقودها، ويرفع لواءها ويحمل مشعلها، جلالة الملك الحسن الثاني رعاها الله، مسيرة تلوا الاخرى للاصلاح والتقويم، وللتحرير والوحدة، وللتقدم والتطوير الاقتصادي والاجتماعي والفكري....

ومسيرة تلو الاخرى لتحقيق الافضل، وصلة الحاضر بالماضي، وربط الراهن بالآتي، وتمتين عرى المشروعية والاستمرارية، وفاء لمبادئنا وقيما ومقوماتنا الثابتة في التاريخ الراسخ والمستمر للمغرب والمغاربة اجمعين.

والباصرة المنصفة الفاحصة، لا تحظى ملاحظة مدى ما مس المغرب من تطور وتغيير شامل وحضاري، لا زالت ملاحظتهما وصورهما الحية النابضة تتلاصق وتتعاقب في الحياة اليومية للامة، ولا زالت آثارهما تتجلى — اوكد التجلي واطهره — فيما يعتمل فيه الانسان المغربي، وتنشط له نفسه، ويقبل عليه بمواجهه وملكاته وطاقاته الحية التي حباها الله سبحانه وتعالى بها وجعله مسؤولا عن توجيهها وتوجيهها رشيدا يدع بها، ويتكبر الصالح،

والقاعدة، وصلابة النضال المشترك بين العرش والشعب، على مدى العصور والاحقاب، وتوالي الاعوام والدهور؛ سنة الله في الارض، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

وفي خضم هذه المسيرات المؤمنة والتاريخية التي عاشها ويعيشها المغرب، بأني أمير المؤمنين جلالته الملك الحسن الثاني بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لجلوس جلالته المنيفة على عرش اجداده المقدسين، الا ان يحسم حفظه الله هذه البيعة الخالدة والمتجددة بين جلالته وشعبه الوفي، من الصحراء الى البوغاز في مسيرة اخرى تتمثل في احياء حفلات عيد العرش المجيد لهذه السنة، وفي اقامة حفلة الولاء وتجديد البيعة من الامة الى ملكها الهمام جلالته الملك الحسن الثاني، في مدينة العيون بالصحراء المغربية احررة من الاستعمار، ف جاء هذا الحدث التاريخي المشهود، والفريد من نوعه، دليلا جديدا على مغربية الصحراء وعنوانا صادق العفوان على مهرجان الوحدة والتحرر المغربي من الكويبة الى طنجة.

ويهدء الحفلات التي جسمت من جديد، مشروعية الحق المغربي الثابت والراسخ الجذور في الارض والتاريخ والقانون والعدل والمصادقية، قطعت دوائر الطامعين في مكتسبات الشعب المغربي في وحدته وحرته، ووضع حد نهائي لاحلام الجاحدين، والعاقين حقوق الجوار، والميوئين بمائة الاثم والعدوان، وقد نبه الله عنهما في كتابه العزيز اذ يقول جل من قائل : «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان».

اربع وعشرون سنة كاملة من الخلافة الميمونة والمؤمنة لاهير المؤمنين جلالته الملك الحسن الثاني المؤيد بالله حافلة ومليئة بالمفاخر السنية، والمآثر العظيمة، والمنجزات الكريمة، سنوات عمل وجهاد وبطولة وتضحية وعطاء وانتصارات ومضت في سجل التاريخ صفحات اجماد ومناقب ومكاسب فعزت عن الوصف والتحليل والافاضة، وجلت عن الاحاطة الشاملة، وعظم شأنها في التاريخ وتقل وزنها في قسطاس الاعمال الباقيات والافعال الصالحات المبرورة في كتاب الله والمشكورة في سنة رسوله المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي هذه السطور الوجيزات، اكتفى القلم - وقد ضاق امامه مجال القول فعجز عن الاطالة والتطويل، واستع له مضمار الموضوعات والمنجزات والمكتسبات المحققة - بالاشارة دون الاطناب، والتلميح دون طويل التصريح، وهذه الاعمال شاهدة، والمنجزات ناطقة، والمكاسب حية، والعمل ماثل.

دعوى الحق

ويرفض الطالح، ويقبل النافع، وينفي عنه الفاسد المفسد. وفي هذا المدى وفي اطاره العام، تشخص ابصارنا نحن المغاربة كافة، في اليوم التاريخي الاغر الذي قدرته عناية المولى سبحانه وتعالى يوما لتربع امير المؤمنين جلالته الملك الحسن الثاني على عرش اجداده الغر الميامين، في هذا اليوم، تشخص ابصارنا الى معالم النهضة المتواصلة، والوثبة الحية، والظفرة المتواليبة والانبعث المتجدد، والتطور التاريخي المستمر...

ويمكن القول بدون مبالغة، وبدون شطط او تعسف في الكلام ان مسيرة اربع وعشرين سنة من الخلافة الميمونة والمباركة لاهير المؤمنين جلالته الملك الحسن الثاني، امدتها الله بالعون وبزكي المدد، كانت وستظل باذن الله ومشيئته مسيرة ملاحم ومعالم، ومسيرة معارك جهادية ومواجهات بطولية، تتجلى فيها القيادة الفذة، والسياسة المؤمنة، والتوجيه الحكيم، وتظهر فيها الرياسة المتبصرة، والترشيد العقلاني للامور والقضايا؛ في ظواهرها وبواطنها، وفي حقائقها وفي شكلها وجوهرها.

فهذه مسيرة الى الايمان والتمسك بالقرآن، جبل الله المتين وحبته البالغة على عباده المؤمنين، وهذه مسيرة الى توحيد تراب الوطن واستكمال وتثبيت سيادته بالاقتناع والحوار وبالتالي هي احسن، وهذه مسيرة الى تطوير امكانيات المغرب واستغلالها بما يعود على الامة بالمنفعة والجدوى، وهذه مسيرة الى الارتقاء بمستوى الفكر المغربي ومواصلة اشعاعه على الاقطار والاصقاع، وهذه مسيرة الى توظيف واستئثار الموارد المغربية، طبيعية ومادية وبشرية، وهذه مسيرة الى تحصيل الوجود المغربي وجعله اقوى من رياح التضليل والتهافت والضعف والجمود، وهذه مسيرة الى انشاء واشاعة روح الشورى والديمقراطية وحث الفرد على المشاركة الكاملة في العمل الوطني، وهذه مسيرة الى تحرير فلسطين، وتحرير القدس، وتبوير الرأي العام الدولي بقضايا العالم الاسلامي في عالمنا المعاصر، وهذه مسيرة الى احياء الماضي في انجالات والمستويات العلمية الهامة والحيوية لتثنية وجدان الاحيال الصاعدة لتثنية قائمة على دعائم الايمان والحرية والتعاون والتسامح والفضيلة الاسلامية، وهذه مسيرة الى اعادة صياغة الطاقات الشابة في البلاد وفق المتطلبات والحاجيات التي يقتضيها التطور المعاصر فيما يخص التكوين التكنولوجي.. الى غير ذلك من المسيرات الناجحة والمباركة والموفقة التي يدعو اليها امير المؤمنين جلالته الملك الحسن الثاني شعبه الوفي فيستجيب، بعفوية وتلقائية تشهدان على رسوخ المشروعية، وصدق الوفاء المتبادل، وعمق الاصرة الرابطة بين القمة

• فهرس العدد 246 •

الافتتاحية :

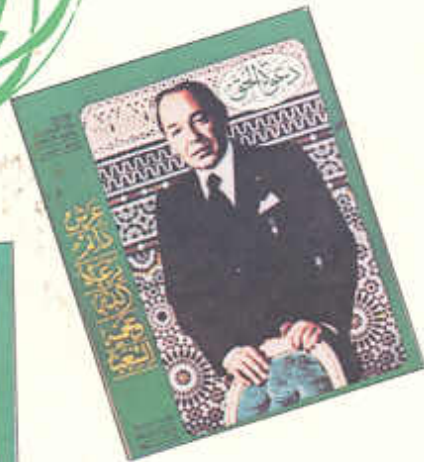
- 2 - عيد البيعة والولاء والإخلاص والوفاء د. عبد الكبير العلوي المدغري
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
- 6 - في الذكرى الرابعة والعشرين لعيد العرش استمرارية الدولة ماذا تعني . د. عبد الله كَنُون
- 8 - جلالة الملك الحسن الثاني أمير المؤمنين لقب (أمير المؤمنين) واستعماله عند ملوك المغرب د. الشيخ محمد المكي الناصري
- 10 - العرش والاستقرار د. محمد الكتّاني
- 15 - جلالة الحسن الثاني رمز الأصالة والتجديد د. عبد العزيز بنعبد الله
- 19 - المقدسات الإسلامية د. الحاج أحمد بن شقرون
- 21 - خواطر حول النهضة التعليمية العلمية الحسنية في مغرب التحديات . د. محمد جلال
- 26 - العرش المغربي عرش البيعة والاستمرارية د. محمد حدو أمزيان
- 29 - صمود الملك والشعب مثال معركة وادي أسلي د. مصطفى الشـابي
- 34 - جلالة الحسن الثاني الملك العالم والحاكم العادل د. إدريس العلوي العبدلاوي
- 39 - كوليم بين الأمس واليوم د. عبد الهادي التـازي
- 43 - جانب من إحياء التراث الإسلامي في عهد جلالة الملك الحسن الثاني . د. أحمد سعيد أعراب
- 51 - المغرب في مواكبة الصحوة الإسلامية د. يوسف الكتّاني
- 55 - العرش المغربي أقدم عرش في الإسلام وأثبتته في العالم د. محمد بن تـاويت
- 57 - الوحدات العشر د. عبد الحي العـراوي
- 64 - مكانة العرش وسمعة المغرب د. علي العـلـوي
- 67 - وهذا صراط ربك مستقيما د. محمد العربي الزكـاري
- 69 - موحـدات المغرب د. عبد الحي العـمراني
- 75 - العرش حامي الوحدة الوطنية د. محمد العـثماني

ديوان دعوة الحق الوطني

- 79 - ملك النضال للشاعر الطيب المريني دنيا
- 82 - أبدا تنشئ الحياة وتبني للشاعر عبد الكريم التواتي
- 86 - هدية أنت من رب السجوات للشاعر أحمد عبد السلام البقالي
- 94 - غدا تشرق الشمس للشاعر محمد الخـلوي

لشاعر الوحدة محمد الكبير العلوي	96 -	ها هو اليوم ذا يتم اللقاء
للشاعر محمد عبد الرحمن العلوي الدرجاوي.	98 -	وبالعرش نلنا كل مجد ورفعة
للشاعر عثمان جوريو	100 -	عرشنا وصحراؤنا
للشاعر عبد الواحد أخريف	102 -	وحدة العرش والشعب
للشاعر قدور السورطامي	105 -	بين بطاح العيون
للشاعر وجيه فهمي صلاح	108 -	كأن خطوك أنداء ترويا
للشاعر عبد الفتاح إمام	111 -	وكل سبيل للمكارم هين
للشاعر أحمد العمراي	113 -	أعراس الحب
للشاعر محمد أجانا	114 -	العيد أقبيل
للشاعر محمد محمد العلمي	124 -	عرشنا في الكون عنوان لنا
للشاعر أحمد الجوالي	129 -	مرحى بعيده العرش
للشاعر شهاب جنبكي	131 -	أهلا بعيده العرش
ذ. محمد المنصوني	133 -	الوراقة العلوية عبر سبعة عقود
ذ. محمد بن عبد العزيز الدباغ	152 -	فلك السعادة الدائر بفضل الجهاد والشهادة
ذ. عبد الهادي الحيسن	161 -	موقف السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي من كتب الفروع
ذ. محمد العربي الشاوش	169 -	صفحات من تاريخ المغرب
ذ. محمد بن عبد الله	174 -	النشاط العمراي للدولة المغربية
ذ. أحمد يكن البلعشي	195 -	مآثر جلالة الملك الحسن الثاني في نشر الفكر الإسلامي
ذ. الحاج أحمد معنينو	204 -	عيد العرش المجيد
ذ. مبارك الريسوني	205 -	شذرات من الفكر الحسني
ذ. عثمان بن خضراء	211 -	جلالة الملك الحسن الثاني موحد البلاد وصانع الأجداد
ذ. عبد العزيز بغداد	216 -	صوت الجامعة
ذ. أميل جلال	219 -	نهضة التعليم العالي في عهد جلالة الحسن الثاني
ذ. عروة الحسني	223 -	مسيرة تلو الأخرى لتحقيق الأفضل

من أعداد "دعوة الحق" الممتازة، الصادرة بمناسبة



عاهدتك، شعبي العزيز، يوم ألقى الله إلى
زمام أمرك، وأناط بي تسيير أمورك، على أن اجتهد
فلا أفي، وأسعى فلا أمل السعي، وأبلى كل بلاء
حسن، وأركب كل سبيل محمود، ذرءاً للمكاره،
وجللاً للمنافع، وطلباً لجميل الأحدثه، حتى
تسير قدمك ثابتة، لا ينوبها المسير، راسخة
لا تكبو ولا تزل. فيسر الله لاجتهادنا ما يسر من
جميل الآثار، وبلغ سحينا ما بلغ من سيني الانغراض
والأوطار. وكتب لكلمتك أن تشيع. ولشأنك
أن يتسع ويستظيل. ولوطنك أن تشرئب إليه
الإنعاق، وتمتد إليه الأبصار.

جلالة الملك الحسن الثاني
نصره الله

